



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

قسم الدعوة والاحتساب



## الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

دراسة تأصيلية وتطبيقية على عينة من الدعاة في غينيا

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالب/

ساموكا داود سومارو

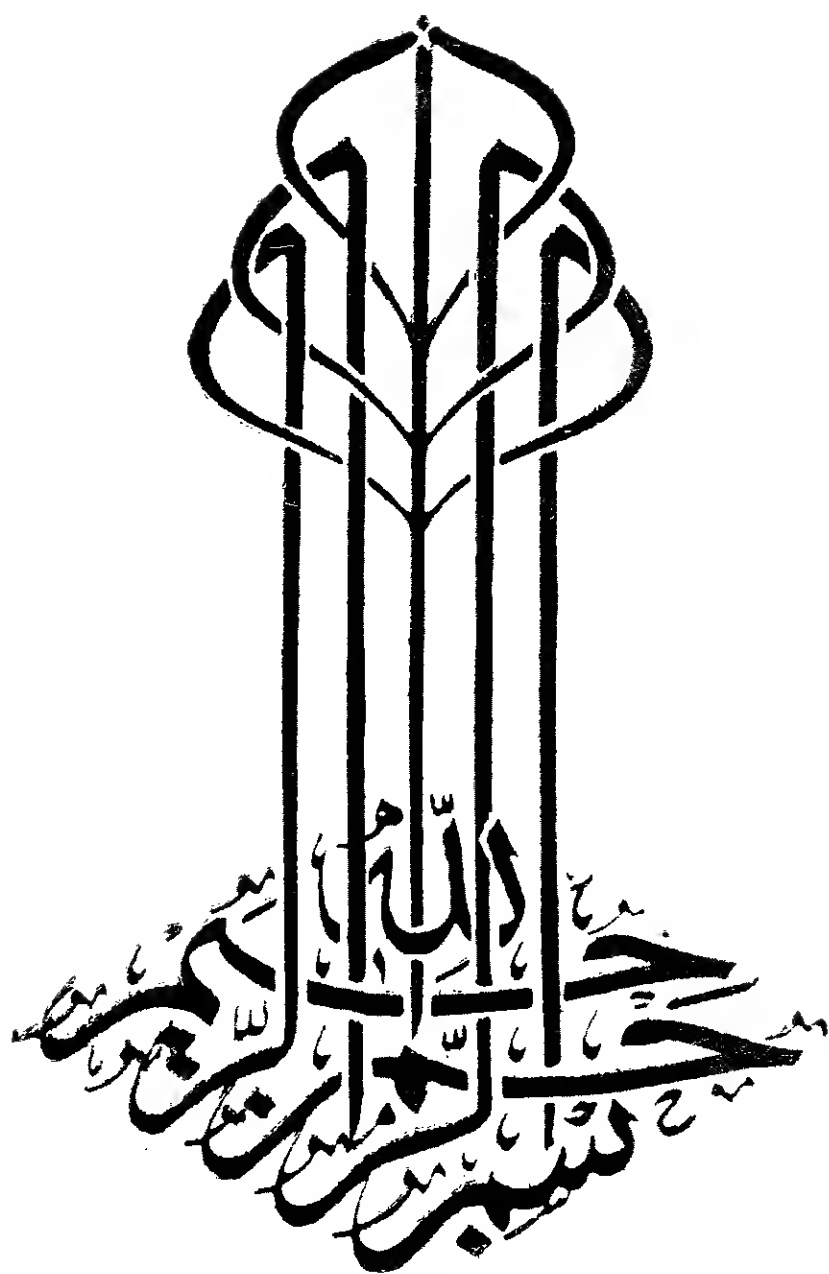
إشراف الدكتور/

محي الدين عفيفي أحمد عبد المجيد

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي ١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ

المجلد الأول



# المقدمة

- أهمية الموضوع
- التعريف بمصطلحات البحث وخطته
- الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

أهمية الموضوع:

الحمد لله الواحد الأحد الرزاق ذو القوة المتين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين.  
وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى - رسالة عظيمة كلف بها جميع الرسل والأنبياء - (عليهم السلام)، وقاموا بها على خير وجه، وقد بلغ نبينا محمد ﷺ رسالة ربه امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة: ٦٧].  
وخلفه الخلفاء الراشدون والصحابه وغيرهم من السلف الصالح - رضوان الله عليهم في القيام بالدعوة إلى الله ﷻ وسلوكوا مسلك النبي ﷺ وتسننوا بسنته، وساروا على منهجه فجمعوا بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكانوا قدوة للآخرين في ذلك، حيث وازنوا بين دعوتهم إلى الله وسعيهم لكسب أرزاقهم، ولم يشغلهم طلب الرزق عن الدعوة إلى الله تعالى ولم يقعدوا عن طلب الرزق بالاتكال على غيرهم؛ لانصرافهم الكلي إلى الدعوة؛ لكنهم بذلوا قصارى جهدهم في رفع راية الإسلام، ولكي يكونوا أصحاب اليد العليا، وأن يدعموا الدعوة من خلال جمعهم بينها وبين طلب الرزق، انطلاقاً من فهمهم للإسلام الذي يدعو أهله إلى السعي في طلب الرزق بالسبل المشروعة؛ لتحقيق الغاية من استخلاف الإنسان في الأرض بعمارتها واستثمار خيراتها، وإقامة منهج الله بين الناس؛ لأن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى العناية بالحياة الإسلامية التي يحيونها في فترة خلافتهم في الأرض، ولا تتحقق إقامة الحياة الحقيقية إلا بالأخذ بأسبابها وفق ما بينه الإسلام، وقد أمر الله المسلمين بالسعي والانتشار في الأرض، بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].



والدعاة إلى الله تعالى في كل العصور هم القائمون بوظيفة رسل الله (عليهم السلام) في الدعوة إلى الله ﷻ في الأرض.

وحياة الدعاة مرتبطة برسالتهم الأصلية التي هي الدعوة إلى الله، فهم قدوة للناس لقد أدرك الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) أهمية الجمع بين الدعوة إلى الله تعالى وطلب الرزق، بالدعوة مع تمسكهم بما تيسر لهم من مقومات العيش في الحياة، بأسباب نجاحها وفق دينهم الخفيف، قال تعالى عن الرسل (عليهم السلام): ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من أوصاف أصحاب رسول الله ﷺ السعي في طلب الرزق والعبادة والدعوة إلى الله، فقال تعالى: ﴿وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الزمل: ٢٠].

وقد كانت لجهود هؤلاء الدعاة في مجال الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق آثار طيبة، وبارزة في نفوسهم من حيث القناعة برزق الله لهم، وعدم التطلع إلى ما في أيدي مدعويهم، والاطمئنان على أحوال الناس من حيث الاقتداء بهم في مجال الدعوة وطلب الرزق وغيره مما تهدف إليه دعوتهم، واستطاعوا — بإذن الله تعالى — بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق الحلال أن يصنعوا كل ما يحتاج الداعية أن يفعله بكسب الرزق المستطاب والدعوة، من الإنفاق في وجوه الخير، وصلة الرحم ومساعدة المجتمع وصيانة دين الله فيه، وإعداد الدعاة، والدعوة إلى عبادة رب العباد والتمسك بالنظم الاقتصادية الإسلامية التي توفر الخير والسعادة والرفاهية للمجتمع،

وتبعده عن الظلم والجور بمختلف أشكاله، وذلك بأساليب دعوية متنوعة ومناسبة، وعاشوا حياة كريمة يرضى بها الله ﷻ.

إن الإسلام ينهى الإنسان عن الكسل والبطالة، وإيثار الراحة على العمل، لما يترتب عليه من آثار دنيئة على الفرد والمجتمع، كتعرض الإنسان للسؤال والاحتقار والسخرية بين الناس، والاعتماد على الغير بدون عذر شرعي، وإيجاد الحسد والضغينة نحو الأغنياء، والإقدام على ارتكاب المعاصي والجرائم من سرقة وغصب ونهب، وغش، وغير ذلك مما يمحقه الشرع.

قد جاء في الحديث المرفوع: «... اليد العليا خير من اليد السفلى...»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: «... لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه...»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ينهى الإسلام العبد عن الانغماس في طلب الرزق مع إهمال الحقوق الشرعية الواجبة عليه من دعوة وأداء زكاة وعبادة، وإنفاق في سبيل الدعوة إلى الله وغيرها. وجاء في حديث أبي ذر<sup>(٣)</sup> ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا، وكسبه من طيب»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة رقم (٢٤) باب رقم (٥٠) حديث رقم (١٤٧٢)، المطبوع مع شرح صحيح الإمام البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٩٣/٣) ط/دار الريان القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة رقم (٢٤) باب رقم (٥٠) حديث رقم (١٤٧١).

(٣) أبو ذر الغفاري هو: صحابي جليل اختلف في اسمه ف قيل جندب بن جنادة وقيل يزيد بن عبد الله ويزيد بن جنادة، وصحح ابن عبد البر الأول، وكذلك ابن حجر. وهو من كبار الصحابة قديم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة فكان خامساً ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام لها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد بدر وأحد، واشتهر بالزهادة في الدنيا، قال فيه رسول الله ﷺ «يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده، ويحشر وحده» كانت وفاته بالربرة سنة إحدى وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر بإمضاء الإصابة في تمييز الصحابة (٦١/٤-٦٥) ط/ دار صادر بيروت ومطبعة السعادة بجوار محافظ مصر الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ، والإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر. (٦٢/٤-٦٥).

(٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب رقم (٨) (١٣٨٤/٨)، حديث رقم (٤١٣٠)، بتحقيق وترقيم كتبه وأبوابه وتعليق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، ط/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. والحديث حسن صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ ناصر الدين الألباني (٣٩٨/٢) ط/ المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

وفي حالة بطالة الداعية وبعده عن طلب الرزق الحلال، أو انصرافه عن الدعوة بطلب الرزق تشويه حياة الداعية، وسبب لإخفاقه في عمله الدعوي يحول دون تحقيق الأهداف المنشودة.

ولهذا كله يجب على الداعية أن يجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق وفق ما بينه الإسلام.

إن الجمع بين الدعوة وطلب الرزق يكاد يكون مشكلة بين الدعاة تعيق الدعوة في بعض المجتمعات الإسلامية في وقتنا الحاضر، وذلك لوقوع عدد من الأخطاء في تصرفات بعض الدعاة عند جمعهم بين الدعوة إلى الله وطلب أرزاقهم في مجتمعاتهم، فيؤدي ذلك إلى نوع من التقصير في نشاطاتهم الدعوية.

والجتمتع الإسلامي في جمهورية غينيا<sup>(١)</sup> أحد المجتمعات الإسلامية التي تعاني من هذه الظاهرة في الوقت الحاضر، إلا أنه يوجد في جمهورية غينيا دعاة مخلصون متمكنون من الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق وفق مبادئ الإسلام.

كما لا يعني تخصيص غينيا بهذه الدراسة، أن هذه الظاهرة محصورة فيها دون غيرها، بل توجد تلك الظاهرة في كثير من البلدان الإسلامية الأخرى وغير الإسلامية (التي تقطنها الأقليات المسلمة)، وإنما خصصت غينيا بالدراسة التطبيقية لبيان واقع الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في حياة الدعاة المعاصرين، كنموذج حي في العصر الحاضر، ومعرفة الجوانب المتطابقة والمختلفة وما يعترى ذلك العمل من نقص، مع مقارنة بين الدعاة في العصور الماضية والعصر الحاضر ليجتهد الدعاة المعاصرون في غينيا وغيرها في متابعة الرسل (عليهم السلام) والسلف الصالح من الصحابة وغيرهم في كل أحوالهم في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق بقدر طاقتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولهذا اخترت موضع بحثي هذا لرسالة

(١) جمهور غينيا إحدى بلدان أفريقية تقع في الجنوب الغربي من إقليم غرب أفريقيا، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٧% من مجموع السكان. انظر: قسماة العالم الإسلامي المعاصر، للدكتور المهندس مصطفى مؤمن ص/ ٣٧٢، ٣٧٣، دار الفتح، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الدكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام  
بالرياض بعنوان [الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق] «دراسة تأصيلية وتطبيقية  
على عينة من الدعاة في غينيا».

## الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق دراسة تأصيلية وتطبيقية على عينة من الدعاة في غينيا

### التعريف بمصطلحات البحث

وردت مفردات في عنوان البحث، وبيانها كالتالي:-

#### أولاً - التعريف بالجمع:

( جمع ) الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تَضَامُّ الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً. ولها عدة معانٍ منها: الضم، فيقال: جمع فلان المفترق أي: ضم بعضه إلى بعض. ومنها: أَلَف، فيقال: جمع الله القلوب، أي: أَلَفها، ومنها: الجماعة، والاجتماع، والجيش، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

والمعنى المقصود بالجمع في هذا البحث هو المعنى الأول وهم الضم.

#### ثانياً - التعريف بالدعوة:

أ- الدعوة لغة، لها معانٍ متعددة منها: النداء والاستعانة والدعاء، ومنها: ما يدعى إليه من اجتماع أو طعام أو شراب، والحث على اتباع ملة أو نخلة، أو مذهب ... إلى غير ذلك من المعاني<sup>(٢)</sup>.

وأصل الدعوة من ( دعا ) الدال والعين والحرف المعتل، أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت، أو كلام يكون منك<sup>(٣)</sup>.

#### الدعوة إلى الله في الاصطلاح:

ب- الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، فمثلاً إذا قيل: هذا من رجال

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون (٤٧٩/١، ٤٨٠)، ط/دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، والمعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) (١/١٣٥، ١٣٦)، ط/مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/٢٧٩).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/٢٧٩)، مادة (دعو)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٢٨٦)، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص/٢٢٩، ط/دار التحرير للطباعة والنشر عام ١٤١٦هـ.

الدعوة إلى الله، كان معنى الدعوة هنا: إجهادات في النشر والتبليغ، وإذا قيل: اتبعوا دعوة الله كان المراد بها: الإسلام<sup>(١)</sup>.

والمعنى الأول هو المستخدم في هذا البحث مع ارتباطه الوثيق بالمعنى الثاني حيث لا تتم عملية نشر الإسلام بأنواعها إلا بالمبادئ الشرعية الشاملة لجميع شؤون الحياة الصالحة لكل زمان ومكان<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً- التعريف بطلب الرزق

أ- معنى الطلب:

الطلب: مصدر طلب بفتح الطاء واللام، ويأتي بعدة معان منها: طلب فلان الشيء: أي همّ بتحصيله أو التمسّه وأراده ومنها: محاولة وجدان الشيء وأخذه، ومنها: الفحص عن وجود الشيء عيناً كان أو معنى<sup>(٣)</sup>.

ب- معنى الرزق في اللغة:

الرزق بفتح الراء مصدر فعل ( رزق ) وبكسر الراء اسم الشيء المرزوق، ويجوز أن يوضع كل منهما موضع الآخر، وهو كل ما ينتفع به.

(١) انظر: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي ص/٢٩، ٣٠، ط/دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، والدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، للدكتور رؤوف شلبي، ص/٣٢، ط/دار القلم، عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، والدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، للدكتور أحمد غلوش، ص/١٠، ط/دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) وللدعوة الإسلامية أركان أربعة على الأرجح:

الأول موضوع الدعوة وهو الإسلام أي المدعو إليه.

والثاني الداعي وهو من يقوم بمهمة الدعوة إلى الله.

الثالث المدعو وهو من توجه له الدعوة.

الرابع وسائل الدعوة وأساليبها.

وهناك من يعتبر أركان الدعوة: العقيدة والشريعة والأخلاق، وهذا التحديد لأركان الدعوة لا يستقيم عندما ننظر لمعنى الركن لغوياً، لأن الركن هو جانب الشيء الأقوى، والذي لا يتم ماهية الشيء إلا به. انظر: أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، لعبد الله بن محمد آل موسى ص/٣٠، ٣١، ط/دار عالم الكتب - الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥/١٩٨٥م، والدعوة الإسلامية للدكتور أحمد غلوش ص/١٤.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص/٣٠٥، ولسان العرب لابن منظور الأفرقي المصري (٥٥٩/١)، ط/دار الفكر، دار صادر - بيروت، والمعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) (٥٦٦/٢).

ولكلمة ( الرزق ) عدة معان منها: ما ينتفع به مما يؤكل ويلبس. ومنها ما يصل إلى الجوف ويتغذى به، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ﴾ [الكهف: ١٩]. ومنها: المطر، لأنه سبب الرزق ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحاثية: ٥]. ومنها: العطاء، أو العطاء الجاري، ويقال: كم رزقك في الشهر؟ كم راتبك؟ جمع الرزق: أرزاق<sup>(١)</sup>.

— معنى الرزق في الاصطلاح.

معنى الرزق المتعارف عليه عند الناس، هو ما يقدره الله ﷻ من مقومات الحياة من مأكّل ومشرب وملبس ومأوى، ومن دابة وأنعام وأنواع المال ونحو ذلك من الحاجات الأصلية الظاهرة للمخلوقات<sup>(٢)</sup>.

— ومعنى الرزق في ضوء الكتاب والسنة

إن مفهوم الرزق في الإسلام يختلف عما تعارف عليه الناس، فلا ينحصر في الماديات الظاهرة، ولكن يشتمل كذلك على المعنويات الباطنة.

إذن فتنقسم الأرزاق إلى نوعين، الظاهرة والباطنة وكلاهما من الحاجات الأصلية للإنسان لبناء الجسد وغذاء الروح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

أما الأرزاق الظاهرة في نعم الله الملموسة التي يستطيع الإنسان أن يستشعرها بجوارحه المختلفة، وهي من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومن أمثال هذه الأرزاق: الأقوات والملبس، والمسكن والدابة وغيرها كما في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/١٩٤، ولسان العرب لابن المنصور (١١٥/١٠)

والمعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية) (٣٤٢/١) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٨/٢).

(٢) انظر: الأرزاق بين بركة الطاعة، ومحق السيئات د/حسين حسين شحاتة ص/١٧ ط/دار النشر للجامعات مصر

القاهرة.. والرزق بهذا المعنى نوعان: النوع الأول: رزق يؤكل ويشرب ويستطب به وهي الأقوات كاللحم والثمار

والخضار واللحوم. والنوع الثاني: رزق لا يؤكل ولا يشرب ولكن يتداول في تأمين كامل سبل الحياة كالخشب

والمعادن والتراب والحجر والنقط. انظر: الرزق والمال بين السنة والقرآن دراسة تحليل حلول معاصرة، لماهر أحمد

الصوفي (١/١٥). ط/دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلَّيْلَ وَالتَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالتَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿النحل: ٥-١٨﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام ابن كثير<sup>(٢)</sup> عند تفسير الآية: «ثم نبههم الله إلى كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم ويتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزت عند القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكن غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات للدكتور حسين حسين الشحاته، ص/٢٢-٢٥.

(٢) الإمام ابن كثير هو: الإمام الجليل أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الأصل الدمشقي النشأة والتربية والتعليم. ولد بـ (مجدل القرية) من أعمال مدينة بصرى سنة (٧٠١هـ). وأخذ العلم عن كثير من الشيوخ المشهورين في زمنه منهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري الشهير بابن الفركاح. وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه (رحمهم الله) — وأثنى كثير من العلماء على جهوده العلمية وقال الإمام الحافظ الذهبي عن الإمام الحافظ ابن كثير: هو الإمام المقتي المحدث البارع فقيه متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، وغير ذلك من ثناءات العلماء عليه. وله مؤلفات كثيرة منها: تفسيره للقرآن العظيم. والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية وغيرهما من الكتب المفيدة.

وبين الإمام ابن حجرى أن الإمام ابن كثير فقد بصره في آخر حياته، وتوفي بدمشق الشام الخروسة سنة ٧٧٤هـ — رحمه الله تعالى. راجع ترجمته في كتابه تفسير القرآن العظيم مجلد الأول ص/١٥-١٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٤٦/٢). ط/مكتبة دار الفحاء — دمشق — الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.



أما المقصود بالأرزاق الباطنة فهي ما سخره الله للمخلوقات بصفة عامة وللإنسان بصفة خاصة من نعم غير ملموسة معنوية روحية، تتعلق بغذاء الروح، وتزكية القلوب وعلاج النفوس.

ومن هذه النعم الهداية إلى الإسلام، وحب الإيمان، والتقوى، والصالح والاستقامة، والأمن، والسكينة، والمعرفة، والعلم، والحرية، والعدل، والعز، وغير ذلك من النعم الخفية<sup>(١)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الأرزاق في كثير من الآيات، ومنها على سبيل المثال: نعمة الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ونحوها من الآيات الكثيرة في تعدد النعم على الناس<sup>(٢)</sup>.

وكذلك أشارت السنة النبوية إلى أن الرزق يطلق على نوعي الأرزاق المادية الظاهرة والمعنوية الباطنة.

ولما يفهم من رواية عبيد الله بن محصن الخطمي قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا»<sup>(٣)</sup>. والحديث يدل على أن ما في الدنيا من النعم الظاهرة والباطنة يمكن حيازتها بقدرة الله تعالى وتعتبر تلك النعم من رزق الله على عباده.

ولما يفهم من رواية أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفق، وعن جسمه فيما أبلاه»<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) انظر: الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات للدكتور حسين حسين شحاته ص/٢٤، ٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ص/١٧-٢٥.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه أبواب الزهد باب رقم (٢١) المطبوع مع تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٩/٧، ١٠) رقم الحديث (٢٤٤٩) قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية».

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة باب رقم (١) رقم الحديث (٢٥٣٢) (٧/٨٥، ٨٦). وقال الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) انظر: الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات للدكتور حسين حسين شحاته ص/١٧، ١٨.

والحديث يدل على أن عمر الإنسان وماله وعلمه وحياته وعمله فيها من نعم الله التي تعد رزقاً له في الدنيا يسأل عنها يوم القيامة، كما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

إذن فالرزق في مفهوم الإسلام يشمل نوعي الأرزاق الظاهرة، والباطنة ولكن المراد بالرزق في موضوع هذا البحث هو نوع الأرزاق المادية الظاهرة المحسوسة<sup>(١)</sup>.

وبهذا البيان يكون ملخص التعريف بطلب الرزق هو القيام بتحصيل الرزق المادي الذي تنتفع به النفس وينتفع به الغير.

(١) وسنعرض لذكر الأرزاق الباطنة في الجوانب التي تخدم الأفكار الدعوية في موضوع هذا البحث. مثل الجاه والشرف كتخويف الشيطان بعض الناس من الدعاة على سمعتهم وجاههم وعزهم ومنصبهم في المجتمع، عندئذ يبعدون الأكفاء من الدعاة حتى لا يكتسبوا حب الناس دونهم، فتتعطل الدعوة بسبب تلك التصرفات الشيطانية، وكذلك مثل العلم كاستعمال بعض الناس علومهم الشرعية لخدمة الدعوة والدفاع عنها.

## رابعاً التعريف بالدراسة التأصيلية

التأصيلية لغة مصدر صناعي مأخوذ من ( أصل ) الهمزة والصاد واللام، ثلاثة أصول متباعدة بعضها من بعض، أحدها أساس الشيء، والثاني - الحية، والثالث - ما كان من النهار بعد العشي، فأما الأول فالأصل أصل الشيء، ويقال: أَصَلَ فلانُ الشيءَ أي: جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه<sup>(١)</sup>.

إذن فالمراد بالدراسة التأصيلية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق، هو فحص وبحث المبادئ والأحكام الثابتة المتعلقة بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، والمستخلصة من نصوص الكتاب والسنة، وهدى الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وهدى الصحابة رضي الله عنهم وهدى السلف الصالح (رحمهم الله تعالى).

## خامساً- التعريف بالدراسة التطبيقية

أ- التطبيقية لغة: مصدر صناعي مأخوذ من ( طبق ) الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوطٍ على مثله حتى يُعْطِيَهُ. ومن ذلك الطبق، وله عدة معانٍ منها: غطاء كل شيء، فيقال أُطبقتُ الشيءَ على الشيءِ، فالأول طبقٌ لِلثاني، وَقَدْ تَطَابَقَا، ومنها: ما سَوَى غيره وَوَافَقَهُ، فيقال: طبقُ كل شيءٍ: مَا سَاوَاهُ وَوَافَقَهُ، ويقال أيضاً: أطبقَ القومَ على كذا: اجتمعوا عليه متوافقين. ومنها: الحال في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الإنشاق: ١٩]. وغير هذا من المعاني<sup>(٢)</sup>.

## ب- التطبيق في الاصطلاح

أما التطبيق في الاصطلاح فله عدة معاني اصطلاحية هي:

١- التطبيق «هو إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية أو قانونية أو نحوها»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠/١) والمعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) (٢٠/١).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٠٩/١-٢١٥)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٩/٣، ٤٤٠) والمعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية) (٥٥٦/٢، ٥٥٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٥٦/١).

٢- التطبيق: «هو السعي إلى استمالة الشخص أو الأشخاص الذين يرغب في استمالتهم»<sup>(١)</sup>.

٣- التطبيق في الصلاة: «جعل اليدين بين الفخذين في الركوع»<sup>(٢)</sup>.  
والتعريف الاصطلاحي الأول هو المقصود في هذا البحث وذلك بمعنى إخضاع قضية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينا للقاعدة الشرعية المتعلقة بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الوقت المعاصر.

#### سادساً- التعريف بالعينة

العينة: بفتح العين وكسر الياء، جزء من المادة يؤخذ منها نموذجاً لسائرها<sup>(٣)</sup>.  
وأما مفهوم العينة عند علماء مناهج البحث العلمي، العينة أداة من أدوات جمع المعلومات والبيانات عن ظاهرة ما في المجتمع الأصلي بدراسة جزء مختار من أفراد المجتمع الأصلي، ثم تعميم نتائج البحث والدراسة على المجتمع كله بعد دراسة الجزء من ذلك الكل. والعينة لها أنواع وأساليب لاختيارها<sup>(٤)</sup>.

إذن المراد بالدراسة التطبيقية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق على عينة من الدعاة في غينيا، هو فحص أحوال مجموعة من الدعاة الذين يمثلون جميع الدعاة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، ومعرفة مدى تطبيقهم ذلك الجمع وفق مبادئ الدين الإسلامي الخفيف في غينيا.

#### سابعاً- التعريف بغينيا

كانت غينيا تسمى قبل مجيء الاستعمار إليها باسم «نهر الشمال» لكثرة فروع الأنهار بها، وبعد احتلال الفرنسيين لغينيا سميت بغينيا الفرنسية لكونها جزءاً متكاملًا

(١) انظر: المنجد في اللغة والإعلام ص/٤٦٠، ٤٦١، ط/دار المشرق بيروت، الطبعة الثلاثون.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢١١/١٠) أما التطبيق في الصلاة قيل إنه كان من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة، ثم أمروا بإلزام الكفين رأس الركبتين. المصدر السابق.

(٣) انظر: المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) (٦٤٧/٢).

(٤) انظر: سين وجيم عن مناهج البحث العلمي، لطلعت همام، ص/٨٥، ٨٦، ط/مؤسسة الرسالة - دار عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، وأسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، للدكتور فاخر عاقل ص/٢٢٠-٢٢٧، ط/دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

في منطقة غرب أفريقية الفرنسية التي يتولى إدارتها حاكم عام مقيم مع مجلس أعلى لفرنسا فيما وراء البحار، ثم نالت استقلالها عام ١٩٥٨م حيث صوّت شعبها ضد الانضمام إلى الجماعة الفرنسية فأصبحت تحمل اسم غينيا من بين الدول الأفريقية الواقعة في غربي قارة أفريقيا<sup>(١)(٢)</sup>.

— المراد بعنوان البحث:

بعد هذا البيان لمصطلحات عنوان البحث يمكن القول بأن المقصود بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، دراسة تأصيلية وتطبيقية على عينة من الدعاة في غينيا. هو، القيام بضم عملية نشر الدعوة مع السعي في طلب الرزق الحلال، واستغلاله في تحقيق الأهداف الدعوية، باستخلاص ذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة، وهدى الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، وسلف الأمة (رحمهم الله)، ودراسة مدى تطبيق فئة من الدعاة المعاصرين لذلك الجمع وتعميم حكمها على جميع الدعاة في غينيا بالأساليب العلمية المعتمدة.

— أسباب اختيار الموضوع:

- ١- حاجة الدعاة في كثير من المجتمعات المعاصرة إلى الاستفادة من السبل المشروعة في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، المنبثقة من الوحي الإلهي، ومن سيرة الرسل (عليهم السلام)، وسلف الأمة (رحمهم الله)، لأثرها الفعال في نجاح الدعوة إلى الله وتحقيق أهدافها.
- ٢- بيان وجوه استثمار نتائج العمل عند طلب الرزق، وإنفاقها من أجل تقدم مسيرة الدعوة إلى الله، وفق منهج الإسلام، لكون ذلك وسيلة قوية بعد الله سبحانه وتعالى في خدمة الدعوة وتدعيم مكانتها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية.

(١) انظر: واقع الدعوة الإسلامية في غينيا للشيخ عثمان كانه ص/١٢، ولوحات حية من أفريقية المعاصرة، عميد (أ). محمد عبد الفتاح إبراهيم، ص/٧٩-٨٩، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون عام ١٩٦٧م، وقسمات العالم الإسلامي المعاصر، لمصطفى مؤمن ص/٣٧٢، ٣٧٣، ط/ دار الفتح، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، وإفريقية دراسة عامة وإقليمية (لأقطارها الغير عربية) للدكتور أحمد نجم الدين قليحة، صفحة ٣٢٨، ط/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، جامعة بغداد عام ١٩٧٨م، والمجتمع الإسلامي المعاصر (ب) أفريقية، للدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، الأستاذ علي لبن، ص/١٧٠، ١٧١، ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، وموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلي (٦/٥٤٠-٥٤٩) ط/ النهضة المصرية — القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

(٢) سيأتي تفصيل الكلام حول غينيا في الباب الثاني الخاص بها في هذا البحث.

- ٣- الإسهام في بيان نظرة الإسلام الموضوعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق من أجل تصحيح الأوضاع المخالفة للمنهج الإسلامي الصحيح المستمد من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح (رضوان الله عليهم).
- ٤- بيان واقع الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا لمعرفة مدى التطابق والاختلاف، ومعالجة أوجه القصور من منطلق إسلامي صحيح لتقويم مسالك الدعاة في هذه القضية.
- ٥- بيان تميز وتفوق نظام الإسلام على سائر النظم الوضعية في الجمع بين الدين والدنيا، حتى لا يجد أعداء الإسلام فرصة للطعن في الإسلام في هذه القضية، وحتى لا يتوهم البعض أن الإسلام يدعو إلى الإغراض عن الدنيا.
- ٦- عدم وجود دراسة دعوية تختص بهذا الموضوع مع أهميته وجدارته بالبحث وذلك قبل تسجيل موضوع هذه الرسالة في قسم الدعوة<sup>(١)</sup>.
- الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات المتعلقة بتأصيل الموضوع:

(أ) الكتب العلمية:

- قد ألفت كتب مطبوعة مخصصة في بيان أحوال العمل، والعمال لكسب الرزق في الإسلام، ومنها ما يأتي:
- ١- العمل والعمال والمهن في الإسلام، للدكتور زيدان عبد الباقي ط/مكتبة وهبة، القاهرة عام ١٩٧٨م.
- ٢- العمل والقيم الخلقية في الإسلام، لدكتور أحمد ماهر البقرى، ط/المكتب الجامعي الحديث إسكندرية عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٣- الاكتساب في الرزق المستطاب لإمام الأئمة الرباني شيخ الفقهاء المجتهد محمد بن الحسن الشيباني بتلخيص تلميذه الإمام العلامة الكبير محمد بن سماعة، بتحقيق الأستاذ العلامة الشيخ محمود عرنوس، ومراجعة الشيخ عزت العطا، ط/مطبعة الأنوار، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- ٤- الكسب والإنفاق وعدالة التوزيع في المجتمع الإسلامي للدكتور محمود محمد بابلي، ط/المكتب الإسلامي، بيروت عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الأولى.

(١) حيث صدر بعد تسجيل هذه الرسالة بحث قيم بعنوان "الداعية والاكتساب في ضوء نصوص الكتاب والسنة" للدكتور سعد بن عبد الرحمن الجريد. في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد السابع والثلاثون - محرم ١٤٢٣هـ - الرياض - المملكة العربية السعودية.

٥- الاقتصادي الإسلامي مقوماته ومناهجه د/ إبراهيم دسوقي أباطة، ط/دار لسان العرب لبنان بدون تاريخ الطبع.

وكذلك ألفت كتب في حرفة ومهنة بعض الأنبياء (عليهم السلام) لكسب الرزق منها ما يأتي:

١- المنهج الاقتصادي في التخطيط لربي الله يوسف (عليه السلام) د/ نواف بن صالح الحليسي الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م دون مكان النشر.

٢- المنهج الصناعي لربي الله داود (عليه السلام) د/نواف بن صالح الحليسي الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣- المنهج الاقتصادي في المكايل والموازن لربي الله شعيب (عليه السلام) د/نواف بن صالح الحليسي، ط/دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

وهذه الكتب وغيرها من الكتب التي اطلعت عليها غير مخصصة لبيان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وإن كان فيها بعض الجوانب المفيدة في هذا الموضوع.  
(ب) الدراسات الجامعية:

بعد رحلة بحث وتقصى للرسائل الجامعية في مختلف جامعات المملكة العربية السعودية، والمكتبات العامة والمراكز العلمية، وكذلك بعد الاستفسار من بعض الجهات العلمية خارج المملكة العربية السعودية، لم أجد رسالة علمية تتناول هذا الموضوع، إلا أن هناك بعض الدراسات التي تناولت موضوعات فرعية تتعلق ببعض الأمور الاقتصادية من منظور إسلامي وهي كالتالي:

الموضوع الأول- دراسة (كسب المال في ضوء السنة) <sup>(١)</sup>.

إعداد الباحث الشيخ علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الجمعة.

(١) هو رسالة الماجستير المقدمة لقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ.

ذكر الباحث في هذه الدراسة التعريف بالمال وأهمية المال في حياة الإنسان، وذكر الطرق المشروعة لكسب المال، وعرفها ثم ذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بها من الكتاب والسنة، ثم ذكر أفضل تلك الطرق، كالتجارة والزراعة وغيرها. وكذلك تحدث عن الطرق التي ينتقل فيها المال إلى الغير بدون عمل منه، كالإرث والهبة وصدقة التطوع وغيرها، وذكر الأحكام الشرعية المتعلقة بها حسب الحاجة إليها في البحث.

وتناول طرق الانتفاع بمنافع بعض الأعيان دون أصله كالوقف والعارية والمنحة، فذكر فيها الأحكام الشرعية حسب حاجة البحث إليها، ثم ذكر الطرق المحرمة لكسب المال بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة. وعالجت تلك الدراسة الأمور الآتية:

- بيان أن المال من أغلى شيء في الحياة لأنه من الأسباب المؤدية إلى تحقيق الأغراض.
- بيان أن المال لله سبحانه وتعالى، وأما الإنسان فمستخلف فيه فلا يتصرف فيه إلا بالطريقة التي ترضى الله سبحانه وتعالى.
- بيان أن تحريم المال يتحقق إذا وصل إلى صاحبه عن طريق غير شرعي.
- بيان أن وسائل كسب المال متعددة، وأن الله أباح المشروعة منها وحرم المحظورة منها.
- الترغيب في العمل والسعي في طلب الرزق والوعد بالأجر عليه.
- أن تفضيل الله بعض خلقه على بعض ليس ظلماً منه سبحانه وتعالى، وذلك لحكم يعلمها، مع بيان بعضها.
- بيان أن في نظام الاقتصاد في الإسلام رداً على الشيوعية، والرأسمالية، وأما الإسلام فقد جاء بالتكافل الاجتماعي، ودعا إلى الأخذ بالوسائل المؤدية إلى ذلك.
- بيان طبيعة الإنسان في الحياة من حيث طول الأمل وحب المادة وإنكار الذات في سبيل كسب المال، وما يترتب على ذلك من آثار سيئة، والشارع الحكيم يدعو إلى النجاح من الوقوع في تلك الآثار السيئة بأساليب متنوعة.



الموقف من الدراسة السابقة:

من خلال العرض الموجز لمضمون الدراسة السابقة تبين أنها تختلف عن موضوع دراسي الذي يركز على (الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق دراسة تأصيلية)، إلا أنني سأستفيد - بإذن الله تعالى - من تلك الدراسة السابقة فيما يتعلق بنظرة الإسلام إلى المال، وبيانه للطرق المشروعة وغير المشروعة في كسبه ودعوة الإسلام للعمل.

الموضوع الثاني: دراسة (الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ)<sup>(١)</sup> إعداد الباحث، الشيخ عبد العزيز إبراهيم العُمري.

إن الباحث في هذه الدراسة قد تناول جغرافية الحجاز وسكانه، والتعريف بمعنى الحرفة والصناعة، ثم الحديث عن عصر الرسول ﷺ، كما تناولت دراسة مختصرة عن موقف العرب قبل الإسلام من الحرف والصناعات والحرفيين، ثم تناول موقف الإسلام من الحرف والصناعات، وتغيير نظرة الناس إلى الحرفيين، ثم قسم الحرف والصناعات في الحجاز إلى أقسام رئيسة هي: الحرف المعاشية، والتجارة، وصناعة البناء، وصناعة السلاح والحرف العلمية والصحية، والحرف العامة، ثم ذكر فروع هذه الأقسام، وصفاتها وكيفية ممارستها وأدواتها وأماكنها، ودورها في تلبية حاجة المجتمع، وبين مشاركة الرسول ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم في تقدم هذه الحرف والصناعات بالتوجيهات الإسلامية المشتملة بالأحكام الشرعية في معاملات بعض هذه الحرف والصناعات، وكذلك أشار إلى بعض أعمال المحتسبين في السوق. وقد عاجلت تلك الدراسة الأمور الآتية:-

- بيان حال الحجاز في العصر النبوي من حيث الأعمال والحرف والصناعات لدى سكانه، وأن هذه الحرف كانت موزعة في مختلف الأماكن في الحجاز بحسب الظروف لكل منطقة.

(١) انظر: رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض عام ١٤٠٥هـ.

- بيان أن كثيرا من الحرف والصناعات كانت محتقرة في نظر العرب، مما دفع أناسا آخرين كاليهود أو الموالي إلى استغلال هذا الجانب.
- وأن رسول الله ﷺ حاول جاهداً إزالة هذه الأوهام من عقول الناس بأساليب مختلفة ومؤثرة.
- وجود العمال غير المختصين الذين يقومون بإنجاز بعض الأعمال مقابل أجر معين كالسقاء والحمالين.
- بيان صفة مشاركة الصحابة رضي الله عنهم في هذه الحرف، ومشاركة الرسول ﷺ في كثير منها، وحنه عليها.

— الموقف من الدراسة:

بعد أن تحدثت الدراسة بالإيجاز عن الأمور الأساسية التي عاجلتها الدراسة تبين أن الدراسة السابقة تختلف عن موضوعي (الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق دراسة تأصيلية) لأن الدراسة لم تُعَنَّ بالجانب الدعوي الذي تركز عليه دراستي، فضلا عن الجانب التأصيلي والتطبيقي، وإنما ركزت على أنواع الحرف والصناعات السائدة في الحجاز وموقف الإسلام منها إلا أنني سأستفيد من هذه الدراسة — بإذن الله تعالى — فيما يتعلق بنظرة الإسلام إلى الحرف، وإزالة الرسول ﷺ للأوهام الموجودة في عقول الناس بشأن الحرف والمهن، وسأقوم بتوظيف ذلك في خدمة بعض مفردات بحثي.

الموضوع الثالث: (النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية)<sup>(١)</sup>. إعداد الباحث، الدكتور / مصطفى الهمشري رحمه الله.

قد تناول الباحث في هذه الدراسة التعريف بالنظام الاقتصادي في الإسلام، وتحدث عن النظام الاقتصادي خارج شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ثم تحدث عن النظام الاقتصادي في عصر النبي ﷺ، وما كان فيه من عوامل الإنتاج، وأنواع

(١) وهي أطروحة علمية تقدم بها الشيخ الدكتور / مصطفى الهمشري للحصول على درجة الدكتوراه في القاهرة.

الملكيّات، وموقف الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم منها في حياة الرسول ﷺ وبعده، وتحدث عن أنواع العمل في الموارد الاقتصادية في العصور الثلاثة، وذكر فيها نظام التوزيع للأموال، وما حدث من اختلاف بعد رسول الله ﷺ ثم تحدث عن الإنفاق ونوعية الإنفاق الاستهلاكي والإنفاق الاستثماري على مستوى الأفراد والدولة، وذكر مميزات الإنفاق في كل عصر عن غيره، وذكر الآثار الناتجة من ذلك على المجتمع والدولة في العصور الثلاثة: (العصر النبوي وعصر الخلفاء وعصر بني أمية).

— عاجلت الدراسة الأمور الآتية:

- بيان أن بناء الهيكل الاقتصادي في الإسلام شامخ ورائع ومملوء بالحب والرحمة لكافة الكائنات من خلق الله على الأرض، ومتفوق على كافة النظم المعاصرة.
- الاقتصاد الإسلامي يرحب بالانفتاح والتطبيق العلمي، واستيراد النافع من التطبيقات العملية، ولا يرحب بالانفتاح على الدنيا بطلب المال بشراسة نفس طاغية وتكالب ينسى تعاليم الله في الكسب، ولا يعني هذا أن الإسلام يطالب بترك الدنيا وما فيها والزهد في الحياة، بل إنما الزهد في الإسلام يكون وفق هدي النبي ﷺ.
- بيان أن الإسلام حريص على أن يكون لكل إنسان عمل ومورد للرزق يغنيه عن ذل السؤال ويتصدق بجزء منه.
- ذكر أحوال المجتمع الإسلامي في النظام الاقتصادي ومتعلقاته في العصور الثلاثة، مع بيان مميزات كل عصر عن غيره في استقرار المجتمع الإسلامي دينيا واقتصاديا وغيره.
- بيان بعض الطرق المحرمة لاستثمار الموارد الاقتصادية بمختلف أنواعها وأثرها السيئ على المجتمع.
- بيان أهمية التوزيع والاستهلاك للرزق والمال وفق هدي الرسول ﷺ، لأنه القدوة الحسنة، ومنهج صالح لكل زمان ومكان.
- بيان الأحوال الاقتصادية في عصر الخلفاء، وذكر اختلاف أحوال الصحابة في التوزيع والعطاء مع بيان شدة إقتدائهم برسول الله ﷺ.

- بيان الأحوال الاقتصادية في عصر بني أمية، وما حدث فيه من اختلاف الأحوال عما كان عليه العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم مع ذكر آثار ذلك في حدوث الفتن والانحرافات في كثير من الأمور في الدولة الإسلامية في عصر بني أمية مع ذكر دور عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل العهد الأموي، حيث كان مقتديا بسيرة جده عمر بن الخطاب في العدل الاقتصادي والاجتماعي بين المسلمين.

— الموقف من الدراسة:

من خلال العرض الموجز للدراسة السابقة تبين أنها ركزت على إظهار النظام الاقتصادي الإسلامي في عصر النبي ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية، وقد ركزت الدراسة على الناحية التاريخية وبالطبع فإن تلك الدراسة تختلف عن دراستي (الجمع بين الدعوة وطلب الرزق دراسة تأصيلية) إلا أن هذه الدراسة ستفيديني — بإذن الله تعالى — فيما يتعلق بمحرض الإسلام على أن يكون لكل إنسان عمل ومورد للرزق يغنيه عن ذلك السؤال وغيره من الطرق المحرمة، وأيضا فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية في عصر النبي ﷺ وفي عصر الصحابة رضوان الله عليهم حتى عصر بني أمية وتوظيف هذه المعلومات في خدمة ما يتصل به في بحثي.

ثانيا: الدراسات الدعوية المتعلقة بغينيا:

(أ) الكتب العلمية

قد ألفت كتب مطبوعة مخصصة في بيان أحوال المسلمين والإسلام والدعوة إليه في جمهورية غينيا، ومنها ما يأتي:-

١- المسلمون في غينيا، تأليف محمد صفوت السقا أمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، ط/مطابع، دار الفتح، بيروت، عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢- المسلمون في غينيا، تأليف د/محمد عبد القادر أحمد، ط/مطابع سجل العرب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م يطلب من المؤلف: ٧ شارع نوبار تلفون ٥٥٣٩١٤ .

٣- من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري رحلة وحديث في أمور المسلمين، تأليف الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ط/ مطابع الفرزدق التجاري - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

— الموقف من الكتب السابقة:

هذه الكتب وغيرها من الكتب المطبوعة التي اطلعت عليها غير مختصة ببيان أحوال الدعاة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في غينيا بدراسة دعوية ولكنني سأحاول الاستفادة منها فيما يتعلق بأحوال وظروف المسلمين في غينيا.

الدراسات الجامعية:

أما الدراسات الجامعية العربية الإسلامية المتعلقة بغينيا فهناك دراسة بعنوان واقع الدعوة الإسلامية في غينيا، الباحث / الشيخ عثمان حسن كانه لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة والخطباء، التابع لرابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة عام ١٤١٥هـ.

وهذه أهم الأمور التي تضمنتها الدراسة:

في هذه الدراسة بدأ المؤلف حديثه عن غينيا من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ثم تحدث عن تاريخ غينيا قبل دخول الاستعمار فيها وبعد دخوله فيها وذكر فيه ما كان من الحوادث التاريخية حتى الوقت الحاضر، وبين أن الإسلام دخل في غينيا قبل دخول النصرانية والاستعمار، ثم تحدث عن سكان غينيا وما كانوا يعانون من حيث الأحوال السيئة والبدع والخرافات والجهل، وبين دور الصحوة الإسلامية والتعليم الإسلامي في تخفيف هذه المعاناة، ثم تكلم عن الإسلام وجهود بعض الدعاة إليه، وكذلك تحدث عن الأديان الأخرى الموجودة في غينيا. ثم تحدث عن المؤسسات والمنظمات والجمعيات الداخلية والخارجية ودورها في خدمة الدعوة الإسلامية والخدمات الإنسانية في غينيا، وتطرق حديثه إلى بيان المعوقات التي تقع في مسيرة الدعوة، مع ذكر الحلول المناسبة لإزالتها.

وأخيراً تناول مستقبل الإسلام في غينيا، وبين أن الإسلام وحده، هو الذي يستطيع أن يجلب للدولة كل الخير والسعادة، لأن منهجه هو المنهج الصحيح الناجح الذي يفوق كل مناهج الدنيا.

وقد عنيت تلك الدراسة بالأمر التالي:

- بيان أحوال غينيا جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا، وما طرأ فيها من التغيرات إلى الوقت الحاضر.
- بيان مدى تمتع غينيا بمختلف الثروات، ووقوف الشعب الغيني ضد ظلم المستعمرين لهم.
- بيان معاناة سكان غينيا دينيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا من قبل المستعمرين والمنصرين وأصحاب البدع والخرافات.
- بيان جهود رجال الحركات الإصلاحية بمختلف أصنافهم وطبقاتهم من الدعاة إلى الله وقادة الدولة وغيرهم، في تخفيف معاناة سكان الدولة.
- بيان أن غينيا دولة مسلمة وشعبها شعب مسلم يكافح من أجل دينه وعقيدته الإسلامية الصافية، بما أتيح له من الوسائل والأساليب.
- بيان أن الدعاة إلى الله بمختلف أصنافهم يجب عليهم التعاون فيما بينهم للوصول إلى الهدف المنشود للدعوة الإسلامية في الدولة وغيرها.
- بيان جهود المؤسسات والجمعيات الإسلامية الداخلية والخارجية في خدمة الدعوة الإسلامية والمجتمع الغيني.
- بيان مدى انتشار الإسلام والدعوة في أنحاء غينيا وما يعترض طريقها من المعوقات مع ذكر سبل إزالتها.
- بيان أن منهج الإسلام هو الطريق السوي لإنقاذ الحياة البشرية في جميع المجالات إلى الخير والفلاح من كل شر وضلال في غينيا خاصة، وفي العالم عامة.

— الموقف من الدراسة:

من خلال العرض الموجز نجد أن الدراسة عنيت بأحوال الدعوة في غينيا وهي تختلف عن موضوع بحثي (الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق دراسة تطبيقية على عينة من الدعاة في غينيا) إلا أنني سأستفيد من تلك الدراسة فيما يتعلق بالدعوة في غينيا.

وهذه الدراسات وغيرها من البحوث التي اطلعت عليها، لم تتعرض لموضوع الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، إلا ما ورد في ثناياها من الجزئيات المفيدة في موضوع دراستي.

وتيسر لي - بفضل الله - الاطلاع على قوائم الرسائل والبحوث العلمية لدى بعض المراكز والمؤسسات العلمية، والمكتبات العامة التي تعني بالدراسات الشرعية على النحو التالي:-

بحثت في الرسائل العلمية والبحوث والدراسات بمكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فلم أجد شيئاً بعنوان هذا الموضوع. وكذلك بحثت في فهارس الرسائل العلمية في كل من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية أصول الدين قسم الدعوة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وكلية الدعوة فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة، وهكذا فهارس رسائل وبحوث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، فتبين لي من خلال هذا التتبع، أن موضوع (الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق دراسة تأصيلية وتطبيقية على عينة من الدعاة في غينيا)، لم يتناول بالدراسة العلمية الدعوية المستقلة، وأنه جدير بالدراسة في مرحلة الدكتوراه وأنه يتعلق بقضية هامة وحيوية في مجال الدعوة وهي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وتأصيل ذلك تأصيلاً شرعياً لإزالة الأوهام التي توجد في عقول بعض الناس بشأن هذا الأمر.

## — المشكلة البحثية:

هناك مشكلة محددة لكل بحث علمي، يسعى الباحث لإبرازها ومحاولة حلها في دراسته، فالإحساس بالمشكلة، يعد نقطة البداية في البحث العلمي، ويليه التفكير السليم لإيجاد الحلول المناسبة لها بصورة موضوعية سليمة تتفق مع المنهج الصحيح للإسلام ومشكلة هذا البحث هي: الوهم والاضطراب الموجود لدى بعض الناس، فيما يتعلق بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، نظراً للتصرفات الخاطئة من قبل بعض الدعاة عند الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وما يصحب ذلك من انصراف فئة منهم إلى طلب الرزق، وذهولهم عن الدعوة إلى الله، مما يترك آثاراً سيئة في نفوس بعض الناس، فيتصورون تنافي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من خلال تلك الممارسة غير الصحيحة من قبل بعض الدعاة، لذا فإن هذه القضية هامة وخطيرة وتحتاج إلى بيان أصالة الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، في الإسلام من خلال هدي الكتاب والسنة وسيرة الأنبياء والرسل عليهم السلام وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم، وتطبيق ذلك على فئة من الدعاة في غينيا، حتى تتسنى للدعاة والمدعوين وطلاب العلم الاستفادة من هذه الدراسة.

التساؤلات البحثية:

(أ) تساؤلات الدراسة التأصيلية:

س١: ما إمكانية الجمع بين الدعوة، وطلب الرزق في نظر الإسلام؟ وما مشروعيته؟  
 س٢: ما صفة الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل (عليهم السلام) وسلف الأمة رضي الله عنهم؟

س٣: ما ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق؟  
 س٤: ما دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعوين؟

س٥: ما مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية؟  
 س٦: ما عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق؟ وما كيفية التغلب عليها؟

س٧: ما آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق على الداعية والمدعوين؟



(ب) تساؤلات الدراسة التطبيقية:-

- س١: ما أحوال غينيا جغرافيا؟
- س٢: ما أحوال غينيا اقتصاديا؟
- س٣: ما أحوال غينيا دعويا؟
- س٤: ما مجالات طلب الرزق بالنسبة للدعاة في غينيا؟
- س٥: ما واقع الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا؟
- س٦: ما مقاصد الدعاة في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا؟
- س٧: ما العوامل المساعدة على تطبيق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا؟
- س٨: ما عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا؟
- س٩: ما كيفية التغلب على عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في نظر الإسلام بغينيا؟

س١٠: ما أساليب الدعاة في الإنفاق لخدمة الدعوة في غينيا؟

س١١: ما مجالات الإنفاق لخدمة الدعوة في غينيا؟

س١٢: ما أثر الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المجتمع الغيني؟

حدود البحث الزماني والمكاني:

سيعالج الموضوع الجوانب الدعوية الخاصة بجمع الدعوة مع طلب الرزق بتتبعها من خلال نصوص الكتاب والسنة وسيرة الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، قبل نبينا محمد ﷺ، وكذلك من خلال سيرة محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وسيرة من بعدهم من التابعين والسلف الصالح (رحمهم الله) ذلك أن سيرتهم في الجمع بين الدعوة والعمل لكسب الرزق، نموذج إسلامي، وتطبيق صحيح لمبادئه والنشاطات الدعوية في كل زمان، هذا بالنسبة، للدراسة التأصيلية.

وأما الدراسة التطبيقية للموضوع فإنها ستتحصر في حدود العينة المختارة من المجتمع الغيني، والأحوال الدعوية والاقتصادية في المجتمع الغيني، وذلك من سنة الاستقلال إلى اليوم ١٩٥٨م - ٢٠٠٢م.

نوع الدراسة ومنهجها:

(أ) نوع الدراسة:

إن نوع دراسة هذا الموضوع (تأصيلية وتطبيقية).

وأما الدراسة التأصيلية فتكون من جانب إثبات حقيقة الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق وبيانه من خلال نصوص الكتاب والسنة، وسيرة الرسل (عليهم السلام) وسيرة الصحابة رضي الله عنهم، وهدى سلف الأمة (رحمهم الله).

وكذلك تكون الدراسة تطبيقية من جانب عرض أحوال الدعاة في غينيا على ما تم استخلاصه من نصوص الكتاب والسنة وسيرة الرسل (عليهم السلام) وهدى الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة (رحمهم الله) في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

(ب) منهج الدراسة:

أما منهج الباحث في هذه الدراسة فيتمثل في المناهج العلمية الآتية:

١- المنهج الوصفي:

حيث ستم دراسة الجوانب المتعلقة بالموضوع وتحليلها واستخلاص النتائج التي تبين حالة الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الكتاب والسنة وسيرة الرسل (عليهم السلام)، والصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة (رحمهم الله)، وذكر بعض مواقفهم بوصفها في صورتها الحية للاستفادة من تلك المواقف في الوقت الحاضر.

وكذلك ستم دراسة أحوال الدعاة في غينيا عند الجمع بين الدعوة وطلب الرزق مع وصف تلك الأحوال كما هي وتحليل العوامل المؤثرة فيها وفق ما يخدم موضوع البحث في صورته العلمية.

٢- منهج الاستقراء الناقص:

ستسعى الدراسة إلى تتبع النصوص المتعلقة بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الكتاب والسنة، والجوانب المتعلقة بالموضوع من سيرة الرسل (عليهم السلام)، وسيرة الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة (رحمهم الله)، وأقوال العلماء فيه، مع الاكتفاء بما يخدم موضوع البحث، وتحليله والربط بين جميع جوانبه لإبراز الموضوع في صورته العلمية المستقلة.

وستسعى الدراسة إلى تتبع أحوال العينة المختارة من الدعاة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في غينيا لتعميم نتائج تلك الدراسة والبحث عن أحوال كل الدعاة في غينيا.

### ٣- منهج المسح، وهو من أنماط الدراسات الوصفية:

في هذا المنهج سيقوم الباحث بالدراسات المسحية لعينة من الدعاة في داخل جمهورية غينيا، للتعرف على أوضاعهم في أرض الواقع، والاطلاع على الجوانب القوية والضعيفة، والحسنة والسيئة في جمعهم بين الحياة الدعوية والاقتصادية ومتطلباتها، وما يعرض لهم من المشاكل، ومعرفة مدى مطابقة فعلهم لأحكام الدين الإسلامي في ذلك، باستخدام الأدوات العلمية المعتمدة في جمع المعلومات والبيانات المناسبة لهذا المنهج.

أدوات البحث العلمي للموضوع:

أما الأدوات المستخدمة لجمع المعلومات والبيانات لإعداد الموضوع فهي الأدوات البحثية الآتية:

١- قراءة كل مرجع أو مصدر ذي صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع، عند حصول الباحث عليه.

٢- المقابلة<sup>(١)</sup>: سيستخدمها الباحث مع عينة الدعاة المختارة على اختلاف مناصبهم وطبقاتهم لمعرفة واقع ما يتعلق بهم في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وكما سيستخدم المقابلة مع بعض المدعويين لمعرفة بعض الآثار الحسنة لنشاطات الدعاة ومدى نجاحها نحو الهدف المنشود، وكذلك معرفة الآثار غير الطيبة نتيجة وجود خلل في أساليب الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

٣- الاستبانة<sup>(٢)</sup>: سيستخدمها الباحث مع بعض أفراد العينة المختارة وبعض المدعويين للحصول على المعلومات المتعلقة بالموضوع.

(١) المراد بالمقابلة هنا: طرح التساؤلات على الباحثين المعنيين من الدعاة والمدعويين وجهاً لوجه في غينيا بهدف جمع المعلومات اللازمة للإجابة عن التساؤلات الخاصة بالجانب التطبيقي في هذا البحث.

(٢) المراد بالاستبانة هنا: نموذج تحريري يعرض على عينة البحث لتقوم تلك العينة بقراءته والتفاعل معه لإعطاء الجواب الصحيح فيه.

٤- الملاحظة: سيستخدمها الباحث بصفقتها الملاحظة بالمشاركة، لأن الباحث سيشارك الدعاة في مزاولتهم بعض النشاطات الدعوية والاقتصادية لتدوين ما يلاحظه من تصرفات الدعاة والمدعويين في غينيا، وكذلك سيستخدم الباحث الملاحظة بصفقتها الملاحظة المقصودة حيث سيقوم بملاحظة خاصة لبعض الأحوال والظواهر والمواقف المعينة، أو ملاحظة الأشخاص المعينين من الدعاة والمدعويين عند الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لتسجيل كل ما يظهر له من النتائج تلك الملاحظات والأحوال والأمور المتعلقة بالموضوع.

وكذلك سيراعي الباحث قواعد البحث الأخرى عند كتابة هذه الرسالة وتنظيمها.

تقسيم الدراسة:-

المقدمة وتحتوي على:-

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- التعرف بمصطلحات عنوان البحث.
- الدراسات السابقة.
- المشكلة البحثية وتساؤلات البحث.
- حدود البحث الزماني والمكاني.
- نوع الدراسة ومنهج الدراسة.
- تقسيم الدراسة.

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول- مشروعية الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني- مشروعية طلب الرزق.

الباب الأول- تأصيل الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام.

الفصل الأول- مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

المبحث الأول- مشروعيته في القرآن الكريم.

المبحث الثاني- مشروعيته في السنة المطهرة.

الفصل الثاني- الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في سيرة الرسل (عليهم

السلام) وسلف الأمة (رضي الله عنهم).

المبحث الأول- الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل (عليهم السلام).

المبحث الثاني- الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة سلف الأمة رضوان الله

عليهم.

الفصل الثالث- ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

المبحث الأول- الضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

المبحث الثاني- الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

الفصل الرابع- دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعوين.

المبحث الأول- دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية.  
المبحث الثاني- دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين.  
الفصل الخامس- مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية.  
المبحث الأول- مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية.

المبحث الثاني- عوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية.  
الفصل السادس- عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكيفية التغلب عليها.  
المبحث الأول- العوائق الداخلية والخارجية في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.  
المبحث الثاني- كيفية التغلب على العوائق الداخلية والخارجية.

الفصل السابع- آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية والمدعوين.  
المبحث الأول- آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية.  
المبحث الثاني- آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في المدعوين.  
الباب الثاني- الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا.

الفصل الأول- التعريف بأحوال غينيا جغرافيا واقتصاديا ودعويا.  
المبحث الأول- الحالة الجغرافية لغينيا.

المبحث الثاني- الحالة الاقتصادية في غينيا.

المبحث الثالث- الحالة الدعوية في غينيا.

الفصل الثاني- الدعاة إلى الله في غينيا ومجالات طلب الرزق.

المبحث الأول- مجالات طلب الرزق بالنسبة للدعاة في غينيا.

المبحث الثاني- أحوال الدعاة في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا

الفصل الثالث- مقاصد الدعاة في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا

المبحث الأول- المقاصد الدنيوية.

المبحث الثاني- المقاصد الأخروية.

الفصل الرابع- العوامل المساعدة على تطبيق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا.

المبحث الأول- العوامل المباشرة للدعاة على تطبيق الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في غينيا.

المبحث الثاني- العوامل غير المباشرة للدعاة على تطبيق الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في غينيا.

الفصل الخامس- عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكيفية التغلب عليها في غينيا.

المبحث الأول- العوائق الداخلية والخارجية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا.

المبحث الثاني- كيفية التغلب على عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في غينيا.

الفصل السادس- أساليب الدعاة في الإنفاق ومجالاته وأثر ذلك في المجتمع الغيني.

المبحث الأول- أساليب الدعاة في الإنفاق ومجالاته لخدمة الدعوة إلى الله في غينيا.

المبحث الثاني- آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في المجتمع الغيني.

## الخاتمة-

أولاً- نتائج الدراسة التأصيلية

ثانياً- نتائج الدراسة التطبيقية

ثالثاً- التوصيات والاقتراحات العامة

الملاحق --

- نموذج الاستبانة للدراسة التطبيقية

- نموذج أسئلة المقابلة

الفهارس:

أولاً - فهرس الآيات القرآنية

- ثانياً - فهرس الأحاديث الشريفة  
ثالثاً - فهرس الأعلام  
رابعاً - فهرس البلدان والأماكن  
خامساً - فهرس المصادر والمراجع  
سادساً - فهرس محتويات موضوع البحث



لا يفوت الباحث أن يذكر الفضل لأهله، فأتوجه بالشكر والثناء إلى الله العليّ  
 التقدير الذي منّ عليّ بنعم لا تقدر ولا تحصى. ومنها أنه وفقني لطلب العلم الشرعي  
 وأكمل لي هذا البحث العلمي في هذه المرحلة العلمية العليا.

ثم أتقدم بالشكر المتواصل لحكومة المملكة العربية السعودية التي وفرت بفضل الله  
 تعالى الجو العلمي لأبناء الأمة الإسلامية لمواصلة تعليمهم في المملكة، فكنت أحد  
 هؤلاء الذين فازوا بذلك الإحسان بتوفيق من الله فجزاها الله خير الجزاء.

وكما أتقدم بالشكر والتقدير للجامعة الإسلامية بالنيجر المتمثلة في مديريها  
 السابقين وهما الدكتور محمد جميل الخياط والدكتور صالح بن حمد العساف وجميع  
 القائمين بخدمة الجامعة على ما بذلوه في ابتعائنا لإكمال هذه المرحلة العلمية العليا.

ولا يفوتني أن أقر بالشكر الجزيل لجميع منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود  
 الإسلامية التي لبّت هذا الطلب وقبلت ذلك الابتعاث بكل ترحيب واستعداد.

وأتقدم بالشكر والتقدير للقائمين على كلية الدعوة والإعلام التي فتحت لي  
 أبوابها لأخذ العلم والمعرفة في رحاب هذه الجامعة الموقرة.

وأتقدم بخالص شكري وامتناني لعميدها السابق الأستاذ الدكتور حمد بن ناصر  
 العمار على توجيهاته النيرة واهتماماته المتواصلة بحل معاناة الطلاب.

وكذلك عميدها الحالي الدكتور عبد الله بن ناصر الحمود، على ما يقوم به من  
 رعاية الطلاب ومتابعتهم وتوجيههم في الطلب والتحصيل.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لجميع أعضاء قسم الدعوة والاحتساب  
 على ما يقومون به من رعاية الطلاب ومتابعتهم وتوجيههم في الطلب والتحصيل.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لوكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي  
 الدكتور فهد العسكر ووكيلها السابق الدكتور سليمان بن عبد الله الحبس على حسن  
 عنايتهما بطلاب الدراسات العليا وسير عملهم في البحث.

وكما أنه بجزيل الشكر والتقدير لشيخه ومشرفي الدكتور محي الدين عفيفي أحمد على إشرافه على هذا البحث لما قام به من نصح وإرشاد وصبر وسعة صدر فلا يسعني إلا أن أسجل احترامي واعتراضي بالفضل الجميل والشكر الوفير لفضيلته حيث لم يخل علي لا بوقته ولا بعلمه وفضله، فكان نعم الصاحب ونعم المرشد ونعم الموجه وكان له بعد الله الفضل الأكبر في إخراج هذه الرسالة.

وأتوجه بالشكر الجزيل لسفارة جمهور غينيا بالرياض التي سهلت لي بإذن الله تعالى الإجراءات النظامية في داخل غينيا وخارجها لإنجاز الدراسة التطبيقية وغيرها.

ثم لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم بالفضل والمساعدة والتوجيه من أساتذتي وزملائي وإخواني في إخراج هذه الرسالة وفي مقدمتهم الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العريفي والدكتور سعد سعد العريفي فجزى الله الجميع خير الجزاء.

ولا أنسى أن أقدم شكري وتقديري لأعضاء لجنة المناقشة الذين سيكون لآرائهم وإرشاداتهم وملحوظاتهم أكبر الأثر في خروج هذا العمل إلى حيز الوجود بإذن الله تعالى. فلهم من الله الأجر والثواب، ومني الشكر الوفير.

وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفق الجميع للخير والسداد وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلّى الله وسلم على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الفصل التمهيدي

### المبحث الأول

#### مشروعية الدعوة إلى الله تعالى

- المطلب الأول - مشروعية الدعوة إلى الله في القرآن الكريم
- المطلب الثاني - مشروعية الدعوة إلى الله في السنة المطهرة
- المطلب الثالث - نوعية وجوب الدعوة

### المبحث الثاني

#### مشروعية طلب الرزق

- المطلب الأول - مشروعية طلب الرزق في القرآن الكريم
- المطلب الثاني - مشروعية طلب الرزق في السنة المطهرة
- المطلب الثالث - نوعية حكم طلب الرزق

## الفصل التمهيدي

## المبحث الأول

## مشروعية الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول: مشروعية الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

أما الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام بين الناس<sup>(١)</sup>، فحكمها وارد في آيات

كثيرة من القرآن الكريم، منها ما يأتي:

أولاً- قول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

واستعمال لام الأمر في الآية «وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ...» مما يدل على وجوب

الدعوة إلى الله، على المسلمين عامة كل بحسب علمه وقدرته؛ لأن صيغة الأمر تفيد

الوجوب<sup>(٢)</sup>. وقال الإمام الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية: «والمقصود من هذه الآية

أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان واجباً على كل فرد من

الأمة بحسبه<sup>(٣)</sup>. وقال الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني: «وفي الآية دليل على

(١) سبق التعريف بالدعوة مختصراً في صفحة: (٦) من هذا البحث. وبين الشيخ علي محفوظ أنواع الدعوة (رحمه الله)

فقال: معنى الدعوة في العرف حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة

العاجل والآجل وهي ثلاثة أنواع:-

النوع الأول: دعوة الأمة المحمدية جميع الأمم إلى الإسلام، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من الهدى ودين الحق

وهذا واجب هذه الأمة ... ..

النوع الثاني- دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير، وتأميرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر، ويقوم

بهذا النوع كالذي قبله خواص الأمة العارفون بأمور الدين، ... ..

النوع الثالث- ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ويستوي في ذلك الخاصة والعامة بالدلالة على الخير

والترغيب فيه والنهي عن الشر والتحذير منه كل بما يعرفه ... ..». هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة

له، (ص: ١٧، ١٨) ط/دار المعرفة - بيروت.

(٢) انظر العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي بتحقيق د/ أحمد بن علي

سير الميركي (٣١٨/١) الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥١٨/١) ط/مكتبة دار الفيجان، دمشق، ومكتبة دار السلام،

الرياض الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»<sup>(١)</sup> إذن فالآية من الأدلة على مشروعية الدعوة.

ثانياً- قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

«وفي الآية أمر من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يأمر بالمعروف، ومعلوم أن لكل ما أمر به الرسول ﷺ هو أمر له ولأمته إلا إذا خصص به بدليل، ولم يقم دليل يخصص هذا الأمر به»<sup>(٢)</sup> إذن فالآية من الأدلة على مشروعية الدعوة لنبى ﷺ وأمته.

ثالثاً- قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول الإمام أبو عبد الله القرطبي<sup>(٣)</sup> عند تفسير الآية: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ». مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً

لهلاكهم...»<sup>(٤)</sup> استحقاق المؤمنين بهذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] مما يدل على مشروعية الدعوة من قبل رب العالمين ووجوبها على

المسلمين جميعاً كل بحسب علمه وقدرته.

رابعاً- قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٣٦٩/١) ط/دار الفكر.

(٢) انظر الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها لدكتور فضل إلهي ص/٣٢، والعدة في أصول الفقه (٣١٨/١) والجامع

لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٢٢٠/٧) ط/دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣) الإمام القرطبي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ياسكان الرء وبالحاء المهملة) الأنصاري

الحزرجي الأندلسي القرطبي المفسر. وقال عنه الحافظ عبد الكريم: «أنه كان من عباد الله الصالحين والعلماء

العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة» وله مؤلفات كثيرة ومن أشهرها:

كتابه في التفسير الذي سماه: «جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان» وكتاب قمع الحرص

بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة، وغيره من الكتب المفيدة. وتوفي ليلة الاثنين التاسع من

شوال سنة ٦٧١هـ (رحمه الله تعالى). انظر ترجمته في كتابه الجامع لأحكام القرآن له المجلد الأول.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١١١/٤).

أقسم الله تعالى في هذه الآيات على أن الإنسان في خسارة وهلاك إلا المتصفين بالصفات الأربع المذكورة في السورة، وأما الأعمال الصالحات والتواصي بالحق فيدخل فيهما الدعوة إلى الله<sup>(١)</sup>.

إذن فالسورة من الأدلة على مشروعية الدعوة ووجوبها على المسلمين وتحريم تركها.

والنصوص القرآنية في مشروعية الدعوة كثيرة.

#### المطلب الثاني- مشروعية الدعوة في السنة المطهرة.

قد جاءت أحاديث كثيرة بما يدل على مشروعية الدعوة إلى الله ﷻ ووجوب حكمها على المسلمين، ومن تلك الأحاديث ما يأتي:-

أولاً- قد جاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام النووي<sup>(٣)</sup>: «وأما قوله ﷺ (فليغيره) فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم...»<sup>(٤)</sup>.

والحديث من الأدلة على مشروعية الدعوة إلى الله ووجوبه على المسلمين عامة، وأهمية وجودها في المجتمع الإسلامي.

ثانياً- ما جاء في رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون

(١) انظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٠٩/٤)، والخسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي ص/٣٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (٢٠) المطبوع مع شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣٨١/٢) ط/دار القلم بيروت الطبعة الأولى.

(٣) الإمام النووي هو يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم، محي الدين أبو زكريا النووي، ثم الدمشقي الشافعي، العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه، ولد بنوى سنة ٦٣١ هـ وقدم دمشق سنة ٦٤٩ هـ وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة التبيين. واعتنى بالتصنيف وله مؤلفات كثيرة ومفيدة منها شرح مسلم، والروضة والمنهاج، ورياض الصالحين، والأذكار، والمجموع شرح المذهب لم يتمه قال ابن كثير: «لا أعرف في كتب الفقه أحسن منه» وهو من أهل الزهد والعبادة والورع، وكان لا يضع شيئاً من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم. توفي رحمه الله ليلة ٢٤ من رجب سنة ٦٧٦ بنوى. انظر البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣١٠/١٣).

(٤) شرح صحيح الإمام مسلم للإمام النووي (٣٨٢/٢).

بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ... ..»<sup>(١)</sup>.

«فَحَكَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بانتفاء الإيمان - حتى حبة خردل منه - عمن لا يقوم حتى بأدنى درجات الاحتساب وفي هذا دليل صريح على وجوب الاحتساب»<sup>(٢)</sup>.  
ولعل من أحسن التعريفات للاحتساب هو: «أن الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»<sup>(٣)</sup>.

والاحتساب نوع من الدعوة إلى الله ﷻ فالحديث دليل صريح على مشروعية الدعوة ووجوبه على المسلمين عامة.

ثالثاً - ما جاء في رواية حذيفة بن اليمان<sup>(٤)</sup> عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولْيُؤشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فَتَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

ويقول الإمام أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري عند شرح الحديث: «والمعنى والله إن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم، وإما إنزال

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (٢٠) رقم الحديث (٨٠) (٣٨٤/٢-٣٨٦).

(٢) انظر الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي ص/٣٣.

(٣) انظر المصدر السابق ص/١٥، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ص/٣٩١ ط/دار الكتاب العربي.

(٤) حذيفة بن اليمان، وهو حذيفة بن حَسَلٍ، ويقال: حَسِيل، بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن ريث بن غطفان، أبو عبد الله العباسي واليمان لقب حسل بن جابر. وقال ابن الكلبي: هو لقب جروة بن الحارث، وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن. ورويت عنه أحاديث عن الرسول ﷺ وشهد بعض الغزوات مع الرسول ﷺ وهو صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، ولم يعلمهم أحداً إلا حذيفة وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر. وشهد حذيفة الحرب بنهاوند، فلما قتل النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية، وكان فتح همدان والري، والدينور على يده، وشهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين. وقيل: لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إني أعلم إني أحبك، فبارك لي في لقاءك ثم مات. وكان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ست وثلاثين.

انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير (٤٦٦/١-٤٦٨).

(٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه أبواب الفتن باب رقم (٩) رقم الحديث (٢٢٥٩) والحديث له شاهد آخر يقويه، وقال عنه الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن» ورقمه هو (٢٢٦٠) (٣٢٥/٦، ٣٢٦) ط/دار الكتب

العلمية بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

العذاب من ربكم، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب، وإن لم يكونا كان عذاب عظيم»<sup>(١)</sup>.  
 تهديد النبي ﷺ أمته بالعقاب من الله ﷻ؛ لأجل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يدل على أهمية الدعوة ومشروعيتها في الدين الإسلامي ووجوب القيام بها على المسلمين، وتحريم تركها عليهم، كل بحسب علمه وقدرته.  
 والنصوص الحديثية في مشروعية الدعوة إلى الله كثيرة.

إذن فوجوب الدعوة ثابت بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث \_ \*نوعية وجوب الدعوة:

أما نوعية وجوب الدعوة فقد اختلف العلماء في نوع فرضية الدعوة على الأمة المسلمة فانقسموا حول الرأيين: وأما الرأي الأول فيرى أصحابه أن الدعوة فرض كفاية وهو تصريح من جمهور العلماء ومنهم الإمام ابن كثير حيث يقول عند تفسيره الآية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»<sup>(٣)</sup>.

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي له (٣٢٦/٦).

(٢) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٣٦٩/١).

\* اكتفينا بالإشارة إلى هذه المسألة بالاختصار الشديد نظراً لوضوحها في المصادر الواردة في الهامش الخاص بموضوع وجوب الدعوة حتى لا يكون البحث فيه تحصيل الحاصل، لأن الهدف من التعرض للمسألة هو إثبات مشروعية الدعوة وقد تم ذلك بالكتاب والسنة وأقوال العلماء في هذا البحث.

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير له (٥١٨/١).



وأما الرأي الثاني فيرى أصحابه أن الدعوة فرض عين، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وهذا واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرضاً عين على القادر الذي لم يقم به غيره»<sup>(١)</sup>.

ومع أصحاب كلا الرأيين أدلة من الكتاب والسنة مع وضوح أوجه الاستدلال بها، ولكن أدلة أصحاب الرأي الثاني أقوى وأكثر توجيهاً لإثبات رأيهم في أن الدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة كل بحسب علمه وقدرته<sup>(٢)</sup>.

وكذلك وردت شبهات مؤيدة لترك القيام بالدعوة وعدم وجوبها، ولكن العلماء المتخصصين قاموا بتنفيذها وإزالتها والرد على أصحابها بالأدلة الساطعة وفق ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك وجدت أحوال تكون الدعوة فيها فرض عين، ولم يرد فيها خلاف بين العلماء ومن تلك الأحوال ما يأتي:

- ١- التعيين من قبل السلطان أو نائبه للحسبة.
- ٢- التفرد بالعلم بأن معروفاً قد ترك، أو منكراً قد ارتكب.
- ٣- انحصار القدرة على الحسبة في أشخاص محدودين، ولم يقم غيرهم بها.
- ٤- تغيير أحوال الناس في المجتمع بقلّة الدعاة وكثرة المنكرات وغلبة الجهل فيهم<sup>(٤)</sup>.

(١) الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية له (ص ١٠) بتحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ط/دار الفكر اللبناني. والحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي ص/٤٥.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣٨٢/٢)، وهداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ ص/٢٠-٢٤، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص/٢٩٧-٣١٠، ط/دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية الطبعة الثالثة، والحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي ص/٤٤، ٤٥.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣٨٢/٢)، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص/٣٠١-٣٠٧، والحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها ص/٤٠، ٤١ وص/٤٤-٥٣.

(٤) انظر الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي ص/٥٤، ٥٥.

## المبحث الثاني مشروعية طلب الرزق

- المطلب الأول- مشروعية طلب الرزق في القرآن الكريم
- المطلب الثاني- مشروعية طلب الرزق في السنة المطهرة
- المطلب الثالث- نوعية حكم طلب الرزق

## المبحث الثاني

مشروعية طلب الرزق<sup>(١)</sup>

## المطلب الأول- مشروعية طلب الرزق في القرآن الكريم

الدين الإسلامي دين كامل في جميع جوانبه الاعتقادية والتعبدية والتشريعية والأخلاقية، ودين شامل لجميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وصالح لكل زمان ومكان، وكيف لا ومصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإن مما ثبت في الدين الإسلامي اهتمامه البالغ بتنظيم حياة المسلم الاقتصادية وحثه الناس على العمل وطلب الرزق وفق الأحكام الشرعية في ذلك لما في السعي وكسب الرزق من الحفاظ على الحياة الكريمة البعيدة من الذل والازدراء، وأن يستعين الإنسان بالله ثم بالمال فيقتات ويكتسي وينفق على أولاده وعلى المحتاجين، ففي ذلك حماية النفوس من الهلاك، ويصل رحمه ويحفظ عرضه ويصون دينه ويذود عن بلاد المسلمين، ويُعدُّ الدعاة والعاملين في صالح خدمة الدعوة، وغير ذلك من الفوائد الجمة<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد أهمية طلب الرزق ومشروعيته والحث عليه بصيغ قرآنية مختلفة:

أولاً- قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وذكر الإمام الشوكاني أقوال بعض العلماء حول تفسير الآية ومنها الآية: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي للتجارة والتصرف فيما يحتاجون إليه من أمر معاشكم.

(١) سبق التعريف بطلب الرزق في ص/٧ من هذا البحث.

دراستنا في هذا البحث لطلب الرزق تدور في الجوانب المتعلقة بطرق كسب الأفراد أرزاقهم ونفقتهم؛ لأن الفرد هو النواة الأولى لبناء المجتمع في كل مستوياته، فيمتد الحديث إلى الجانب المتعلق بالفقراء والأغنياء مع اختلاف أحوالهم في القوة والضعف من حيث السعي للرزق وخدمة الدعوة إلى الله في المجتمع، لأن علماء الاقتصاد الإسلامي قسموا دراسة طرق الكسب والإنفاق إلى قسمين: قسم يهتم بدراسة الطرق الخاصة بكسب الأفراد ونفقتهم، وقسم يهتم بدراسة الطرق الخاصة بكسب المجتمع المسلم ونفقتهم. انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفي الدين عوض ص/٢ ط/مكتبة الرشد - الرياض.

(٢) انظر العمل والعمال والمهن في الإسلام للدكتور زيدان عبد الباقي ص/١-١٧، ط/ مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

والآية: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي من رزقه الذي يتفضل به على عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب<sup>(١)</sup>. وقيل: المراد به ابتغاء ما عند الله من الأجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ). هذا أمر بإباحة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].<sup>(٤)</sup>

وقد احتج الإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني في القرن الثاني من الهجرة بهذه الآية على وجوب كسب الرزق حيث يقول: «... وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]. يعني الكسب والأمر حقيقة للوجوب<sup>(٥)</sup>.

إذن فالآية دليل صريح على أهمية طلب الرزق ومشروعيته ووجوب القيام به لأنه يؤدي إلى أداء الواجبات وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب<sup>(٦)</sup>.

ثانياً- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

(١) للقائلين بهذا التفسير أصل من السنة: ومنها ما جاء في رواية عبد الله بن بسر الخزازي قال: «رأيت عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله ﷺ إذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة، ثم رجع إلى المسجد، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، فقيل له: لأي شيء تصنع هذا؟ قال: لأني رأيت سيد المرسلين هكذا يصنع، وتلا هذه الآية: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله. انظر الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام السيوطي (١٦٤/٢) ط/دار الفكر ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) للقائلين بهذا التفسير أصل من السنة ومنها: ما جاء في رواية الإمام ابن جرير الطبري بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. قال: ليس لطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله. ثم قال الإمام ابن جرير بعد إيراد الحديث: وقد يحتمل قوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أن يكون معنياً به والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لديناكم وأخرتكم» تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (٩٧/٢٨) ط/دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، وانظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي ص/١٥. فيكون المعنى أن طلب الفضل ليس محصوراً فقط في أمور الدنيا لكون ذلك ظاهراً في سياق الآية ولكن التمسوه في الأمور الأخروية أيضاً.

(٣) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٦٢/٥).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٧١/١٨).

(٥) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب له بتلخيص تلميذه الإمام محمد بن سعادة ص/٢٦، ط/مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ / ١٩٣٠، وسيأتي رده على ما جاء من تفسيرات أخرى حول الآية في ص/٥٢ من هذا البحث.

(٦) انظر المصدر السابق ص/٢٦.

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً إلا أن يسره الله لكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]. فالسعي في السبب لا ينافي التوكل...»<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام القرطبي عند تفسير الآية: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾. هو أمر بإباحة، وفيه إظهار الامتنان. وقيل: هو خبر بلفظ الأمر؛ أي لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وأكمامها وجبالها<sup>(٢)</sup>.

إذن فالآية من الأدلة القرآنية الصريحة على إباحة السعي في طلب الرزق والحث عليه في شريعة الله ﷻ.

ثالثاً- قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢].

يقول الإمام ابن كثير عند شرح الآية: «عمن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار...»<sup>(٣)</sup>.

ومما يوضح الاستدلال بالآية أن الله سبحانه وتعالى ربط بين السعي لطلب الرزق والآيات العظام الدالة على إفراده بالخلق والربوبية والألوهية، وكذلك أرشد العباد إلى وقت يناسب فيه العمل، والسعي لطلب الرزق، ووقت تتناسب فيه الراحة بعد العمل والسعي لطلب الرزق، ثم بين للعباد أن مصدر الرزق يأتي منه ﷻ، وأن السعي والحركات لطلب الرزق إنما هو بمثابة الأخذ بالأسباب، وأن هذا السعي مما أباحه الله لعباده فليُقدِّموا عليه حسب أحوالهم وقدراتهم.

إذن فالآية من الأدلة القرآنية على أهمية طلب الرزق ومشروعيته لصالح العباد في دينهم ودنياهم.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥١١/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٠/١٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣٩/٣).

رابعاً- قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجن: ١٢].

ومعنى الآية: أن من نعم الله المنفرد بالألوهية والربوبية على عباده أن سخر لهم البحر وجعل وجه الماء صالحاً للملاحة تجري عليه السفن بقدرته الله وإذنه لكي يكتسبوا أرزاقهم بالتجارة في البلاد أو بالغوص في البحر بحثاً عن اللؤلؤ والمرجان أو استخراج اللحم الطري وغيره من البحر لكي يشكروا ربه على تسخير ذلك لهم فيعبدوه ويطيعوه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه<sup>(١)</sup>.

إذن فالآية من الأدلة على أهمية طلب الرزق ومشروعيتها، والحث على الأخذ بالأسباب المؤدية إلى تحقيقه، كركوب الفلك والاستعانة بالله الرزاق، والتوكل عليه، في حصول الرزق؛ لأن كسب الرزق مما يعين الإنسان على أداء العبادة والطاعة لله عز وجل، فيكون بذلك شاكراً لأنعم ربه عز وجل ويكون بذلك مؤدياً الواجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ويستوي في حكم طلب الرزق الداعية والمدعو مادام يعتنق الدين الإسلامي. والآيات كثيرة في إثبات مشروعية السعي لكسب الرزق وحث العباد عليه من قبل رب العالمين.

### المطلب الثاني- مشروعية طلب الرزق في السنة المطهرة

قد استدل العلماء بالنصوص القرآنية الكريمة على مشروعية طلب الرزق في القديم والحديث، وكذلك استدلوا بنصوص السنة النبوية المطهرة على مشروعية طلب الرزق، ومن تلك الأحاديث ما يأتي:

أولاً: ما جاء في رواية المقدم<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٢٥٥/٢٥)، والتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (٢٢٥/٢٧) ط/دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٢) المقدم هو ابن معدي كرب الكندي من صغار الصحابة، مات سنة بضع وثمانين بمصر في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن إحدى وتسعين سنة. انظر فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٥٨/٤) وسير أعلام النبلاء لإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٤٢٧/٣، ٤٢٨) ط/مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة السابعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م والإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٤/٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الصوم باب رقم (١٥) (٣٥٥/٤) ط/دار الريان.

ويقول الإمام ابن حجر<sup>(١)</sup>: «والحكمة في تخصيص داود عليه السلام بالذكر أن اقتصره في أكله على ما يعمل بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا يُعدُّ تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا، ولا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه وتحسينه مع عموم قوله تعالى: ﴿فَبِهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث تأكيد للتحريض على الاكتساب وأنه من سنن الأنبياء عليهم السلام ويجب الاقتداء بهم والاستئناس بسنتهم<sup>(٣)</sup>.

إذن فالحديث من الأدلة الصريحة على مشروعية الكسب في الرزق والحث عليه. ثانياً- ما جاء في رواية الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعه فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام النووي عند شرح الحديث: «فيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده والاكتساب بالمباحات...»<sup>(٥)</sup>.

إذن فالحديث من الأدلة الواضحة على مشروعية كسب الرزق مع الأخذ بالطرق المباحة إليها وإن صاحبها التعب والمشقة، وأهميته في حياة الإنسان لأن الاكتساب يؤدي به إلى الكف عن ذل السؤال، والإنفاق على الذات وعلى من تلزمه نفقته<sup>(٦)</sup>.

(١) الإمام ابن حجر: هو الإمام المحدث الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني ثم المصري الشافعي طلب الأدب في بدايته وماهر فيه ثم علم الحديث، فبرع فيه، واشتغل في القضاء والتعليم، وترك مؤلفات قيمة منها فتح الباري شرح صحيح البخاري وغيره توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر ترجمته في طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي تحقيق توفيق علي محمد عمر (ص ٥٤٨) ط/مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٨/٤).

(٣) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ الشيخ علي بن سلطان محمد القاري (٧/٦) بتحقيق صدقي محمد جميل العطار ط/دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٥٠) (٣٩٣/٣).

(٥) انظر شرح صحيح مسلم له (١٣٧/٧).

(٦) انظر فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٩٤/٣)، و (٣٣٨/٤).

ثالثاً- ما جاء في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى جلس<sup>(١)</sup> نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعَب<sup>(٢)</sup> نشرب فيه من الماء. قال انتتني بهما. قال: فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا أخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً؟ قال رجل أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلِكَ واشتر بالآخر قدوماً فانتتني به، فأتاه به فشَدَ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً، فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة لذي فقر مدقع أو لذي غرم مُفْطَع، أو لذي دَمٍ مُوجِع»<sup>(٣)</sup> قال الإمام أبو الطيب محمد عند شرح الحديث: «ولا أرينك خمسة عشر يوماً» أي لا تكن هنا هذه المدة حتى لا أراك. وهذا مما أقيم فيه المسبب مقام السبب والمراد نهي الرجل عن ترك الاكتساب في هذه المدة لا نهي نفسه عن الرؤية، كذا في المرقاة»<sup>(٤)</sup>.

والحديث من الأدلة على مشروعية طلب الرزق، والحث عليه عند الحاجة إليه، ووجوبه على من يقدر الاكتساب عند احتياجه، حتى لا يقع في الحرام كتعرضه للمسألة وضياع الأهل، وضياع حق من تلزمه نفقته، كما هو ظاهر في واقع هذا الأنصاري، واهتمام الرسول ﷺ بتعليم هذا الصحابي طرق السعي بالأساليب النبوية المتميزة الفاضلة يدل على هذا الوجوب وبيان أهمية كسب الرزق في هذه الحياة.

والأحاديث كثيرة في بيان مشروعية السعي لطلب الرزق والحث عليه وبيان فضله في الدين والدنيا، وأساليب كسبه وطرق إنفاقه من قبل النبي ﷺ.

إذن فالإكتساب ثابت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) (جلس): أي بكسر مهملة وسكون لام كساء غليظ يلي ظهر البعير تحت القتب. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي طيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٥٣/٥) ط/مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) (قَعَب): بفتح فسكون أي: قدح. المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه المطبوع مع عون المعبود بشرح سنن أبي داود للإمام أبي طيب محمد شمس الحق العظيم آبادي. كتاب الزكاة باب رقم (٢٦) (٥٣-٥٥) قال الإمام المنذري: وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن لا نعرف إلا من حديث الأخضر بن عجلان. «هذا آخر كلامه». الأخضر بن عجلان قال يحيى بن معين صالح وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه. المصدر السابق (٥٥/٥).

(٤) المصدر السابق (٥٤/٥).

(٥) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفى الدين عوض ص/١٤-٢٦.



## المطلب الثالث - نوعية حكم طلب الرزق

ثبتت مشروعية السعي لطلب الرزق في الكتاب والسنة المطهرة، من خلال ما سبق ذكره من أقوال العلماء، ولكن وجدت لهم آراء في نوع الحكم التكليفي الشرعي لطلب الرزق فانقسمت آراؤهم إلى رأيين:

الأول - أن طلب الرزق مباح. والثاني - أنه واجب.

أما الرأي الأول فيرى أصحابه أن طلب الرزق مباح وهو من باب الرخصة حيث يستوي فعله وتركه من قبل المكلف، وقد يتحول إلى الفرض عند الحاجة ومن أدلتهم في تعزيز رأيهم ما يأتي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. وجه الاستدلال: أن الأمر في الآية بالانتشار وابتغاء الرزق أمر بإباحة وليس بفرض<sup>(١)</sup>.

ورُدَّ عليه أن الأمر حقيقته للإيجاب ولو كان المراد هو الإباحة والرخصة لقال فلا جناح عليكم أن تبتغوا من فضل الله كما قال تعالى في باب طريق الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾. والدليل عليه أن الله تعالى أمر بالإنفاق على العيال من الزوجات، والأولاد والمعتقات ولا يُتَمَكَّنُ من الإنفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب، وما يتوصل به إلى أداء الواجب يكون واجباً<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وجه الاستدلال: أن الأمر في الآية بابتغاء الرزق للإباحة وليس بفرض.

ويرد على ذلك أن الآية نزلت لبيان جواز طلب الرزق بالنسبة للحاج عند أداء الحج وأن ذلك لا ينافي إخلاص الحاج في عبادته مع طلب الرزق<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني بتلخيص تلميذه محمد بن سماعة ص/١٨-٢٤، وقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٣٩/٢) للشيخ أبي طالب المكي بتحقيق سعيد نسب مكارم ط/دار صادر بيروت ١٩٩٥م، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٣٨/٤).

(٢) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني ص/٢٦.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٢٧٤/٢)، وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للعلامة محمد جمال الدين القاسمي (١٤٠/١٨) ط/دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م الطبعة الثانية.

إذن فالآية لا تصلح أن تكون دليلاً عاماً لمنع فرضية السعي لكسب الرزق.  
 ٣- ومن أدلتهم قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].  
 وجه الاستدلال: أن الأمر بالسعي لطلب الرزق في الآية: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾. للإباحة.

ورد على ذلك أنه ورد في معنى الآية: أنه خير بلفظ الأمر أي لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وأكمامها وجبالها<sup>(١)</sup>.

إذن فالآية لا تصلح أن تكون مانعة لفرضية الاكتساب على المكلف القادر عليه.  
 ٤- ومن أدلتهم: أن النبي ﷺ بعث إلى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد، ومن يسأل الناس ومن لم يسأل الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب واصنع بل جاءهم بالإيمان واليقين في جميع أحوالهم، وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله<sup>(٢)</sup>.  
 وهذا دليل باطل لوجود آيات وأحاديث كثيرة الدالة على قيام الرسول ﷺ بتنظيم الأمور الاقتصادية وفق دينه الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

٥- قد ذكر الشيخ محمد بن الحسن مجموعة من وجوه استدلال القائلين بأن حكم الاكتساب مباح وليس بفرض ومنها ما يأتي: «أن الاكتساب - مباح بطريق الرخصة لأنه لا يخلو إما أن يكون فرضاً في كل وقت أو في وقت مخصوص. الأول باطل لأنه يؤدي إلى أن لا يتفرغ أحد عن أداء هذه الفريضة ليشغل بغيرها من الفرائض والواجبات، والثاني باطل لأن ما يكون فرضاً في وقت مخصوص شرعاً يكون مضافاً إلى ذلك الوقت، كالصلاة والصوم ولم يرد الشرع بإضافة الكسب إلى وقت مخصوص، وأن الاكتساب لو كان أصلاً فرضاً لكان الاستكثار منه مندوباً إليه أو كان نفلاً بمنزلة العبادات. والاستكثار منه مذموم كما قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤١/١٨).

(٢) انظر قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد للشيخ أبي طالب المكي (٣٥/٢).

(٣) راجع بعض الآيات والأحاديث في مشروعية السعي لكسب الرزق في ص/٤٤-٤٧ من هذا البحث.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعَبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ [الحديد: ٢٠]. وبهذا الحرف يقع الفرق بينه وبين طلب العلم بأن أصله لما كان فرضاً كان الاستكثار منه مندوباً إليه» وغير ذلك من وجوه أدلة القائلين بأن كسب الرزق مباح وليس بفرض<sup>(١)</sup>.

ثم رد عليهم الشيخ محمد بن الحسن بما يدل على أن حكم الاكتساب هو فرض وليس مباحاً.

ومما جاء في رده قوله: «وَحَجَّتْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. والأمر حقيقة للوجوب ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠]. يعني الكسب. والأمر حقيقة للوجوب فإن قيل: قد روي عن مجاهد ومكحول (رحمهما الله) أنهما قالاً: المراد طلب العلم. قلنا: ما ذكرنا من التفسير مروي عن رسول الله ﷺ فإنه قال: «طلب الكسب بعد الصلاة المكتوبة هي الفريضة بعد الفريضة»<sup>(٢)</sup>، وتلا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾. فلا يترك ذلك بقول مجاهد ومكحول رحمهما الله، والظاهر يؤيد ما ذكر بعده: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ الآية. وكأن انفضوا بذلك في حال خطبته فنهوا عن ذلك وأمروا به بعد الفراغ من الصلاة. فإن قيل: فالأمر بعد النهي يفيد الإباحة. قلنا: الأمر حقيقة للإيجاب ولو كان المراد هو الإباحة والرخصة لقال: «فلا جناح عليكم أن تنبغوا من فضل الله». كما قال تعالى في باب طريق الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والدليل عليه أن الله تعالى أمر بالإنفاق على العيال من الزوجات والأولاد والمعتقات ولا يتمكن من الإنفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب وما يتوصل به إلى أداء الواجب يكون واجباً والمعقول يشهد له...»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر بتصرف: الاكتساب في الرزق المستطاب له (ص ٢٤-٢٦).

(٢) يحتمل أن الحديث مروي بالمعنى المقتبس من الحديث في ص/٥٤..

(٣) المصدر السابق ص: ٢٦-٢٧.

وغير ذلك من التوضيحات والتحليلات لتعزيز جانب فرضية الاكتساب<sup>(١)</sup>. قلت: إن ما ذكروا من التحليلات والاحتمالات النافية لفرضية الاكتساب لا تقوى أمام الأوامر الواردة في النصوص القرآنية والحديثية الدالة على وجوب الاكتساب<sup>(٢)</sup>. وأن ما ذكروا من القياس بين فرضية طلب العلم وفرضية الاكتساب قياس غير سديد لأن لكل منهما أحكاماً واردة خاصة به في الكتاب والسنة، وكما ذكر العلماء الجوانب المحمودة والمذمومة لطلب الرزق كذلك ذكروا الجوانب المحمودة والمذمومة لطلب العلم لأن الأعمال الشرعية مبنية على نية العامل، لما جاء في الحديث: «... إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»<sup>(٣)</sup>.

وأما استدلالهم بالآية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٠]. في ذم الاكتساب فهو استدلال غير موفق حيث إن الآية الكريمة تبين إهانة أمر الحياة الدنيا وحقارتها على الله ﷻ، وأكدت زوالها وأنكرت على الكفار ميلهم إلى الحياة الدنيا وحرصهم عليها دون الآخرة التي فيها أمان إما العذاب الشديد للعصاة، وإما المغفرة من الله ورضوانه للمؤمنين المنقادين لأوامره والمجتنبين عن نواهيه.

وهذا أسلوب من أساليب القرآن الكريم لتوجيه المسلمين أن يعملوا في المجالات المتعلقة بالحياة الدنيا وفق الضوابط الشرعية المتعلقة بتلك المجالات كالإكتساب بطرق الحلال لأهداف نبيلة مباحة كالحرص على ثواب الله في الآخرة، والابتعاد عن طرق الإكتساب المحرمة والأهداف المذمومة المحرمة كالحرص على الحياة الدنيا؛ لكي يفوزوا برضوان الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

إذن فالآية ليست دليلاً لزم إكتساب المسلم في الدنيا وفق مبادئ دينه ليفوز بآخرفته.

(١) انظر بتصرف الإكتساب في الرزق المستطاب له ص/٢٦، ٢٧.

(٢) راجع بعض النصوص من الكتاب والسنة في صفحة (٤٤-٥٦) من هذا البحث.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب رقم (١) (١٥/١).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٠٠-٤٠١).

والرأي الثاني- أن الاكتساب واجب شرعي، ولأصحاب هذا الرأي أدلة لتأصيله ومنها ما يأتي:

١- قول الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ... ﴿البقرة: ٢٦٧﴾ وجه الاستدلال: أن الأمر بالإنفاق من الطيبات حقيقته للوجوب حيث لا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً، إذن فحكم الاكتساب واجب<sup>(١)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وجه الاستدلال: أن معنى الآية هو السعي للكسب والأمر به حقيقته للوجوب، لأن هذا المعنى من المعاني المروية عن النبي ﷺ وقال أيضاً: «طلب الكسب بعد الصلاة المكتوبة هي الفريضة بعد الفريضة» وتلا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ [الجمعة: ١٠]. والظاهر يؤيد هذا المعنى لدليل ما ذكر بعده: إذا رأوا تجارة. الآية، حيث كان بعض الصحابة ﷺ انفضوا بذلك في حال خطبة الرسول ﷺ فنهوا عن ذلك وأمروا به بعد الفراغ من الصلاة.

فإن قيل: الأمر بعد النهي يفيد الإباحة. يرد على ذلك أن الأمر حقيقته للإيجاب لو كان المراد هو الإباحة والرخصة لقال: فلا جناح عليكم أن تبتغوا من فضل الله. كما قال تعالى في باب طريق الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. حيث نزلت الآية لبيان إباحة الاكتساب في الحج<sup>(٢)</sup>.

٣- ما جاء في رواية عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب للشيخ محمد الحسن ص/٢٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص/٢٦.

(٣) أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي باب في حقوق الأولاد والأهلين رقم (٦٠) رقم الحديث (٨٧٤١) وقال أبو عبد الله تفرد به عباد بن كثير عن الثوري وبلغني عن محمد بن يحيى أنه قال: لم أكره ليحيى بن يحيى شيئاً قط غير رواية هذا الحديث «(٦/٤٢٠) ط/دار الكتب العلمية بيروت لبنان - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. والحديث له شاهد بإسناد حسن عند الإمام الطبراني في الأوسط وهو ما رواه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «طلب الحلال واجب على كل مسلم». انظر: معجم الزوائد (٢٩١/١٠). ط/دار الريان للتراث - القاهرة - بيروت ١٤٠٧هـ.

وجه الاستدلال: أن رسول الله ﷺ صرح بفرضية الاكتساب في الرزق الحلال، وهذا يدل على أن الاكتساب إحدى الفرائض الواجبة على المكلف مع وجود التفاوت بين درجة التكليف بها.

يقول الشيخ علي بن سلطان عند شرح الحديث: «قوله (بعد الفريضة) كناية عن أن فريضة كسب الحلال لا تكون في مرتبة فرضية الصلاة والصوم والحج وغيرها فالمعنى أنه فريضة بعد الفريضة العامة الوجوب على كل مكلف بعينه وقيل معناه أنه فريضة متعاقبة يتلوا بعضها البعض لا غاية لها...»<sup>(١)</sup>.

٤- الكسب طريق المرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد أمر الله تعالى العباد بالتمسك والافتداء بهديهم قال تعالى: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأَنْعَام: ٩٠] لأن أمر الله للرسول ﷺ أمر لأمرته ما لم يرد له تخصيص ولم يوجد له تخصيص في هذا الأمر<sup>(٢)</sup>.

وجه الاستدلال بهذا الدليل أن الاكتساب وفق هدي المرسلين عليهم الصلاة والسلام، واجب على العباد، والاكتساب بهذه الصفة يعين العبد على الطاعة والعبادة ويؤدي إلى إقامة الواجبات وما يؤدي إلى الواجب فهو واجب<sup>(٣)</sup>.

ثم قسم أصحاب القول الثاني الواجب بين واجب كفائي وواجب عيني، وذلك بحسب حال المكتسب، وتوضيح ذلك فيما يأتي:

إذا كان المكتسب قادراً على الاكتساب، ويسعى لينفق على نفسه للعيش وقضاء الدين أو الإنفاق على من يعوله أو على غيره مما فيه سدُّ حاجته وهو في هذا العمل مكتسب لسد قدر الكفاية، فيكون حكم اكتسابه واجب عين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح له (٣١/٦)، والاكتساب في الرزق المستطاب للشيخ محمد بن الحسن ص/١٤-٢٦.

(٢) انظر العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الحنبلي (٣١٨/١).

(٣) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب ص/١٤-١٩ وص/٣٥، ومارقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ علي بن سلطان (٨-٦/٦).

(٤) انظر فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ابن حجر (٣٣٨/٤)، ومارقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ علي بن سلطان (٧-٦/٦)، والعمل والعمال في الفكر الإسلامي لإبراهيم النعمة ص/٢٠. ط/ الدار السعودية جدة - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

وأما إذا وجد من يتحمل هذه المؤنة عنه فيكون الحكم في حقه واجباً كفائياً، وقال الشيخ علي بن سلطان عند كلامه عن فرضية التكسب: «ثم هذه الفرضية لا يخاطب كل أحد بعينه لأن كثيراً من الناس تجب نفقته على غيره ...»<sup>(١)</sup>.

وأما إذا كان المكتسب لا يطبق التكسب فيكون الاكتساب في حقه مباحاً<sup>(٢)</sup>.

وأما إذا كان المكتسب ينفرد بمعرفة صناعة ما ويحتاج إليه الناس ولا يوجد غيره في القيام بتلك الصناعة، فيكون القيام عليه بسد حاجة الناس واجب عين فيحصل على ذلك العمل ثواباً من الله تعالى، وغيره من الفوائد الدنيوية كأخذ الأجرة على عمله.

وأما إذا وجد من الناس من يقوم بذلك العمل فيتحول الحكم عليه في ذلك إلى واجب كفائي<sup>(٣)</sup>.

— الراجع في مسألة نوع حكم التكسب.

والذي ظهر للباحث - والله أعلم بالصواب - بعد إيراد أدلة القائلين بالإباحة ووجوه الرد على تلك الأدلة، وأدلة القائلين بالوجوب وأوجه الرد على بعض أدلتهم، أن رأي القائلين بوجوب الاكتساب في قدر الكفاية أقوى وأرجح على غيره من الآراء لوضوح استدلالهم في ذلك بالآيات والأحاديث وموافقة قولهم لواقع حياة الإنسان حسب ما يريده الشرع الإسلامي. وعدم سلامة أدلة القائلين بالإباحة من رد ونقد صائب، وضعف بعض ردودهم على أدلة القائلين بالوجوب مما يرجح جانب أصحاب القول بوجوب السعي لاكتساب الرزق الحلال في مقدار ما لا يزيد عن كفاية الحاجة.

(١) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣١/٦).

(٢) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣٣٨/٤).

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد النجدي الحنبلي بمساعدة ابنه محمد (١٩٤/٢٩، ١٩٥) الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية بتحقيق محمد حامد الفقي ص/٢٤٨ ط/دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، والاكتساب في الرزق المستطاب للشيخ محمد بن الحسن ص/٣٢-٣٥.

— حكم الاكتساب فيما زاد عن قدر الكفاية.

ويرى العلماء (رحمهم الله) أن حكم الاكتساب فيما زاد على الكفاية مباح إذا كان ذلك الاكتساب بنية الخير والفوز بالثواب من الله ﷻ، وأما إذا كان بنية الفخر والتكاثر فيكون حكمه حراماً<sup>(١)</sup>. ومما استدلوا به في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ في نخل المدينة فقال يا أبا هريرة أو يا أبا هر هلك المكثرون إن المكثرين الأقلون يوم القيامة إلا من قال: بالمال هكذا وهكذا وقليل ما هم يا أبا هريرة...»<sup>(٢)</sup>. قوله (إلا من قال بالمال هكذا وهكذا): يعني يتصدق من كل جانب<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحكم هو قول أكثر الصحابة رضي الله عنهم، ولم يخالفهم في ذلك إلا قليل منهم وهم يرون وجوب الإنفاق بما زاد على كفاية الحاجة<sup>(٤)</sup>.

— بيان الحد الأعلى للملكية الفردية.

ووجدت الدراسات حول الحد الأعلى للملكية الفردية<sup>(٥)</sup> في الإسلام، والتي تدل نتیحتها على إباحة الاكتساب فيما زاد عن قدر الكفاية، وقسمت هذه الدراسة مذاهب الصحابة في حد الملكية الفردية إلى ثلاثة مذاهب لوجود الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ.

والمذهب الأول - يرى أصحابه أنه لا بأس أن يجتمع المال الكثير عند المسلم إذا أخذه بحقه وأدى زكاته وعمل فيه بطاعة الله ﷻ، وهذا مذهب أكثر أصحاب الرسول ﷺ، ومن أشهر القائلين بذلك عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وجابر وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ومن

(١) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفی الدين ص/١٧-٢٣، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤/٣٣٨)، والاكتساب في الرزق المستطاب للشيخ محمد بن الحسن ص/٣٤، ٣٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بطول الحديث (٥٢٥/٢) ط/دار الفكر. وقال الإمام المنذري: «رواه أحمد رواه ثقات وابن ماجه بنحوه» انظر: الترغيب والترهيب له (٩٠/٤) ط/دار الكتب العلمية بيروت تحقيق إبراهيم شمس الدين - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

(٣) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب ص/٣٥.

(٤) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي ص/٢٦-٢٨.

(٥) أما المراد بالملكیة الفردية فهي الملكية الخاصة التي يتصرف بها الأفراد والشركات رَقَبَةً وَمَنْفَعَةً. وأمرها ثابت بالكتاب والسنة. انظر أصول الاقتصاد الإسلامي للدكتور رفيق يونس المصري ص/٤١-٤٣. ط/دار القلم بدمشق، والدار الشامیة بیروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.



أدلتهم في ذلك الأخذ بهدي النبي ﷺ في المقصود بالكثرة المستحق بالوعيد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

أن المقصود بالكثرة المستحق بالوعيد في الآية: خاص في حق من لا يزكي أمواله من هذه الأمة، وهذا قول جمهور الصحابة رضي الله عنهم والمفسرين.

وهناك أقوال أخرى في المقصود بالكثرة المستحق بالوعيد في الآية<sup>(١)</sup> كما جاء في رواية ابن عباس<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحدنا أن يترك ما لأولاده يبقى بعده فقال عمر أنا أخرج عنكم قال فانطلقوا وانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتوا الرسول ﷺ فقال عمر يا نبي الله قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال نبي الله ﷺ إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب بها ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث في أموال تبقى بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له النبي ﷺ ألا أخبرك بخير ما يكثره المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث كثيرة في هذا الباب.

ووجه الاستشهاد بهذا الحديث أن جمع المال بلا حدود مباح، ولو كان محرماً لما كان هناك معنى لفرض الزكاة التي بين مقاديرها رسول الله ﷺ، أو لما كان هناك معنى لفرض أحكام الموارث التي أنزلها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز وأمر باتباعها فيما قلّ أو كثر من مال يتركه المسلم كما قال تعالى: ﴿وَالنِّسَاءَ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ [النساء: ٧].

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٢٩/٣)، انظر أصول علم الاقتصادي الإسلامي للدكتور أحمد صفى الدين عوض ص/٢٧-٢٨.

(٢) عبد الله بن عباس هو: الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس عم النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له النبي ﷺ بالعلم والحكمة، فاستجيب فيه الدعوة ظهرت عليه آثارها في التفسير والحديث والفقه وسائر معارف عصره، كان وزيراً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتولى إمرة البصرة، ثم انقطع للتعليم والدعوة. توفي في الطائف سنة ٦٨ أو ٦٧ هـ وقيل إنه عاش سبعين سنة رضي الله عنه تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣٣١/٣) وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (٢٧٤/٢).

(٣) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي كتاب التفسير باب خير ما يكثر المرء المرأة الصالحة (٣٣٣/٢) ط/دار المعرفة - بيروت - لبنان، وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم: «هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» المصدر السابق.

وليس هناك حد أعلى للكثرة في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ والأحاديث كثيرة في تأييد جمع المال بلا حدود ما أدت زكاته<sup>(١)</sup>.

المذهب الثاني - يرى أصحابه تحريم إدخار ما زاد على نفقة العيال، أسوة برسول الله ﷺ الذي رضي بالكفاف من العيش ولم يكن يدخر شيئاً مما فضل عن حاجته، وأشهر من تمسك بهذا الرأي هو أبو ذر ﷺ وبعض أهل الصفة من فقراء المهاجرين ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ومن أدلتهم في ذلك: أن المقصود بالكثرة المستحق بالوعيد في الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٥]. هو ما زاد عن حاجة العيال<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث الدالة على هذا المعنى عن أبي ذر كثيرة، ومنها ما جاء في رواية عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ أوحببسي يقول: «في الإبل صدقتها من جمع ديناراً أو درهماً أو تبراً أو فضة ولا يعده لغريم ولا ينفقه في سبيل الله، فهو كي يكوى به يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

ولعل اختلاف الصحابة في هذه المسألة يرجع إلى عدة أسباب:

أولاً - الخلاف في المراد بقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. وللعلماء أقوال حول الآية في المراد بالعفو منها ما يأتي:

قيل: المعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجهدوا فيه أنفسكم. وقيل: هو ما فضل عن نفقة العيال. وقال جمهور العلماء: هو نفقات التطوع.

وهناك أقوال أخرى للعلماء حول المراد بالعفو في الآية، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة المفروضة، وقيل: إن الآية محكمة وفي المال حق سوى الزكاة<sup>(٥)</sup>.

وذكر أن أبا ذر ﷺ كان ممن يرون أن هذه الآية محكمة وأن العفو هو ما فضل عن نفقة العيال<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفى الدين عوض ص/ ٢٩-٣٠.

(٢) انظر المصدر السابق (ص ٢٨-٣٠).

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٢٨/٣، ٤٢٩).

(٤) أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العسبي كتاب الزكاة باب رقم (١٢٤) (١٠٣/٣) ط/ دار الفكر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م بيروت لبنان. والحديث له شاهدان بإسنادين صحيحين عند الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وقال: كلا الإسنادين صحيحين على شرط الشيخين ولم يخرجاه» انظر المستدرک على الصحيحين له (٥٤٥/١).

(٥) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢١٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤٢/٣).

(٦) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفى الدين عوض (ص ٣٣).

وفصل الخطاب في مسألة نسخ الآية وتحكيمها، أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصديق بفاضل المال، أو قلنا: إنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة أو على الصدقة المندوب إليها فهي محكمة<sup>(١)</sup>.

إذن فالآية لا تدل على تحريم جمع المال بلا حدود للإنسان الفرد.

ثانياً- كان رسول الله ﷺ يأمر بعض أصحابه بما يناسب حاله أو أحوالهم من نوافل الأعمال ويأخذ عليهم العهد بذلك واستمسكوا بذلك العهد طوال حياة الرسول ﷺ وبعدها. ومن أمثلة ذلك: ما جاء في رواية عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٢)</sup> قال: «كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله ﷺ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلمنا نبايعة قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والصلوات الخمس وتطيعوا (وأمر كلمة خفيفة) ولا تسألوا الناس شيئاً فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه»<sup>(٣)</sup>.

وما جاء في رواية أبي المثني قال: قال أبو ذر فدعاني رسول الله ﷺ فقال: هل لك إلى بيعة ولك الجنة؟ قلت: نعم وبسطت يدي فقال رسول الله ﷺ وهو يشترط عليّ أن لا أسأل الناس شيئاً قلت: نعم، قال ولا سوطك إن يسقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك فإن أبا ذر رضي الله عنه كان مستمسكاً بما سمع عن رسول الله ﷺ وملتزمًا ببيعته له على أن لا يسأل الناس، فكذلك كان يقسم أن لا يسألهم ديناً ولا يستفتيهم عن دين حتى يلقي الله ﷻ.

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣٣/١).

(٢) العوف بن مالك الأشجعي هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، اختلف في كنيته ف قيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد وقيل غير ذلك، أسلم عام خير، وقيل: شهد الفتح وكانت معه راية الأشجع وسكن دمشق، أخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، روى عن النبي ﷺ وعن عبد الله بن سلام وروى عنه أبو مسلم الخولاني وأبو إدريس الخولاني، وجير بن نفير وغيرهم. مات رضي الله عنه سنة ٧٣هـ في خلافة عبد الملك. انظر الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٤٣/٣، ٤٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٣٥) رقم الحديث (١٠٤٣) (١٣٨/٧، ١٣٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده رقم الحديث (٢١٥٤٨) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناد ضعيف» (١٧٢/٥) ط/ مؤسسة قرطبة القاهرة.. والحديث السابق المروي في صحيح مسلم شاهد له يقويه.

وإذا كان لا يستفتيهم فكيف يعرف ما لم يسمع عن الرسول ﷺ وسمعه غيره منه ﷺ<sup>(١)</sup>.

ثالثاً- غياب أبي ذر عن حضور بعض أحاديث الرسول ﷺ التي فيها يسر بعد أن أخذه عنه ما فيه عسر وشدة.

كما في رواية شداد بن أوس قال: «كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة ثم يخرج إلى قَوْمِهِ يَسْتَلِمُ لَعْلَهُ يَشُدُّ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ يَرْخُصُ فِيهِ بَعْدَ فَلَمْ يَسْمَعْهُ أَبُو ذَرٍّ فَيَتَعَلَّقُ أَبُو ذَرٍّ بِالْأَمْرِ الشَّدِيدِ»<sup>(٢)</sup>.

ولقد قال الإمام القرطبي رحمه الله قولاً قريباً مما جاء في هذا الخبر دون أن يشير إليه: «وقيل الكنز ما فضل عن الحاجة. روى عن أبي ذر، وهو مما نقل من مذهبه وهو من شدائده ومما انفرد به عنه.

قلت: (قول الإمام القرطبي) ويحتمل أن يكون مجمل ما روى عن أبي ذر في هذا ما روى أن الآية نزلت في وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله ﷺ عن كفايتهم ولم يكن في بيت المال ما يسعهم، وكانت السنون الحوائج هاجمة عليهم، فنهوا عن إمساك شيء من المال إلا على قدر الحاجة ولا يجوز ادخار الذهب والفضة في مثل ذلك الوقت، فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم أوجب ﷺ في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين ديناراً نصف دينار، ولم يوجب الكل، واعتبر مدة الاستئناء، فكان منه بياناً ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وهذه التوضيحات مما يدل على فضل مذهب القائلين بأنه لا بأس من اجتماع المال الكثير في يد المسلم على مذهب القائلين بإنفاق ما زاد عن حاجة العيال.

(١) انظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي للدكتور أحمد صفي الدين عوض ص/٣٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٥/٤).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٨٠/٨)، وانظر أصول علم الاقتصاد الإسلامي للاقتصاد الفردي

للدكتور أحمد صفي الدين عوض ص/٣٤-٤٠.

والمذهب الثالث - وهو مذهب أبي الدرداء<sup>(١)</sup> عليه السلام حيث يرى تقييد كسب المال بما يكفي المرء وعياله من ضروريات الحياة حتى يتفرغ للعبادة<sup>(٢)</sup>.

وهذا المذهب عمل به أبو درداء في نفسه ولم يدع الآخرين إليه. ومما جاء عن أبي الدرداء في ذلك، أنه قال: «كنت تاجراً قبل أن يبعث النبي ﷺ فلما بعث النبي ﷺ أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم يستقم، فتركت التجارة وأقبلت على العبادة»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في رواية أيضاً عنه قال: «ما يسرنى أن أقوم على الدرج من باب المسجد واشتري وأبيع فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار، أشهد الصلاة كلها في المسجد ما أقول إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا ولكني أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»<sup>(٤)</sup>.

معنى كلام أبي الدرداء أنه لا يسره أن يجلس على درج الجامع ويربح كل يوم ثلاثمائة دينار ولا يفوته الصلاة في الجماعة، وهو لا يقول أن الجلوس على الدرج والحصول على مثل هذا الربح مع شهود الصلاة في جماعة حرام، ولكنه يفضل الكسب القليل ليتفرغ لذكر الله حتى يكون ممن عناهم الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

«ومما يجدر ذكره أن عدداً من أصحاب رسول الله ﷺ فهموا من هذه الآية خلاف ما ذهب إليه أبو الدرداء، فقالوا هذه صفة أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أبحر

(١) أبو الدرداء اسمه عويمر، وقيل عامر، واختلف في اسم أبيه أيضاً ف قيل: عامر وقيل: مالك، أو ثعلبة، أو عبد الله، أو زيد واسم جده قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً وأبلى فيها قال فيه رسول الله ﷺ: «نعم الفارس عويمر»، وقال: هو حكيم أمي» روى عن النبي ﷺ، وعن زيد بن ثابت، وعائشة وإبي أمامة وروى عنه ابنه بلال، وزوجته أم الدرداء، وأبو إدريس الخولاني وآخرون. مات رضي الله عنه سنة ٣٢هـ وقيل غير ذلك. انظر الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٤٦/٣).

(٢) فيكون الفرق بين المذهب الثاني والمذهب الثالث أن المذهب الثاني يرى الاستمرار في الكسب وما يزيد عن حاجة العيال ينفق فوراً ويحرم ادخار الزائد. والمذهب الثالث يرى أن كسب الرزق يكون في حدود حاجة العيال وكلما وصل إليه المكتسب توقف عن كسب الرزق وتفرغ للعبادة ولا يحرم ادخار الرزق الزائد الذي يضمن فرصة أداء العبادة والتوقف عن السير في كسب الرزق الجديد.

(٣) أخرجه الإمام الطبراني نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن بكر الهيثمي (٣٦٧/٩) ط/دار الكتب العلمية، وقال: «رجاله رجال الصحيح».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص: ١٧٠) وانظر أيضاً: الدر المنثور في تفسير المأثور للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٢٠٨/٦) ط/دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الناس وأبيعهم ولكن لم تكن تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أي عن شهود الصلاة المكتوبة إذا سمعوا الأذان تركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة.

ولكن يبدو أن وجهة نظر أبي الدرداء التي عمل بها في نفسه ولم يخفها عن الآخرين قد وجدت قبولاً كبيراً بين التابعين ومن أتوا بعدهم من أهل العلم والورع بما في ذلك الأئمة الأربعة ومن اقتفى أثرهم في جمع العلم وبثه مع الحرص الذي لا مثيل له في العمل به. وكذلك بين العباد أمثال بشر وإبراهيم بن أدهم (رحمهم الله) وكان لابد لهم أن يقتصدوا في الوقت الذي يصرفونه في طلب المعاش بقدر المستطاع ليتفرغوا لطلب العلم أو تدريسه ابتغاء مرضاة الله بعد أن يحصلوا على ما يكفيهم من النظر إلى ما في أيدي الناس بل من صلة الإخوان.

أما العباد فقد قيدوا العمل أيضاً بالقدر الضروري للحياة حتى يصرفوا جل وقتهم في ذكر الله.

ولقد كان أثر هذا المذهب قوياً في نفوس العلماء الذين يقتدى بهم...»<sup>(١)</sup> حيث رأوا في ذلك السلامة<sup>(٢)</sup>.

ويتضح فيما مضى أن مذهبي أبي ذر وأبي الدرداء رضي الله عنهما لا يصلحان إلا للقلة من أهل العلم والزهد، ولكن اللائق بعامة المسلمين هو مذهب الأكثرية من أصحاب رسول الله ﷺ إذا أردنا أن نحقق النمو الاقتصادي وبالتالي رفاهية المجتمع وفق الأحكام والمبادئ الخلقية التي جاء بها الإسلام<sup>(٣)</sup>.

إذن فالملكية الفردية في الإسلام لا حدود لها ما دامت مواردها وفق الشريعة الإسلامية وتشبع بها حاجات الإنسانية من الطيبات بلا سرف ولا مَحِيلَةٍ وينفق منها حق الله وما رغبت فيه الشريعة، ولا يمكن أن يعكر علينا تصور مخالف لهذا لأن ذلك التصور والفهم والدعوة إليه لا يمكن أن نعتبره خارجاً عن دائرة الإسلام وحدوده لأن دائرة الإسلام رحبة واسعة.

وهذه حالات ملائمة لقضايا مدة زمنية تستدعي هذا القصور فإذا زالت زال القيد ولكن في الرسول وصحبه قدوة حسنة، فقد نهي رسول الله ﷺ عن ادخار لحوم

(١) أصول علم الاقتصاد الإسلامي للدكتور أحمد صفي الدين عوض ص/٤١، ٤٢.

(٢) انظر المصدر السابق ص/٤٧-٥٠.

(٣) انظر المصدر السابق ص/٤٩.

الأضاحي ثم أجازته وادخر رسول الله ﷺ لنسائه قوت سنة عندما أقبلت عليه الموارد ومن قبل كان لا يدخر شيئاً ويحضر على الإنفاق<sup>(١)</sup>.

— الشبهات حول السعي لطلب الرزق.

قد أثبتت شبهات حول السعي لاكتساب الرزق، وأما شبهات القائلين بها فهي متمثلة في قولهم أن السعي لاكتساب حرام لأنه يناهى التوكل على الله أو ينقص منه، فيجب الاشتغال بعبادة الله وحده وترك الاكتساب إلا عند الضرورة بمقتضى تناوله الميتة، أو يباح الاكتساب لمن يصح توكله على الله ﷻ ويحرم على غيره<sup>(٢)</sup>.

واستدلوا في إثبات تلك الشبهات بالنصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وسير بعض سلف الأمة (رحمهم الله تعالى).

ولكن العلماء رحمهم الله قاموا بالرد على جميع أدلتهم وبينوا وجوه الخطأ في استدلالاتهم بالآيات والأحاديث وسير سلف الأمة (رحمهم الله)، ثم أثبت العلماء (رحمهم الله تعالى) أن السعي لاكتساب الرزق مشروع بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وأنه منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وتبعهم في ذلك سلف الأمة رحمهم الله، وكذلك حثوا الناس على القيام بالاكتساب بطرقه المشروعة وحذروهم عن طرقه المحرمة، وبينوا مراحل وجوبه وإباحته للناس حسب أحوالهم<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى عصر نهاية بني أمية للدكتور مصطفى الهمشري ص/١٧٢، ١٧٣.

(٢) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام الشيخ علي بن سلطان (٦/٦، ٨)، وقوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد للشيخ أبي طالب المكي (٢/٣٤-٤١)، والاكتساب في الرزق المستطاب للشيخ محمد بن الحسن ص/١٨-٢٣، والحث على التجارة والصناعة والعمل والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك للإمام أبي بكر أحمد بن محمد الخلال البغدادي الحنبلي باعتناء عبد الفتاح أبو عدة ص/٨٢، ٨٣، ط/مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) انظر المصدر السابق ص/٨٢-٩٦، والبركة في فضل السعي والحركة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصافي الحبيشي ص/٧١، ٧٢ ط/دار المعرفة بيروت، والاكتساب في الرزق المستطاب ص/١٨-٢٧ ط/١٤-١٧، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/٦-٣٧)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١١-١٥) و(١٠٣/٥) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤/٣٣٦-٣٤٠ و٣٤٧-٣٥٩)، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي بتحقيق سيد إبراهيم (٢/٩٦-١٠٢) ط/دار الحديث - القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، والترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٢/٥٢١-٥٥٣) ط/دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

وأخيراً يتضح فيما سبق بيانه في هذا الفصل التمهيدي أن الدعوة الإسلامية بمختلف أنواعها واجبة على كل مسلم ومسلمة كل بحسب علمه وقدرته وطاقته، وأن القيام بطلب الرزق واجب على كل مسلم؛ لأنه يؤدي إلى أداء الواجب وما يؤدي إلى الواجب فهو واجب.

وأن الملكية الفردية في الإسلام لا حدود لها مادامت مواردها وفق الشريعة الإسلامية، وهذا يقتضي من الداعية أن يأخذ بمشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وينسق العمل بينهما في صالح الدعوة وصالح حياته الاقتصادية المشروعة؛ ويقدم على ذلك وفق هدي الكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح رحمهم الله.

ويأتي تفصيل ذلك في الباب الأول، وما يدخل فيه من الفصول والمباحث والمطالب والمسائل من هذا البحث.  
والله أعلم وهو الموفق للصواب.





أَجْمَعُ بَيْنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ  
دراسة تأصيلية  
( الجانب النظري )



## الباب الأول

تأصيل الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام

## الباب الأول

## تأصيل الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام

التوطئة: مفهوم الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.  
سبق ذكر التعريف بالدعوة وطلب الرزق اصطلاحاً عند الكلام حول التعريف بمصطلحات الدراسة<sup>(١)</sup>.

وأما المقصود بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في هذا البحث فهو قيام الداعية في وقت ما بالدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه بين الناس في حدود الطاقة، ومباشرة السبل المشروعة لكسب الرزق في وقت آخر باستخدام الأساليب، والوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف الدعوية وفق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية وهدي السلف الصالح رحمهم الله.

وأما المراد بتأصيل الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، فهو عبارة عن بيان المبادئ والأحكام الشرعية الثابتة المتعلقة بجوانب الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، والمستفادة من هدي الكتاب والسنة وهدي الرسل عليهم السلام وهدي السلف الصالح رحمهم الله تعالى، والبيان أنه لا يوجد في الإسلام ما يمنع من اشتغال الداعية بالدعوة إلى الله تعالى، وممارسة التجارة أو الصناعة أو غير ذلك من المهن الشريفة التي أحلها الإسلام؛ لأجل الأخذ بأسباب القوة ومساعدة المحتاجين ودعم المشاريع الدعوية وغيرها.

ويأتي تفصيله في الفصول التالية : -

(١) انظر - صفحة (٦) من هذا البحث.

## الفصل الأول

مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام

## الفصل الثاني

الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في سيرة الرسل عليهم السلام  
وسلف الأمة رحمهم الله

## الفصل الثالث

ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## الفصل الرابع

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعوين

## الفصل الخامس

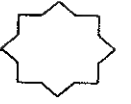
مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية

## الفصل السادس

عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكيفية التغلب عليها

## الفصل السابع

آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية والمدعوين



## الفصل الأول

مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام

## المبحث الأول

مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في القرآن الكريم

## المطلب الأول

آيات في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق قبل مبعث

نبي الله محمد ﷺ

## المطلب الثاني

آيات في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

بعد مبعث نبي الله محمد ﷺ

## المبحث الثاني

مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في السنة المطهرة

## المطلب الأول

أحاديث في قيام النبي ﷺ بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المطلب الثاني

أحاديث في إقرار النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم

على الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المطلب الثالث

نوعية حكم الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## الفصل الأول

### مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الإسلام

#### المبحث الأول

#### مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في القرآن الكريم

أما مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في القرآن الكريم، فقد جاءت بأساليب قرآنية عديدة ومنها: الأسلوب القصصي بأحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام قبل مبعث النبي ﷺ، ومنها الأسلوب الإقراري لأحوال النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وتوجيههم في ذلك.

## المطلب الأول- آيات في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق قبل مبعث نبي الله محمد ﷺ.

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أحوال الأنبياء مع أقوامهم في مختلف الشؤون الحياتية والدعوية، ومن تلك الآيات ما بين مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لدى الرسل عليهم السلام.

سنقتصر على ذكر قصة اثنين من الرسل كنموذج لبقية الرسل عليهم السلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وهما نبي الله يوسف ونبي الله داود عليهما السلام. وسيأتي وجه الاستشهاد بالآيات الواردة في قصتهما بتقسيمها إلى قسمين: القسم الأول- خاص بقيامهم بالدعوة والقسم الثاني خاص بعملهم في مجال المال وطلب الرزق، فيضم القسم الأول إلى القسم الثاني من الآيات القرآنية فتفيد قيامهم بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في عصرهم.

أما نبي الله يوسف عليه السلام، فقد وردت في حقه آيات كثيرة تبين أحواله كلها، ومنها ما دل على أن يوسف عليه السلام قام بدعوة أمته إلى طاعة الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]. أي حباه الله النبوة بين أولئك الأقوام يدعوهم إلى الله ويفقههم في أمور دينهم<sup>(٢)</sup>.

ومن صور دعوة يوسف عليه السلام دعوته الفتيتين في السجن إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدونها قومهما وأن هذا هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يجبه ويرضاه فقال

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/١٢٠)، وانظر- دعوة الرسل إلى الله تعالى محمد أحمد العدوي (ص: ١٠٠) ط/ دار القلم، بيروت، لبنان - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م..

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٦٢٢) وتفسير البغوي معالم التنزيل للإمام محي السنة البغوي (٤/٢٢٦).



— كما جاءت به الآيات — : ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠] <sup>(١)</sup>.

وعمل يوسف عليه السلام إضافة إلى الدعوة إلى الله تعالى بإدارة الشؤون الاقتصادية بعد إسناد ذلك العمل إليه من قبل الملك، مما ضمن له طلب رزقه في حياته الدعوية بتوفيق من الله عز وجل، كما جاءت به الآيات الكريمة: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٧]. مما جاء في معنى الآية ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي أحصاه بها، دون العزيز، جريا على عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز، قال ذلك لما تحقق براءته مما نسب إليه، وكرم نفسه، وسعة علمه. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ أي خاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته وبراعته ﴿وَقَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] أي ذو مكانة ومترلة ﴿أَمِينٌ﴾ أي مؤتمن على كل شيء <sup>(٢)</sup>. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي أن الله عز وجل جعل رسوله يوسف عليه السلام مسيطراً على أرض مصر يتصرف فيها كيف يشاء بالدعوة إلى الله، وإدارة كل الأمور المالية فيها <sup>(٣)</sup>.

وذاع أمر يوسف عليه السلام في الأفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته في البيع والشراء، وغير ذلك من المعاملات الأخرى مع استمراره على دعوة الناس إلى الإسلام

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٦٢٩).

(٢) انظر - تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لـ محمد جمال الدين القاسمي (٦/٢٤١-٢٤٢).

(٣) انظر - تفسير الطبري للإمام ابن جرير الطبري (١٢/٢٤٢-٢٤٣) وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن

الجوزي (٤/٢٤٤-٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٩/١٤٤-١٤٤).

حتى كان الناس في الأمصار يقصدونه للتبادل التجاري، ومن الناس الذين قصدوه من أهل أمصار أخرى إخوة يوسف، لما جاء في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ، وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٨، ٥٩] <sup>(١)</sup>.

أما الآيات التي تم الاستدلال بها في ذكر عمل نبي الله يوسف بن يعقوب

عليهما السلام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق فهي ما يأتي:-

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

٣- قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّحْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٧].

٥- قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ، وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٨، ٥٩].

(١) انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٢/٤٦٤)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي

وجه الاستشهاد بالآيات السابقة أن الآيات الواردة تحت الرقم الأول والثاني والثالث تفيد قيام يوسف عليه السلام بالدعوة إلى الله عز وجل والآيات الواردة تحت الرقم الرابع والخامس تفيد قيام يوسف عليه السلام بالعمل في مجال المال وطلب الرزق. إذن فالآيات المذكورة في الموضوع من النصوص القرآنية الدالة على قيام يوسف عليه السلام بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وقيامه بهذا الفعل يبين أن الجمع بين الدعوة وطلب الرزق كان مشروعاً في شريعة يوسف عليه السلام قبل مبعث محمد ابن عبد الله ﷺ من قبل ربه عز وجل.

وأما نبي الله داود عليه السلام، فقد تحدث عنه القرآن الكريم في ثانياً آيات كثيرة ومنها ما بين أن نبي الله داود عليه السلام كان ملكاً ورسولاً، ودعا قومه بني إسرائيل إلى دين الله عز وجل، وأن مما كان من مسئولية دعوته الحكم بين الناس وفصل الخصومات بينهم، وكذلك كان يشاور ابنه سليمان عليه السلام في تسير الأمور والقضاء بين الناس في مملكته<sup>(١)</sup>، وكان مع ذلك يقوم بصناعة الدروع من الحديد لتحصيل رزقه وبذل الخير للناس من إنتاج ذلك العمل اليدوي الذي كان يعمل به ويقوم به بنفسه.

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧-٢٠]. وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وفي رواية عن قتادة «واذكر عبدنا داود ذا الأيدي» قال: أعطي قوة في العبادة وفقها في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر - تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري (٢٨٧/١).

(٢) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن (٥٦١/١٣).

ومعنى (أواب) أي أن داود عليه السلام كان رجاعاً إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك<sup>(٢)</sup>، وفيما شدد ملكه قولان: أحدهما - أنه الحرس والجنود، قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل.

والثاني - أنه هيبة ألقيت له في قلوب الناس، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفتنة، وقال مرة الحكمة والعدل، وقال مرة: الصواب، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه، وقال السدي: ﴿الحكمة﴾ النبوة<sup>(٤)</sup>.

ويمكن جمع هذه المعاني كلها تحت صفة النبوة، لأن من خصائص النبوة العلم والفهم والفتنة والحكمة والعدل والعمل بكتاب الله عز وجل.

وجاء في معنى قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] «أي صيرناك خليفة عن الله في أرضه، تقيم العدل وتنشر الإصلاح أو جعلناك خليفة لمن سبقك من الأنبياء في ذلك ... ..»<sup>(٥)</sup>.

ب- ومن الآيات الدالة على أحوال داود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسَلِيمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ

(١) انظر - جامع البيان في تأويل القرآن (١٣/٥٦١)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٣٩).

(٢) المصدر السابق (٤/٤٠).

(٣) انظر - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٧/١١١)، وانظر - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٤٠، ٤١).

(٤) انظر - المصدر السابق.

(٥) انظر - الدعوة إلى الله تعالى لمحمد أحمد العدوي (ص ٣٢٨)، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٧/١٢٤).

وَكُنَّا فَاعِلِينَ، وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٨-٨٠﴾.

ج- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

وفي رواية عن قتادة قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾. قال كانت - الدروع - قبل داود صفائح: قال: وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود<sup>(١)</sup>. وكان داود عليه السلام يصنع الدرع ويبيع كل درع باثني عشر ألفاً فكان يأكل من ذلك ويتصدق<sup>(٢)</sup>، إضافة إلى قيامه بالدعوة إلى الله عز وجل، قد جاء في رواية عند ابن أبي حاتم: «كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم، ألفين له ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري»<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي سهل له الحديد حتى كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط<sup>(٤)</sup>.

ويستفاد من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾. أن الله تعالى ألهم نبيه داود صناعة هذا النوع من الملابس المفيد للإنسان في كل عصر لكي يلبسه عند حدوث القتال ليقى جسمه من حد السلاح، وهذه نعمة كبرى أنعم الله بها على الإنسان حيث أصبحوا يصنعون هذه الصناعات على مختلف أنواعها مما يستوجب الشكر لله عز وجل على هذه النعم عليهم.

(١) أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن (٥٣/١٧)، وانظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٥٢/٣).

(٢) انظر - الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني (ص ١٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٦/٣).

(٤) المصدر السابق (٦٩٦/٣).

«وفي إيراد الأمر بالشكر على صورة الاستفهام، مبالغة في التقريع والتوبيخ لما فيه من الإيماء إلى التقصير في الشكر»<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠-١١]. يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه السلام مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، وما أعطاه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال والطيور، وعلمه حرفة صناعة الدروع ويقتات بها مع القيام بدعوته إلى دين ربه عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]. إرشاد لداود عليه السلام ومن معه من الأهل والمؤمنين به إلى إصلاح دينهم الذي يشمل القيام بالدعوة والحكم بين الناس، ومتابعة ما في كتاب الله وحسن التصرف والإنفاق فيما أعطاهم الله من النعم في الوجوه المباحة.

وهذا بعد أن أرشدتهم إلى إصلاح دنياهم الذي يشمل طلب الرزق من صناعة الدروع من الحديد وغيرها مما يعود عليهم بالفوائد في حياتهم الدنيوية والأخروية وفق شرع الله عز وجل، لأن الله مطلع على جميع الأمور ولا يخفى عليه شيء من ذلك لما في قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]<sup>(٣)</sup>.

وأما الآيات المذكورة الواردة في قصة داود عليه السلام، والتي تم الاستدلال بها في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فهي ما يأتي:-

١- قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧-٢٠].

(١) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (٢٨٩/١١).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٥/٣).

(٣) انظر- المصدر السابق، وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (١٠/١٤) وفتح القدير الجامع بين ففي الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (٣١٦/٤)، ودعوة إلى الله تعالى لحمد أحمد العدوي (ص ٣١٤).

٢- وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

٣- قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ، وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لَتُخَصِّنَّكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ أَفَلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٨٠].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

وجه الاستشهاد بالآيات، أن الآية في الرقم الأول والرقم الثاني تفيد قيام داود عليه السلام بالدعوة إلى الله والآية في الرقم الثالث والرابع تفيد قيام داود عليه السلام بالجمع بين الدعوة والعمل في مجال المال وطلب الرزق.

وهذه الآيات من النصوص القرآنية التي أثبتت قيام داود عليه السلام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في عصره، كما ورد في حديث النبي ﷺ: «... وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>.

وقيامه بهذا الجمع يؤكد مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق قبل إرسال نبي الله محمد ﷺ بالوحي إلى أمته.

إذن فالجمع بين الدعوة إلى الله والسعي لطلب الرزق للإنفاق على النفس والأهل ومصالح الدعوة، كان مشروعاً في دين الأنبياء والرسل الذين منهم يوسف بن يعقوب وداود عليهم الصلاة والسلام قبل مبعث النبي محمد بن عبد الله ﷺ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب رقم (١٥) (٣٥٥/٤) سبق تخريجه في (ص: ٤٧) من هذا البحث.

## المطلب الثاني: آيات في مشروعية الجمع بين الدعوة

وطلب الرزق بعد مبعث نبي الله محمد ﷺ

قد وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تدل على مشروعية الجمع بين

الدعوة وطلب الرزق في عصر النبي ﷺ، ومن تلك الآيات ما يأتي:-

١- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>، فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨، ٦٩].

إن هذه الآيات من الآيات الدالة على إباحة الغنيمة للنبي ﷺ وأمته، وهي

نزلت في النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في إقرار تصرفهم المقبول في غنيمة غزوة بدر، وذلك أنهم أخذوا الغنائم وقبلوا الدية من الأسرى قبل أن يؤمروا بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في معنى قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾. خمسة أقوال:

أحدها- لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم فيما

تعجلتم من المغام والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم فنزلت الآية.

والثاني- لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة

لعوقبتهم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن إسحاق: سبق أن لا عذاب إلا بعد النهي، ولم يكن فهاهم.

(١) قد رد الإمام ابن الجوزي على الكلام بنسخ الآية، فقال: «وقد روى عن ابن عباس، ومجاهد في آخرين: أن هذه الآية: منسوخة بقوله: ﴿فَإِذَا مَتَّى بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ [محمد: ٤]. وليس للنسخ وجه، لأن غزوة بدر كانت وفي المسلمين قلة فلما كثروا واشتد سلطانهم، نزلت الآية الأخرى، وبين هذا قوله: ﴿حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]. انظر- زاد المسير في علم التفسير له (٣/٣٨١).

(٢) انظر- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (١٠/٢٨٦-٢٩١) وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٤٢٩-٤٣١).



والثالث- لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن وابن جبير وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، ذكره الزجاج.

والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعذبتم، ذكره الماوردي. ولكن بعض العلماء المحققين كالإمام القرطبي والإمام ابن جرير الطبري يفضلون تعميم المعنى لكل ما ذكر في الآية دون أن يكون محصوراً لمعنى دون معنى<sup>(١)</sup>.

وورد في المراد بالكتاب قولان:

أحدهما- أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

والثاني- أنه القرآن<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]. يقول الله تعالى للمؤمنين من أهل بدر فكلوا مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً طيباً بإحلاله لكم واتقوا الله وخافوه أن تعودوا إلى أن تفعلوا في دينكم شيئاً بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة حيث أخذتموها من قبل أن يحل لكم، إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها رحيم بكم إذ أحلها لكم<sup>(٣)</sup>.

والآيتان من الأدلة الصريحة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق للأمة المحمدية.

وجه الاستشهاد بالآيتين: أن الله سبحانه وتعالى أباح الاكتساب من الغنائم للنبي ﷺ، وأصحابه ﷺ وهم الدعاة الأوائل إلى الإسلام في صدر الإسلام، وعملوا بهذه الآيات فجمعوا بين دعوتهم واكتساب أرزاقهم من أموال الغنيمة وغيرها،

(١) انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣/ ٣٨١، ٣٨٢)، وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٢٨٨-٢٩١)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٨/ ٣٣، ٣٤).

(٢) انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣/ ٣٨٢).

(٣) انظر- المصدر السابق (٣/ ٣٨٢)، وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (١٠/ ٢٩١).

والرسول ﷺ قدوة لأمته في كل عصرها، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

والآيات كثيرة في إباحة الغنيمة والفبيء وتنظيم أمرهما من بيان تقسيمهما ومصارفهما للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في القرآن الكريم، وهذه الآيات مفيدة للاستدلال بها في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لقيام النبي ﷺ وأصحابه بالدعوة والجهاد والاكْتِسَاب من الغنيمة والفبيء وفق إرشادات تلك الآيات الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال الإمام ابن كثير عند شرح الآية: «يقول تعالى مبيناً ما الفبيء وما صفته وما حكمه فالفبيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالوة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفأه على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَقَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

واتفق العلماء على أنه قبل فرض الخمس كان يعطى الغنيمة للغنائم بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، فلما فرض الخمس أن تبين للغنائم أربعة أخماس الغنيمة لا

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٢٩).

يشاركهم فيها أحد، وإنما خص النبي ﷺ بنسبة الخمس إليه إشارة إلى أنه ليس للغائبين فيه حق بل هو مفوض إلى رأيه<sup>(١)</sup>.

وقوله النبي ﷺ وفعله وتقريره في الأعمال الشرعية مصدر من مصادر التشريع الإسلامي لدخول ذلك في مسمى الحديث الذي يستدل به في الدين<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر: «وقد من الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول، فله الحمد على نعمه تترى»<sup>(٣)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].  
وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾: أي يدخل هؤلاء الفقراء المهاجرون في الفقراء المتقدم ذكرهم في قوله تعالى في الآية السابقة لها: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾. المستحقين لمال الفيء فيكون قوله: للفقراء بدل من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾. وقيل قوله: الفقراء. عطف على ما مضى ذكره من المستحقين لمال الفيء ولم يأت بواو العطف كقولك: هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان. وهناك توضيحات أخرى غير ما ذكر<sup>(٤)</sup>.

والمراد بالمهاجرين هنا: من هاجر إلى النبي ﷺ حباً فيه ونصرة له حيث أحوجهم الكفار إلى الخروج من ديارهم وأموالهم في مكة ففروا بدينهم ولحقوا برسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

وخروجهم بدون ديار ولا أموال وابتغائهم للرزق الذي يسددون به حوائجهم من الأسباب التي يستحقون بها مال الفيء.

(١) فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٢٥١/٦).

(٢) انظر بالتصرف مجموع فتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٠، ٩/١٨).

(٣) فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري له (٢٥٨/٦).

(٤) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥، ١٤/١٨)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام

العلامة الألوسي البغدادي (٥١، ٥٠/٢٨).

قد وصف الله هؤلاء المهاجرين بعدة صفات في الآية الكريمة مما يدل على رفع شأنهم عند الله عز وجل. ومن هذه الصفات ما يأتي:

أحدها - أنهم هاجروا إلى المدينة للأهداف الأخروية.

الثانية - أنهم يبتغون الرزق في الدنيا من غنيمة وغيرها ليسدوا به حوائجهم وفق ما يتطلبه دينهم.

الثالثة - أنهم يطلبون مرضاة ربهم في الآخرة.

الرابعة - أنهم ينصرون دين الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وينصرون رسوله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والجهاد معه في سبيل الله والدعوة إلى دينه، وغير ذلك.

الخامسة - أنهم هم الصادقون حقاً في تطبيق هذه الأفعال كلها<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة من الأدلة الصريحة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لأمة محمد ﷺ.

وجه الاستدلال بالآية: أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة المهاجرين في الآية ووصفهم بأوصاف متعددة التي تدل على صدق إيمانهم وتوكلهم على الله عز وجل ورفع شأنهم عند الله عز وجل. فكان من تلك الصفات أنهم يجمعون بين طلب الأرزاق في الدنيا ومناصرة الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله الذي هو إحدى وسائل الدعوة إلى دين الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ لما في الآية: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. أي يبتغون فضلاً من الله بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله بالجهاد للكفار أولئك هم الكاملون في الصدق والراسخون فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤/١٥)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام

العلامة الألوسي البغدادي (٥٠/٥١)، تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٣٢).

(٢) انظر - زبدة التفاسير من فتح القدير على هامش القرآن الكريم للدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر (ص: ٨٣١).

والآيات كثيرة بالثناء الإلهي على جهود الصحابة في خدمة الدين والدعوة إلى الله وغيرها في القرآن الكريم.

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

إن هذه الآيات نزلت في الصحابة عليهم السلام حين أرادوا أن يعلموا أحب الأعمال إلى الله ليعملوه، فأرشدهم سبحانه وتعالى إلى التجارة الأخروية مع الله عز وجل وبين صفة هذه التجارة، وهي أنها تكون بالإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، ثم ذكر أرباح هذه التجارة: أنها النجاة من النار وغفران الذنوب ودخول الجنة، والفوز برضا الله عز وجل، والنصر على الأعداء في الدنيا<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. هذا جواب الجملة الخيرية: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. لأن معناها معنى الأمر أي آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله فإذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات. وقيل غير ذلك في معنى الآية، وهذا المعنى المذكور أوضح لقربه إلى سياق الآية<sup>(٢)</sup>.

إذن الآيات من الأدلة الصريحة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لحمد عليه السلام وأمته.

وجه الاستشهاد بالآيات: أن الله سبحانه وتعالى بين للمؤمنين أن التجارة الناجحة مع الله سبحانه وتعالى تكمن في الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

(١) انظر- تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام البغوي (١٠٩/٨-١١٠)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٦٣/٤-٤٦٤).

(٢) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٥٧/١٨، ٥٨)، وصفوة التفسير لمحمد علي الصابون (٣٧٤/٢) ط/ دار القرآن الكريم بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

والجهاد<sup>(١)</sup> في سبيل الله وسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله عز وجل، وأما الجهاد بالمال فلا يتحقق إلا بالسعي لطلب المال، والجهاد في سبيل الله واجب شرعي، وما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب.

إذن فالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق مشروع للنبي ﷺ وأُمَّته.

٤- قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٧، ٣٨].

وبين المفسرون أن الآيات نزلت في أهل الأسواق من الصحابة الباعة والمشتريين، وكانوا إذا سمعوا النداء تركوا كل شغل وبادروا لطاعة الله، وذلك بياناً لهذا الفعل الجميل منهم ليقتندي بهم في ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومما قيل في قوله: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ أي لا تشغلهم، وخص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن الصلاة<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ اختلف في تأويله، فقال عطاء: يعني حضور الصلاة، وقاله ابن عباس، وقال: المكتوبة. وقيل: عن الأذان، ذكره يحيى بن سلام وقيل: عن القيام بحق الله، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>، وقيل: عن ذكره بأسمائه الحسنى، أي يوحّدونه

(١) الجهاد يأتي على صور عديدة: جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن الملمات والشهوات، وجهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم، وجهاد أعداء الله بالنفس والمال نصرته لدين الله عز وجل. انظر- التفسير الكبير للإمام فخر الرازي (٢٧٤/٢٩، ٢٧٥)، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابون (٣/٣٧٤).

(٢) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٤/١٢)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٩٤/٢، ٣٩٥)، صفوة التفاسير لمحمد علي الصابون (٣٤١/٢، ٣٤٢).

(٣) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٤/١٢).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأعمى أحد علماء التابعين والأئمة العاملين، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين منهم سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وأبو العالية وزرارة بن أوفى، وعطاء، ومجاهد، ومحمد بن سيرين وغيرهم وحدث عنه جماعات من الكبار كأبيوب، وحامد بن مسلمة وحيد الطويل، وسعيد بن أبي عروبة، والأعمشي، وشعبة وغيرهم، قال عنه محمد بن سيرين هو من أحفظ الناس، وقال عن نفسه ما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبي. توفي رحمه الله تعالى سنة ١١٧ بواسط في الطاعون. انظر- البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣١٧/٩).

ويعمدونه<sup>(١)</sup>. وهذا القول الأخير أقرب إلى المعنى لسبق ذكر إقامة الصلاة في الآية، والأذان يتبع الصلاة، ولك ما ذكر في المعنى حق لله عز وجل على العباد<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: فلم كرر ذكر البيع والتجارة تشمله. قيل له: أراد بالتجارة الشراء لقوله: ولا بيع. نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]. قاله الواقدي. وقال الكلبي: التجار هم الجلاب المسافرون، والباعة هم المقيمون<sup>(٣)</sup>.

الآية الكريمة من الأدلة القرآنية على مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق للنبي ﷺ وأمته.

وجه الاستشهاد بالآية: أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة الذين جمعوا بين السعي لطلب الأرزاق والمبادرة إلى طاعة الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وذكر الله عز وجل، ووعدهم على أداء تلك الحقوق الإلهية، بالجزاء الحسن ومزيد الفضل لهم.

والدعوة إلى دين الله حق من حقوق الله على عباده، فينبغي إلحاقها بذكر الله المذكور في الآية، وقد ورد تفسيره عند بعض المفسرين أن ذكر الله هو القيام بحق الله عز وجل.

إذن فالآيات مما يدل على مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق لمحمد ﷺ وأمته، والعبرة في العمل بالآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: «كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم إذا نأهم حق من حقوق الله لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله»<sup>(٥)</sup>.

وثناء الله عز وجل على امتثال الصحابة ﷺ لأمر الله ورسوله ﷺ بالآيات كثيرة في القرآن الكريم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٤/١٢)، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٨/٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٤/١٢).

(٣) انظر - المصدر السابق، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٧/٦).

(٤) انظر - مباحث في علوم القرآن لمناح القطان (ص ٨٢ - ٨٥) ط/مكتبة الوهبة - القاهرة الطبعة السادسة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٥) فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٣٤٨/٤).

وأما الآيات القرآنية المذكورة والمستدلة بها في الموضوع فيقاس عليها غيرها من الآيات المشابهة والمماثلة لها في الاستدلال بها على مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الدين الإسلامي، حيث ليس المقصود هنا حصر جميع الآيات الواردة في هذه المسألة.



## المبحث الثاني

مشروعة الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في السنة المطهرة

### المطلب الأول

أحاديث في قيام النبي ﷺ بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق

### المطلب الثاني

أحاديث في إقرار النبي ﷺ للصحابة على الجمع  
بين الدعوة وطلب الرزق

### المطلب الثالث

نوعية حكم الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المبحث الثاني

## مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في السنة المطهرة

المراد بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في السنة هو ثبوت هذا الفعل عن طريق الرسول ﷺ وهدية من قول أو فعل أو تقرير منه ﷺ. ويأتي توضيح هذا الإثبات النبوي للجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المطالب التالية:

**المطلب الأول:** أحاديث في قيام النبي ﷺ بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق  
أما الأحاديث في قيام النبي ﷺ بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق فكثيرة منها ما يأتي:-

الحديث الأول: ما جاء في رواية عمر ﷺ قال: «كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع<sup>(١)</sup> عدة في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

وجه الاستشهاد بالحديث: أن النبي ﷺ كان يكتسب رزقه من أموال الكفار سواء ما كان فيئاً أو غنيمة، فينفق منها على نفسه وأهله وعلى مصالح الدعوة إلى الله؛ وعلى مصالح المسلمين المحتاجين، كما جاءت بذلك رواية عن عمر أنه قال: «كانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا<sup>(٣)</sup>: بنو نضير وخيبر وفدك<sup>(٤)</sup> فأما بنو نضير فكانت

(١) (الكراع): بضم الكاف أي الخيل. انظر- عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق (١٨٦/٨).  
(عدة) بالضم والتشديد قال في المصباح: العدة بالضم الاستعداد والتأهب. العدة ما أعدده من مال أو سلاح أو غير ذلك والجمع عدد مثل غرفة غرف. انظر- المصدر السابق (١٨٦/٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب رقم (٣) (٤٩٨/٨).

(٣) (صفايا) هي جمع صفية وهي ما يصطفى ويختار، قال الخطابي: الصفي ما يصطفيه الإمام عن أرض الغنيمة من شيء قيل أن يقسم من عبد أو جارية أو فرس أو سيف أو غيرها، وكان ﷺ مخصوصاً بذلك مع الخمس له خاصة وليس ذلك لواحد من الأئمة بعده. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي طيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (١٩٠/٨).

(٤) (فدك): بفتحين بلد بينه وبين المدينة ثلاث مراحل، قاله القسطلاني في القاموس: فدك محركة قرية بخير. انظر- عون المعبود (١٩٠/٨).

حسباً لنوائبه<sup>(١)</sup> وأما فذك كانت حسباً لأبناء السبيل وأما خير فجزأها رسول الله ﷺ ثلاثة أجزاء: جزأين بين المسلمين وجزأً نفقة أهله فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك كان رسول الله ﷺ يستثمر هذه الأموال بالطرق المتعارف عليها بين الناس في العمل لنمو الأموال وفق شريعته ﷺ لما جاء في رواية عمر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم»<sup>(٣)</sup>.

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أعطى خير اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها»<sup>(٤)</sup>. وفي صدور هذا العمل الاكتسابي للرزق من قبل الرسول ﷺ إضافة إلى قيامه بأداء المهمة الدعوية المنوطة بعاقته دلالة واضحة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لأتمته وأنه سنة من سنته ﷺ.

الحديث الثاني: ما جاء في رواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»<sup>(٥)</sup>.

وبين الإمام ابن حجر أن هذا الحديث طرف من الحديث التالي وهو ما جاء في رواية مسند الإمام أحمد ( رحمه الله ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك

(١) (النوائبه): أي لحوائجه وحوادثه من الضيفان والرسول وغير ذلك من السلاح والكراع. قال الطيبي: هي جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان أن يترل به من المهمات والحوائج. انظر - عون المعبود (٨/١٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سنته كتاب الحراج والقيء والإمارة باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٢٩٦٧) تحقيق محمد محي الدين عبد الحمدي (٣/١٤١) ط/دار الفكر.

وبين الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أن الحديث حسن الإسناد. انظر صحيح سنن أبي داود، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢/٢٣٩).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب النفقات باب رقم (٣) رقم الحديث (٥٣٥٧) (٩/٤١٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الحرت والمزراعة باب رقم (١٢) رقم الحديث (٢٢٣١) (٥/١٩).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب رقم (٨٨) (٦/١١٥)، وروى الإمام البخاري هذا الحديث بصيغة التمرير بقوله: يُذكر عن ابن عمر رضي الله عنه الحديث. انظر - فتح الباري (٦/١١٦).

له وجعل رزقي تحت ظل رحمي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الإمام ابن حجر بعض الفوائد والمعاني حول الحديث، ومنها ما يأتي:-

وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح، وإلى حل الغنائم لهذه الأمة، وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب، ولهذا قال بعض العلماء إنها أفضل المكاسب.

وقوله «تحت ظل رحمي» فيه إشارة إلى أن ظله ممدود إلى أبد الآباد، والحكمة في الاختصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أن عادتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن الاكتساب من الغنيمة والفبيء هدفاً للجهاد بل كان فائدة من الفوائد التي منحها الله للمجاهد في سبيله، كما هي مذكورة في حديث النبي ﷺ عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»<sup>(٣)</sup>.

وجه الاستشهاد بالحديث: أن النبي ﷺ صرح باكتساب رزقه من أموال الكفار التي يخلفها الجهاد من فبيء وغنيمة، ولما كان هذا المكسب من مكاسب الرزق للرسول مع مواصلة قيامه بالدعوة إلى الله عز وجل، فتبين أن الجمع بين الدعوة وطلب الرزق مشروع بقول الرسول وفعله ﷺ له ولأمته كما يظهر استمراره على

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٥٠/٢) ط/ دار الفكر. وبين الإمام ابن حجر أن الحديث طرف من حديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٥٠/٢) ط/ دار الفكر. وأبو ثويب لا يعرف اسمه، وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن ساعد بن جبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتمامه. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري له (١١٥/٦، ١١٦).

(٢) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١١٦/٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس باب رقم (٨) رقم الحديث (٣١٢٣) (٢٥٣/٦، ٢٥٤).

الدعوة إلى عبادة الله في أول الحديث: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث يظهر اكتسابه الرزق مع دعوته في قوله: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»<sup>(٢)</sup>.

إذن فالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق ثابت بسنة الرسول ﷺ.

الحديث الثالث - ما جاء في رواية عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: «كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ هل مع أحد منكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فُعِجْنَ ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانُ<sup>(٣)</sup> طويل بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ، أبيع أم عطية - أو قال هبة؟ قال لا، بل بيع، قال: فاشتري منه شاة فصُنَعَتْ فأمر نبي الله ﷺ بسواد البطن يُشَوَّى، وأتم الله ما من الثلاثين ومائة إلا قد جَزَلَهُ حُزْرَةٌ من سواد بطنها، إن كان شاهداً أعطاه إياه وإن كان غائباً خبأها له، ثم جعل فيها قصعتين، فأكلنا أجمعون وشبعنا، وفضل في القصعتين فَحَمَلْتُهُ على البعير، أو كما قال»<sup>(٤)</sup>.

ومن الفوائد التي ذكرها الإمام ابن حجر حول الحديث، مباشرة الكبير والشريف شراء الحوائج وإن كان له من يكفيه إذا فعل ذلك على سبيل التواضع، والافتداء بالنبي ﷺ فلا يشك أحد أنه كان له من يكفيه ما يريد من ذلك ولكنه كان يفعلته تعليمًا وتشريعًا<sup>(٥)</sup>.

قال ابن بطال: معاملة الكفار جائزة، إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين. واختلف العلماء في مبايعة من غالب ماله الحرام، وحجة من رخص فيه

(١) سبق تخريج الحديث في صفحة (٩١، ٩٢).

(٢) سبق تخريج الحديث في صفحة (٩١، ٩٢).

(٣) (مشعان) بضم الميم وسكون المعجمة بعدها مهملة وآخره ثقيلة أي طويل شعث الشعر. انظر - فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني (٤/٤٧٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة باب رقم (٦) رقم الحديث (٥٣٨٢) (٩/٤٣٧).

(٥) انظر - المصدر السابق (٤/٣٧٤).

قوله ﷺ للمشرك «أبيع أم هبة»<sup>(١)</sup>. وكما اشترى ﷺ من المشرك كذلك كان يشتري من المسلمين، كما دل على ذلك شراء النبي ﷺ جملأً من عمر بن الخطاب وشراؤه بغيراً من جابر بن عبد الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

والحديث يدل على قيام النبي ﷺ بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق تشريعاً وتعليماً لأئمة.

وجه الاستشهاد بالحديث: أن النبي ﷺ كان يكتسب رزقه بشراء ما يحتاج عليه من حوائجه وحوائج المسلمين، ومن هذا النوع الاكتسابي شراؤه الشاة من الرجل المشرك ثم أمره ﷺ بصنع تلك الشاة طعاماً له وللصحابة ﷺ الذين كانوا يعانون الجوع معه فأكلوا منه حتى شبعوا.

وهذا الفعل منه مما يدل على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لأئمة، حيث كان النبي ﷺ يقوم بهذا العمل الاكتسابي إضافة إلى قيامه بالدعوة إلى الله، واستمر عليه وفق مقتضى أحواله الدعوية والمالية ﷺ.

(١) فتح الباري للإمام ابن حجر (٤/٤٧٨، ٤٧٩).

(٢) انظر - المصدر السابق (٤/٣٧٤، ٤٧٥).

المطلب الثاني- أحاديث في إقرار النبي للصحابة على الجمع بين الدعوة وطلب الرزق  
قد جاء إقرار الرسول ﷺ بأساليب كثيرة للصحابة في القيام بواجب الدعوة  
إلى الله مع سعيهم لكسب الرزق، ومنها ما يأتي:

أ- السكوت وعدم التعرض بالإنكار عليهم لاستقامة عملهم وفق هديه ﷺ.  
ومن الصور الدالة على هذا الأسلوب ثبات أبي بكر ﷺ على عمله التجاري  
مع قيامه بالدعوة طوال حياة الرسول ﷺ ولم يلق إنكاراً منه بل كان ينفق على  
الدعوة وعلى نفسه وأهله، وقد رضي عليه الرسول ﷺ في هذا العمل.  
كما جاء في رواية عائشة رضي الله عنها قالت: «لما استخلف أبو بكر  
الصدیق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مَوْوَنَةِ أهلي، وشَغِلْتُ بأمر  
المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه»<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط، ما  
نفعني مال أبي بكر» قال فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله! هل أنا ومالي إلا لك؟ يا  
رسول الله!«<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ثبات المهاجرين على عملهم التجاري، وثبات الأنصار على عملهم  
الزراعي مع مواصلة المهمة الدعوية وفق أحوالهم المالية والدعوية طوال فترة حياة  
الرسول ﷺ، دون أن ينكر عليهم شيئاً من ذلك العمل كما في رواية أبي هريرة رضي  
الله عنه قال: إنكم تقولون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون: ما  
بال مهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ؟ ... وإن إخوتي من المهاجرين  
كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب رقم (١٥) رقم الحديث (٢٠٧٠) (٣٥٥/٤).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه المقدمة باب رقم (١١) رقم الحديث (٩٤) (٣٦/١). وذكر الشيخ محمد فؤاد عبد  
الباقي: أن إسناد الحديث إلى أبي هريرة فيه مقال. لأن سليمان بن مهران يدلس. وكذا أبو معاوية. إلا أنه صرح  
بالتحديث، فزال التدليس، وباقي رجاله ثقات. اهـ. الزوائد. انظر- سنن الإمام ابن ماجه (٣٦/١). والحديث صحيح.  
انظر صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢٢/١).

غابوا، وأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصُّفَّةِ أعي حين يَنْسَوْنَ...»<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء الصحابة كانوا مرضيين من قبل الرسول ﷺ لاستقامة عملهم الدعوي والمالي وغيره مما جعله يكثر الثناء عليهم في أماكن كثيرة منها ما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(٢)(٣)</sup>.

وبين القاضي عياض<sup>(٤)</sup>: أن سبب تفضيل نفقتهم إنما كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته وذلك معدوم بعده وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]. الآية. هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده وفضيلة الصعبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا يؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكذلك قال القاضي: ومن أصحاب الحديث من يقول هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته وقاتل معه وأنفق وهاجر ونصر، لا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبته آخراً بعد الفتح وبعد إعزاز الدين ممن لم يوجد له هجرة ولا أثر في الدين، ومنفعة المسلمين قال والصحيح هو الأول وعليه الأكثرون. والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث، كتاب البيوع باب رقم (١) رقم الحديث (٢٠٤٧) (٣٣٦/٤)، (٣٣٧).

(٢) (نصيفه) قال أهل اللغة النصف وفيه أربع لغات: نصف بكسر النون، ونصف بضمها ونصف بفتحها ونصيف بزيادة الياء حكاية القاضي عياض في المشارق عن الخطابي. انظر - شرح صحيح الإمام مسلم للإمام النووي (٣٢٧/١٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب رقم (٥٤) رقم الحديث (٢٥٤٠) (٣٢٦/١٦).

(٤) القاضي عياض هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم، ومن مؤلفاته «الإكمال في شرح كتاب مسلم» و«مشارق الأنوار» في غريب الموطأ والصحيحين. ولي القضاء فحمدت سيرته فيه، ولد بمدينة سبتة ٤٧٦ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ (رحمه الله). انظر - وفيات الأعيان «وأبناء أبناء الزمان» لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٤٨٣/٣ - ٤٨٥).

(٥) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣٢٧/١٦).



«واتفق أهل العلم على أن إقرار النبي ﷺ لما يفعل أو يقال بحضرته، ويطلع عليه بغير إنكار يفيد الجواز، لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يقر على باطل»<sup>(١)</sup>.

ب- إرشاد الرسول ﷺ الصحابة إلى الصواب في العمل الاكتسابي للرزق ومن الصور الدالة على ذلك بيانه للصحابة كيفية الحصول على نصيبهم ورزقهم في قرى الضيف من أموال الناس الذين كانوا يُعْرِضُونَ عن أداء واجب ضيافتهم في طريقهم لتنفيذ المهمة الدعوية. وفي هذا الإقرار دلالة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق للصحابة وغيرهم من الدعاة.

كما جاء في رواية عقبة بن عامر ﷺ أنه قال: « قلنا: يا رسول الله إنك تبعثنا فترل بقوم فلا يقروننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»<sup>(٢)</sup>. وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب الإرشادي في مواقف كثيرة مع الصحابة ﷺ. ومنها تصويبه اكتساب بعض الصحابة ما أعطوا في الرقية على سيد حي من أحياء العرب بفاتحة الكتاب؛ وذلك في طريقهم لأداء مهمة دعوية حيث كانوا في سرية عليها أبو سعيد ﷺ. وقال رسول الله ﷺ للذي رقى: «وما يدريك أنها رقية؟!» وهي كلمة تقال عند التعجب من الشيء وتستعمل في تعظيم الشيء أيضاً وهو لائق هنا، وقال بعد ما رجع الصحابة بالجعل، وسأله عن حكم عملهم: «قد أصبتم، أقسموا واضربوا لي معكم سهماً، فضحك النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر - أفعال الرسول ﷺ ودلالته على الأحكام للدكتور محمد العروسي عبد القادر (ص: ٢٣٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، الأدب رقم (٧٨) باب رقم (٨٥) رقم الحديث (٦١٣٧) (٥٤٨/١٠).

(٣) انظر - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر (٤/٥٢٩-٥٣٢ و ٥٣٤، ٥٣٥)، والحديث بطوله أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإجارة باب رقم (١٦) رقم الحديث (٢٢٧٦) انظر - المصدر

السابق (٤/٥٢٩-٥٣٠).

## ج- التعامل مع أصحاب المهنة التي بها تكتسب المال

قد تعامل الرسول ﷺ في عهده مع أصحاب الحرف والمهن من الصحابة إقراراً منه على إباحة تلك المهن وبيان صلاحية الجمع بين تلك المهن والدعوة إلى الله ﷻ وفق ما ترتضيه الشريعة الإسلامية.

ومن الصور الدالة على هذا الأسلوب، ما جاء في استجابة النبي ﷺ دعوة الصحابي الخياط إلى طعام صنعه للرسول ﷺ، وأكله ﷺ من كسب هذا الخياط بهذه المهنة وغيرها، في أوقات فراغهم من المهمة الدعوية، حيث كانوا يؤدون الأعمال الدعوية بين حين وآخر، وفي إجابة دعوة الخياط وأكل طعامه من قبل الرسول ﷺ إقرار منه على مشروعية اتخاذ المهنة وسيلة للتكسب إضافة إلى القيام بالدعوة إلى الله.

كما في رواية أنس بن مالك<sup>(١)</sup> ﷺ يقول: «إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً ومرقاً فيه دُبَاء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتبع الدباء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك إقراره ﷺ مهنة النجارة لغلام المرأة الأنصارية واستعانت به في صنع منبره الذي كان يخطب عليه ﷺ، لما في رواية عن أبي حازم قال: «أتى رجال إلى سهل بن سعد يسألونه عن المنبر فقال: بعث رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأة قد سماها سهل - أن مري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس فأمرته يَعْمَلُهَا من طَرَفَاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ بها فأمر بها فوضعت، فجلس عليه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أنس بن مالك: هو الصحابي الجليل أبو حمزة الأنصاري النجاري ولد قبل الهجرة بعشر سنين خدام النبي ﷺ وروى عنه وهو من المكثرين في الرواية عنه، دعا له النبي ﷺ بالبركة في المال والولد، وقد لازم النبي ﷺ وشهد معه المشاهد وكان له اهتمام بالزراعة، قال أبو العالية: وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين وكان فيها ربحان يجي منه المسك، واختلف في سنة وفاته فقيل: توفي سنة ٩١هـ وقيل: ٩٢هـ. انظر - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣/٣٩٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب البيوع باب رقم (٣٠) رقم الحديث (٢٠٩٢) (٤/٣٧٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٣٢) رقم الحديث (٢٠٩٤) (٤/٣٧٣).

## د- استحسان العمل الاكتسابي للرزق

إن النبي ﷺ كان يستحسن قيام الصحابة باكتساب أرزاقهم، بما يرى من أساليب التأيد على ذلك الاكتساب الذي يقوي أحوالهم المالية والدعوية. ولهذا الأسلوب صور عديدة ومنها: إقراره عمل عبد الرحمن بن عوف بالتجارة إثر وصوله بالمدينة المنورة مهاجراً إليها دون أن يعتمد على غيره في تحمل معاناة تلك التجارة مع شدة احتياجه إلى المال نتيجة خروجهم من ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله ورسوله ﷺ حيث شجعه الرسول ﷺ في حسن التمتع والتصرف في أرباح تجارتها حيث قال له بعد تزوجه من أرباح تجارتها «أولم ولو بشاة». وهذا الإقرار يدل على مشروعية قيام الداعية بالجمع بين الدعوة والسعي لرزقه.

كما جاء في رواية عبد الرحمن بن عوف<sup>(١)</sup> «لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع<sup>(٢)</sup>: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. قال: فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال سوق قينقاع. قال فغدا إليه عبد الرحمن فأتي بأقط وسمن. قال: ثم تَابَعَ الْعُدُوَّ<sup>(٣)</sup>، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ تزوجت؟ قال:

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، وأسد رزمة أمرهم إليه حتى بايع عثمان. وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وبعثه النبي ﷺ إلى دومة الجندل وأذن له أن يتزوج بنت ملكهم وروى عن النبي ﷺ وعن عمر وروى عنه أولاده إبراهيم وحيد، وعمر ومصعب وأبو سلمة. وابن ابنه المسور بن إبراهيم، وابن أخته المسور بن مخزومة، وابن عباس، وابن عمر وجبير بن مطعم وجابر وأنس وغيرهم. تصدق بشطر ماله على عهد رسول الله ﷺ، ثم تصدق بعده بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة. انظر - الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٤٠٨/٢).

(٢) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، بن مالك بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، كان أحد نقباء الأنصار ليلة العقبة وهو ممن شهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيداً، مات وهو يوصي قومه بالوفاء بما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة فقال فيه رسول الله ﷺ: «رحمه الله نصح الله ورسوله حياً وميتاً». انظر - الاستيعاب في معرفة الأصحاب في هامش الإصابة (٣١/٢-٣٢).

(٣) (تابع العدو): أي دوام الذهاب إلى السوق للتجارة. انظر - فتح البخاري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر (٣٤٩/٤).

نعم. قال: ومن؟ قال: امرأة من الأنصار. قال كم سقت؟ قال: زنة نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال له النبي ﷺ: أو لم ولو بشاة»<sup>(١)</sup>.

وللحديث فوائد كثيرة منها: اشتغال بعض الصحابة بالتجارة في زمن النبي ﷺ وتقريره للصحابة على ذلك. أن الكسب من التجارة ونحوها أولى من الكسب من الهبة ونحوها<sup>(٢)</sup>.

وجه الاستشهاد بالأحاديث المذكورة في المبحث الثاني: أن الصحابة كانوا أحرص الناس على القيام بالدعوة إلى الله، ونشر الإسلام والفوز برضا الله ﷻ، ورضا رسوله ﷺ في جميع الأمور، ومع ذلك كله كانوا يسعون لكسب أرزاقهم بطرق الاكتساب المشروعة بمراى ومسمع رسول الله ﷺ، دون أن ينكر عليهم، بل كان يتعاون معهم أحياناً، ويرشدهم إلى الصواب كلما اقتضى تحقيق العمل لذلك، وهذا الإقرار منه ﷺ لفعلهم لدليل على مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق لأمة محمد ﷺ وأنه سنة من سننه عليه الصلاة والسلام، ينبغي للدعاة في كل عصر أن يسيروا عليها وفق الهدي النبوي.

وأما الأحاديث المذكورة المستدلة بها في الموضوع فيقاس عليها غيرها من الأحاديث المشابهة والمماثلة لها في اللفظ والمعنى أو في المعنى لكي تكون صالحة للاستدلال بها، في مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله في طلب الرزق في العهد النبوي وما بعده، حيث إن حكم النبي ﷺ على أحد من الصحابة يدخل فيه غيره من الصحابة وغيرهم من أفراد أمته ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (١) رقم الحديث (٢٠٤٨) (٣٣٧/٤).

(٢) انظر - فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٤٠/٤).

(٣) انظر - العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الخنيلي (٣٣١/١).

## المطلب الثالث: نوعية حكم الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

ومن خلال عرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء حول تلك النصوص الشرعية، ظهر فيها للباحث ما يدل على تحديد حكم تكليفي خاص بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، استناداً في ذلك على مدلولات الأدلة الشرعية وهي كالاتي:

أ- إن الآيات القرآنية أثبتت وجوب الدعوة إلى الله<sup>(١)</sup> كما جاءت أيضاً بوجوب طلب الرزق<sup>(٢)</sup>.

إن النبي ﷺ حث الناس على الدعوة وأمرهم بها<sup>(٣)</sup> كما حثهم على طلب الرزق وأمرهم به<sup>(٤)</sup>.

وثبت أنه ﷺ جمع بين هذين الواجبين طوال حياته ﷺ، وأقر الصحابة على القيام بهما بقدر طاقتهم وأحوالهم<sup>(٥)</sup>.

ب- جاءت النصوص الشرعية الكثيرة بصيغة العموم تحت على الجهاد والدعوة إلى الله بالمال والنفس، كما في قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]<sup>(٦)</sup>.  
والأمر في قوله: «انفروا - وجاهدوا» يقتضي الوجوب، فوجوب الجهاد والدعوة بالمال لا يتحقق إلا بالعمل والسعي للحصول على المال.

(١) راجع النصوص القرآنية في وجوب الدعوة في صفحة (٣٧) من هذا البحث.

(٢) راجع النصوص القرآنية في وجوب طلب الرزق في صفحة (٤٤) من هذا البحث.

(٣) راجع النصوص الحديثية في وجوب الدعوة في صفحة (٣٩) من هذا البحث.

(٤) راجع النصوص الحديثية في وجوب طلب الرزق في صفحة (٤٧) من هذا البحث.

(٥) راجع النصوص الحديثية في إقرار الرسول للصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صفحة (٦٩، ٨٤) من هذا البحث.

(٦) راجع النصوص القرآنية والحديثية في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صفحة (٧٢) من هذا البحث.  
واختلف العلماء في هذه الآية وقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]. وقيل: بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والصحيح أنها ليست بمنسوخة، انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٩٦/٨).

ووجوب الجهاد والدعوة بالمال والنفس لا يتحققان إلا بالجمع بين أداء الدعوة والجهاد والسعي لطلب المال<sup>(١)</sup>، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والعبرة في العمل بأحكام النصوص الشرعية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إذن فالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق واجب شرعي على كل الدعاة مادام حكم الدعوة إلى الله وطلب الرزق في هذه الدرجة من الوجوب، فحكم الجمع بين هذين الواجبين وفق هدي الكتاب والسنة فرض عين على كل داعية، وذلك بمثابة أداء الواجبين في وقت موسع لأحدهما، أو أداء أحد الواجبين في وقت معين بعد أداء الآخر في وقته المناسب للفوز برضا الله ﷻ.

والامثال بأداء هذين الواجبين يجب أن يكون مطابقاً لمنهج دعوة النبي ﷺ في الدعوة وكسب الرزق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكذلك يجب أن يكون العمل بهذا الواجب في حدود الطاقة بالنسبة للدعوة والمال، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ج- ما جاء من مدلولات قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. أن الله سبحانه وتعالى بين عند رده على أقوال الكفار ضد الرسول ﷺ أن ما يقوم به الرسول ﷺ من الجمع بين الدعوة والسعي في الأسواق للحصول على رزقه طريق مستقيم وهو الذي سار عليه كل الرسل قبله، ولا منافاة بين الدعوة إلى الله والسعي لطلب الرزق في أي شريعة من شرائع الرسل عليهم السلام، وهم بشر وخلق من مخلوقات الله وما يميزهم الله عن غيرهم من الخلق إلا بالوحي الإلهي لما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا

(١) كما هو ظاهر في عمل بعض الصحابة بالأجرة لإنفاقها في الصدقة والفوز بثوابها، ومن ذلك ما جاء في رواية أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصب المد وإن لبعضهم لمائة ألف...» أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة باب رقم (٣) (٥٢٦/٤).

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ [إبراهيم: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨]. أي لا يختلفون عن الناس في التغذية بالطعام، والاستفادة بالرزق الحلال. يقول ابن العربي: «أما أكل الطعام فضرورة الخلق لا عار ولا درك فيه...»<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية أصل من الأصول في تناول الأسباب، وطلب المعاش والتجارة والصناعة وغير ذلك، ودليل من الأدلة على قيام الرسل بالجمع بين الدعوة إلى الله والسعي لاكتساب الرزق<sup>(٢)</sup>. وهو هدي من هدي الرسل عليهم السلام والافتداء بهديهم واجب.

وأما الاقتداء بالرسل في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق فهو واجب شرعي على نبي الله محمد ﷺ وأمته، لما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وهذا الأمر الإلهي للنبي ﷺ تدخل فيه أمته؛ لعدم وجود ما يخصه للنبي ﷺ دون أمته.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحة: ٦]، وفي ملازمة الرسل ومنهم محمد عليهم الصلاة والسلام الجمع بين الدعوة وطلب الرزق دليل أكيد على أن حكم الجمع بين الدعوة وكسب الرزق بمعنى الحصول على الرزق للعيش عليه بطرق مشروعة واجب عين على كل من يسلك طريق دعوة الرسل عليهم السلام في كل عصر حسب حاله وطاقته وقدرته الدعوية والمالية.

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٣).

(٢) انظر - المصدر السابق (١١/١٣ - ١٤)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٣٤٤).

د- ما جاء من مدلولات قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

أنه جاء في شريعة نبي الله موسى ﷺ وجوب طلب ما عند الله في الآخرة من الثواب والجنة ونعيمها بطاعة الله ﷻ في الدنيا، مع الاستفادة بنعيم الدنيا في حدود شريعة الله سبحانه وتعالى.

ومن الأمور التي يَتَنَغَّى بها الداعية ما في الآخرة، القيام بدعوة الناس إلى دين الله، وأما ابتغاء ما في الآخرة فواجب على كل مسلم داعية أو غيره، لأن الأمر في قوله: «ابتغ» يقتضي الوجوب، كذلك إن النهي في قوله تعالى: «ولا تنس» يقتضي التحريم فيما إذا كان طلب الرزق في الدنيا لحفظ النفس من الهلاك والمعاونة على الطاعة والدعوة إلى دين الله ﷻ، وغير ذلك.

إذن فالآية من الأدلة على أن حكم الجمع بين الدعوة وطلب الرزق واجب عين؛ لأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ثبت في شرعنا ما يدل على ذلك<sup>(١)</sup>، وقد ثبت في شرعنا وجوب ابتغاء ما في الآخرة بالطاعات من دعوة وعبادة، وطلب الرزق والجمع بينهما، وعمل به الرسول ﷺ وأصحابه الكرام<sup>(٢)</sup>.

والجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق بطرق مشروعة فرض عين على الدعاة، كل بحسب علمه وقدرته وطاقته في الدعوة إلى الله واكتساب المال المؤدي إلى إقامة الواجب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر- العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الحنبلي (٧٥٣-٧٦٥). راجع صفحة (٩٠) من هذا البحث. وفيها صور لجمع النبي ﷺ وأصحابه بين الدعوة وطلب الرزق.

(٢) انظر- المصنوع السابق (٧٥٣-٧٦٥).

(٣) أما حكم الأجرة التي يتسلمها الداعية مقابل قيامه بالدعوة فسيأتي بيانه في الفصل الخامس عند الكلام حول مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية في ص/ ٣٤٣ من هذا البحث.



## - أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

وتكملة للفائدة في بيان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، إثر الكلام حول ثبوت مشروعيت القرآن الكريم والسنة النبوية، اقتضت دراسة هذا الموضوع الإشارة إلى ذكر أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، حتى يحظى الموضوع الاستقلالية بالبحث العلمي، وليكون القارئ ملماً بصورة كاملة عن الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في حياة الداعية في أي عصر من عصور الدعوة إلى الله عز وجل.

وأما المراد بأركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع فهي الجوانب والأمور التي يعتمد على فعلها اكتمال عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من قبل الداعية إلى الله عز وجل وهي محصورة في ثلاثة أركان وهي ما يأتي:-

الركن الأول - التقيد بهدي الشريعة في طلب الرزق.

الركن الثاني - القيام بالدعوة مع الاتباط بطلب الرزق.

الركن الثالث - تسخير الرزق للإنفاق المشروع<sup>(١)</sup>.

إذن فعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لا تتم إلا بتقيد المسلم الداعية بالهدي الشرعي في طلب الرزق ومتطلباته، وقيامه بالدعوة عند اقتضاء الحال في الوقت المناسب، ثم تسخير الرزق في المصارف المشروعة في الحياة الدعوية والاجتماعية والاقتصادية، التي تحقق الأهداف الدعوية المنشودة.

(١) وسيأتي تفصيل الكلام حول هذه الأركان في ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، لكونها داخلة في تلك الضوابط، وذلك في الفصل الثالث ص ٢٣٧-٣٠٧ .

## الفصل الثاني

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل عليهم السلام

وسلف الأمة رحمهم الله

### المبحث الأول

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل عليهم السلام

### المطلب الأول

التزام الرسل بهدي الشريعة في طلب الرزق

### المطلب الثاني

قيام الرسل عليهم السلام بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق

### المطلب الثالث

تسخير الرزق للإنفاق المشروع من قبل الرسل عليهم السلام

### المبحث الثاني

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة سلف الأمة رضوان الله عليهم

### المطلب الأول

التعريف بالسلف

### المطلب الثاني

سيرة الصحابة رضي الله عنهم في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## الفصل الثاني

### الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل عليهم السلام وسلف الأمة رحمهم الله

#### التعريف بالسيرة

السيرة : جمعها السير. وأما معناها فهي تطلق على عدة معاني: منها: السنة ومنها: «الطريقة سواء كانت خيراً أو شراً يقال: فلان محمود السيرة، فلان مذموم السيرة» ومنها: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، ويقال: قرأت سيرة فلان أي تاريخ حياته<sup>(١)</sup>.

والمراد بسيرة الرسل عليهم السلام وسلف الأمة (رحمهم الله) في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق هو بيان الأحوال الخاصة بهم في قيامهم بالدعوة إلى الله مع سعيهم في طلب أرزاقهم، وإنفاقها في صالح الدعوة، وغيرها وفق ما ثبت في القرآن والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي.

(١) انظر - المعجم الوسيط (٤٦٧/١) والتعريفات للجرجاني (ص: ١٦٢).

## المبحث الأول

## الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الرسل عليهم السلام

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) قاموا بالدعوة إلى دين الله عز وجل في أمتهم خير قيام، مع سعيهم في طلب أرزاقهم؛ ليعيشوا عليها في حياتهم الدعوية وغيرها بالعز والكرم.

وقد كانت لهم مواقف متميزة تبين قوة تمسكهم بالهدي الشرعي في طلب الرزق لأجل عملهم في مجال الدعوة إلى الله؛ ولكونهم قدوة لمدعوهم إلى ما يدعونهم إليه<sup>(١)</sup>. ويأتي بيان ذلك في المطالب التالية:

## المطلب الأول- التزام الرسل عليهم السلام بهدي الشريعة في طلب الرزق.

واقترضت دراسة هذا الموضوع تقسيمه إلى عدة مسائل، منها ما

يأتي:

## المسألة الأولى- التزام خشية الله

إن الرسل عليهم السلام كانوا يخافون الله عز وجل عند كل الأعمال، والأحوال تنفيذاً لأمر ربهم، وتجنباً عن مخالفة أمره وعن الوقوع فيما يوجب غضبه عز وجل لما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وهذه الآية من جملة ما خوطب به الأنبياء عليهم السلام من قبل ربهم عز وجل.

ومعنى قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾: أي لا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم مني بأن تشركوا بي غيري، أو تخالفوا ما أمرتكم به أو نهيتكم عنه<sup>(٢)</sup>.

وما كان الرسل يقومون بأي عمل من الأعمال الأخروية أو الدنيوية إلا ما كان صالحاً وموافقاً لمبادئ دينهم وشريعتهم، واستوى في ذلك ما كان متعلقاً بالأرزاق وطرق كسبها وحيازتها وإنفاقها، أو غيره من أمور أخرى ليكونوا ممثلين لأمر ربهم

(١) سبق بيان مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق بالأدلة الثابتة التي كانت منها مواقف الرسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٧٢ من هذا البحث.

(٢) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٤٨٦/٣).

وفائزين برضاه وجزائه في ذلك، كما قال الله تعالى لهم: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. والعمل الصالح في الآية عام في كل الأعمال التي قاموا بها، فيكون معنى الآية: اعملوا أيها الرسل عملاً صالحاً موافقاً للشرع لأني لا يخفى علي شيء من الأعمال، وإني مجازيكم على حساب أعمالكم إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً<sup>(١)</sup>.

فقد وفقوا في التحلي بتقوى الله وخشيته في كل صغير وكبير من عملهم بتأييد الله وإعداده إياهم، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

كان هذا الإعداد والاختيار من الله عز وجل للرسل عليهم السلام لأجل حمل مسئولية دعوة الناس إلى ربهم عز وجل فأصبحوا بذلك قدوة لمدعوهم في كل عمل يدعو إليه دينهم. والنصوص الشرعية الدالة على وجوب اقتداء الناس برسولهم كثيرة منها ما دل على وجوب اقتداء الأمة المحمدية برسولها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإن من آثار الإعداد الإلهي للرسل عليهم السلام أن جعلهم أكثر الناس خشية لله في أمتهم من الوقوع في معصية الله.

كما هو ظاهر في موقف نبي الله هود عليه السلام عندما صرح بخوفه من الله عز وجل وعذابه على قومه المشركين، حيث إن عقاب الله هو مصير المشركين، ولم يكن في قومه من يخاف من ذلك العذاب عليهم منه، وقد حكى القرآن الكريم موقفه هذا بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وكما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ في ذكر مخافته من ربه في الوقوع في معصية تغيير القرآن أو تبديل شيء منه من تلقاء نفسه وذلك عندما طلب منه الكفار ذلك.

(١) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٤٨٦/٣).

وقد حكى القرآن موقفه هذا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ، قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٧].

ومما يفهم من قوله في الآية: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي مدى خوفه من ارتكاب أي خطأ يؤدي إلى معصية الله التي منها تغيير القرآن أو تبديل شيء منه من تلقاء نفسه.

ومما يدل على كون الرسول أحشى الناس لله من جميع أمته، ما جاء في رواية عائشة رضي الله عنها قالت: «صنع النبي شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية»<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى عن أنس مرفوعاً: «أما والله إني لأخشاكم لله وأنفاكم له...»<sup>(٢)</sup>.

إذن فالتزام خشية الله عز وجل ومراعاته من صفات الرسل عليهم السلام في كل الأمور والأحوال سواء منها ما كان متعلقاً بطلب الرزق أو غيره، حيث إن خشية الله من الأمور التي تمنع الوقوع في الحرام وتأمّر بفعل الحلال وتقرب إليه.

#### المسألة الثانية- التعامل مع الرزق الطيب الحلال

إن الرزق<sup>(٣)</sup> من حيث الأحكام الشرعية منه ما هو حرام ومنه ما هو حلال، لأن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رقم (٧٢) رقم الحديث (٦١٠١) (٥٢٩/١٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطوله كتاب النكاح باب الرقم (١) رقم الحديث (٥٠٦٣) (٥/٩)، (٦).

(٣) سبق التعريف بالرزق مفصلاً في صفحة (٧) من هذا البحث.

(٤) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٦٠/١).

وإن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) لم يناولوا مع الرزق على مختلف أنواعه من مأكل ومشرب وملبس وذهب وفضة وأنعام، وأرض وغيرها إلا ما كان منه حلالاً طيباً، وموافقاً لشريعتهم، كما جاء في رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]»<sup>(١)</sup>.

وللعلماء أقوال فيمن وجه إليه الخطاب في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. قال الزجاج: هذه مخاطبة لرسول الله، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا، وقيل: إن الخطاب لعيسى، وقيل: إن هذه المقالة خوطب بها كل نبي، لأن هذه طريقته التي ينبغي لهم الكون عليها، فيكون المعنى: وقلنا يا أيها الرسل خطاباً لكل واحد على انفراده لاختلاف أزمته، قال الفراء: كما تقول للرجل الواحد: كفوا عنا أذاكم. عندئذ يعم الخطاب السابقين والحاضرين واللاحقين ممن ينتمي إليه ذلك الرجل.

والظاهر أن الخطاب يعم كل الرسل عليهم السلام، لما في دلالة قول الرسول إلى ذلك: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ قيل: هي ما يستطاب ويستلذ، وقيل: هي الحلال، وقيل: هي ما جمع الوصفين المذكورين، وقيل: أكل الحلال وتحسين الأموال<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحاً فجزاهم الله عن العباد خيراً»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامع الترمذي بطول الحديث في أبواب التفسير المطبوع مع تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٢٦٦/٨، ٢٦٧).

(٢) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٤٨٦/٣)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٨٦/١٢)، وتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٢٦٦/٨).

(٣) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٤٨٦/٣).

(٤) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣٣١/٣).

إذن فسعي الرسل عليهم السلام لأجل كسب الطيبات من الرزق مما يدل على مدى تقيدهم بهدي شريعة دينهم في طلب الرزق.

المسألة الثالثة - عدم تحريم ما أحله الله من الرزق.

إن الرسل عليهم السلام لم يحرموا ما أحله الله من الرزق للعباد وذلك لعلمهم وإدراكهم للأحكام الشرعية المتعلقة بذلك الرزق.

ولكن كانوا يكرهون الاستفادة من بعض الأرزاق الطيبة لأسباب معينة ومنها

ما يأتي:

١ - كراهية الاستفادة من بعض الأرزاق نظراً لميولهم الشخصية ورغبتهم

الإنسانية الطبيعية المألوفة، مع بيان ذلك للمدعوين.

ومن الصورة الدالة على ذلك في سير الرسل عليهم السلام: «ترك الرسول أكل الضب، كما جاء في رواية خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله بيت ميمونة فأتى بضب مخنوذ فأهوى إليه رسول الله بيده، فقال بعض النسوة أخبروا رسول الله بما يريد أن يأكل، فقالوا: هو ضب يا رسول الله، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه<sup>(١)</sup>. قال خالد: فَاجْتَرَرْتَهُ<sup>(٢)</sup> فأكلته، ورسول الله ينظر»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>: «فتركهن النبي كالمتعذر لهن ولو كن حراماً لما أكلن على مائدة النبي ولما أمر بأكلهن» كذا أطلق الأمر وكأنه تلقاه من الإذن المستفاد من التقرير...»<sup>(٥)</sup>.

(١) قوله: «فأجذني أعافه» يعين مهملة وفاء خفيفة أي أتكره أكله، يقال عفت أعافه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٥٨٢/٩).

(٢) يجيم ورائين، هذا هو المعروف في كتب الحديث، وضبطه بعض شراح «المهذب» بزاي قبل الراء وقد غلطه النووي. انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الذبائح والصيد باب رقم (٣٣) رقم الحديث (٥٥٣٧) (٥٨٠/٩).

(٤) سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله، تابعي جليل كان من أوائل مفسري القرآن ومن أوعية العلم، روى عن ابن عباس، وابن الزبير وابن عمر وغيرهم، وعنه أبناء عبد الملك، وعبد الله، ويعلى بن حكيم، ويعلى بن مسلم وأبو إسحاق السبيعي... وغيرهم. قال أبو القاسم الطبري هو ثقة، إمام حجة على المسلمين، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥، وكان مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر - تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر (١٣-١١/٤)، ط/دار الكتاب الإسلامي لإحياء ونشر التراث الإسلامي القاهرة، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣٤٢، ٣٤١/٤).

(٥) انظر - فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٥٨٠/٩).



ومما قيل في سبب تركه أكل الضب أنه ما اعتاده وقيل: إنه تركه لئلا يتأذى الملائكة من ريح الضب عند ما يأكله، كما ترك أكل الثوم مع كونه حلالاً. وقال الإمام ابن حجر: «إن صح يمكن ضمه إلى الأول ويكون لتركه الأكل من الضب سبباً»<sup>(١)</sup>.

٢- ترك الاستفادة من بعض الأرزاق مخافة الوسواس وتعلق قلوبهم بذلك الرزق عن أداء العبادة، وذكر الله تعالى دون أن يحرموه.

ومن الصور الدالة على هذا الموقف من الرسل عليهم السلام ما جاء في قصة نبي الله سليمان عليه السلام، حين شغله منظر الخيل التي عرضت عليه حتى فاتته ذكر من أذكار الله كان يقوم به بعد العصر. وعندئذ ذبح كل الخيول ولم يعد يستفيد منها لنفسه بل تركها للفقراء تقرباً إلى الله، وتوبة عن ما حصل له من تعلق قلبه بحب هذه الخيول عن ذكر ربه في الوقت المحدد لذلك.

وقد حكى القرآن الكريم القصة بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، إذ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفَطِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿[ص: ٣٠-٣٣].

وبيّن الإمام القرطبي عند تفسير الآية: «أن سليمان قال المقولة على سبيل التلهف ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي عن الصلاة، وأمر برد الأفراس إليه، وأمر بضرب عراقيبها وأعناقها، ولم يكن ذلك معاقبة للأفراس، إذ ذبح البهائم جائز إذا كانت مأكولة، بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة، ولعله عرقبها ليدبحها فحبسها بالعرقبة عن النفار، ثم ذبحها في الحال ليتصدق بلحمها، أو لأن ذلك كان مباحاً في شرعه فأتلفها لما شغلته عن ذكر الله، حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله، فأثنى الله عليه بهذا، وبين أنه أثابه بأن سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على الخيل في شهرين غُدُوًّا ورواحاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) وللعلماء أقوال في حكم أكل الضب ومنهم من يرى تحرمة ومنهم من يرى كراهيته ومنهم من يرى جواز أكله ولكل فريق أدلته والظاهر هو جواز أكله لظاهر الحديث الصحيح. انظر- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٩/٨٥٢-٥٨٥).

(٢) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥/١٢٨).

ومن الصور الدالة على ترك الرسل عليهم السلام الاستفادة من بعض الرزق لأجل اشتغال القلب به في أثناء العبادة ما جاء في رواية عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصه<sup>(١)</sup> لها أعلام وقال شغلتي أعلام هذه فذهبوا بها إلى أبي جهم<sup>(٢)</sup> وائتوني بأنبجانية<sup>(٣)</sup> فإنها ألهتني آنفاً في صلاتي<sup>(٤)</sup> وقوله: «شغلتي أعلام هذه» وفي الرواية الأخرى: «ألهتني» وفي رواية للبخاري: «فأخاف أن تفتني» معنى هذه الألفاظ متقارب

= وللعلماء خلاف حول تفسير الآيات ومنه اختلافهم حول المراد بالذكر الذي غضب سليمان في فواته عليه. وقيل: إنه صلاة العصر حيث نسيها ولم يتركها عمداً وهو قول كثير من السلف والمفسرين. وقيل: إنه كان صلاة نافلة فشغل عنها سليمان. وقيل: إنه كان ذكراً اعتاده سليمان لصريح الآية في ذلك ﴿عن ذكر ربي﴾ وهذا القول الأخير أظهر لقوة ربطه بسياق الآية.

وكذلك خلاف العلماء في مرجع ضمير الهاء في قوله ﴿ردوها علي﴾ وقيل: إنه يرجع إلى الخيل أي أعيدوها علي. وقيل: إنه يرجع إلى الشمس فيكون ذلك معجزة لسليمان حيث أمر بإرجاع الشمس بعد غيابها في مغربها ليصلي الصلاة التي فاتته. والمعنى الأول أولى.

وكذلك خلاف العلماء في المراد بالمسح في الآية: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ قال القراء: المسح هنا القطع قال: والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته، وكذلك أبو عبيدة. وقال آخرون منهم الزهري وقادة: إن المراد به المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها حياً لها، لأنه لم يكن سليمان ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك ماله إلا كان ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر، والقول الأول أولى بسياق الكلام فإنه ذكر أنه أثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر، ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه. ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها هو كشف الغبار عن سوقها وأعناقها بالمسح عليها بيده أو بثوبه. وقيل: إنه مسحها إياها وسمها بالكي وجعلها في سبيل الله، ولا متمسك لمن قال: إن إفساد المال لا يصدر عن النبي فإن هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر في شرعنا مع جواز أن يكون في شرع سليمان أن مثل هذا مباح على إفساد المال المنهي عنه في شرعنا إنما هو مجرد إضاعته لغرض صحيح، وأما لغرض صحيح فقد جاز مثله في شرعنا كما وقع منه ﷺ من إكفاء القدور التي طبخت من الغنيمة قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة في الشريعة، ومن ذلك ما وقع من الصحابة من إحراق طعام الختكر. وكذلك هناك اختلاف في معنى بعض أجزاء الآيات.

انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٤/٤٣١، ٤٣٢) وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٥) والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥/١٢٨، ١٢٩) وصفوة التفسير لحمد علي الصابون (٣/٥٨، ٥٩).

(١) «خميصة»: هي كساء مربع من صوف. شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٥/٤٦).  
(٢) وأما بعثه ﷺ بالخميصه إلى أبي جهم وطلب إنجانية فهو من باب الإدلال عليه لعلمه بأنه يؤثر هذا أو يفرح به. واسم أبي جهم هذا عامر بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي المدني الصحابي. انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٥/٤٧).

(٣) «إنجانية» قال ثعلب: هو كل ما كثف وقال غيره هو كساء غليظ لا علم له وقيل: غير ذلك. انظر - المصدر السابق.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب رقم (١٥) (٥/٤٦).

وهو اشتغال القلب بها عن كمال الحضور في الصلاة وتدبر أذكارها وتلاوتها ومقاصدها من الانقياد والخضوع...»<sup>(١)</sup>.

إذن فالحديث يدل على أن الرسول ﷺ ترك الاستفادة من هذه الخميصة مخافة الفتنة دون أن يحرمها.

إذن فتحريم الرزق الذي أخرج الله لعباده ليس حقاً لأحد بل هو حق الله، لذا وردت فيه نصوص شرعية متعددة في تحريمه والتي منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨].

ولم يكن الرسل عليهم السلام يتبعون الهوى في تحريم الحلال وتحليل الحرام من الرزق وغيره بل كانوا ينهون عن ذلك<sup>(٢)</sup> وهذا مما يؤكد مدى تمسك الرسل بمبادئ دينهم في الأمور المتعلقة بالرزق وغيره.

#### المسألة الرابعة- ملكية الرزق بالطرق المشروعة

والمراد بملكية الرزق في موضوع هذا البحث، هو حيازة الرزق وضمه إلى ماله وصاحبه مع انتفاعه به وتصرفه فيه، ومنع الغير من تلك الحقوق في الرزق إلا بإذن صاحب الرزق<sup>(٣)</sup>.

إن الرسل عليهم السلام هم بشر مثل بقية البشر وسعوا في طلب أرزاقهم الظاهرة، وملكوها كما يسعى الناس الآخرون ويملكون الأرزاق، ولكن الرسل عليهم السلام امتازوا عنهم بالوحي الإلهي مما جعلهم يتحلون بالصفات المطابقة لمبادئ دينهم لملكية الرزق.

ومن أهم تلك الصفات ما يأتي:

(١) انظر- شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٦/٥).

(٢) انظر- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٩/٧)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/١٢٠، ١٢١)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٦/١٦٨، ١٦٩).

(٣) سبق ذكر التعريف بالملكية في صفحة (٥٧) هامش رقم (٥) من هذا البحث. وانظر أيضاً التعريفات للجرجاني ص/٢٨٤، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (٣/٣٥١) ط/ دار الفضيلة - القاهرة.

١- إثبات ملكية الله للرزق قبل ملكية البشر له.

إن جميع الرسل عليهم السلام أثبتوا ملكية الله عز وجل للرزق بكل أنواعه، وبينوا ذلك لأمتهم في عصور النبوات على اختلاف أزمنتهم بأساليب دعوية متنوعة. وأكدوا أن ملكية البشر للأرزاق تأتي من تملك الله إياهم تلك الأرزاق، وذلك لسعة رحمة الله وإنعامه على خلقه أجمعين.

وقد حكى القرآن الكريم مواقف عديدة لدعوة الرسل عليهم السلام أقوامهم لإثبات هذه الملكية الحقيقية، ومن تلك المواقف ما يأتي:

أ- ما جاء في قول نوح عليه السلام لقومه عند ما رفضوا دعوته، بقول الله تعالى عنه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٣].

ب- ما جاء في قول نبينا محمد ﷺ للمشركين في معرض إقراره بأمر الله له إن الله هو المنفرد بالخلق والرزق والإلهية، بعد نفي هذه الأمور عن آلهتهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبا: ٢٤].

ومعنى الآية: من يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السماوات أي عن المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع وما يخرج من الأرض من الماء والنبات، ولا يمكن للمشركين أن يقولوا هذا فعل آلتنا فيقولون لا ندري فقال: إن الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم<sup>(١)</sup>.

وكما بين الرسول للمشركين في معرض الاحتجاج عليهم بإثبات وجود الله وقدرته على الخلق وجلب الرزق، وذلك في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٧١٠)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٢/١٩١).

أي أن كل ما في الأرض من أنعام رزق من الله لخلقه ولهم حق ملكيتها<sup>(١)</sup> حيث إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويفهم من الآيات السابقة في ذكر مواقف الرسل من ملكية الرزق، أن الله عز وجل صاحب الملكية الحقيقية للرزق، وأن ملكية البشر للرزق تأتي بتفضل من الله عز وجل على خلقه.

وكذلك لم يُخرج الرسل عليهم السلام أنفسهم من دائرة الملكية البشرية للأرزاق بعد ملكية الله لها، بل أثبتوها وآمنوا بها وعملوا بمقتضاها في حياتهم الدعوية والاقتصادية، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومنها ما يأتي:

أ- ما جاء في دعاء يوسف عليه السلام ربه بقوله تعالى عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ومما يدل عليه قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ أن كل ما كان يتمتع به من نعم الملك والعلم وغيره، من رزق الله ورحمته وفضله عليه.

ب- ما جاء في قول نبي الله إبراهيم عليه السلام في معرض رده على المشركين المناوئين لدعوته من قومه بقول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

ويدل قوله في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ على أن إبراهيم كان مؤمناً بأن الله خالقه ورازقه بما سخر ويسر من أسباب السماوية والأرضية للخلق<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/١٠١، ١٠٢).

(٢) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٤٥١).

والآيات والأحاديث كثيرة في بيان مواقف الرسل عليهم الصلاة والسلام في إثبات قضية ملكية الله للرزق قبل ملكية البشر.

حيث إن ملكية الإنسان للرزق ليست ملكية حقيقية للرزق، بل هو مستخلف فيها لفترة محددة تنتهي بموته من قَبْلِ ربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]<sup>(١)</sup>.

وإثبات الرسل عليهم الصلاة والسلام ملكية الرزق لله عز وجل عند أدائهم الأمانة الدعوية على أكمل الوجه، مما يدل على مدى تقيدهم بهدي شريعتهم في الدعوة وطلب الرزق وغيرها.

## ٢- سلوك طرق الكسب المشروعة.

إن الرسل عليهم السلام كانوا يملكون أرزاقهم عن طريق الحلال البعيدة عن كل أنواع الظلم المتعارف عليه في مجتمعهم. وذلك بسلوك طرق كسب الرزق الحلال<sup>(٢)</sup> لملكيته، ومن أهم الصفات الظاهرة للرسل عند سلوك طرق كسب الرزق في سيرتهم ما يأتي:

### أ- الاحتراف<sup>(٣)</sup> واتخاذ المهن.

إن الاحتراف واتخاذ المهن وسيلة من وسائل كسب الرزق وامتلاكه، لذا بادر الرسل إلى الأخذ بهذا المبدأ حتى عرف بعضهم عليهم السلام ببعض المهن، منها

(١) انظر- المال في القرآن الكريم دراسة موضوعية لسليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين (ص: ١٩) ط/دار المعراج الدولية للنشر، الرياض- بيروت - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) إن طرق المكاسب تنفرع إلى قسمين أساسيين وهما الطرق الحسية والطرق المعنوية.

أما الطرق الحسية للكسب الحلال فتوعان: ١- ما يأتي منه الرزق بسبب العمل والحركة والنشاط وهي كثيرة مثل الإجارة والزراعة والصناعة وغيرها. ٢- ما يأتي منه الرزق بمشيئة الله وتفضله بنعمه على العباد بلا عمل ولا سعي منهم وهي كثيرة مثل الإرث والزكاة وغيرها. أما الطرق المعنوية لكسب الرزق: فهي طرق مسهلة ومعينة لجلب الرزق وسعته، ولا تستغني عن الطرق الحسية بمشيئة الله عز وجل مثل الدعاء والاستغفار وغيره. انظر بالتصرف مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة للدكتور فضل إلهي ص (١١-٨٩). وكسب المال في ضوء السنة للشيخ على بن عبد الله بن عبد الرحمن الجمعة ص (٥٤-٣٠٦)، هو رسالة علمية (ماجستير) مقدمة لقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ.

(٣) الاحتراف: مصدر احترف وهو بمعنى: اتخذ حرفة أي اتخذ وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها. ويقال: (الحرفي): أي الشخص الذي يكسب عيشه بالعمل في حرفة بصفة مستمرة منظمة. انظر- المعجم الوسيط (١/١٦٧).

الإجارة، وقد عمل نبي الله موسى أجيراً لدى نبي الله شعيب عليهما السلام<sup>(١)</sup> كما في قول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [القصص: ٢٧] أي طلب منه شعيب أن يرعى غنمه ثماني سنين فإن تبرع بزيادة سنتين فهو يرجع إلى اختياره، وإلا ففي الثمان كفاية وذلك مقابل زواج ابنته<sup>(٢)</sup>.

ومنها: مهنة التجارة، وقد عمل نبي الله محمد ﷺ في التجارة، حيث شارك زوجته خديجة في المضاربة التجارية إلى الشام، واتصف فيها الرسول ﷺ بالأمانة والعدل. ومما جاء في رواية قصة عودة الرسول من الشام بتجارة خديجة رضي الله عنها أنه «...» وقدّم رسول الله ﷺ بتجارتهما فربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ضعف ما سمت له<sup>(٣)</sup>.

ومنها: مهنة الرعي: فإن الرسول ﷺ قد عمل راعياً لأغنام أهل مكة على القراريط، كما جاءت به رواية أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرهاها على قراريط<sup>(٤)</sup> لأهل مكة<sup>(٥)</sup>. وكذلك كان الرسول يبيع ويشترى حسب حاله واحتياجه إلى الرزق ولكن شراؤه بعد أن أكرمه الله بالرسالة كان أكثر من بيعه<sup>(٦)</sup>.

ومنها: مهنة صناعة الحديد، فقد عمل فيها نبي الله داود فيأكل مما يكسبه من عمل يده<sup>(٧)</sup>.

(١) على قول أكثر العلماء. انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٥١٠، ٥١١).

(٢) انظر - المصدر السابق (٣/٥١١).

(٣) انظر - السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد (١/١٧١-١٧٣) ط/دار الجيل عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (١/١٠٣-١٠٥) ط/دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٤) (قراريط): جمع قيراط وهو جزء من الدينار أو الدرهم. وقيل: قراريط اسم موضع بمكة. ولكن الأول أرجح لأن أهل مكة لا يعرفون بها مكاناً يقال له قراريط. انظر - السيرة النبوية لابن هشام (١/١٥٤).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الإجارة رقم (٢) (٤/٥١٤).

(٦) انظر - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ط/مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (١/١٦٠).

(٧) كما سبق ذكر الآيات والحديث الصحيح الدال على ذلك في صفحة (٧٥) من هذا البحث.

ومنها: مهنة النجارة. قد عمل فيها نبي الله زكريا عليه السلام حيث كان يأكل من كسب يده، وجاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكرياء نجاراً»<sup>(١)</sup>.

وبين الإمام النووي أن من فوائد الحديث: جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفي الحديث أيضاً فضيلة لزكريا فإنه كان صانعاً يأكل من كسبه<sup>(٢)</sup>.

ومنها مهنة الزراعة. وإن استثمار الأرض بالزراعة من طرق كسب الرزق، وقد استفاد منها بعض الرسل عليهم السلام في كسب بعض أرزاقهم، كما هو ظاهر في معاملة الرسول اليهود بمزارعة أرض خيبر على نصف ثمرها.

كما جاء في رواية ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها»<sup>(٣)</sup>.

وكان يستفيد مما يخرج من تلك الأراضي نتيجة المزارعة بينه وبين اليهود لنوائبه وما ينزل به من أمور المسلمين<sup>(٤)</sup>.

وما ذكر هنا من أسماء المهن لبعض الرسل عليهم السلام إنما هو على سبيل ذكر نماذج منها وليس بحصرها<sup>(٥)</sup>، وكذلك لأجل عرض مشروعية الاحتراف واتخاذ المهن المختلفة وسيلة لكسب الرزق للرسل عليهم السلام وكذلك لأجل بيان التزام

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. كتاب الفضائل باب رقم (٤٥) رقم الحديث (٢٣٧٩) (١٤٤/١٥).

(٢) انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٤٤/١٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الحث والمزارعة باب رقم (١١) رقم الحديث (٢٣٣١) (١٩/٥).

(٤) للعلماء رحمهم الله أقوال عدة في صفة فتح خيبر وتقسيم أرضها ومنها: أن خيبر فتح شطرها عنوة، وشرطها صلحاً، فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغنائم، وعزل ما فتح صلحاً لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين. ولكن الظاهر في أقوال الحققين: أن خيبر فتح كله عنوة. وأما الأرض التي فتحت عنوة فالإمام مخير بين قسمها ووقفها. لذا فالرسول ﷺ قسم شطر خيبر وعزل شطرها. انظر - زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٣/٣٢٨، ٣٢٩).

(٥) حيث نسب بعض المهن الأخرى إلى بعض الرسل عليهم السلام كالزراعة لآدم والخياطة لإدريس والصيد لعيسى والنجارة لنوح عليهم السلام التي من نتائجها صنع السفن بوحى من الله، فقال تعالى: (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا). ولسليمان الحياكة وصناعة الغزل والنسيج ولعيسى ابن مريم الصباغة. انظر - البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣١٢/٢) والعمل والعمال والمهن في الإسلام لدكتور زيدان عبد الباقي (ص: ٢٤-٣٢).



الرسل عليهم الصلاة والسلام بما كانوا يدعون إليه في كل جوانب الحياة التي منها الجوانب المتعلقة بالاحتراف لكسب الرزق.

#### ب- الجد والإتقان

إن الجد في أداء العمل وإتقانه مما علم عليه الرسل عليهم السلام من صفاتهم في أداء أي عمل سواء فيه ما تعلق بالدعوة إلى الله عز وجل ومتطلباتها، أو ما تعلق بمعاملات الناس التي منها مجال طلب الرزق.

وقد أجاد الرسل عليهم السلام الأعمال والمهن التي مارسوها للحصول على أرزاقهم واجتهدوا فيها خير اجتهداد. ونماذج لهذا الموقف منهم كثيرة منها ما يأتي:

١- ما هو ظاهر في موقف داود عليه السلام في بذل جهده في صناعة الدروع وإتقانه من الحديد مع دقة تشكيله وجماله للناس. كما يفهم من قول الله تعالى عنه: ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبا: ١٠-١١]. وقال مجاهد<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾. لا تدق المسمار فيفلق في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر<sup>(٢)</sup>.

وكما يفهم من قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. أن داود أفاد الناس بهذه الصناعة علماً وتطبيقاً، حيث كان يصنع الدروع ويبيعها، فتعلم منه الناس هذا النوع من صناعة الحديد في هذا الشكل الذي لم يسبق إليه قبله<sup>(٣)</sup>.

٢- ما هو ظاهر في بذل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جهده في إتقان العمل التجاري إلى الشام الذي عقده مع زوجته خديجة رضي الله عنها حيث استطاع - بعون الله - أن يوفر جميع متطلبات نجاح ذلك العمل حتى عاد إلى خديجة رابحاً في تلك التجارة<sup>(٤)</sup>.

(١) مجاهد هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج السكي مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر روى الكثير عن ابن عباس أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة وغيره رضي الله عنهم وعنه عكرمة، وعطاء، وطاووس وغيرهم. توفي بعد المائة وهو ساجد، قيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة قيل: كانت وفاته سنة ١٠٠-١٠١-١٠٢ و١٠٣-١٠٤ رحمه الله. انظر- البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٢٣٠٥/٩).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٦/٣).

(٣) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٥٢/٣ و٦٩٦).

(٤) انظر- السيرة النبوية لابن هشام (١٧١/١-١٧٣) سبق ذكر القصة في صفحة (١١٨).

وإن بذل الجهد لإتقان العمل الهادف مشروع وهو منهج جميع الرسل عليهم السلام. والنصوص الشرعية في بيان ذلك كثيرة ومنها ما صرح به الرسول ﷺ بأمر ربه في وجوب تحسين العمل المشروع بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال مجاهد عند تفسير الآية: «هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أو امره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول وعلى المؤمنين...»<sup>(١)</sup>.

ولفظ العمل هنا عام يشمل كل الأعمال المشروعة التي رضي بها الله عز وجل، سواء منها ما يكون بين العبد وربّه، أو ما كان بين العباد أنفسهم في الأمور التي تستلزم الأحكام الشرعية التي منها جوانب طلب الرزق.

ومن النصوص الدالة على تحسين العمل من روي عن الرسول ﷺ قوله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(٢)</sup>.

إذن فتحسين العمل وإتقانه والاجتهاد فيه من هدي الرسل عليهم السلام حيث ساروا عليه في جميع أعمالهم التي منها كسب الرزق.

ولا تدل هذه الصفة في عمل الرسل على أنهم اشتغلوا بجميع أنواع العمل والمهن في طلب الرزق، وإنما عملوا ببعضها مما أباحت شريعتهم من طرق الكسب الحلال، وكانوا خير من نفذ تلك المهن وبينوا الأعمال والأحكام المتعلقة بطلب الرزق وطرقه التي سلكوها، وأما التي لم يسلكوها فاكتفوا ببيان أحكامها.

إذن فعلى الدعاة في كل عصر مراعاة هدي الرسل ومناهجهم في جميع الأمور سواء منها ما تعلق بالدعوة وطلب الرزق أو غيره.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٠٩/٢).

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط رقم الحديث (٨٩٧) (١٧٥/١) وقال الإمام الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مصعب تفرد به بشر» وقال الإمام الهيثمي: «أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة» انظر: مجمع الزوائد (٩٨/٤). ويجوز علماء أهل الحديث رواية الحديث الضعيف بشروطه في المواظ والترويج والترهيب والقصص، وكذلك يجوز جمهور العلماء العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروط ثلاثة:

(أ) أن يكون الضعف غير شديد.

(ب) أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

(ج) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

انظر: تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص/٦٥، ٦٦. ط/ مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

وإن بذل الجهد لإتقان العمل المهادف مشروع وهو منهج جميع الرسل عليهم السلام. والنصوص الشرعية في بيان ذلك كثيرة ومنها ما صرح به الرسول ﷺ بأمر ربه في وجوب تحسين العمل المشروع بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. قال مجاهد عند تفسير الآية: «هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول وعلى المؤمنين...»<sup>(١)</sup>.

ولفظ العمل هنا عام يشمل كل الأعمال المشروعة التي رضي بها الله عز وجل، سواء منها ما يكون بين العبد وربّه، أو ما كان بين العباد أنفسهم في الأمور التي تستلزم الأحكام الشرعية التي منها جوانب طلب الرزق.

ومن النصوص الدالة على تحسين العمل من روي عن الرسول ﷺ قوله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»<sup>(٢)</sup>.

إذن فتحسين العمل وإتقانه والاجتهاد فيه من هدي الرسل عليهم السلام حيث ساروا عليه في جميع أعمالهم التي منها كسب الرزق.

ولا تدل هذه الصفة في عمل الرسل على أنهم اشتغلوا بجميع أنواع العمل والمهن في طلب الرزق، وإنما عملوا ببعضها مما أباحت شريعتهم من طرق الكسب الحلال، وكانوا خير من نفذ تلك المهن وبنوا الأعمال والأحكام المتعلقة بطلب الرزق وطرقه التي سلكوها، وأما التي لم يسلكوها فاكثفوا ببيان أحكامها.

إذن فعلى الدعاة في كل عصر مراعاة هدي الرسل ومناهجهم في جميع الأمور سواء منها ما تعلق بالدعوة وطلب الرزق أو غيره.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٠٩/٢).

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط رقم الحديث (٨٩٧) (١٧٥/١) وقال الإمام الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مصعب تفرد به بشر» وقال الإمام الهيثمي: «أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة» انظر: مجمع الزوائد (٩٨/٤). ويجوز علماء أهل الحديث رواية الحديث الضعيف بشروطه في المواظ والتغريب والترهيب والقصص، وكذلك يجيز جمهور العلماء العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروط ثلاثة:

أ) أن يكون الضعف غير شديد.

ب) أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

ج) أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

انظر: تيسر مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص/٦٥، ٦٦. ط/ مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

## ج- تملك الرزق من طرق مشروعة غير الاحتراف

إن الطرق المشروعة لتملك الرزق كثيرة ومنها الطرق المشروعة غير الاحتراف وهي متعددة ومختلفة، منها الهبة والهدية، والميراث وغيرها<sup>(١)</sup>. وقد حصل بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض أرزاقهم عن طريق غير الاحتراف كما يأتي:

## ١- الهبة، والهدية

ومعنى الهبة في الشرع: هو تملك العبد بلا عوض<sup>(٢)</sup>. ومعنى الهدية: ما يؤخذ بلا شرط الإعانة - أو الإعادة<sup>(٣)</sup>. ويفهم من هذين التعريفين أن الهبة والهدية معنى واحد في شيء واحد. وإن بعض الرسل عليهم السلام قد اكتسبوا بعض أرزاقهم من الهبات والهدايا من الأموال الطيبة، وقبلوها من أصحابها لشرعيتها في دينهم. والشواهد لقبول الهدية كثيرة في سيرة الرسل عليهم السلام ومنها ما يأتي:

أ- قبول نبي الله إسماعيل الهدية من قبيلة جرهم، وقد ذكر صاحب المعارف: أن إبراهيم لما ترك ابنه إسماعيل عليهما السلام وأمه في مكة، حيث تربى فيها إسماعيل مع أمه فجاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة وأعطوا إسماعيل سبع أعنز فكانت أصل ماله، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمي ونطق بلسانهم، ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم<sup>(٤)</sup>.

ب- أن نبي الله محمد ﷺ كان يقبل الهدية وأباح قبولها على مختلف أنواعها وأحجامها وأسمائها من منيحة<sup>(٥)</sup> وهبة وهدية، وعطاء، وغيره ثم حث على بذل الهدية وقبولها بأساليب دعوية نبوية متعددة التي كان منها الإثابة على الهدية.

(١) سبق ذكر أسماء بعض طرق كسب الرزق في (ص: ) هامش رقم (١٨) من هذا البحث.

(٢) انظر- التعريفات للجرجاني (ص ٣١٢).

(٣) انظر- المصدر السابق (ص ٣١٣).

(٤) المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص: ٢١) ط/دار الكتب العلمية - بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٥) معنى المنيحة: للعلماء تعريفات لمنيحة ولعلى أقر بها المقصود المنيحة ما قاله أبو عبيد: «المنيحة عند العرب على وجهين أحدهما أن يعطى الرجل صاحبه صلة فيكون له. والآخر أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زماناً ثم يردّها» وقال شيخ الإسلام الإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني: «المنيحة في الأصل العطية من منح إذا أعطى وكذلك المنحة بالكسر». انظر- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (١٣/١٨٤، ١٨٥) ط/دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

ومما جاء في ذلك رواية عائشة<sup>(١)</sup> رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله يقبل الهدية ويثيب عليها»<sup>(٢)</sup>.

ورواية أبي هريرة<sup>(٣)</sup> عن النبي ﷺ قال: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبتُ، ولو أُنْذِي إلي ذراع أو كراع لَقَبَلْتُ»<sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث حض على قبول الهدية ولو قلت لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء فحضر على ذلك لما فيه من التألف<sup>(٥)</sup>.

إذن فالرسل عليهم السلام كانوا يقبلون الهدية مع المحافظة على العمل بالأحكام الشرعية المتعلقة بها.

## ٢- الميراث (الإرث)

وأما الإرث فمعناه في الاصطلاح: هو الميراث، وجمعه مواريث، وهو المال المخلف عن الميت، ويقال له أيضاً: التركة. وقيل: الإرث هو انتقال مال الميت إلى حي بعده<sup>(٦)</sup>.

(١) عائشة هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولدت بعد المبعث بأربع سنين، تزوجها رسول الله ﷺ في السادسة أو السابعة من عمرها، ودخل بها وهي في التاسعة شوال: في السنة الأولى من الهجرة، قال عنها عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة» وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ما أشكل علينا أمر فسالنا عنه عائشة إلا وجدنا عنده فيه علماً. وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» بشرها رسول الله ﷺ أنها من أزواجه في الجنة، وكانت أحب أزواجه إليه، وهي التي تولت تمريضه، وتوفي رسول الله ﷺ بين سحرها ونحرها، وفي بيتها، وفي ليلتها، روت عنه الكثير الطيب، وكانت سخية منفقة في سبيل الله توفيت سنة ٥٨ ودفنت بالبقيع رضي الله عنه. انظر - الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٣٤٨-٣٥٠).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الهبة باب رقم (١١) (٥/٢٣٣-٢٤٩).

للعلماء أقوال في حكم مكافأة الهدية واستدل بعض المالكية بهذا الحديث على وجوب المكافأة على الهدية إذا أطلق المهدي وكان ممن مثله يطلب الثواب كالفقير للغني. بخلاف ما يهيه الأعلى للأدنى. ووجه الدلالة منه مواظبته ﷺ. وبه قال الشافعي في القديم، ويجاب بأن مجرد الفعل لا يدل على الوجوب ولو وقعت المواظبة كما تقرر في الأصول. وذهبت الحنفية والشافعي في الجديد أن الهبة للثواب باطلة لا تتعقد لأنها بيع مجهول، ولأن موضع الهبة التبرع... انظر - عون المعبود بشرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٩/٤٥١، ٤٥٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب رقم (٢) (٥/٢٣٦).

(٤) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٥/٢٣٦).

(٥) انظر - الروض المربع شرح زاد المستقنع للشيخ العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (٣/٢١، ٢٢) ط/مكتبة الرياض الحديثة، الرياض المملكة العربية السعودية.

والإرث من الطرق المشروعة لكسب الرزق في دين كل الرسل عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

وقد كسب بعض الرسل بعض أرزاقهم من الإرث، مثل نبي الله محمد ﷺ كما روى أبو الحسن علي الماوردي ما حكاه عن الواقدي: «أن رسول الله ورث من أبيه عبد الله، أم أيمن الحبشية، واسمها بركة، وخمسة أجمال، وقطيع من غنم، وقيل: ومولاه شقران، وابنه صالحاً، وقد شهد بدرًا. وورث من أمه آمنة بنت وهب الزهرية، ودارها التي ولد فيها في شعب بني علي، وورث من زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها - دارها بمكة بين الصفا والمروة خلف سوق العطارين، وأموالاً...»<sup>(٢)</sup>.

وأما أموال الرسل عليهم السلام فلا ترثها ورثتهم بعد موتهم عليهم السلام، وما تركوه من الأموال فهي صدقة. كما جاء بيان ذلك عن أبي بكر الصديق لعلي بن أبي طالب والعباس ؑ عند طلبهما ما كان في ملك الرسول ﷺ من الأموال بعد موته فقال أبو بكر: «لا أدري ذلك، إن رسول كان يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة...»<sup>(٣)</sup>.

وما ورد من أن سليمان ورث داود عليهما السلام في قول الله تعالى عنهما: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]. إنما ورث نبوته وعلمه وملكه، وكان لداود

(١) ومن النصوص الشرعية الدالة على العمل بالإرث في شريعة نبي الله محمد ﷺ قول الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]. أي جميع الناس في الميراث سواء في حكم الله تعالى يستوون في أصل الورثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم بما يدل على الميت من قرابة، أو زوجية أو ولاء، فإنه حمة كلحمة النسب. انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/ ٦٠٤). وما جاء في رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته» أخرجه الإمام البخاري في صحيح المطبوع مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر كتاب الفرائض باب رقم (٤) (١١/١٢).

(٢) الواقدي نقلًا عن الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ص: ٢٩٥، ٢٩٦).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفتي رقم الحديث (١٧٥٧) (٣/ ١٣٧٦)، وجاء في رواية بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة...» أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في المعجم الأوسط بطوله، بتحقيق الدكتور محمود الطحان في حديث طويل (٢٩٠/٥-٢٩٢) ط/ مكتبة المعارف - الرياض الطبعة الأولى.

تسعة عشر ذكراً، فَخُصَّ سليمان بذلك ولو كانت وراثته مال لكان جميع أولاده فيها سواء»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في وراثته يحيى أباه زكرياء عليهما السلام فيما حكاه القرآن الكريم عن دعاء زكرياء وجاء فيه: ﴿... وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦].

وقد وردت أقوال للعلماء في بيان المراد بوراثته نبي الله يحيى أباه زكرياء عليهما السلام، والصحيح الذي عليه أكثر العلماء أنه ورثه العلم والحكمة والنبوة وليس وراثته المال<sup>(٢)</sup>.

وأما الاستحقاق بتركات الإرث فله شروط وموانع في الشرع وهي مفصلة في الكتب الفقهية وغيرها.

ولكن الرسل عليهم السلام كانوا أكثر الناس التزاماً بالأخلاق العالية قبل مبعثهم، وأما بعد مبعثهم فكانوا أشد الناس تمسكاً بالمبادئ الشرعية المتعلقة بالميراث وغيره.

(١) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (١٠٩/٦).

(٢) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٢٠٨/٥ - ٢١٠) والبداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣٩٩ - ٣٩٦/٢).

ومما قاله العلماء في ميراث زكرياء لابنه يحيى عليهما السلام ما جمعه الإمام ابن الجوزي: «المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة...، والثاني: يرثني العلم، ويرث من آل يعقوب الملك، فأجابه الله تعالى إلى وراثته العلم دون الملك...، والثالث: يرثني نبوتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوة... الرابع: يرثني النبوة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق...، وقال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب، وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس يعقوب أبي يوسف. وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان وكان يعقوب هذا وعمران - أبو مريم - أخوين. والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» الثاني: أنه لا يجوز أن يتأسف نبي الله ﷺ على مصير ماله بعد موته إذا وصل إلى ورثته المستحق له شرعا. والثالث: أنه لم يكن ذا مال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أن زكرياء كان نجاراً» زاد المسير في علم التفسير (٢٠٩/٥، ٢١٠) ومما ورد من الحكم في النهي عن وراثته الأنبياء وثلاثا يظن أنهم جمعوا المال لوراثتهم. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١٠/١٢).

## ٣- الغنيمة

الغنيمة لغة مأخوذ من الغنم، ولها عدة معانٍ منها: الفوز بالشيء فيقال غنم الشيء أي فاز به. ويقال أيضاً: غنم الغازي في الحرب أي ظفر بمال عدوه. وغير ذلك من المعاني وفق التغيرات الداخلة على كلمة غنم. والغنيمة جمعها الغنائم، وجمع مغنم المغامم<sup>(١)</sup>.

## والغنيمة في الاصطلاح: لها عدة تعريفات منها:-

أ- الغنيمة: «اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوة الغزاة وقهر الكفر على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

ب- وقيل بأن الغنائم هي: ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخیل والركاب<sup>(٣)</sup>. وهذان التعريفان وغيرهما من التعريفات تكاد يكون مدلولها واحداً في أخذ أموال أهل الحرب عن طريق الغلبة. ولكن التعريف الأول أكثر شمولاً لمعنى الغنيمة، وذكر الهدف منها الذي هو إعلاء كلمة الله تعالى ثم الاستفادة من أموال الكفار نتيجة وجود القوة الجهادية لرفع كلمة التوحيد والدعوة إليه.

وأما الغنيمة وأصنافها في كونها أخذ أموال الكفار عن طريق وجود قوة الجهاد في سبيل الله من خراج<sup>(٤)</sup> وفيء<sup>(٥)</sup> وصفايا<sup>(٦)</sup> وجزية<sup>(٧)</sup> فهي كانت من طرق كسب

(١) انظر- المعجم الوسيط (٢/٦٦٤).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٠٩).

(٣) انظر- لسان العرب لابن منظور (١٢/٤٤٦).

(٤) والخراج نوعان: ١- خراج المقاسمة وهو المقدار المحدود من ناتج الأرض مثل النصف أو الخمس والسدس وهو الذي كان في عهد رسول الله ﷺ. ٢- وأما خراج الوظيفة: فهي ما فرضه عمر على الأرض بالنظر إلى مساحتها وما زرع فيها. فلم يكن في عهد رسول الله ﷺ وإنما وجب بالإجماع. والمعنى العام للخراج: «هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها...» انظر- الأحكام السلطانية في الولايات الدينية للإمام الماوردي (ص: ٢٦٢). والتعريفات للجرجاني (ص: ١٣٢)، وبحوث فقيهة هامة للدكتور عبد العزيز الحياط (ص: ٢٤-٢٥).

(٥) الفئ: «ما رده الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال إما بالجلء أو المصالحة على جزية أو غيرها. والغنيمة أخص منه والنفل أخص منها...» انظر- التعريفات للجرجاني (ص: ٢١٨). وللعلماء مدلول آخر في ذلك أن الغنيمة خاصة بالأموال المنقولة والفئ شامل لما عدا الأموال المنقولة من عقار وغيره. انظر- الفئ والغنيمة ومصارفهما لمحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الربيع (ص: ١٦٩، ١٧٠)، ط/مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

(٦) الصفايا: سبق التعريف بها في صفحة (١٩) من هذا البحث.

(٧) جزية: هي ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للإجتماع بها في حقن دمهم. قال تعالى: «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». انظر- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٩٣)، وقيل: الجزية: «هي ضريبة تفرض على غير المسلمين من أهل الذمة، سواء كانوا من أهل الكتاب أو المجوس، في ضريبة شخصية سنوية وهي بحسب قدرات الناس المالية موسرين وفقراء، وهي بموجب عقد الذمة، وهي مقابل الزكاة التي يدفعها المسلمون أو مقابل الحماية لهم...» انظر- بحث فقيهة هامة للدكتور عبد العزيز الحياط (ص: ٢٧).



الرزق للرسول محمد ﷺ وأمته، للنصوص الشرعية الكثيرة الدالة على ذلك والتي منها قول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩] <sup>(١)</sup>.

ولم تكن الغنيمة حلالاً للأمم السابقة قبل محمد ﷺ، حيث كانت الغنيمة تحترق بالنار للدلالة على قبول عمل المجاهدين عند الله. وأما إذا وجد غلول فلا تنزل النار لتحرق الغنيمة، كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «غزا نبي <sup>(٢)</sup> من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما بين بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خِلْفَات وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضَعَفْنَا وَعَجَزْنَا فَأَحْلَهَا لَنَا» <sup>(٣)</sup>.

وإن الغنيمة لم تكن الهدف الأساسي للجهاد وإنما كان فضلاً ورزقاً أباحه الله لمحمد ﷺ ولأمته زيادة لهم مع أجر الجهاد لقول رسول الله ﷺ «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجمه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة» <sup>(٤)</sup>.

= وقيل: الجزية: ما يؤخذ من أهل الكفر (الذمة) جزاء على تأميتهم. وهي مشتقة من الجزاء، وهو المقابلة، لأنهم قابلوا الأمان بما أعطوه من المال فقابلناهم بالأمان. وهناك معانٍ أخرى للجزية. وجمع الجزية: الجزى مثل لحية لحي. انظر - معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم (١/٥٢٩-٥٣٠) ط/دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة.

(١) سبق التعليق على الآية وغيرها من الآيات والأحاديث، وذكر أقوال العلماء حولها في بيان إباحة الغنيمة للرسول ﷺ وأمته في صفحة (٨٠) و صفحة (٩٢) من هذا البحث. وكذلك كان يؤخذ من الغنيمة النفل والسلب للمقاتلين. انظر - بحوث فقهية هامة للدكتور عبد العزيز الحياط (ص: ٣٢، ٣٣).

(٢) بين الإمام أحمد بن حنبل أن هذا النبي هو يوشع بن نون. ثم ساق رواية في ذلك عند الإمام أحمد مرفوعاً: قال رسول الله ﷺ: «أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس» ثم رد على أقوال أخرى تخالف هذا القول بأدلة مقنعة. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/٢٥٥-٢٥٦).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب فرض الخمس، باب رقم (٨) (٢٥٤/٦).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، سبق تخريج الحديث في صفحة (٩٢) من هذا البحث.

وأما مشروعية الجهاد فلها حكم كثيرة، ومنها: حماية الدعوة الإسلامية ودفع العدوان عن المسلمين، فمن لم يجب الدعوة ولم يقاومها ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتاله ولا تبديل أمنه خوفاً، وهذا قول جمهور العلماء رحمهم الله<sup>(١)</sup>. وإن الرسول ﷺ كان أشد حرصاً على التمسك بالهدي الإلهي المتعلق بالغنيمة في جميع جوانبها سواء منها ما تعلق بطريق تملكها أو توزيعها. ومن المواقف الحسنة الدالة على تقيد الرسول ﷺ بهدي شريعته في توزيع الغنيمة والفيء وأخذ نصيبه منها ما يأتي:

أ- ما جاء في رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما أعطيك ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»<sup>(٢)</sup>.

ب- مما ورد في معنى قوله: «إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت» أي لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً إلا بأمر الله»<sup>(٣)</sup>.

ويفسر ذلك أنه كان يأخذ خمس الغنيمة ويضعه حيث أمره الله عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

(١) وللجمهور أدلة عقلية ونقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في إثبات هذا القول، ووجوه ترجيح أدلتهم

على أدلة مخالفينهم قوية وبينة مما يستدعي الأخذ بقولهم (الجمهور).

والرأي الآخر يرى أن الجهاد شرع لأنه طريق من طرق الدعوة إلى الإسلام كرهاً بغزو غير المسلمين إذا لم يدينوا بالإسلام طوعاً بالحكمة والموعظة الحسنة. ولهم أدلة في ذلك من الكتاب والسنة، ولكن الجمهور ردوا على وجوه استشهادهم بتلك الأدلة الشرعية. انظر - الجهاد طريق النصر لعبد الله غوشة (ص: ١٣-٢٥)، ط/وزارة الأوقاف والنشر والمقدسات الإسلامية - عمان سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

وأما الجهاد وفق الشرع فمن أهم وسائل الدعوة العملية ونصرة دين الله، وإزالة الذل والمسكنة والوهن عن المسلمين في الدنيا، والفوز بثواب الله في الآخرة وأما ترك الجهاد في سبيل الله فيسبب الذل والمسكنة والوهن للمسلمين وظهور طغيان الباطل على إحسان الحق، وإصابة إثم ترك الجهاد للمقصرين فيه بدون عذر شرعي والقاعدين عنه عن مقدرة. انظر - دراسات في طريق الدعوة الإسلامية للدكتور أحمد بن محمد العدناني (ص: ١٥٨-١٦٢). سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس باب رقم (٧) رقم الحديث (٣١١٧) (٢٥١/٦).

(٣) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٥٢/٦).

مما تدل عليه الآية الكريمة مشروعية تقسيم الغنيمة خمسة أقسام وتفويض الخمس إلى رأي الرسول ﷺ.

وقد أشار إسماعيل القاضي عند كلامه حول عدم ملكية النبي ﷺ للخمس في الآية الكريمة، إلى أن العلماء اتفقوا على أنه قبل فرض الخمس كان يعطي الغنيمة للغنائم بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، فلما فرض الخمس تبين للغنائم أربعة أخماس الغنيمة لا يشاركون فيها أحد، وإنما خص النبي بنسبة الخمس إليه إشارة إلى أنه ليس للغنائم فيه حق بل مفوض إلى رأيه ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان ﷺ يأخذ سهمه من خمس الغنيمة مع صفيه الخاص<sup>(٢)</sup> به رزقاً لنفسه كما جاء في بيان الإمام ابن قيم الجوزية حول هدي الرسول في الغنيمة أنه: «كان إذا ظفر بعدوه، أمر منادياً، فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاهم لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي، فوضعه حيث أراه الله، وأمره به من مصالح الإسلام، ثم يرضخ<sup>(٣)</sup> من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش، للفارس ثلاثة أسهم: سهم له وسهمان لفرسه، وللراجل سهم هذا هو الصحيح الثابت عنه... وكان له سهم من الغنيمة يدعى الصفي، إن عبداً، وإن شاء أمة وإن شاء فرساً يختاره قبل الخمس...»<sup>(٤)</sup>.

ب- ما كان من محافظته أمر ربه في أخذ نصيبه من الفبيء<sup>(٥)</sup> عملاً بقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(١) انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٥١/٦).

(٢) وسبق الكلام أن الصفي خاص بالرسول ﷺ وليس ذلك لأحد من الأئمة بعده. انظر- هامش رقم (٣) في صفحة (٩٠) من هذا البحث.

(٣) الرضخ: العطية القليلة. انظر- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير (٢٢٨/٢) ط/المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

(٤) انظر- زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية (١٠٠/٣-١٠٢).

(٥) سبق ذكر المراد بالفبيء في صفحة (١٢٢) وفي هامش رقم (٥) من هذا البحث. وللعلماء في الفبيء بعد الرسول ﷺ آراء في تخميس الفبيء أو عدم تخميسه ولكل أصحاب الرأي أدلتهم، والراجع من الرايين هو عدم تخميس الفبيء لقوة أدلتهم في المسألة.

وكذلك لهم أقوال في مصارف الفبيء. قول يرى صرفه في الأصناف المذكورين في الآية. وقول يرى صرفه في المقاتلين خاصة. وقول يرى صرفه في مصالح المسلمين وحسب رأي الإمام في ذلك فيوكل له الأمر في ذلك. والقول الأخير هو قول أكثر العلماء. انظر- الجامع لإحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨/٩-١٢) والأحكام السلطانية في الولايات الدينية للإمام الماوردي (ص: ٢٢٦، ٢٢٧). والفبيء والغنيمة ومصارفها تأليف محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الربيع (ص: ١٧١-١٧٨).

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧].

ومما جاء في معاني قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. أي ما أعطاكم من مال الغنيمة فخذوه، وما نهاكم عنه من الأخذ والغلول فانتهوا، قاله الحسن وغيره، وقال السدي: ما أعطاكم من مال الفبيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه. وقال ابن جريج: ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، الماوردي. وقيل: إنه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه، ولا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد<sup>(١)</sup>.

وهذا كلام وجيه حيث يجب على الأمة متابعة أوامره واجتناب نواهيه في كل شيء. ومما ورد في سبب نزول الآية ما قاله الكلبي: «أما نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله من أموال المشركين: يا رسول الله، خذ صفيك والربع ودعنا والباقي، فهكذا كنا نفعل في الجاهلية، وأنشدوه:

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ النَّشِيطَةُ وَالْفُصُولُ  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر في كل ما سبق ذكره أن الفبيء كان خاصاً للرسول ﷺ وتحت تصرفه، ويأخذ منه رزقه فينفق منه على نفسه وعلى أهله وما بقي بعد نفقة الأهل، يصرفه في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله في الآيات السابقة<sup>(٣)</sup>.

وما ذكر في أحوال اكتساب الرسول ﷺ من الغنيمة والفبيء من الأدلة الصريحة على مدى تمسك الرسول ﷺ بهدي ربه في أخذ أموال الكفار وتمليكها وتوزيعها بجميع أشكالها من خراج وجزية وغيرها.

إذن فالرسل عليهم السلام امتلكوا أرزاقهم بالطرق المشروعة وفق شريعتهم في مجتمعاتهم قبل بعثتهم وبعده، حيث جاء إعدادهم لحمل مسئولية الدعوة من قبل

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٨).

(٢) انظر - المصدر السابق (١٤/١٨).

(٣) راجع الأحاديث وتعليقات العلماء حول هذا الكلام في صفحة (٥٨) و صفحة (٩٠) من هذا البحث.

رب العالمين حتى لا يقعوا فيما يشوه سمعة الدعوة في أمتهم. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

د- ممارسة الطرق المسهلة لجلب الرزق.

أما الطرق المسهلة لجلب الرزق فهي الطرق المعنوية التي لا تنفك عن الطرق الحسية وهي كثيرة ومتعددة.

وإن الطرق المسهلة لجلب الرزق ليست خاصة بجلب الرزق، وإنما يأتي ذلك الرزق من باب زيادة الفائدة على الثواب المقصود المحتسب من سلوك تلك الطرق المتضمنة، لأنواع أعمال الطاعات والخيرات، إلا الدعاء في حالة تخصيصه بطلب الرزق. وأما سيرة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في ممارسة الطرق المسهلة لجلب الرزق وحصوله فإن طبيعة أخلاقهم كانت متضمنة لتلك الطرق كلها ولم يكن هدف الرسل (عليهم السلام) من القيام بالأعمال المسببة والمسهلة لجلب الرزق لأجل الرزق نفسه وإنما كان لأجل إرضاء الله عز وجل والفوز بثوابه، ورسم الهداية لأمتهم بالتطبيق العملي في الحث على أداء تلك الطاعات وبذلك الخيرات والتحلي بالأخلاق القيمة لكونهم قدوة لأمتهم.

لما في قول الله تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ بوجوب الاقتداء بهدي الرسل السابقين عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. والأمر الألهي للرسول بالاقتداء في الآية الكريمة هو أمر لأمة بالاقتداء بهدي الرسل كما جاءت الآية الكريمة بوجوب الاقتداء بهدي رسول الله محمد في قوله الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأما سيرة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في سلوك الطرق المسهلة لجلب الرزق فقد ظهرت في حالتين وهما:

١- حالة التطبيق الفعلي لمسهلات كسب الرزق من قبل الرسل عليهم السلام.

٢- حالة إخبار الرسل (عليهم الصلاة والسلام) الناس بمسهلات جلب الرزق.

ويأتي توضيحهما فيما يأتي:

الحالة الأولى- التطبيق الفعلي لمسهلات كسب الرزق.

وأما تطبيق الأعمال المسهلة لكسب الرزق وسعته فقد ضمن كلها أعمال الرسل الدعوية والاجتماعية والاقتصادية، كتقوى الله والاستغفار وصلة الرحم والإنفاق في سبيل الله والتفرغ للعبادة والطاعة دون أن يقصدوا رزقاً وراء هذه الأعمال، بل لارضاء الله عز وجل.

وأما الدعاء فهو من مسهلات جلب الرزق عند تخصيصه بطلب الرزق، وإن الرسل (عليهم لصلاة والسلام) كانوا يسألون ربهم بأسمائه الحسنی وصفاته العليا الخيرات من فضله الواسع مع الأخذ بالأسباب المشروعة المحسوسة من طرق الكسب. كما هو ظاهر في موقف نبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام) عند ما فر من بطش فرعون وملئه وتوجه إلى تلقاء مدين، وليس معه زاد من طعام ولا مال، فرأى أنه مفتقر إلى رحمة الله ورزقه فدعا ربه عز وجل. وجاء ذلك في قوله تعالى عنه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. فوفقه الله تعالى أن نزل في ضيافة شعيب وعمل أجيراً عنده ليحصل على رزقه، ولم يكتف بمجرد الدعاء بل قارنه بالعمل والحركة في إحدى وسائل الكسب التي هي الرعي والإجارة<sup>(١)</sup>.

كما تفهم قصة ذلك من الروايات الثابتة والآيات القرآنية التي منها قول الله تعالى عن موسى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

وأما ما حدث في سيرة الرسل عليهم السلام من حصول بعض النعم والأرزاق وسعتها بالدعاء دون عمل أو أخذ بإحدى وسائل كسب الرزق، فهو من باب

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٥٠٩-٥١٤) سبقت الإشارة إلى القصة في صفحة (١١٧) من هذا البحث.

المعجزات<sup>(١)</sup> التي يجريها الله على يد أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام لتثبيت فؤادهم وتصديق دعوتهم أمام مدعويهم المستجيبين منهم وغير المستجيبين وهي كثيرة في سيرة الرسل عليهم السلام.

ومن صور ذلك في سيرة الرسل عليهم السلام نزول المائدة الممتلئة بأنواع الطعام على الحواريين بسبب دعاء عيسى عليه السلام عندما طلبوا منه تلك المعجزة لتصديق دعوة عيسى بن مريم واطمئنان قلوبهم عليها، كما حكى القرآن الكريم القصة بقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

ومما جاء في تفسير قول الله تعالى على لسان عيسى: وارزقنا وأنت خير الرازقين. أي اعطنا من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب<sup>(٢)</sup> لأنك يا الله خير من يرزق المخلوقات. وللعلماء روايات وأقوال في تفصيل قصة نزول المائدة بدعاء عيسى ابن مريم عليه السلام على الحواريين<sup>(٣)</sup>.

(١) «المعجزة»: لها تعريفات عديدة منها: المعجزة أمر خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله. انظر- التعريفات للجرجاني ص/٢٧٣. ومنها: ما قال به الإمام ابن تيمية رحمه الله: «المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة. وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره - ويسمونها: الآيات. ولكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينها، فيجعل «المعجزة» للنبي، و «الكرامة» للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة». انظر- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٣١١/١١)، (٣١٢) ومعجزات الرسول ﷺ في مجال الرزق كثيرة منها: تكثير ثمار النخل بدعائه ﷺ. انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٧٢/٥).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٥٩/١).

(٣) انظر- المصدر السابق (١٥٩/١-١٦٤). المعجزات والكرامات خارق للعادة لها أحوالها الخاصة بها ومدتها محددة لفترة زمنية معينة وتنتهي مع زوال الأحوال الخاصة. وينبغي أن لا تتخذ مصدر للرزق، بل يجب السعي لطلب الرزق بواسطة أحد طرق الكسب المحسوسة المشروعة. وأما إذا فوجئ المسلم بنعم ورزق نتيجة المعجزات أو الكرامات فينبغي له الاستفادة منها دون أن يعتمد عليها، ولا ينسحب عن دائرة العمل والسعي للرزق؛ لما في ذلك من مخالفة هدي الرسل عليهم السلام ومنهجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدعوية =

إذن فالدعاء أو غيره من مسهلات جلب الرزق وسعته ينبغي أن يقترن بالعمل في إحدى طرق كسب الرزق المحسوسة المشروعة.

إن مواقف الرسل عليهم السلام في تطبيق الأعمال المسهلة لجلب الرزق وأساليبهم فيها كثيرة ومتعددة في سيرهم.

وما ذكر من تطبيقاتهم العملية لمسهلات كسب الرزق في هذا الموضوع إنما هو من باب ذكر نماذج منها، وليس من باب حصرها.

الحالة الثانية: إخبار الرسل الناس بمسهلات جلب الرزق.

وقد جاء هدي الرسل عليهم السلام في الكتاب والسنة لبيان مسهلات جلب الرزق وسعته بأساليب نبوية متنوعة لأمتهم مع بيان الشروط المتعلقة بها. وأما المسهلات التي أخبر بها الرسل فكثيرة ومتعددة منها: التقوى والاستغفار والتوبة وغيرها<sup>(١)</sup>.

ومن الصور الدالة على إخبار الرسل بمسهلات جلب الرزق، ما جاء في دعوة نوح عليه السلام قومه أن الاستغفار والتوبة من الذنب والمعصية من أسباب جلب الرزق وسعته عليهم، كما في قوله تعالى حكاية عن قول نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

يقول الإمام القرطبي: «في هذه الآية والتي في (هود)<sup>(٢)</sup> دليل على أن الاستغفار يستترل به الرزق والأمطار».

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الرزق، وأدرلكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم

= حيث كانت تجري على أيديهم المعجزات فيستفيدون من نعمها ويستفيد الناس بها معهم، ومع ذلك لم يتركوا السعي في طلب الأرزاق، ولم يأمرُوا الناس بترك السعي في طلب الرزق، ولم يحثوهم على الاعتماد على أرزاق المعجزات ونعيمها والاكتفاء بها دون غيرها. وهذا هو الواضح في سير الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(١) وقد جمع الدكتور فضل الهي مجموعة منها في كتابه: مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة.

(٢) والآية هي قول الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].



الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأثمار الجارية بينها»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء عن الرسول ﷺ أن الاستغفار والتوبة من مسهلات جلب الرزق كما في رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً»<sup>(٢)</sup>، ورزقه من حيث لا يحتسب<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

والنصوص الشرعية من القرآن والحديث كثيرة في البيان أن الاستغفار والتوبة من مسهلات جلب الرزق إلى المستغفر والتائب من الذنب والمعصية بشروطهما<sup>(٥)</sup> وإن الاستغفار والتوبة وغيرهما من مسهلات جلب الرزق ينبغي أن يقترن مع القيام بما يتاح من الأعمال المباشرة المحسوسة المشروعة في كسب الرزق؛ لهدى الرسل في إقرار ذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٩٥/١٨).

(٢) «مخرجاً» أي: «طريقاً واسعاً يخرج به إلى سعة ومنحة» مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري بتحقيق صدقي محمد جميل العطار (١٧١/٥).

(٣) «ورزقه من حيث لا يحتسب»: أي: حالاً طيباً من حيث لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله. المرجع السابق (١٧١/٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٤٨/١). وقد ضعف هذا الحديث بعض المحدثين بسبب أحد رواته. انظر - العون المعبود بشرح سنن أبي داود للمباركفوري (٣٨٢/٤).

ولكن الإمام الحاكم صحح إسناده. انظر - المستدرك على الصحيحين (٢٦٢/٤). وقال الشيخ أحمد شاکر عن الحديث: «إسناده صحيح» (هامش المسند ٥٥/٤) وأجاب عما قيل عن... الراوي المتكلم فيه.

انظر هامش رقم (٦) من كتاب مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة للدكتور فضل الهي ص/٢١، ٢٢. وكذلك يجيز جمهور العلماء العمل بالحديث الضعيف بشروطه. انظر هامش (٢) ص (١٢١) من هذا البحث.

(٥) وأما شروط التوبة والاستغفار فقد بين الإمام النووي في أن: «التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها - أن يقلع عن المعصية.

والثاني - أن يتندم على فعلها.

والثالث - أن لا يعود إليها. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت أموالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفو، وإن كانت غيبة استحلها منه. ويجب عليه التوبة من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي». انظر - رياض الصالحين ص/٢٤، ٢٥.

أما الاستغفار فيجب أن يكون بالقول والفعل كما بين ذلك الإمام الراغب الأصفهاني: أن الاستغفار: «طلب ذلك بالمقال والفعل. وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ولم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل باللسان والفعل، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعل فعل الكذابين». انظر - المفردات في غريب القرآن ص/٣٦٢.

(٦) انظر - ص/ ١٣١ من هذا البحث.

وهناك نصوص شرعية كثيرة لإثبات كل واحدة من مسهلات جلب الرزق التي أُنخِر عنها الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وذلك بتخصيص كل واحد منها بدليلها الشرعي على حدة.

وأكتفي بالطرق المذكورة منها في هذه المسألة حرصاً على الاختصار وللدلالة على صلة الرسل عليهم السلام بمشروعيتها<sup>(١)</sup>.

وكذلك يظهر فيما سبق بيانه من طرق مكاسب الرزق للرسل عليهم السلام في هذا الموضوع أن طرق مكاسب الرزق تتفرغ إلى فرعين:  
١- الطرق الحسية. ٢- الطرق المعنوية. والطرق المعنوية مرتبطة بالطرق الحسية<sup>(٢)</sup>.

إذن فالرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا متمسكين بمسهلات جلب الرزق مع أخذهم بالأسباب الموصلة إلى الرزق من أنواع طرق الكسب المشروعة. فيجب على الدعاة الاقتداء بهم في ذلك في كل زمان ومكان.

#### المسألة الخامسة: حسن الأخلاق في مجال طلب الرزق

إن من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام) كمال الخلق وحسن التحلي به في جميع المجالات نتيجة الإعداد الإلهي إياهم لتحمل مسئولية الدعوة إلى معرفة أحكام الدين، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه...<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]. «أي اصطفتيك واجتبتك رسولاً لنفسي أي كما أريد وأشاء»<sup>(٤)</sup>.

(١) ومن مسهلات جلب الرزق ما يأتي: تقوى الله تعالى، والتوكل على الله تعالى، والتفرغ لعبادة الله عز وجل، والمتابعة بين الحج والعمرة، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله تعالى، والإنفاق على من تفرغ لطلب العلم الشرعي، والإحسان إلى الضعفاء والمهاجرين في سبيل الله تعالى. لتوضيح هذه المسهلات مع معرفة أدلتها الشرعية: راجع كتاب مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة للدكتور فضل الهي ط/إدارة ترجمان الإسلام، جيرانواله - باكستان.

(٢) راجع هامش رقم (٣) صفحة (١٣٣) من هذا البحث.

(٣) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢٣٢).

(٤) انظر - المرجع السابق (٣/٢٠٧).

وكذلك جاء الثناء الإلهي على الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في مواقف عديدة في كتابه العزيز التي منها ثناؤه على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وهذه الآية مما يدل على الشهادة الإلهية لعظم خلق الرسول ﷺ.

وكذلك شهد الصحابة الذين عاشروه في عصره لعظم خلقه، ومن صرح بذلك زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث جاء في رواية سعد بن هشام، «فقلت: يا أم المؤمنين أنبيئي عن خلق رسول الله ﷺ قالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن...»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام النووي قولها: «(فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته»<sup>(٢)</sup>. ومما يفهم من الحديث أن واقع أخلاق الرسول ﷺ كان يفسر جميع الأخلاق الواردة في كتاب الله ﷻ.

وكذلك ما جاء في رواية أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً...»<sup>(٣)</sup>.

والشواهد التاريخية كثيرة في بيان سمو أخلاق الرسل عليهم السلام. وإن لكمال خلق الرسل عليهم السلام أثر في تقيدهم بمبادئ دينهم في كسب الرزق مما كان سبباً في نجاحهم في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق واستجابة الناس لدعوتهم والافتداء بهم في كل ما كانوا يدعونهم إليه.

وأخلاق الرسل عليهم السلام كثيرة ومؤثرة في إمالة المدعوين إلى قبول الدعوة ومن أخلاقهم في مجال كسب الرزق ما يأتي:

(١) أخرجه الإمام مسلم بطول الحديث في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب رقم (١٨) (٢٧١/٦)، (٢٧٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٢٧٢/٦).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه المطبوع مع تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي أبواب البر والصلة باب رقم (٦٨) (١٣٢/٦).

## ١- التزام العدل والصدق وأداء الأمانة مع الآخرين.

إن مما كان عليه الرسل عليهم السلام في المعاملة المالية مع الآخرين لكسب أرزاقهم، التزام العدل والصدق والأمانة، كما هو ظاهر في معاملة الرسول ﷺ الناس في الأمور المالية بالعدل والصدق والأمانة حتى شهد له أعداء الدعوة بذلك في مكة قبل الهجرة<sup>(١)</sup>. وأما الأمانة التي يتبعها العدل والصدق وغيره من الأخلاق القيمة فهي من أخلاق الرسل كلهم لربط وظيفتهم بها، لذا جاء تصريح الرسل بذلك لأمتهم في كثير من المواقف مع اختلاف عصورهم، كما جاء في قوله تعالى عن موسى ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فُتِنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ، أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧-١٨]. وقوله تعالى عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام إذ قال كل واحد منهم لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧، ١٤٣-١٤٢، ٢٢٥].

إذن فخلق أداء الأمانة ملازم للرسول في جميع أعمالهم التي منها الدعوة وطلب الرزق وغيره.

## ٢- احترام أموال الآخرين، وحب الخير لهم والتوسع عليهم.

إن من صفات الرسل عليهم السلام في المعاملة المالية مع الآخرين عند كسب الرزق احترام أموال الناس فلا يتسببون في إدخال أية خسارة أو ظلم في أموالهم بل يحبون لهم الخير، ويوسعون لهم ما يكون سبباً في توفير أموالهم، كما هو ظاهر في إكمال نبي الله موسى ﷺ عمله إلى أبعد الأجلين عندما عمل أجيراً لدى شعيب عليهم السلام بكل الأمانة والصدق والقوة<sup>(٢)</sup>. حيث إن زيادة الأجير في عمله بعد نهاية المدة المتفق عليها مما يوفر الخير لصاحب العمل.

وكما هو ظاهر في موقف الرسول ﷺ في حسن قضائه الدين لصاحب الدين أفضل مما كان في ذمته من دين صاحب الدين، لما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) انظر- السيرة النبوية لابن هشام (١/١٧١-١٧٣).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٥١٠-٥١٤).

«كان لرجل على النبي ﷺ سن<sup>(١)</sup> من الإبل فجاءه يتقاضاه، فقال ﷺ أعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا إلا سنا فوقها، فقال أعطوه، فقال أوفيتني أوفى الله بك، قال النبي ﷺ: إن خياركم أحسنكم قضاء»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر عند شرح الحديث: «وفيه حسن خلق النبي ﷺ وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه...»<sup>(٣)</sup>.

والمواقف الحسنة للرسول عليهم السلام كثيرة في هذا الباب بالأساليب النبوية المختلفة المؤثرة.

### ٣- الرضى بمقسوم الله ﷻ لهم، وعدم الطمع فيما في أيدي الناس

إن من صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في المعاملة المالية مع الناس الرضى بنصيبهم مما قسم الله ﷻ من الرزق بين العباد فيسعدون بالرزق الذي يجدونه من كسبهم قل أو كثر، ويحمدون الله على ذلك ولا يطغون على أحد نتيجة كثرة المال والرزق عندهم ولا يعتدون على أحد نتيجة فقر أو قلة رزق ومال، فيطمعوا في أموال الأغنياء وأصحاب الجاه، أو يستخفون بالضعفاء لعجزهم؛ حيث إن ذلك يتنافى مع طبيعة رسالتهم، بل كانوا يعتمدون على رزق ربهم ﷻ المقدر لهم، ويعالجون كل المواقف بأسلوب يوافق شريعتهم.

كما هو ظاهر في موقف نبي الله نوح عليه السلام في اعتماده على ما كان عنده من مال الله ورزقه ويحتسب ثواب دعوته عند الله ﷻ مما جعله يرفض طلبات المعارضين لدعوته من أصحاب الجاه في قومه، ويكرم الضعفاء المستجيبين منهم لدعوته؛ لكونهم أقوياء بالإيمان بالله ﷻ.

ومن الآيات التي تحكي هذه القصة قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ

(١) «سن» أي جمل له سن معين. انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٧٢/٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الاستقراض باب رقم (٧) (٧٢/٥).

(٣) انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٧٠/٥).

رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ النُّزُلَ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ،  
وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا  
إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ  
إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا  
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي  
أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧-٣١﴾ [هود: ٢٧-٣١].

مما جاء في تفسير الإمام ابن كثير للآيات: أن نوحاً يخبر قومه أنه رسول من  
الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له بإذن الله له في ذلك ولا يسألهم على ذلك  
أجراً بل يدعون من لقيه من شريف ووضع فممن استجاب له فقد نجح<sup>(١)</sup>.

كما هو ظاهر في زهد الرسول ﷺ في الاكتفاء بالرزق القليل الذي كان يملكه من  
كسبه وعدم الطمع في الرزق الكثير بل كلما وجد الكثير منه أنفقه في سبيل الله وغيره من  
وجوه الخير. واكتفى بقدر الكفاية من الرزق لما يعلم من هون الدنيا على الله ﷻ فهانت  
عليه الدنيا واكتفى بقدر الكفاية فيها ووجه كل طمعه في ثواب الله في الآخرة.

ومن الآيات الآمرة للرسول ﷺ بالاستهانة بالدنيا كثيرة منها: قوله تعالى:  
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ  
رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال الإمام ابن كثير في تفسير الآية: «يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ لا تنظر  
ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم، وإنما هو زهرة زائلة ونعمة  
حائلة، لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في رواية عمر بن الخطاب ﷺ عندما دخل على رسول الله ﷺ في  
المشربة<sup>(٣)</sup> التي اعتزل فيها الرسول ﷺ نساءه، «فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٥٨٢-٥٨٣)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي  
(١٦/٩-٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٢٣٠).

(٣) والمراد بالمشربة: الغرفة العالية. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٥/١٣٩).

رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف ... ثم رفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبه ثلاث، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسع لهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لي ...»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام ابن كثير بعد ذكر الحديث: «فكان ﷺ أزهدي<sup>(٢)</sup> الناس في الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له يُنْفِقُها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه لغد»<sup>(٣)</sup>. والشواهد التاريخية كثيرة في ذكر مواقف الرسل عليهم السلام في الرضى بما قسمه الله لهم من الرزق وعدم التطلع إلى ما في أيدي المدعوين.

#### ٤ - مواجهة الأحوال الطبيعية المستعصية عند طلب الرزق بالطرق المشروعة<sup>(٤)</sup>.

إن من صفات الرسل (عليهم السلام) عند طلب الرزق، مواجهة الحالات الطبيعية المستعصية العائقة للرزق بالطرق المشروعة، حيث إن الرسل عليهم السلام بشر

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم، باب رقم (٢٥) (١٣٧/٥، ١٣٨).

(٢) الزهد في اللغة: ترك الميل إلى شيء. وفي الاصطلاح: هو بغض الدنيا والاعراض عنها. وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلعت منه يدك. قال به الجرجاني في تعريفاته ص/١٥٢. وللعلماء تعريفات كثيرة للزهد، ذكر بعضاً منها الإمام ابن قيم الجوزية. وقال الإمام ابن قيم: «ومن أحسن ما قيل في الزهد، كلام الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال. ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه. وقد روى مرفوعاً».

انظر - مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن قيم الجوزية (١٤/٢) ط/مكتبة مصطفى أحمد الباز بمكة المكرمة الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

«والزهد فيما أنعم الله وتفضل به على الإنسان في هذه الحياة، بما جعله بلاء وعوناً للمهتدين على الإيمان والهدى وصالح الأعمال للمتقين، فيكون باقياً صالحاً للآخرة، وعوناً على الكفر والفسوق والعصيان، وعند الغافلين الكافرين - الزهد في ذلك اعراض عن نعم الله وتحقير لها. وليس هذا من هدي رسول الله ﷺ وهدي أصحابه. وإنما كان هداهم تقدير هذه النعم وحبها والفرح بفضل الله عليهم بها وشكرها بالاستعانة بها على النجاح والفلاح فيما ابتلاهم الله به». هامش رقم (١) من مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٩/٢).

(٣) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٣٠/٣).

(٤) تحت هذا العنصر لم يتطرق الكلام إلى بيان طرق مواجهة عوائق الدعوة من جانب أعداء الدعوة فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية، لأن الكلام هنا خاص بطلب الرزق وليس بالدعوة. وسوف يأتي الكلام عن تلك الطرق المتعلقة بالعوائق في الفصل السادس تحت عنوان عوائق الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وكيفية التغلب عليها.

مثل بقية الناس فهم معرضون للأزمات والصعاب والمشقات، من مرض وفقر وموت وغيره مما لا يطعن في رسالتهم السماوية بقضاء الله وقدره، كما يفهم ذلك من عموم حياة الرسل (عليهم السلام)، ولذا كان من مواقف الرسل (عليهم السلام) في حالة الفقر الاستعانة بالله ﷻ ثم الجِد والاجتهاد في استعمال إحدى الطرق الموصلة إلى الرزق.

كما هو ظاهر في دعاء موسى عليه السلام: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. ثم عمله بالأجرة عند نبي الله شعيب عليهما السلام<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الرسل إذا تعرضوا لحالة فقر قبل أن يتواصلوا إلى سبب موصل إلى رزق، فيستقرضوا ما يريدون من الرزق من الناس، ثم يسددون القرض بمثله بما هو أفضل منه، كما هو ظاهر في استقراض النبي ﷺ الإبل من الرجل، ثم تسديده الإبل الذي كان في ذمته بأفضل منه<sup>(٢)</sup>.

أو يسترهنون بعض أمتعتهم عند أصحاب الأرزاق للحصول على بعض الأمتعة الذي يحتاجون إليه، ثم يفكون رهنهم بعد إيفاء قيمة المتاع، وما كانوا يأخذون الرهن قبل تسديد ثمن المتاع.

وكانوا يتقدمون لهذه الأحوال الحرجة لأجل الخروج من ضيق الفقر الذي يعانونه (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

كما هو ظاهر في موقف الرسول ﷺ مع اليهودي الذي اشترى منه طعاماً ورهنه درعه ﷻ، ويظهر من هذا الفعل أنه فعل ذلك ليخرج من الضيق الذي كان فيه.

وجاء في رواية عن أنس رضي الله عنه «أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سَنَخَه، ولقد رهن النبي ﷺ درعا<sup>(٣)</sup> له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيراً لأهله،

(١) انظر - سبق الحديث عن القصة في ص/١٣٢ من هذا البحث.

(٢) سبق ذكر الحديث الوارد في ذلك في ص/١٣٩ وهو من رواية الإمام البخاري في صحيحه.

(٣) وجع الإمام ابن حجر روايات بعض المحدثين حول رهن الرسول ﷺ درعه لليهودي وفيها ما يدل على أن الرسول ﷺ توفي قبل أن يفتك درعه، وأن أبا بكر ﷺ افتك الدرع بعد الرسول ﷺ وسلمها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وأن ما ورد من تعلق نفس المؤمن بدينه حتى يقضى عنه بعد وفاته، وأن محل هذا في غير نفس الأنبياء عليهم السلام، فإنها لا تكون معلقة بدين فهي خصوصية، وغير ذلك من الأقوال للعلماء في بيان هذه المسألة. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٦٩/٥).



ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع برّ ولا صاع حب، وإن عنده لتسع نسوة»<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الرسل عليهم السلام يصبرون على حدة الفقر والجوع قبل أن يجدوا مخرجاً منه، كما هو ظاهر في صبر النبي ﷺ على الفقر والجوع الذي كان يُعرَفُ في وجهه أحياناً من قبل بعض أصحابه مما جعل البعض منهم يمدون العون إليه من عند أنفسهم هدية له ﷺ.

كما في رواية أبي مسعود<sup>(٢)</sup> قال: «جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب فقال لغلام له قَصَّابٌ<sup>(٣)</sup>: اجعل لي ما يكفي خمسة من الناس، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس الخمسة، فإني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم، فجاء معهم رجل، فقال النبي ﷺ: إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت أن يرجع رَجَعَ. فقال: لا، بل قد أَذِنْتُ لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وكان الرسل عليهم السلام إذا لم يجدوا مخرجاً من ضيق الفقر الذي يعانونه بعد جهدهم في استخدام الأسباب المؤدية إلى كسب الرزق فيستعينوا بالله ثم بمن يتوسمون فيه الخير من أهل الخير والصالح بدون نية التكثير في أموال الناس بل بقدر الحاجة وذلك بغض النظر عن استجابتهم لطلبهم أو عدمها، حيث إن المسألة في هذه الحالة تعتبر جائزة ولا يكون المستول بأفضل من السائل<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الصوم باب رقم (١٤) (٣٥٤/٤). أما الضمير في «سمعته يقول» فهو للنبي ﷺ، أي قال ذلك لما رهن الدرع عند اليهودي مظهراً للسبب في شرائه إلى أجل. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣٥٤/٤، ٣٥٥).

(٢) هو صحابي جليل أبو مسعود هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدارة الأنصاري الخزرجي، اختلف في شهوده بدرأ، ولا خلاف في أنه شهد أحداً وما بعدهما، نزل الكوفة وهو في أصحاب علي، توفي بعد عام (٤٠هـ) على الراجح رضي الله عنه. انظر الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٤٨٣/٢، ٤٨٤).

(٣) (قصاب) يفتح القاف وتشديد المهملة وآخره موحدة وهو الجزار. انظر فتح الباري للإمام ابن حجر (٣٦٥/٤).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الصوم باب رقم (٢١) (٣٦٥/٤).

(٥) وبين الإمام القرطبي: أن العلماء رحمهم الله قسموا المسألة ثلاثة أقسام: محرمة، ومكروهة وجائزة.

فاخرمة: هي التي تكون بمعنى الفقر، وليس بفقر، أو يظهر من الفقر أكثر مما به.

والمكروهة: هو الذي يسأل وله أوقية، لأن النبي ﷺ أعطى حكيم بن حزام مرات، وكان يملك أكثر من ذلك، غير أنه كان ممن يجوز له أخذ الصدقة، لأنه كان من المؤلفرة قلوبهم، ولو كان حراماً ما أعطاه، غير أنه يكره له ذلك. =

كما هو ظاهر في طلب موسى عليه السلام مع صاحبه الخضر الطعام من أهل القرية التي دخلا فيها في طريق سفرهما - والمعروف أن المسافر في مظن التعرض لفقدان الزاد والمؤن - كما حكى عنهما القرآن بقول الله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] <sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ مع صاحب الحائط الذي طلب منه إطعامهم هو وأبو بكر وعمر عندما خرجوا لسبب ما كان بهم من جوع.

لما جاء في رواية أبي عسيب رضي الله عنه قال: ... خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمرّ بي فدعاني إليه فخرجت ، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط: أطعنا بسرّاً، فجاء بعدق فوضعه، فأكل فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال: لتسألن عن هذا يوم القيامة ...» <sup>(٢)</sup>.

وفي حالة سد حاجة الرسل عليهم السلام أو حصولهم على إحدى مكاسب الرزق فيأمرون المنفق عليهم بالكف عن إنفاقه عليهم، كما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ مع بعض جيرانه من الأنصار ﷺ في وضعهم التمرات له.

لما جاء في رواية أنس بن مالك ﷺ قال: «كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، فكان بعد ذلك يرد عليهم» <sup>(٣)</sup>.

= والجائزة من المسألة: هي كثيرة منها: ١- من كان له دون الأربعين وسأل بالمعروف فلا حرج. ٢- ومن اضطر إلى المسألة ففرض عليه أن يسأل، ولا يكون المسؤول حينئذ أفضل من السائل لأن موسى والخضر عليهما السلام استطعما أهل قرية. ٣- من سأل على غير الوجه المعروف لأمر نزل به من جائحة أصابته، أو حمالة تحمل بها، أو دية لزمته، أو ليكافئ على خير يؤتى به إليه، فهذا حلال، ولا يكون المسؤول بأفضل من السائل وقد خرج النبي ﷺ إلى بني قينقاع وهم يهود، يستعين في دية رجلين من أصحابه. انظر بالتصرف: قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ص/١٥، ١٦ ط/دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. وجاء في حديث طويل قول الرسول ﷺ: «... إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مقطوع، أو دم موجع» أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب التجارات باب رقم (٢٥) رقم الحديث (٢١٩٨) (٧٤٠/٢، ٧٤١).

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٣١/٣-١٣٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بطول الحديث (٨١/٥) وقال الإمام المنذري: «رواه ثقات» الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (١٦٤/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب رقم (١٣) رقم الحديث (٤٠٣١) (٣٨٣/٧).

وكذلك إن الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يصبرون على شدة ما يبتليهم به ربه ﷻ من البلاء من مرض وغيره مما يؤدي إلى ذهاب ما لهم ورزقهم أو تلفه، فلا يزيدهم ذلك إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً لله ﷻ، على ذلك الابتلاء لعلمهم أن هذا الابتلاء من الله ﷻ لقول الرسول ﷺ حول ابتلاء الأنبياء في ورية عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل،...»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «قال الأنبياء» أي هم أشد في الابتلاء لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لتوهم فيهم الألوهية، ولتوهمن على الأمة الصبر على البلية، لأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى...»<sup>(٢)</sup>.  
ومما دل على هذا الموقف عن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ما جاء في صبر نبي الله أيوب عليه السلام في تحمله شدة البلاء في جسده ووفاة أولاده، وذهاب أمواله، فاحتسب الأجر في هذا البلاء، وفوض كل أموره إلى الله ﷻ طوال فترة الابتلاء، ثم استرحم ربه فكشف عنه الضر، وعوض له الأهل والأموال بعد ذلك الابتلاء.

وقد حكى القرآن الكريم القصة في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [الأنبياء: ٨٣-٨٤].  
وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾<sup>(٤)</sup> [ص: ٤١-٤٢]. وقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٥)</sup> [ص: ٤٤].

(١) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه المطبوع مع تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري أبواب الزهد باب رقم (٤٥) (٦٦/٧، ٦٧).

(٢) انظر - المرجع السابق (٦٦/٧).

(٣) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٥٣/٣-٢٥٦).

(٤) وللعلماء أقوال في إسناد المس إلى الشيطان مع أن الله سبحانه هو الذي مسه بذلك. منها أنه إما لكونه لما علم بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب. فقد قيل إنه أعجب بكثرة ماله، وقيل: استغاثه مظلوم فلم يغيثه، وقيل: إنه قال ذلك على طريقة الأدب، وقيل: إنه قال ذلك لأن الشيطان وسوس إلى أتباعه فرفضوه وأخرجوه من ديارهم، وقيل: المراد به ما كان يوسوسه الشيطان إليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة وقيل: غير ذلك. انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (٤٣٦/٤).

(٥) انظر - المرجع السابق (٤٣٥/٤-٤٣٧) وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٢/٥، ٥٣).

ومواقف الرزل كثيرة في معالجة الحالات الطبيعية المستعصية عند كسب الرزق بالطرق المشروعة مع بذل الجء والاجتهاء في الحصول على بغيتهم من الرزق.

##### ٥- البء عن الطرق المنكرة والحرمة لكسب الرزق

إن من صفات الرزل عليهم السلام عند طلب الرزق، البء عن كل طرق الكسب المخالفة لشريعتهم<sup>(١)</sup>، حيث إن العمل بما يخالف الشريعة مما يتنافى مع رسالتهم السماوية، وقد صرحوا بذلك لأمتهم. كما قال تعالى عن شعيب عليهم (الصلاة والسلام) بء أن ذكر الطرق المحرمة في قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَآحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ولم يقتصروا بالتصريح بل بينوا كل الأحكام المتعلقة بالدين والدنيا والتي منها الأحكام المتعلقة بطرق كسب الرزق من حيث الحلال والحرام بالأساليب النبوية البعيدة عن كل التعقيدات والغموض، حيث إن تبليغ أحكام الله هي مهمتهم الأولى وهو صفتهم في كل عصر من عصور الرسالة كما قال تعالى عنهم: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. ومما ذكر في معنى الآية عند المفسرين: أي ليست وظيفة الرزل إلا الإبلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]<sup>(٢)</sup>.

وكما جاء في الحديث الدال على وضوح رسالة محمد ﷺ لأمته، عن العرباض بن سارية يقول: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودّع فماذا تعهد علينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا زيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من

(١) والطرق غير المشروعة لكسب الرزق كثيرة جداً، منها: الربا، السرقة، الغصب، النهب، بيع الحرمات من الطعام والأمتعة وشراؤها، وغير ذلك من الطرق المحرمة وهي مفصلة في الكتب الفقهية وغيرها.

(٢) انظر- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٣٥/١٤، ١٣٦) ط/دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة الأولى

سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمن كالحمل الأنف حيث قيد انقاد»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «على البيضاء، أي على الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل شبهاً أصلاً»<sup>(٢)</sup>. وكان الرسل عليهم السلام كلما عاينوا شيئاً من الطرق المحرمة أو المنكرة لكسب الرزق نبهوا عليه، كما نبه شعيب عليه السلام قومه على قبح فعلهم في نقص الميزان والمكيال في بيعهم وشرائهم، قال تعالى عنه في ذلك: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]. إذن فمواقف الرسل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الباب كثيرة جداً في حياتهم الدعوية في كل المجالات.

وما ذكر في هذه المسألة من أخلاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) عند كسب الرزق والمتمثلة في التزام العدل والصدق وأداء الأمانة مع الآخرين، واحترام أموال الناس وحب الخير لهم والتوسع عليه، والرضى بنصيهم مما قسم الله بين العباد من الرزق، وعدم الطمع فيما في أيدي مدعويهم، ومواجهة الأحوال المستعصية بالطرق المشروعة والبعد عن كل الطرق المنكرة والمحرمة لكسب الرزق، مما يؤكد مدى التزامهم بهدي الشريعة في كسب الرزق.

فعلى الدعاة في كل عصر مراعاة هدي الرسل عليهم الصلاة والسلام في ذلك.

#### المسألة السادسة- شكر الله<sup>(٣)</sup> على نعمة الرزق

إن الرسل عليهم السلام كانوا أكثر أمتهم في تقديم الشكر لله على نعمه التي يوليها إياهم ولم يكن رسول من الرسل عليهم السلام يحوز رزقاً من الأرزاق الظاهرة

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سنن ابن ماجه المقدمة باب رقم (٦) (١٦/١).

(٢) انظر- هامش رقم (٤٣) المرجع السابق.

(٣) ومعنى الشكر في اللغة: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجان والاركان. ومعنى الشكر في الاصطلاح: هو عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب. وقيل: هو الثناء المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمه. والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته. وقيل: معنى الشكر هو: تصور النعمة وإظهارها. ويضاد الشكر الكفر: وهو نسيان النعمة وسترها.

والشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على النعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه كما في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ [سورة سبأ: ١٣]. فقد قيل شكراً انتصب على التمييز، ومعناه: اعملوا ما تعملونه شكراً لله. انظر- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/٢٦٥، والتعريفات للجرجاني ص/١٦٧.

والباطنة إلا اعترف بها لله ﷻ وشركه عليها بما تيسر من أساليب الشكر على النعمة وقد كانت للرسل عليهم السلام أساليب كثيرة في القيام بشكر الله ﷻ على نعمه عليهم ومنها ما يأتي:

#### ١- الاستمرار على الشكر.

إن الرسل عليهم السلام كانوا مستمرين على أداء شكر الله ﷻ ويبدلون الجهد فيه عند آية نعمة، كما هو ظاهر في قيام نبي الله إبراهيم عليه السلام بشكر نعم ربه عليه سواء كانت صغيرة أو كبيرة، كما حكي القرآن الكريم موقفه هذا بقول الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

ومما جاء في معنى قوله (شاكراً لأنعمه) أي قائماً بشكر نعم الله عليه، وقيل شاكرًا لأنعمه التي أنعم الله بها عليه وإن كانت قليلة كما يدل عليه جمع القلة فهو شاكر لما كثر منها بالأولى<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في كثرة قيام نبي الله نوح ﷺ بشكر الله ﷻ عند كل نعمة لما يدل على ذلك قول الله تعالى عن نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. ومعنى قوله (عبدا شكورا) أي أن نوحا كان عبداً شكوراً يشكر الله على نعمه ولا يرى الخير إلا من عنده<sup>(٢)</sup>.

#### ٢- الاستعانة بالله على شكر النعمة

إن من صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بعد حيازة رزق من أرزاق الله لهم طلب العون من الله على أداء واجب الشكر على تلك الأرزاق والنعم. كما هو ظاهر في دعاء نبي الله سليمان ربه بالاستعانة على شكر نعمته عليه وجاء في قول الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٨٠/٢) وفتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم

التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني (٢٠٢/٣).

(٢) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٠/١٠).

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير قوله: «قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطق الطير والحيوان وعلى والذي بالإسلام لك والإيمان بك»<sup>(١)</sup>.

### ٣- التصريح بالحمد لله<sup>(٢)</sup> على رزقه

وإن من صفات الرسل في شكر نعم الله التصريح بقول الحمد لله عند الشعور بملكية رزق من أرزاق الله قليلاً كان أو كثيراً.

كما حمد نبي الله إبراهيم عليه السلام ربه على إعطائه الابن مع كبر سنه وذلك في قول الله تعالى عنه قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].<sup>(٣)</sup>

### ٤- الشكر بالطاعة وأداء النوافل

إن من صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في استخدام أساليب شكر نعم الله تقديم الشكر لله ﷻ بالطاعات وأداء النوافل لله ﷻ. كما يفهم ذلك من قيام الرسول محمد ﷺ بأداء صلاة النوافل في الليل شكراً لله على نعمه الكثيرة عليه التي منها غفران ذنبه مما تقدم وما تأخر.

كما في رواية زياد قال سمعت المغيرة بن نوفل يقول: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ - أَوْ لَيُصَلِّي - حَتَّى تَرْمَ قَدَمَاهُ - أَوْ سَاقَاهُ - فَيُقَالُ، فَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٧٧/٣، ٤٧٨).

(٢) معنى الحمد في اللغة: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده. وفي الاصطلاح: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها. وقيل: الحمد لله يأتي بمعنى الثناء عليه بالفضيلة. وهو أخص من المدح وأعم من الشكر. وهناك تعريفات أخرى للحمد.

وما ورد من الفرق بين معنى الحمد والشكر: أن الشكر هو الاعتراف بالنعمة عن جهة التعظيم للمنع، والحمد الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به. أيضاً ويصح على النعمة وغير النعمة. والشكر لا يصح إلا على النعمة، وغير ذلك من أوجه الاختلاف بينهما. انظر - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص/١٣١، والتعريفات للدرجاني ص/١٢٦، والفروق اللغوية للإمام الأديب اللغوي أبي هلال العسكري ص/٣٥ ط/دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٨١٣/٢، ٨١٤).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التهجد باب رقم (٦) (١٨/٣، ١٩).

وفي رواية عن المغيرة أيضاً: «فقل له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً»<sup>(١)</sup>.

وذكر الإمام ابن حجر (رحمه الله) عدداً من فوائد هذا الحديث ومنها: «أن فيه مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان...»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلماء: «إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد»<sup>(٣)</sup>.

وأساليب شكر نعمة الله كثيرة ومتعددة في سير الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، لإدراكهم الكامل أن شكر الله على نعمه واجب شرعي على العباد بما أتيحوا من الأساليب المشروعة لشكر نعم الله ﷻ.

كما هو ظاهر في تفاني آل داود في أداء واجب الشكر الذي ألزموا به من قبل ربهم بعد سماعهم قول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾ [سبأ: ١٣]<sup>(٤)</sup>.

وكما هو ظاهر في الأمر الإلهي للأمة المحمدية بالقيام بأداء واجب الشكر لله عند كل نعمة من نعمه في آيات كثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١٤٤].

وقيل: إن الفاء في (فكلوا) داخلة على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالأكل لأن الأكل ذريعة إلى الشكر<sup>(٥)</sup>.

فيفهم مما ورد في هذا العنصر المبحوث أن الشكر يجب أن يصحب كل نعم الله ﷻ على العبد.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب رقم (٢) (٤٤٨/٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٠/٣).

(٣) المرجع السابق (٢٠/٣).

(٤) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٧٥، ١٧٤/١٤).

(٥) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٠٠/٣).



وكذلك ما ذكر هنا تحت هذا العنصر من أساليب الرسل في شكر نعمة الله إنما هو من باب ذكر نماذج منها وليس على وجه الحصر، ومن باب بيان مشروعة شكر نعمة الله في كل الأحوال.

وكل ما سبق بيانه في هذا المطلب الأول للفصل الثاني من سير الرسل عليهم السلام في كيفية طلب أرزاقهم من حيث الالتزام بخشية الله ﷻ، والتعامل مع الرزق الطيب، وعدم تحريم ما أحله الله من الرزق، وملكية الرزق بالطرق المشروعة، والتحلي بالأخلاق الحسنة في المعاملات المالية وغيرها، وتقديم الشكر لله ﷻ على أرزاقه ونعمه عليهم، مما يؤكد مدى تقيد الرسل عليهم السلام بهدي شريعتهم في كسب الرزق.

ويجب على الدعاة في كل زمان ومكان أن يتقيدوا بهدي الرسل (عليهم أفضل الصلاة والسلام) في كسب الرزق، والدعوة وغيرها من أمور الدين والدنيا. وقيام الرسل عليهم السلام بالتقيد بهدي الشريعة في طلب الرزق يكونون بذلك قد أدوا ركناً من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

(١) سبقت الإشارة إلى أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/١٠٥ من هذا البحث.

## المطلب الثاني

قيام الرسل عليهم السلام بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق

المطلب الثاني: قيام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق

المراد بقيام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق في هذا الموضوع هو عبارة عن ذكر بعض الأحوال المهمة للرسل في كيفية تنسيق التصرفات بين القيام بالدعوة وطلب الرزق في صورة تحقق فيها الأهداف الدعوية، والأهداف الاقتصادية المشروعة.

وقد ثبت بالكتاب والسنة وهدي الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وهدي سلف الأمة (رحمهم الله) أن الرسل جمعوا بين قيامهم بالدعوة إلى الله وبين سعيهم لكسب الأرزاق من فضل الله ﷻ الذي أنزله على عباده؛ لبحثوا عنه بالوسائل المشروعة فيشكروا الله على نعمه عليهم ويحققوا له ﷻ الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته العليا كاملة غير ناقصة<sup>(١)</sup>.

وقد دلت النصوص الشرعية على وجود الربط بين دعوة الرسل وسعيهم في طلب الرزق في مواقف عديدة بأساليب متنوعة. ومنها على سبيل المثال:

١- أسلوب الرد على شبهة الكفار التي ترى أن الرسول المكلف بالدعوة إلى الله لا يكون مثل سائر البشر في أكل الطعام والسعي لطلب الرزق في الأسواق، وأن الأفضل للرسول أن يلقي الله إليه كترًا من الذهب يستغني به عن السعي في طلب الرزق، أو تكون له جنة يأكل منها وتسير معه حيثما سار، وأن يصاحبه أيضاً ملك يكون شاهداً معه على رسالته. كما في قوله الله تعالى عن قول الكفار ضد نبي الله محمد ﷺ: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَثرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧-٨].

ومما جاء من الرد عليهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

(١) سبق الكلام حول إثبات قيام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٧٢ من هذا البحث.

ومما جاء في تفسير الآية: يقول تعالى مخبراً عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين: «أفهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذية به، ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم فإن الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والأقوات الفاضلة والأعمال الكاملة والخوارق الباهرة والأدلة الظاهرة...»<sup>(١)</sup>.

## ٢- أسلوب الأمر

وقد أمر الله الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بأكل الطيبات مع القيام بأداء العمل الصالح، وإن الأكل في الغالب لا يأتي إلا بعد السعي في طلب الرزق، وكذلك إن الدعوة إلى الله نوع من الأعمال الصالحة التي كلف بها الرسل عليهم السلام. إذن فارتباط دعوة الرسل بطلب الرزق كان أمراً وارداً في حياتهم عليهم السلام، كما في قول الله تعالى لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصحاً فجزاهم الله خير الجزاء»<sup>(٢)</sup>.

## مراحل قيام الرسل بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق:

قد كانت للرسول (عليهم الصلاة والسلام) مواقف عديدة في القيام بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق، وتقتضي دراسة تلك المواقف في هذا الموضوع أن تقسم في مرحلتين:

الأولى- تخصيص وقت معين للدعوة مع وجود الصلة بطلب الرزق.

والثانية- تخصيص وقت معين لطلب الرزق مع وجود الصلة بالدعوة.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤١٧/٣).

(٢) انظر- المصدر السابق (٣٣١/٣).

كما بين الشيخ محمد الشيباني عند رده على المنكرين للاكتساب، أن الاكتساب طريق المرسلين (عليهم الصلاة والسلام) وأن الأنبياء في هذا ليسوا كغيرهم فقد بعثوا لدعوة الناس إلى دين الحق وإظهار ذلك، فكانوا مشغولين بما بعثوا لأجله ولم يشتغلوا عامة أوقاتهم بالكسب لهذا، وقد اكتسبوا في بعض الأوقات ليسيئوا للناس أن ذلك مما ينبغي أن يشتغل به المرء وأنه لا ينفي التوكل على الله<sup>(١)</sup>.

إذن فجمع الرسل (عليهم الصلاة والسلام) الدعوة مع طلب الرزق واضح في تقسيمهم الوقت بينهما وتنظيم التصرف في وقت كل منهما على وجه يخدم الدعوة وكسب الرزق.

وأما بيان مراحل قيام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق فيأتي فيما يلي:

**المرحلة الأولى - تخصيص وقت معين للدعوة مع وجود الصلة بطلب الرزق**  
إن من أحوال الرسل عليهم السلام في حياتهم الدعوية والاقتصادية، الانطلاق لأداء مهمة الدعوة مع الاكتفاء والاستفادة بما معهم من الرزق والتفرغ الكامل لأداء مسئولية الدعوة والانقطاع الكامل عن مواصلة طلب الرزق الجديد؛ لإدراكهم عظم أداء مسئولية واجب الدعوة، وقد اختصت هذه المرحلة في حياة الرسل بعدة أعمال التي تؤدي إلى تنسيق الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ويأتي تفصيلها في شكل مسائل آتية:

#### المسألة الأولى - الشعور بعظم مسئولية تبليغ الدعوة

إن الرسل عليهم السلام كانوا يدركون عظم وجوب القيام بأداء رسالة الله المسندة إليهم إلى عباده ليمثلوا أوامره ويحتملوا نواهيه فأصبحوا بذلك العمل مبلغين عن الله في أرضه ﷻ. كما في قوله تعالى عنهم: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقوله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١) انظر بتصرف: الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني بتلخيص تلميذه الإمام محمد بن سماعة (ص: ٢١).

والعموم الكائن في (ما أنزل) يفيد أنه يجب عليه ﷺ أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه لا يكتف من شئاً<sup>(١)</sup>.

وهذا الشعور العظيم بأداء واجب تبليغ دعوة الله إلى عباده، لدى الرسل عليهم السلام، مما جعلهم يستعدون لذلك العمل ويستخدمون كل الوسائل المتاحة لهم مع المسارعة في تبليغ الدعوة، ويذلون أقصى جهدهم في القيام بذلك الواجب، ويظلون مراقبين لمعالجة أي موضوع من مواضع الدعوة في أي ميدان من ميادينها، من حيث الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر. كما هو ظاهر في موقف نوح عليه السلام في بذل جهده واستخدام أنواع أساليب الدعوة لإقناع قومه؛ لكي يقبلوا دعوته.

وقد حكى القرآن الكريم موقفه هذا في آيات متعددة، ومنها: قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا، ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٥-٢١].

ويتضح في الآيات السابقة موقف نوح عليه السلام في دعوته مع عناد قومه وإصرارهم على الباطل، حيث زين لهم الدعوة وفاوت بين الأساليب، فمرة يخوف، وأخرى يبشر، ومرة يشتد، وأخرى يلين، ومرة يعدهم بنعم الله، وأخرى يذكر بآياته في الآفاق وفي أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

ومثل هذا الموقف من قبل نوح كثير ومتعدد في سير الرسل (عليهم الصلاة والسلام) عند دعوتهم أقوامهم، وهذا مما يدل على اهتمامهم الكبير بأصل عملهم

(١) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢/٥٩).

(٢) انظر - دعوة الرسل إلى الله تعالى محمد أحمد العدوي (ص: ١٧).

الذي هو الدعوة إلى دين الله ﷻ، وإدراكهم التام أن هذه النبوة التي أعطاهم الله إياها أفضل من كل ما يملكه الإنسان في حياته الدنيوية.

كما جاء ذلك في قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ رداً على اعتراضات الكفار

لنبوة محمد ﷺ: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وللعلماء قولان في معنى قوله تعالى ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ أحدهما - النبوة خير من

الأموال التي يجمعونها. والثاني - الجنة خير مما يجمعون في الدنيا<sup>(١)</sup>. ولكن المعنى الأول

أنسب لسياق الآية؛ لأن المراد بالرحمة في الآية السابقة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ

رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. هي النبوة<sup>(٢)</sup>.

إذن فشعور الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بفضل الدعوة وبمسئولية أدائها مع

وجود صلتهم بكسب الرزق، من الأسباب التي جعلتهم يخصصون أغلب أوقاتهم

بالدعوة إلى دين الله دون أن يشركوها بعمل آخر. كما هو ظاهر في عموم مواقف

الرسل عليهم السلام عند ممارستهم الدعوة إلى الله تعالى.

#### المسألة الثانية - التفرغ للدعوة

إن الرسل عليهم السلام كانوا إذا باشروا الدعوة إلى الله يتفرغون لها ويجتنبون

كل الشواغل الصارفة لهم عن ذلك ومنها طلب الرزق حتى يكملوا ما هم فيه من

مباشرة الدعوة، ومعالجة موضوع الدعوة الذي هم في صده. كما هو ظاهر في

لقاءات الرسول ﷺ مع مدعويه في مواقف مختلفة لغرض دعوتهم إلى دين الله

وإرشادهم فيه، حيث لم يكن شيء يشغله عن الدعوة والإرشاد في تلك اللحظات.

ومن تلك اللقاءات ما كان في سفر الرسول ﷺ إلى الطائف وجلوسه مع

بعض سادة قبيلة ثقيف وأشrafهم، ودعوته إياهم إلى دين الله في تلك الجلسة<sup>(٣)</sup>

وكذلك ما كان من عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل في مواسم الحج لغرض

(١) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣١٣/٧).

(٢) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٥٥٤/٤).

(٣) انظر - السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٤-٢٨٧).

الدعوة إلى دين الله ﷻ<sup>(١)</sup>. حيث كان الرسول ﷺ متفرغاً لدعوة أفراد تلك القبائل إلى الإسلام دون عمل آخر.

وكذلك تفرغ النبي ﷺ في أثناء اللحظات التي كان يقضيها في إرشاد الصحابة في أمور دينهم ﷻ. والأمثلة في ذلك كثيرة جداً في كتب السنة والأحكام. إذن التفرغ للدعوة في وقتها المخصص، كان من الأعمال التي لازم عليها الرسل عليهم السلام مع وجود صلتهم بكسب الرزق في وقت آخر، حيث ثبت أن الرسول ﷺ كان يمشى في الأسواق لطلب رزقه مما دعا إلى استغراب كفار قريش<sup>(٢)</sup>.

#### المسألة الثالثة: الاكتفاء بالقدر الموجود من الرزق

إن من صفات الرسل عليهم السلام عند ممارستهم العملية الدعوية مع ارتباطهم بكسب الرزق، أن يكتفوا بما يملكون من الرزق ويرضوا بمقسوم الله لهم من الرزق ويستفيدوا به عند الأوقات التي خصصوها بالدعوة، وذلك بعد ما عملوا كل ما في وسعهم لضمان قوتهم وقوت أهليهم قل أو كثر. ولما كان في ذلك من تعزيز موقفهم في أداء واجب الدعوة وتوفير الوقت لها والقضاء على المشكلات المتعلقة بجوانب كسب الرزق.

كما هو ظاهر في إعداد الرسول ﷺ ما يكفي قوته وقوت أهله لمدة السنة من أموال الفياء والغنيم<sup>(٣)</sup>، ثم استمراره على الدعوة بعد ذلك بين حين وآخر وفق مقتضى الأحوال التي كانت تستدعي القيام بالدعوة والإرشاد إلى دين الله، كقيامه ﷺ بالدعوة في مجالات مختلفة بعد غزوة بدر وغزوة خيبر وغزوة بني قينقاع، وبعد إجلاء بني نضير من المدينة، حيث استفاد من غنائم تلك الغزوات مع قيامه بالدعوة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر - السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٧/٢-٢٩١).

(٢) انظر - صفحة (١٥٣) من هذا البحث.

(٣) راجع بعض الأحاديث في ذلك في صفحة (٩٠) و صفحة (١٢٦).

(٤) سبق بيان بعض الأحاديث الواردة في استفادة النبي ﷺ من الفياء والغنيم في ص/١٢٦ من هذا البحث.



إذن فالاكتماء بالقدر الموجود من الرزق هو من الأعمال التي سار عليها الرسل عليهم السلام في الفترات التي خصصوها بالدعوة، مع وجود صلتهم بطلب الرزق في وقت آخر.

فعلى الدعاة الاستفادة من هذه الصفة المتميزة عند التفرغ للدعوة إلى الله عز وجل في كل زمان ومكان.

#### المسألة الرابعة- عدم إيقاف عمل المتعاملين في مجال كسب الرزق

إن صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في الفترات المخصصة بالدعوة، عدم إيقاف عمل المتعاملين المستثمرين في مجال كسب الرزق، بل كان هؤلاء المتعاملون يواصلون أعمالهم الاستثمارية للرزق، كما هو ظاهر في حال بعض الصحابة مع الرسول ﷺ حيث لم يكن كل الصحابة رضي الله عنهم ينقطعون للجلوس مع النبي ﷺ للتعليم منه بل كانوا يباشرون أعمالهم المختلفة من تجارة وزراعة وغيرها ولم يطالبهم النبي ﷺ بالتوقف عن أعمالهم بل كان يشجعهم ويحثهم على العمل المثمر المفيد، لما يفهم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصنف بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخواني من الأنصار عمل أموالهم وكنت امرأة مسكينة من مساكين الصفة أعني حين ينسون...»<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في معاملة النبي ﷺ اليهود بمزارعة أرض خيبر على نصف ثمرها<sup>(٢)</sup>. حيث لم يرد في هذه المعاملة ما يدل على أن النبي ﷺ أوقف عملهم في أثناء اشتغاله ﷺ بالدعوة في الوقت المخصص بها.

إذن فاستثمار المتعاملين في مجال كسب الرزق للداعية لا يتنافى مع تفرغ الداعية في الزمن المعين للعملية الدعوية، مع ربطه بكسب الرزق في وقت آخر، فيجب على الدعاة في كل زمان ومكان الاقتداء بالرسل عليهم السلام في ذلك.

#### المسألة الخامسة- ملازمة خصائص الداعية

إن من صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) عند تعيين الوقت للدعوة مع وجود علاقتهم بكسب الرزق، ملازمة الأخلاق القيمة في دعوة المدعوين نتيجة الإعداد الإلهي إياهم لحمل مسئولية الدعوة كما أثنى الله سبحانه وتعالى على حسن خلق نبيه محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

(١) أخرجه الإمام البخاري بطوله ، سبق تخريجه في صفحة (٥٦، ٩٥).

(٢) سبق ذكر نص الحديث في مزارعة أرض خيبر من قبل اليهود صفحة (٩١) من هذا البحث.

وكذلك تميزت دعوة الرسل لمدعويهم باستخدام كل ما في وسعهم من الوسائل المؤثرة والأساليب الجذابة لقبول الدعوة كما في قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومما جاء في معنى قوله ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب<sup>(١)</sup>.

وكذلك قامت دعوة الرسل عليهم السلام على العلم والمعرفة التامة بما كانوا يدعون إليه من الدين الحق، وبما كانوا يستعملونه من الوسائل والأساليب لإمالة المدعويين إلى قبول الدعوة. كما في قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن، أمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»<sup>(٢)</sup>.

إذن فالتحلي بصفات الكمال الخاصة بالبشر من خصائص الرسل عليهم السلام في جميع مراحل دعوتهم إلى دين الله وبيان أحكامه للعباد. فيجب على الدعاة الاقتداء بهم في ذلك.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٨١/٢) وأما معنى «الحكمة» فقد وردت في معناها أقوال للعلماء منها: أمّا القرآن، ومنها الفقه. ومنها: النبوة. ومنها: ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الكتاب والسنة. ومنها: المقالة الحكيمة الصحيحة. ومنها: الحجج القطعية المفيدة لليقين. ومنها: ما قال الإمام الراغب الأصفهاني: عن معنى الحكمة: «والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام. ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات...» انظر - المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني (ص: ١٢٨)، وانظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٠٣/٣)، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥٠٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٨١/٢). ومن العلماء من يرى أن الآية منسوخة بآية السيف ولكن البعض منهم لم يسيروا إلى هذا الكلام وذلك يدل على أن الآية محكمة غير منسوخة، والله أعلم بالصواب. انظر المرجعين السابقين.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٥٢/٢).

المسألة السادسة- معالجة موضوع الدعوة وفق مقتضى الحال.

أ- المراد بموضوع الدعوة.

وأما موضوع الدعوة فهو أحد أركان الدعوة، ويطلق عليه بعض العلماء بالرسالة<sup>(١)</sup>.

والرسالة في اللغة تطلق على عدة معاني منها: ما يرسل. ومنها: الخطاب. ومنها: رسالة الرسول وهي، ما أمر بتبليغه عن الله، ودعوته الناس إلى ما أوحى إليه. ورسالة المصلح هي: ما يتوخاه من وجوه الإصلاح<sup>(٢)</sup>.

والآيات القرآنية في ذكر رسالة الرسل عليهم السلام كثيرة منها: قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

والمراد بالرسالة في الآية هي ما كان ينزل على الرسول ﷺ من الوحي الإلهي والعموم الكائن في «مَا أُنزِلَ» يفيد أنه يجب عليه ﷺ أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه لا يكتف من شئنا، وفيه دليل على أنه لم يسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله إليه شيئاً<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] والمراد بالرسالات في الآية هي ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه<sup>(٤)</sup>.

والموضوع في اللغة لها معانٍ عدة منها: أن الموضوع هو المادة التي ينبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه<sup>(٥)</sup>.

إذن فرسالة الداعية هي الموضوع الذي يسعى الداعية لمعالجته من القضايا بين المدعويين بالوسائل والأساليب الدعوية المشروعة، حيث إن الداعية قد يتعرض لمشكلة

(١) انظر- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشيخ علي بن صالح المرشد (ص: ٢٨) ط/مكتبة لينة للنشر والتوزيع - دمنهور، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٢) انظر- المعجم الوسيط (١/٣٤٤).

(٣) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢/٥٨).

(٤) انظر- المرجع السابق (٢/٢١٦).

(٥) انظر- المعجم الوسيط (٢/١٠٤٠).

عقدية أو أخلاقية أو عبادة في مجتمع من المجتمعات فتكون معالجة هذه المشكلة موضوع دعوته أو رسالته التي يقوم بأدائها نحو تلك المجتمعات .

ب- صفة قيام الرسل بمعالجة موضوع الدعوة مع كسب الرزق

إن من صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في أثناء التفرغ للدعوة، وبعد التوقف عن ممارسة عملية كسب الرزق، أن يوجهوا دعوتهم لكل ظاهرة تستدعي الدعوة فيها سواء فيها ما كان متعلقاً بالعقيدة أو العبادة أو غيرها، كما جاء في دعوة عيسى بن مريم قومه إلى وجوب إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية، من خلال الآيات الكثيرة التي منها قول الله تعالى عن دعوة عيسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، أو ما كان متعلقاً بالأخلاق كما جاء في دعوة نبي الله لوط عليه السلام النهي عن الرغبة في الرجال لفعل اللوطية بهم، حيث بين لهم قبح ذلك الفعل وتحريمه بأساليب دعوية متعددة وقد وردت آيات كثيرة في بيان تحذير لوط قومه من هذا الفعل ومنها قول الله تعالى عنه: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١]. أو ما كان متعلقاً بالمعاملات في مجال طلب الرزق كما في قيام الرسول ﷺ ببيان تحريم التجارة في الخمر بعد نزول الآيات فيه.

قد جاء في رواية عن عائشة رضي الله عنها «لما نزلت آيات سورة البقرة عن آخرها خرج

النبي ﷺ فقال: حرمت التجارة في الخمر»<sup>(١)</sup>.

وهذا كله كي تعطي الدعوة ثمرتها في هذه المرحلة الدعوية؛ لأن دعوة الرسل عليهم السلام شملت كل القضايا المتعلقة بالعباد في الدين والدنيا، فكان من الأفضل أن توجه دعوة الرسل (الصلاة والسلام) لكل ما يستوجبها في الوقت المناسب لها. فينبغي للدعاة أن يحسنوا الاستفادة من مناهج الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب البيوع باب رقم (١٠٥) رقم الحديث (٢٢٢٦) (٤/٤٨٧).

معالجة القضايا عند التفرغ للدعوة في الوقت المحدد لها وبعد التوقف عن كسب الرزق وغيره، وذلك في كل زمان ومكان.

إذن فالمرحلة الأولى للجمع بين الدعوة وطلب الرزق من قبل الرسل عليهم السلام احتوت الشعور والإحساس بعظم فضل الدعوة ووجوب القيام بها في وقت كافٍ يتفرغ فيه للدعوة والإرشاد في أمور الدين، والتوقف عن شواغل الحياة الأخرى من كسب الرزق وغيره وتأجيل ذلك إلى حين آخر، والاكتفاء بما في الحيازة من الرزق والمال، والرضى بمقسوم الله بين العباد وعدم إيقاف عمل المنتجين العاملين في استثمار الجهات المصدرة للرزق بإذن الله، وهذا لأجل إكمال معالجة موضوع دعوي قائم بالوسائل والأساليب المشروعة والتحلي بالأخلاق القيمة المبنية على العلم والبصيرة.

المرحلة الثانية- تخصيص وقت معين لطلب الرزق مع وجود الصلة بالدعوة إن تخصيص الداعية وقتاً معيناً لطلب الرزق مع وجود صلته بالدعوة إلى دين الله يتطلب عدة أمور ليكون العمل في ذلك الوقت صالحاً للجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وأهم تلك الأمور محصور في العناصر التالية:

١- الشعور بمسئولية سد الحاجات. ٢- التفرغ لطلب الرزق مع الصلة بالدعوة. ٣- استغلال مجال طلب الرزق بالدعوة. ٤- مواجهة المكائد المتصلة بالرزق من قبل معارضي الدعوة.

وقد كانت للرسل عليهم السلام مواقف مع تلك الأمور في هذه المرحلة، ويأتي بيانها في الشكل المسائل الآتية:

#### المسألة الأولى- الشعور بمسئولية سد الحاجات

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا بشراً مثل سائر البشر، وامتازوا عنهم بالوحي الإلهي كما حكى القرآن الكريم عند رد بعض الرسل على أقوامهم عندما استغربوا من بشرية الرسل بقول الله تعالى عنهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]. أي أن الرسل

(عليهم الصلاة والسلام) مثل بقية الناس ولكن الله يمن عليهم بالرسالة والنبوة دون غيرهم<sup>(١)</sup>.

وإن طبيعة بشرية الرسل (عليهم الصلاة والسلام) جعلتهم يشعرون بسد حاجاتهم وحاجات أهلهم حيث كانت في ذمة بعضهم مسئوليات الأباء والأمهات أو الأزواج والأولاد. كما هو ظاهر في إحساس يوسف عليه السلام بمعاملة أبيه من فقد البصر مما جعله يرسل قميصه إليه ليعود بصيراً. ومما يدل على هذه القصة قوله تعالى عنه: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]<sup>(٢)</sup>.

وكما صرح عيسى عليه السلام بأن الله أمره بتقديم الإحسان إلى والدته بما يسهل عليه من أنواع البر إليها، وذلك في معرض رده على الناس لتبرئة أمه مما اتهموها به ومما جاء في رده قول الله تعالى عنه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> [مريم: ٣٢].

وقد ثبتت علاقة بعض الرسل بالزوجات والأولاد في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قول الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]. أي أن الرسل كانت لهم زوجات وأولاد فتعاملوا معهم كما يتعامل سائر البشر مع زوجاتهم وأولادهم من شعور بأداء حقوقهم لهم<sup>(٤)</sup>.

إن شعور الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بمسئولية سد الحاجات لم يقتصر على حدود أنفسهم وأقاربهم، بل امتد إحساسهم إلى بذل الخير وسد حاجات أمتهم والتيسير عليهم بما يملكون من الأرزاق، كما هو ظاهر في تمني الرسول ﷺ بذل المال لأمته لو كان يملك أموالاً كثيرة من الذهب مثل جبل أحد. وجاء في رواية أبي هريرة

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٦٩٢).

(٢) انظر - المرجع السابق (٢/٦٤٣).

(٣) انظر - المرجع السابق (٣/٦٤٣).

(٤) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٦٩٢).

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين»<sup>(١)</sup>.

ومن المواقف الدالة على شعور الرسل عليهم السلام بحوائج أمتهم ما جاء في ثناء الله على رسوله محمد ﷺ في شدة حرصه على هداية أمة وعلى مصالحهم الدنيوية والأخروية والشفقة عليهم، وكرهته كل معاناتهم، بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ١٢٨].

وكان يأتي إحساس الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بسد حاجاتهم وحاجات أهليهم أو حاجات من يعولونه وفق هدي شريعتهم. والشواهد من القرآن والسنة والتاريخ كثيرة لإثبات مواقف الرسل عليهم السلام في ذلك.

#### المسألة الثانية- التفرغ لطلب الرزق مع الصلة بالدعوة

إن الشعور بمسئولية سد الحاجات الخاصة والعامة يؤدي إلى شواغل كثيرة في حياة الإنسان، ومنها التفرغ لطلب الرزق.

وكان الرسل عليهم السلام يتفرغون لأعمال أخرى مختلفة عن الأعمال الدعوية كالأكل والشرب والاغتسال والنوم والسعي في كسب الرزق، وغيره لاحتياج طبيعتهم البشرية إلى تلك الأمور.

وكان مما يستعينون به - بعد الله - في سد بعض حاجاتهم السعي في كسب الرزق؛ ولذا كانوا يخصصون فترة معينة يعملون فيها لكسب أرزاقهم، ويأخذون من الأسباب ما يسهل عليهم حصول الرزق ونيله، وفق هدي شريعتهم حتى يتمكنوا من سد الحاجات التي تقضى عن طريق تلك الأرزاق.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض باب رقم (٣) (٦٧/٥).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٣١/٢).

كما هو ظاهر في عمل داود عليه السلام بصناعة الحديد في وقت معين والاقتتات بثمره وكما يفهم ذلك من رواية المقدام عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في عمل نبي الله زكرياء عليه السلام نجاراً في وقت معين وأكله من كسبه<sup>(٢)</sup>. وكذلك تفرغ النبي ﷺ لشراء بعض حوائجه في بعض أوقاته الخاصة بطلب الرزق مع صلته بالدعوة، كما في زمن شرائه شاة من رجل مشرك<sup>(٣)</sup>، في زمن مساومته حائطاً من بني النجار، وجاء في رواية عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم، وفيه خرب ونخل»<sup>(٤)</sup>. وكما جاء ﷺ في زمن بيعه حلساً وقدحاً ليستفيد الرجل بثمرتها. وفي رواية عن أنس أن رسول الله ﷺ باع حلساً وقدحاً، وقال: من يشتري هذا المجلس والقدح؟ فقال رجل: أخذتهما بدرهم. فقال النبي ﷺ: من يزيد على درهم؟ من يزيد على درهم؟ فأعطاه رجل بدرهمين. فباعهما منه»<sup>(٥)</sup>.

والشواهد كثيرة وثابتة في الكتاب والسنة والكتب التاريخية في بيان تفرغ الرسل عليهم السلام لطلب الرزق في بعض فترات حياتهم مع صلتهم بالدعوة. إذن فالتفرغ لكسب الرزق في وقت معين مع الصلة بالدعوة من مناهج الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وعلى الدعاة مراعاة أحوالهم وهديتهم في ذلك.

#### المسألة الثالثة - استغلال مجال طلب الرزق بالدعوة

إن مكان طلب الرزق من أكثر أماكن تجمع الناس والتقاءهم، وهو من الميادين الصالحة للدعوة فيها. لذا سبق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) إلى استغلاله بدعوة الناس إلى دين الله عز وجل، واستخدموا في ذلك عدة أساليب دعوية ومنها ما يأتي:

- (١) سبق تخريج الحديث في صفحة (٤٧) هامش رقم (٣)، وهو من رواية الإمام البخاري في صحيحه.
- (٢) انظر - البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣٩٨/٢، ٣٩٩).
- (٣) سبق ذكر نص الحديث وتخرجه في صفحة (٩٣).
- (٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٤١) رقم الحديث (٢١٠٦) (٣٨٢/٤).
- (٥) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب البيوع باب رقم (١٠) (٣٤٣/٤) وقال الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر ابن عجلان».



## ١- معالجة القضية الدعوية وفق الحال القائم

وقد كان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) إذا وقفوا على حالة تقتضي أداء المهمة الدعوية، قاموا بأدائها وفق نوعية الدعوة من حسبة بين المدعوين المستجيبين أو نشر الإسلام بين المدعوين غير المستجيبين. وذلك في أثناء تردهم على أماكن طلب الرزق لكسب أرزاقهم، ثم استمروا بعد تلك العملية الدعوية في كسب أرزاقهم، حيث كان من عادة الرسل (عليهم السلام) المشي للبحث عن الرزق في الأسواق، كما يدل على ذلك قول الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وكذلك ما جاء في احتساب النبي ﷺ على صاحب الطعام عند ترده على السوق. وفي رواية عن أبي هريرة ؓ «أن رسول الله ﷺ مر على صُبْرَةٍ<sup>(١)</sup> طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء<sup>(٢)</sup> يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني»<sup>(٣)</sup>.

والشواهد في بيان أساليب دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في مكان طلب الرزق كثيرة ومتعددة.

## ٢- أسلوب قصد مكان طلب الرزق بالدعوة

إن مما كان يقصده الرسل (عليهم الصلاة والسلام) من أماكن تجمعات الناس بالدعوة أماكن التقاء الناس للبحث عن الأرزاق في الأسواق وغيرها؛ لأجل دعوتهم إلى دين الله وبيان أحكامه، لا لأجل طلب رزق أو تجارة لأنفسهم وذلك بالأساليب المناسبة للدعوة فيها.

(١) «صبرة» هي بضم الصاد وإسكان الباء قال الأزهري الصبرة الكومة المجموعة من الطعام وسميت صبرة لإفراغ

بعضها على بعض. انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٦٨/٢).

(٢) «أصابته السماء» أي المطر. انظر - المصدر السابق (٤٦٨/٢).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب رقم (٤٣) (٤٦٨/٢).

ومن النماذج الدالة على هذا الأسلوب، ما كان من عرض الرسول ﷺ نفسه على قبائل العرب الوافدين إلى مكة في مواسم الحج في منازلهم في أسواق الجحنة، وعكاظ وغيره ليلبغهم دعوة الإسلام.

وفي رواية عن أبي الزبير أنه حدثه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ «لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم ومحنة وبعكاظ وبمنازلهم بمعى من يؤوييني من ينصروني حتى أبلغ رسالات ربي ﷻ وله الجنة»<sup>(١)</sup>.

والنماذج في بيان أساليب الرسل كثيرة في قصد مكان طلب الرزق بالدعوة.

### ٣- أسلوب توجيه الدعوة إلى المتعاملين في مجال طلب الرزق

إن مما كان من أساليب الرسل عليهم السلام في استغلال مجال طلب الرزق بالدعوة بين المتعاملين فيه المبادرة بتوجيه الإرشادات السليمة إليهم، وبيان الأحكام المتعلقة بالرزق وطرق كسبه وأماكنه. وبيان الحقوق الإلهية والآدمية المتعلقة بالرزق والمال، وبيان كيفية إخراجها منه، وصفة المستحقين بها وذلك في الأوقات المتاحة لبيان هذه الأحكام وتوضيحها في مكان طلب الرزق أو خارجه بالوسائل الدعوية المؤثرة من قول وفعل تطبيقي من قبل الذات أو الغير.

كما هو ظاهر في قيام الرسول ﷺ بتعليم الصحابة ﷺ أحكام البيوع وأحكام طرق المكاسب المختلفة، والتحذير عن المعاملات والعادات المحرمة في حصول الرزق، والتنبيه على الشبهات الملتفة حول نوعية الرزق وطرق اكتسابه وأماكن وجوده، وتعليم النبي ﷺ أحكام الزكاة وتحديد نصابها وبيان مصارفها، والإرشاد إلى أبواب الخير والصدقات والهدايا والمنحة وغيرها، ومحاولة ربط الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية بالوسائل والأساليب النبوية المؤثرة.

والشواهد في بيان هذا الأسلوب الاستغلالي لمجال طلب الرزق بالدعوة كثيرة في سير الرسل (عليهم الصلاة والسلام).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٣٢٢) بطول الحديث، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم» وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين بطوله كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين...، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجها» وقال الإمام الذهبي في التلخيص: «صحيح» رقم الحديث «٤٢٥١» (٢/٦٨١). وانظر- السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٧-٢٩٤).

وقد تناولتها كتب آيات أحكام القرآن الكريم وكتب السنة والكتب الفقهية وغيرها من الكتب المؤلفة في الاقتصاد الإسلامي وتاريخه<sup>(١)</sup>. فعلى الدعاة مراعاة استخدام هذا الأسلوب السليم في المجتمعات الإسلامية وغيرها، في كل زمان ومكان.

#### المسألة الرابعة- مواجهة المكائد المتصلة بالرزق من قبل معارضي الدعوة

إن من الأمور التي لا تنفك عن الدعوة إلى الله تعالى أن تلقى مقاومات من قبل مخالفيها ومعارضيه في كل العصور والمجتمعات، إن دعوة الرسل عليهم السلام ومن تبع منهجهم فيها لم تسلم من معارضة الأعداء التي أدت إلى تدميرهم صنوف المكائد لإيقاف الدعوة وتعطيل أهدافها، وذلك للدفاع عن الباطل والعادات والعصبيات المخالفة ومحاربة الحق في مجتمعاتهم.

وصدور هذا الفعل من قبل أعداء الدعوة ضد الدعوة هو سنة الله عز وجل مع دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في مختلف أزمانهم. كما في قول الله تعالى عنهم في معرض تسليته الرسول ﷺ وتثبيته في مجال الدعوة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ومما جاء في تفسير الإمام ابن كثير حول الآية: «يقول تعالى: «جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك، ويعاندونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء فلا يحزنك ذلك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أما الكتب التي يمكن الاستعانة بها في معرفة أساليب الرسل لاستغلال مجال طلب الرزق بالدعوة فهي على سبيل المثال: كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، وصحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم وغيرها، والمغني لابن قدامة والنظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية للدكتور مصطفى الممشري، والمنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام للدكتور/ نواف بن صالح الحليسي وغير ذلك من الكتب المفيدة في هذا الباب. وسيأتي المزيد في ذكر الأساليب الدعوية في الفصل الخامس عند الكلام حول مجالات طلب الرزق بالنسبة للدعاة.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢٢٣).

وقال ورقة بن نوفل<sup>(١)</sup> لرسول الله ﷺ: «إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي»<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل من (عدوا) للأنبياء والرسل أعداء من شياطين الإنس والجن. والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. ومعنى الآية: «أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل نبي من الأنبياء الداعين إلى الله عدوًّا يعاديه من مجرمي قومه، فلا تجزع يا محمد، فإن هذا دأب الأنبياء قبلك واصبر كما صبروا»<sup>(٤)</sup>.

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) قد تعرضوا لصنوف الأذى والعذاب من قبل معارضي دعوتهم، وكان من وسائلهم في ذلك، محاربة دعوة الرسل بالإساءة إليهم عن طريق الرزق والمال الذي كان يصل إليهم وإلى أتباعهم من المدعويين المستجيبين لتعطيل مسيرة الدعوة ومنعها عن تحقيق أهدافها.

وقد تنوعت أساليبهم في استخدام تلك الوسيلة، ولكن الرسل عليهم السلام تمكنوا من القضاء على تلك الأساليب المعادية للدعوة بالوسائل والأساليب النبوية المشروعة. ومن النماذج الدالة على كيد أعداء دعوة الرسل من جانب الرزق وتغلب الرسل عليها ما يأتي:

#### أ- محاولة الاستخفاف بالرسل عن طريق المال

إن مما أقدم عليه أعداء بعض الرسل (عليهم السلام) محاولة تصوير هدف الدعوة إلى هدف مالي وديني بعيد عن الهدف الأخروي، وسعوا في ذلك لابتلائهم واختبارهم بالمال لمعرفة ما بين مدى تمسكهم بمبادئ رسالتهم، وبين تفضيلهم المال

(١) ورقة بن نوفل هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوجة النبي ﷺ، قال ابن حجر في الإصابة ذكره الطبري والبقوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم في الصحابة، وفي صحيح البخاري في باب بدء الوحي «.. فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان نصر في الجاهلية - وفيه .. فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك .. وفي آخره ولم ينشب ورقة أن توفي» وأخرج الإمام البخاري الحديث بطوله كتاب بدء الوحي باب رقم (٣) (٣٠/١، ٣١) قال ابن حجر في الإصابة: «هذا ظاهره أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام» انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٥٩٧/٣).

(٢) انظر - تفسير الإمام ابن كثير في تفسيره (٢٢٣/٢).

(٣) انظر - المرجع السابق.

(٤) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني (٧٣/٤).

والدنيا على دعوتهم. كما هو ظاهر في إرسال ملكة سبأ بلقيس - عندما كانت مشركة - هدية إلى نبي الله سليمان عليه السلام تقابل بها دعوته إياها وقومها إلى الإسلام ويتركهم على شركهم.

وقد حكى القرآن الكريم هذه القصة في آيات كثيرة التي منها قول الله تعالى عن بلقيس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٩-٣٥].

ومما ورد في تفسير قولها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] أي سأبعث إليه هدية تليق بمثله وانظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا<sup>(١)</sup>.

ولكن نبي الله سليمان عليه السلام تغلب على هذا الأسلوب منهم بقوة عزمته على تنفيذ دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورفضه كل ما يعيق في الدعوة عن هدفها، وإظهار اعتماده وتوكله على الله فيما أتاه من نعم الملك والقوة، مما جعل رده عليهم شديداً.

وحكى القرآن الكريم القصة الدالة على موقف سليمان بقول الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦-٣٧].<sup>(٢)</sup>

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٨٢/٣).

(٢) انظر - المصدر السابق (٤٨٢/٣).

وقد أدى هذا التغلب القوي من قبل نبي الله سليمان عليه السلام إلى دخول بلقيس وقومها في الإسلام، كما أثبت ذلك قول الله تعالى عنهم ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣]. وقوله أيضاً: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ب- الافتراء على الرسل (عليهم الصلاة والسلام).

وإن مما استخدمه أعداء بعض الرسل عليهم السلام من أساليب محاربة الدعوة عن طريق الرزق المنّ عليهم لما بذلوه لهم من معروف سابق، وذلك ليصوروهم أمام الناس أنهم لا يقدرّون إحسان كل من يحسن إليهم؛ حتى يقل شأنهم بين الناس فيتفرقوا عنهم ولا يقبلوا دعوتهم. كما هو ظاهر في بعض ردود فرعون على موسى أمام الناس بعد ما أبلغهم رسالة الله عز وجل، حيث قابل فرعون دعوة موسى بمحاولة إقامة الحجة عليه، التي فيها التقليل من شأن موسى واحتقاره حتى يكون ممن لا تقبل دعوته في الناس، وذلك بذكر الأخطاء التي ارتكبها موسى في نظره، والتي كان منها عدم تقدير موسى نعمة تربيته لدى فرعون من طفولته إلى كبره، ومقابلة تلك النعمة بقتل قبطي من أهل فرعون، وهذا جحد من قبل موسى للنعمة التي كان في نظر فرعون.

وجاءت هذه القصة في ثنايا آيات القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى عن فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الشعراء: ١٨-١٩].

ومما قيل في معنى قوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩] أي من الكافرين للنعمة حيث قتلت رجلاً من أصحابي. وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

ولكن نبي الله موسى عليه السلام تغلب على إبعاد هذه التهمة بعدم التأثر بها وإبطالها بالأدلة المقنعة التي جعلت فرعون يتحول إلى سؤال آخر، ويترك الحجة التي كان قد

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٤٤٣، ٤٤٤)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٤/٩٣-٩٦).

(٢) انظر- المرجع السابق (٤/٩٦).

ثبت بها. ومما جاء في جواب موسى عليه السلام على مهمة فرعون، قول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠-٢١]. أي إن ما فعلته من قتل الرجل القبطي كان قبل أن يوحى إلي وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة، وهذا لا يطعن في رسالتي ودعوتي إلى الله تعالى حيث الحالتين مختلفتين، ثم رد عليه أيضاً في مهمة عدم تقدير نعمة التربية بقول الله تعالى عنه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾<sup>(١)</sup> [الشعراء: ٢٢]. أي «وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخداماً تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك وأنا واحد منهم أفيضي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم، أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم»<sup>(٢)</sup>. إذن فالمن ينعكس على نفس فرعون، فعندئذ تحول إلى سؤال آخر وهو ما جاء في سؤاله بقوله لموسى في قول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]. إذن فالافتراء على الرسل عليهم السلام من أساليب أعداء الدعوة في محاربة دعوة الرسل عليهم السلام.

#### ج- قطع التعامل مع الرسل وأتباعهم في مجال طلب الرزق

ومن الطرق التي سلكها أعداء الدعوة في محاربة دعوة بعض الرسل عليهم السلام قطع علاقة المعاملات الاجتماعية مع الرسل وأتباعهم، والتي منها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي، كما هو ظاهر فيما كان يصيب المسلمين من أذى قريش حتى كتبوا صحيفة المقاطعة ضد الرسول ﷺ وقبيلته بني هاشم وبني عبد المطلب، ومما جاء في تلك الصحيفة: «أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم»<sup>(٣)</sup>، وذلك ليتخلصوا من رسول الله ﷺ ودعوته وليكون ذلك الفعل تهديداً لكل من يريد الدخول في الإسلام، ولكن لم يتحقق لهم شيء من ذلك. لأن الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم تغلبوا على هذه المؤامرة بالصبر وتحمل مشقة الجوع وشدة انقطاع

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٤٤)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية

والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٤/٩٣-٩٦)..

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٤٤٤).

(٣) انظر- السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٣٤-٢٣٦).

الناس عنهم حيث مكثوا في شعب أبي طالب ثلاث سنين وهم يتعرضون لصنوف الصعاب والتعب، وكان مما تغلبوا به على هذا الموقف الصعب التوكل على الله ﷻ واحتساب الأجر من الله ﷻ في عملهم وصبرهم.

كما لم يتزعزع الرسول ﷺ في أثناء هذه المعاناة عن الاستمرار في دعوته، حيث كان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ومبادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس<sup>(١)</sup>. ومن أسباب تغلب الرسول ﷺ وأصحابه على ذلك الوضع نزول نصر الله وتوفيقه عليهم، وذلك أنه ظهر صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به أن الله سبحانه وتعالى قد سلط الأرضة على صحيفة المقاطعة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، وكذلك سخر الله رجالاً من قريش حتى قاموا بنقض ما كان في الصحيفة فتعاونوا وتكاتفوا في خروج الرسول ﷺ ومن كان معه من المسلمين وبني هاشم وبني عبد المطلب من معاناة تلك المقاطعة<sup>(٢)</sup>.

إذن فقطع التعامل مع الرسل عليهم السلام وأتباعهم في مجال طلب الرزق من أساليب أعداء الدعوة في محاربتهم ومنع الناس عن دعوتهم فيما يسمى في عصرنا بالمقاطعة أو الحصار الاقتصادي أو فرض العقوبات.

ولكن مواقف الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وأساليبهم الناجحة كثيرة في مواجهة مكائد الأعداء ضد الدعوة من جانب ما كان يأتيهم من الرزق وطرق كسبه، حيث لا تسلم حقيقة الجمع بين الدعوة وطلب الرزق إلا بالصمود والقيام بمواجهة كل ما يعيقه عن الهدف المرسوم مهما كان مصدره قوياً<sup>(٣)</sup>.

إذن فارتباط دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بكسب الرزق قد جاء في صفة تخدم فيها الدعوة من جميع جوانبها دون أن تكون الدعوة سبباً في تعطيل الحقوق التي تستدعي القيام بطلب الرزق في الوقت المخصص بالدعوة وبدون أن يكون جانب طلب الرزق في وقته عائقاً لتحقيق أهداف الدعوة.

(١) انظر - السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٣٤-٢٣٦ و ٢٥١-٢٥٦)، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (١/١٦٢-١٦٤).

(٢) انظر - السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٥١-٢٥٦) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٦٢-١٦٤).

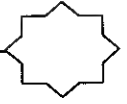
(٣) وما ورد في هذا الموضوع من أساليب الرسل عليهم الصلاة والسلام في مواجهة مكائد الأعداء إنما هو من باب ذكر النماذج منها لإثبات قيام الرسل بهذا الواجب الدعوي عند جمعهم بين الدعوة وطلب الرزق في عصرهم.



وينبغي للدعاة أن يراعوا الأحوال المرتبطة بين الدعوة وكسب الرزق، والسير فيها وفق هدي الرسل عليهم الصلاة والسلام في كل زمان ومكان. إذن فقيام الرسل بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق في عصرهم يكونون قد أدوا الركن الثاني<sup>(١)</sup> من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع.

---

(١) سبقت الإشارة إلى أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/١٠٥ من هذا البحث.



### المطلب الثالث

تسخير الرزق للإنفاق المشروع من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام)

المطلب الثالث- تسخير الرزق للإنفاق المشروع من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) المراد بتسخير الرزق للإنفاق المشروع من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في هذا الموضوع، هو عبارة عن ذكر بعض الأحوال المهمة للرسل في كيفية صرف الأرزاق والمال في الحاجات الذاتية والحاجات الأسرية والحاجات الدعوية التي تحقق مصالح الدعوة نحو أهدافها المنشودة، وتحقيق الأغراض الإنفاقية الأخرى المشروعة. لأن معنى الإنفاق في الاصطلاح هو عبارة عن صرف المال إلى الحاجة. وكذلك يطلق الإنفاق على الاستهلاك الفردي الذي يعني استعمال الفرد ما يلزمه من مواد لسد حاجاته<sup>(١)</sup>.

إن طبيعة الإنسان بعد حيازة الرزق والمال، يتطلع إلى إنفاق ما يملكه من الرزق والمال وغيره لإشباع رغباته وسد حاجاته .

وكذلك إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بطبيعة أحوالهم البشرية<sup>(٢)</sup> أنفقوا أرزاقهم لسد حاجاتهم وحاجات غيرهم من الأهل والأقارب والمحتاجين من أمتهم وأنفقوا كذلك في صالح الدعوة التي هي رسالتهم العظمى، وذلك بعد ملكيتهم الأرزاق عن الطرق المشروعة.

وقد جاء إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) أرزاقهم لسد الحاجات وتلبية الرغبات في وجوه مختلفة ومنها ما هو مذكور في المسائل الآتية:

#### المسألة الأولى- الإنفاق في سد الحاجات الذاتية

كان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ينفقون مما يملكون من الأرزاق في أنواع الاستهلاكات لسد الحاجات الشخصية المتعلقة بأنفسهم دون غيرهم من ملبس، ومأكل ومشرب ومسكن ونكاح ودابة وخادم وغيره مما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة وكماياتها.

(١) انظر- التعريفات للجرجاني ص/٦٢، ومعجم المصطلحات الاقتصادية عربي/فرنسي إنكليزي د/خليل أحمد خليل ص/٢٣ ط/دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) سبق ذكر الكلام حول بشرية الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وما كانوا يشعرون به من حاجات البشر في ص/١٦٣ من هذا البحث.

وامتاز إنفاقهم على أنفسهم بالتقيد بهدي شريعة دينهم في الإنفاق من حيث الإباحة والتحريم، والتجنب في ذلك عن كل ما يشوه دينهم أو يشين مروءتهم<sup>(١)</sup>.  
والنماذج في إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) لسد الحاجات الذاتية كثيرة، منها ما يأتي:

#### ١- ما يتعلق بستر الأجسام بالملبس

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يسترون أجسامهم ويهيئونها بما يملكون من الثياب وغيره من ملحقاته.  
كما هو ظاهر في استعمال نبي الله يوسف عليه السلام القميص في ستر جسمه مما جعله يرسل بعض قمصانه إلى أبيه.

وقد حكى القرآن الكريم قصة ذلك بقول الله تعالى عنه: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]<sup>(٢)</sup>.

وكما هو ظاهر في قميص النبي ﷺ وتزينه في القميص لملاقاة الناس، وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أهدى للنبي ﷺ شملة سوداء فلبسها وقال: كيف تزينها عليّ يا عائشة؟ قالت: ما أحسنها عليك يا رسول الله، تشرَّبَ سوادها ببياضك وبياضك بسوادها قالت: فخرج فيها إلى الناس»<sup>(٣)</sup>.

#### ٢- ما يتعلق بأكل المطاعم، وشرب المشروبات المباحة

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يأكلون الطعام ويشربون المشروبات مما يملكون من الرزق الطيب المباح لدفع الجوع والعطش عن أنفسهم وحمايتهم من الهلاك وليتقوا بها على أداء الواجبات والطاعات، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَمَا

(١) وتفصيل القول في إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) على أنفسهم مظانه في كتب السنة وشروحها وبعض الكتب الاقتصادية وتاريخ الأنبياء.

(٢) انظر- تفسير البغوي «معالم التنزيل» للإمام البغوي (٤/٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) أخرجه الإمام ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن عزام العمري (٣/٣١١ ط/ دار الفكر - بيروت. ١٩٩٥ م. وانظر- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي النقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (٧/١٦٢ ط/ منشورات دار اللواء - الرياض - مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. وجاء في رواية أخرى عند الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف سوداء فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيب». وقال الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط البخاري ومسلم». كتاب اللباس رقم الحديث «٧٣٩٣» (٤/٢٠٩).

جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ [الأنبياء: ٨]. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وكما هو ظاهر في طلب نبي الله موسى عليه السلام طعام الغداء لدفع ما كان به من الجوع والتعب في طريق سفره مع غلامه للبحث عن الخضر.

وقد حكى القرآن قصة ذلك بقول الله عنه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه «رأى رسول الله ﷺ شرب لبناً وأتى داره، فحلبت له شاة فشبت لرسول الله ﷺ من البئر، فتناول القدح فشرب...»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث دلالة على أن الرسول ﷺ كان يشرب ما يملك من المشروبات الطيبة المباحة لإشباع رغبته فيها.

### ٣- ما يتعلق باتخاذ المسكن

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يتخذون مساكن وينوئونها ويوفرون لها مستلزماتها بقدر الطاقة لسد حاجاتهم إلى المأوى والاطمئنان والتحصن بها من هتك الحرمه والعرض وأداء العبادات فيها.

كما هو ظاهر في اقتناء النبي محمد ﷺ الدار لنفسه طوال فترة دعوته في مكة وبناء حجراته لنفسه مع زوجاته بجوار مسجده بعد شرائه الأرض من مالكة بالمدينة المنورة، حيث أنفق في بناء هذه الحجرات التي كانت مأواه طوال فترة حياته في المدينة المنورة ﷺ<sup>(٣)</sup>.

### ٤- نكاح الزوجات

(١) انظر- تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام البغوي (١٨٦/٥-١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري بطوله في صحيحه كتاب الأشربة باب رقم (١٤) رقم الحديث (٥٦١١) (٧٧/١٠)، (٧٨).

(٣) انظر- السيرة النبوية لابن هشام (٣٤٤/٢، ٣٤٥) والطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٤/١، ١٨٥) والأحكام السلطانية في الولايات الدينية للإمام الماوردي ص/٢٩٥، ٢٩٦. والنظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية، للدكتور مصطفى الممشري ص/٢٣٢.

إن من الرسل (عليهم الصلاة والسلام) مَنْ عملوا وأنفقوا أموالهم لنكاح الزوجات لأنفسهم، كما جاء في زواج نبي الله موسى ﷺ ابنة شعيب لنفسه نتيجة عمله في رعي أغنام شعيب ﷺ.

وقد حكى القرآن الكريم قصة ذلك في آيات عديدة منها قول الله تعالى عن الحوار بين نبي الله موسى وشعيب: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكَ ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَاجٍ﴾ [القصص: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص: ٢٩]. أي أن موسى ﷺ لما قضى أتم الأجلين وأكملهما عندئذ تزوج بإحدى بنتي شعيب ثم أخذها وتوجه بها إلى بلده حيث يوجد فيه أهله<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في إنفاق الرسول ﷺ في نكاحه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة لنفسه ﷺ. وقال ابن هشام: «وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها»<sup>(٢)</sup>.

ومواقف الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في الإنفاق كثيرة لسد حاجاتهم ورغباتهم الذاتية وتمتعهم بالأرزاق التي ملكوها في جميع مراحل حياتهم وفق شريعتهم، وبيان صور هذه المواقف من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) يظهر كلها في سيرة الرسول محمد ﷺ، وذلك لدراسة العلماء (رحمهم الله) كل الجوانب المتعلقة بحياة نبي الله محمد ﷺ الخاصة والعامة بكل دقة وعناية بالغة<sup>(٣)</sup>.

إذن فإنفاق الرزق واستهلاكه لسد الحاجات الذاتية من هدي الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وعلى الدعاة مراعاة هديهم في ذلك في كل زمان ومكان. وما ذكر هنا من النماذج في إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) واستهلاكهم الأرزاق لسد الحاجات الذاتية إنما هو من باب إثبات صدور هذا العمل منهم، وليس من باب حصر جميع ما أنفقوا فيه لأنفسهم.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٥١٠-٥١٥).

(٢) انظر - السيرة النبوية لابن هشام (١/١٢١، ١٢٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٠٥-١٠٧). وكما جاء في رواية عن أبي بكرة بن عثمان أن رسول الله ﷺ وسلم تزوج زينب بنت خزيمة ... وأصدقها رسول الله ﷺ عشرة أواق وأولم عليها جزوراً...». أخرجه الزبير بن بكال في المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، تحقيق سكيئة الشهابي ص/٤١، ط/مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) والكتب المؤلفة الخاصة بحياة الرسول ﷺ كثيرة ومتنوعة ومنها ما تناول سيرته من ولادته إلى وفاته ككتاب السيرة النبوية لابن هشام وغيرها من كتب السيرة الحمديدية، ومنها ما تناول جوانب أخلاقه وآدابه في الحياة مثل كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة خصاله الحميدة بقلم عبد الله سراج الدين. وأوصاف النبي ﷺ للإمام الترمذي، ص/١٨٠. ومنها ما تناول أحكامه في الدين مثل كتاب صحيح البخاري للإمام البخاري وغيره من كتب السنة.

## المسألة الثانية- الإنفاق في سد الحاجات الأسرية

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا ينفقون ما يملكون من الأرزاق في سد احتياجات أهليهم من الأزواج والأولاد والأقارب، وذلك لأداء حقوقهم المتعلقة في ذمتهم وفق هدي شريعتهم.

والنماذج في ذلك كثيرة ومنها ما يأتي:

١- موقف نبي الله يوسف عليه السلام في صلة أهله وأقاربه، حيث عفا عن اخوته فيما بدر منهم من الإساءة إليه ثم أحضرهم جميعاً مع أبيهم إلى مقره في مصر ليتمتعوا بالنعم التي كان ينعمها في ملكه.

ومن الآيات الواردة في بيان هذا الموقف قول الله تعالى عما دار بين يوسف واخوته: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ، قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٨٩-٩٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. أي جميع من شمله لفظ الأهل من النساء والذراري، قيل كانوا نحو سبعين، وقيل ثلاثة وتسعين.<sup>(١)</sup>

(١) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (٥٣/٣).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. أي أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاملة الحسنة التي وجهها نبي الله يوسف إلى أهله لدليل أكيد على اهتمامه البالغ بأهله وإحسانه إليهم بتقديم أنواع الأرزاق إليهم طوال فترة ملكه بعد أن جاءوا إليه في مصر، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. أي آمين على أنفسكم وما يلزمكم من طعام أو غيره من وسائل الحياة وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ما جاء في إنفاق الرسول ﷺ بعض أرزاقه في نفقة أهله طوال فترة حياته ﷺ. وقد جاء في رواية عمر رضي الله عنه قال: «كانت أموال بني نضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>.

إذن فجانب سد حاجات الأسرة وإشباع رغباتها من إحدى مصارف الأرزاق للرسول (عليهم الصلاة والسلام) في حياتهم. فعلى الدعاة مراعاة نصيب أهليهم وأقاربهم من أرزاقهم، في كل زمان ومكان.

### المسألة الثالثة - الإنفاق من الأموال العامة في صالح الدعوة

إن مصلحة المجتمع ورفع شأنه إلى الخير والرخاء كان مما اهتم به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكانت لهم أساليب كثيرة لتنظيم أموره وضمان رقيه إلى كل ما فيه

(١) انظر - انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (٥٣/٣). وللعلماء أقوال في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَوَخَّرُوا لَهُ سَجْدًا﴾. وقيل في معنى الآية: أفهم خروا ليوسف سجداً، وكان ذلك جاثراً في شريعتهم منزلاً منزلة التحية، وهذا المعنى من أنسب المعاني إلى سياق الآية لما ذكره النقاش: أن الهاء راجعة إلى يوسف لقوله تعالى في أول السورة: رأيتهم لي ساجدين. وقيل: لم يكن ذلك سجوداً بل هو مجرد إيماء، وكانت تلك تحيتهم، وهو يخالف معنى وخروا له سجداً فإن الخور في اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض، وقيل: الضمير في قوله (له) راجع إلى الله سبحانه وتعالى أي وخروا لله سجداً، وهو بعيد جداً، وقيل: إن الضمير ليوسف واللام للتعليل: أي وخروا لأجله. وفيه أيضاً بعد.

انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٥٦/٣) والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٧٣/٩).

(٢) انظر - دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) إلى الله تعالى محمد أحمد العدوي (ص: ١٥٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، سبق تخريجه في صفحة (٩٠) من هذا البحث.



سعادته في الدين والدنيا. وغير ذلك من الوصول إلى تحقيق الأهداف الدعوية، لذا جاء إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في صالح المجتمع في صورتين:

١- الإنفاق من الأموال العامة في صالح الدعوة في المجتمع لكونهم مسؤولين عنه. لقد كان من أعمال الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في مهمتهم الدعوية قيادة أمتهم وتدريب شيوخهم كما قال تعالى لنبيه داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:٢٦]. أي ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين، وتحكم بين العباد بالعدل<sup>(١)</sup>. وجاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، ...»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قوله: (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريقة الحسنة وينصف المظلوم<sup>(٣)</sup>. ولذا كان من الضروري أن تأتي أموال الإنفاق لتدبير شئون المجتمع من موارد الأموال العامة التي كانت تصب في بيت المال<sup>(٤)</sup> من الزكاة والغنائم والفبيء والجزية وغيرها من أنواع الخراج.

(١) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥/١٢٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث كتاب الأنبياء باب رقم (٥٠) (٦/٥٧١).

(٣) انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٦/٥٧٣).

(٤) أما المراد ببيت المال: فهو الجهة التي تختص بكل مال يستحقه المسلمون، ولم يتعين مالكة، يقول الماوردي: «إن كل مال استحقه المسلمون، ولم يتعين مالكة منهم فهو من حقوق بيت المال، فإذا قبض صار بالقبض مضافاً إلى حقوق بيت المال، سواء أدخل إلى حرزه أو لم يدخل لأن بيت المال عبارة عن الجهة لا عن المكان، وكل حق واجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال ...» أي أن بيت المال ما هو إلا مكان لحفظ الأموال وتنظيم عملية الجمع والتوزيع.

انظر- الأحكام السلطانية للإمام الماوردي (ص:٣٥٤)، والملكية في الشريعة الإسلامية وطبيعتها ووظيفتها وقيودها - للدكتور عبد السلام داود العبادي ص/٢٥٨، القسم الأول ط/مكتبة الأقصى عمان - بيروت. وهامش صفحة ( ٢٥٩ ) والنظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية (ص:٣٧٤) وجاء في خطاب أبي يوسف هارون الرشيد: «... فإن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج ...» كتاب الخراج لأبي يوسف لعقوب بن إبراهيم (ص:٨٧) ط/المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة، الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ.

ويشرف عليها الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وعلى توزيعها وإصلاح الجهات والأمصار من كل الجوانب وبين المستحقين من جميع فئات المجتمع، كالإنفاق في أجور العمال والأمراء والقضاة والجنود وأجور كل من له صلة بتنظيم أمور المجتمع، وحمايته من المشاكل. وكذلك نفقات سائر الناس الذين لهم نصيب من بيت المال من المحتاجين وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وكان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) يعملون في كل ذلك بأمر الله وطاعة ربه ﷻ لعموم الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالحكم بالشرعية بين الناس في كل صغير وكبير.

ومن الآيات في ذلك قول الله تعالى: ﴿فَاخُذْهُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]. ومما قيل في المراد بمعنى الآية: أن الله يأمر رسوله بالحكم بين الخلق فهذا كان واجباً عليه<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعادوا الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً»<sup>(٣)</sup>، ولكن العبرة بعموم لفظ

= وهناك من علماء العصر الحديث من يرى أن بيت المال وحدة يرد له كل الإيرادات ويخرج منه كل المصروفات حسبما تقضي الحاجة، ولهم أدلة في إثبات هذا التعريف هو أميل إلى الصواب استناداً إلى الواقع العملي لفعل الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم. انظر - النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول إلى نهاية عصر بين أمة للدكتور مصطفى الممشري (٣٧٤-٣٧٦).

(١) انظر - المرجع السابق (ص: ٢٥١-٣٥٣) وكذلك إن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحملوا تكاليف القيام ببعض الأعمال الدعوية تطوعاً واحتساباً الأجر عند الله إلا في حالة منع الرسول ﷺ إياهم عن ذلك في بعض فترات الرخاء وكثرة الأموال في بيت المال. انظر - السياسة المالية للرسول ﷺ لقطب إبراهيم (ص: ١٠٢-١١٨)، والنظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمة للدكتور مصطفى الممشري ص/ ٣٨٨. وسأني الكلام حول تحمل الصحابة تكاليف القيام بالدعوة عند الحديث عن الصحابة في البحث الثاني.

(٢) انظر - جامع الأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣٧/٦).

(٣) وقد استدلت بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب بهذه الآية أن أمر أخذ الزكاة من أموالهم خاص للرسول ﷺ ولا يصلح ذلك لأبي بكر ولا لغيره من بعد وفاة الرسول ﷺ، ولكن أبا بكر والصحابة معه، ردوا هذه الشبهة وأعادوهم إلى دفع الزكاة بعد الرسول ﷺ إلى خليفته ﷺ. انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٠٨/٢) وقد أشار الجمهور إلى أن الآية نزلت في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك فلما عوفي عنهم وأطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فصدق بها عنا واطهرنا واستغفر لنا فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً». فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]. انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٥٤/٨).

الآية لا بخصوص سببها<sup>(١)</sup>، لأن أفعال الرسول ﷺ فسرت هذه الآيات حيث كانت تأتيه الزكاة من الصحابة في المدينة ومن خارج المدينة عن طريق أصحابها، كما هو ظاهر في قدوم وفد نجيب إلى النبي ﷺ وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم وسلموها للرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>، أو العاملين عليها فيوزعها على الأصناف الثمانية المذكورين في آية الزكاة<sup>(٣)</sup>.

وكذلك كان له عمال يأتون إليه بأموال الخراج من الجزية والفبيء وغيرها، كما هو ظاهر في محاسبة الرسول ﷺ عامله في جمع الأموال<sup>(٤)</sup>.

كما هو ظاهر في مجيء بعض الأموال إلى الرسول ﷺ من البحرين بواسطة بعض عماله، ثم وزعها الرسول ﷺ بين الناس. وفي رواية عن أنس أتى النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: «انثروه في المسجد، فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فأبى فأدبته نفسي وقاديت عقيلاً. فقال: خذ فتحاً في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: أمر بعضهم برفعه إليّ، قال: لا. قال: فارفعه أنت عليّ، قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يرفعه فقال: فمر بعضهم برفعه عليّ، قال: لا. قال: فأرفعه أنت عليّ، قال: لا. فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق، فما زال يتبعه بصرة حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك كان يأمر أمراءه في الأمصار بأخذ الزكاة من أغنيائها وردها على فقرائها وغيرهم من المستحقين بها في تلك الأمصار كما جاء في وصية الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم. وفي رواية عن أبي معبد مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم

(١) انظر - علوم القرآن لمناح قطان (ص: ٨٢).

(٢) انظر - الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٤٤-٢٤٥)، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٦٥٠/٣-٦٥٢).

(٣) والآية هي قول الله تعالى: ﴿إِذَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

(٤) نص الحديث عند الإمام البخاري. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٢/٣٦٤، ٣٦٥).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب رقم (٤) رقم الحديث (٣١٦٥) (٦/٣١٠).

فادعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

وكذلك جاء الأمر الإلهي للمسلمين بالرضى على إشراف الرسول ﷺ على المغنم ومثيلاتها مع توزيعها بين الناس في آيات كثيرة منها قول الله تعالى للمؤمنين في مناسبة غزوة بني النضير: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وللعلماء أقوال في تفسير الآية منها: أن ما أعطاكم من مال الغنيمة فخذوه، وما نهاكم عنه من الأخذ والغلول فانتهوا؛ قاله الحسن وغيره. وعند السدي: ما أعطاكم من مال الفبيء فاقبلوه، وما منعكم منه فلا تطلبوه.

وقال ابن جريج: ما آتاكم من طاعتي فافعلوه، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه. وعند الماوردي: وقيل إنه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه، ولا يأمر إلا بصلاح، ولا ينهى إلا عن فساد، وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكما صرح الرسول ﷺ بعدله والتزامه بالأمر الإلهي في تقسيم الأموال العامة بين الناس في المجتمع.

وفي رواية عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: «ما أعطيك ولا أمنعكم

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب رقم (٦٠) (٦٦١/٧، ٦٦٢).

(٢) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/٧).

(٣) أبو هريرة هو أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ اشتهر بهذه الكنية واختلف في اسمه على أقوال، والراجح أن اسمه في الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن. أسلم عام خير وشهدا مع رسول الله ﷺ ثم لزم رسول الله ﷺ بعد ذلك رغبة في العلم وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ له وهو أكثر الصحابة رواية للحديث، وقصة دعاء رسول الله ﷺ سلم له بالحفظ مشهورة في الصحيح. قيل: روى عنه أكثر من ثمانمائة من بين صاحب وتابع منهم ابن عباس وابن عمر وجابر، وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم. استعمله عمر رضي الله عنه على البحرين ثم عزله، ثم أراد على العمل فأبى عليه ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩. انظر - الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٧-٣٠٠/٤) والإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٧-٣٠٠/٤).

إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»<sup>(١)</sup>. وقوله: «إنما أنا القاسم أضع حيث أمرت» أي: «لا أعطى أحداً ولا أمنع أحداً إلا بأمر الله»<sup>(٢)</sup>.

واتصف عمل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في مرحلة الإنفاق بصفة الإتيان والأمانة والمعرفة سواء ما تعلق بأنفسهم أو بغيرهم، كما جاء في قول نبي الله يوسف عليه السلام عند توليه منصب الشئون المالية في مجتمعه لقول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. أي: خازن أمين وذو علم وبصيرة بما يتولاه<sup>(٣)</sup>.

وإن الإنفاق من الأموال العامة في خدمة الدعوة بأساليب تدبير شئون المجتمع من جميع جوانبه وفق ما تستهدفه الدعوة إلى الله، كان من مصارف الأموال العامة التي أسند الله أمرها لبعض رسله (عليهم الصلاة والسلام) في عصورهم. وقد كانت أساليب الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كثيرة في الإنفاق من الأموال العامة في عملية نشر الدعوة ومنها ما يأتي:

أ- الإنفاق في صالحهم كما هو ظاهر في استفادة نبي الله سليمان عليه السلام بنتائج أعمال الشياطين له في مملكته من بناء المساجد والأبنية الهائلة، واستخراج الدر واللالي والجواهر النفيسة من البحار في مملكته<sup>(٤)</sup>. لقول الله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [٢١] يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ<sup>(٥)</sup> وَتَمَثَّلَ وَجْفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا: ١٢-١٣] وقوله تعالى: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [الشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [٢٤] وَءَاخِرِينَ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر كتاب فرض الخمس باب رقم (٧) رقم الحديث (٣١١٧) (٢٥١/٦).

(٢) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٦٥٢/٦).

(٣) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٣٣/٢).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٧/٣، ٦٩٨) و(٥١/٤٥/٤) وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٣١٥-٣١٩) و(٤٣٣-٤٣٥).

(٥) أما المحارب فهي البناء الحسن وهو أشهر شيء في المسكن وصدرة، وقال الجاهد: «أغاريب ببيان دون القصور»، وقال الضحاك: «هي المساجد» وقيل غير ذلك. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٧/٣).

مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ [مر ٣٦-٣٩]  
وكما هو ظاهر في أخذ الرسول ﷺ نصيبه من خمس الغنيمة والفيء<sup>(١)</sup>. ويعد ذلك  
الإنفاق إنفاقاً لصالح الدعوة؛ لأنهم أوائل الدعاة في مجتمعهم<sup>(٢)</sup>

ب- الإنفاق في صالح المتعاونين في نشر الدعوة.

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا ينفقون في صالح المتعاونين معهم من  
أصحابهم ﷺ في نشر الدعوة من الأموال العامة كما هو ظاهر في تقسيم الرسول ﷺ  
المال بين أصحابه ﷺ الذين كانوا يخرجون معه، أو يخرجون بأمره للقيام بأداء المهمة  
الدعوية في الأمصار<sup>(٣)</sup>، وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعملون بمبدأ الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم، كما جاء في إنكار الرجل الصحابي على  
خالد بن الوليد عندما استكثر سلب غيره ومنعه منه<sup>(٤)</sup>.

ج- الإنفاق في صالح المدعويين

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا ينفقون في صالح المدعويين  
المستجيبين لترغيبهم في الدين كما هو ظاهر في منح الرسول ﷺ الجوائز للوفود الذين  
كانوا يأتون إليه بعد دخولهم في الإسلام كفعله مع وفد تجيب<sup>(٥)</sup>.

وكذلك كان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ينفقون من الأموال العامة في  
المدعويين غير المستجيبين لإمالة قلوبهم إلى الإسلام، كفعل الرسول ﷺ في صرف  
الزكاة وصرف بعض الغنائم للمؤلفة قلوبهم، وفي رواية عن أنس: «أن رجلاً سأل  
النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً

(١) رجع صفحة (١٢٩) من هذا البحث.

(٢) وهذا الإنفاق لا يدل على أن الرسل كانوا معتمدين على الأموال العامة بل كانوا يستفيدون منها عند الحصول  
إليها وفي حالة عدم الحصول إليها كانوا معتمدين على الله ثم الأخذ بإحدى طرق طلب الرزق المشروعة. انظر -  
صفحة (١١٧) من هذا البحث.

(٣) انظر - النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية للدكتور مصطفى الهمشري  
(ص: ٢٥٧-٢٨٧).

(٤) انظر - شرح صحيح مسلم (٣٠٦/١٢، ٣٠٧).

(٥) انظر - الطبقات الكبرى لابن سعد (١/٢٤٤، ٢٤٥) والزياد المعاد (٣/٦٥٠-٦٥٢).

ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(١)</sup>.

#### د- الإنفاق في وسائل الدعوة

وإن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا ينفقون في كل ما من شأنه نقل الدعوة إلى المدعوين، أو تسهيل أمر وصولها إلى المدعوين، كإنفاق الرسول ﷺ في سبيل الجهاد بإعداد الخيول والإبل وحماية الأرض لها، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكذلك تهية الرسول ﷺ الدابة والطعام والمال بما تيسر لرسله الذين كانوا يحملون رسائل الدعوة إلى الأمصار<sup>(٣)</sup>.

وأساليب الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كثيرة في الإنفاق من الأموال العامة لخدمة الدعوة.

وما ذكر هنا إنما هو من باب بيان بعض أنواعها وليس من باب حصرها وذلك حرصاً على الاختصار.

إذن فالإنفاق في صالح تدبير شئون المجتمع وأفراده وبلدانهم وأنظمتهم وفق ما تستهدفه الدعوة، كان من مصارف الأموال التي أسند أمرها للرسل (عليهم الصلاة والسلام)، وكانوا خير قدوة في كسب الأموال العامة من مواردها، والقيام بحفظها وتوزيعها على أكمل الوجه.

فيجب على الدعاة عند تولي المسؤولية المالية في تنظيم شئون المجتمع أن يراعوا صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في قيادة الإنفاق في صالح المجتمع من الأموال العامة (بيت المال).

#### المسألة الرابعة- الإنفاق من الأموال الخاصة في صالح الدعوة

وهذا الإنفاق هو الصورة الثانية لإنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في صالح الدعوة في المجتمع، وإن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) الذين أسند الله إليهم أمر التولي على تنظيم الأموال العامة في الدولة في عصورهم، كانوا ينفقون من الأموال العامة في صالح الدعوة، وكذلك أنفقوا من أموالهم الخاصة في خدمة الدعوة من جميع جوانبها ومراحلها لكونهم رسلاً يحملون الرسالة الإلهية إلى المجتمع لا

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب رقم (١٤) (٧٩/١٥).

(٢) انظر- النظام الاقتصادي في الإسلام (ص: ٣٧٢-٣٧٣).

(٣) انظر- المرجع السابق (ص: ٣٨٨-٣٨٩).

يفضلون عليها شيئاً، ويبدلون في سبيل تحقيق أهدافها كل رخيص وغال، ولكوهم قدوة لأمتهم في العبادة وبذل الخير والحرص عليه وغيره، ولكوهم فرداً من أفراد المجتمع يشاركون في التكافل الاجتماعي، واستوى في ذلك الرسل (عليهم الصلاة والسلام) الذين لم يجدوا الإشراف على الأموال العامة في الدولة في عصورهم<sup>(١)</sup>.  
والصور الدالة على ذلك كثيرة ومنها ما يأتي:

#### ١- الإنفاق في العبادات المالية الخاصة بهم

إن من صور إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) من أموالهم الخاصة في العبادات المالية ومنه:

أ- ذبح إبراهيم عليه السلام الكبش فدية عن ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام وجاءت قصة ذلك في آيات عدة منها قوله تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَتَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

وقوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، أي: بكبش عظيم الذي أرسله الله إليه لفداء إسماعيل<sup>(٢)</sup>.

(١) كني الله نوح وإبراهيم ولوط وأيوب وموسى (عليهم الصلاة والسلام) وغيرهم. وكان حرصهم شديداً على البذل والعطاء من أموالهم كإنفاق نبي الله إبراهيم عليه السلام على قرى الضيف من ماله الخاصة لضيوفه الملائكة الذين جاءوا إليه في صورة البشر كما جاءت قصة ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنَلَامٍ عَظِيمٍ﴾ [الدَّارِيَات: ٢٤-٢٨]. وكذلك إنفاق نبي الله أيوب عليه السلام على المحتاجين من أمواله الخاصة به، ومما جاء في بيان موقفه ذلك أنه: «كان لأيوب أخوان فجاء يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه، فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط مثله، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدقتي، فصدق من السماء وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم يكن لي قيصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقتي فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم بعزتك - وخر ساجداً فقال - : اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه». انظر البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٥٠٩/١، ٥١٠).

(٢) وللعلماء أقوال كثيرة حول قصة فداء إسماعيل بالكبش. انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٠/٤-٢٣).



ب- ومنها قيام الرسول محمد ﷺ بنحر مائة بدنة هدية نسكه يوم النحر بمعى. وجاء في رواية جابر بن عبد الله عن صفة حج الرسول ﷺ «ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم أعطى علياً فنحر ما غير<sup>(١)</sup>...»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الإنفاق في وجوه الخير المتعلق بالمدعوين

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) تقدموا بالإنفاق من أرزاقهم وأموالهم الخاصة كل أصناف البر والإحسان إلى الناس من مدعويهم وغيرهم. ومن المواقف الدالة على هذا النوع من الإنفاق ما جاء في موقف نبي الله داود عليه السلام في إطعام بني إسرائيل مما كان يعمل من عمل يده.

وجاء في رواية عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن شوذب قال: «كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها ستة آلاف درهم، ألفين له، ولأهله، وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ما جاء في موقف نبي الله محمد ﷺ من الحرص الدائم على بذل الخير للمحتاجين لما جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود من الريح المرسلة»<sup>(٤)</sup>.

ووقع عند الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> في آخر هذا الحديث «لا يسأل شيئاً إلا أعطاه»<sup>(٦)</sup>.

(١) «ما غير» أي ما بقي من البدن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث كتاب الحج رقم (١٩) (٤٢٠/٨-٤٣٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٦/٣) وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١١٦/٢٢).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب رقم (٥) (٤٠/١).

(٥) أحمد بن حنبل هو: الإمام الجليل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن الشيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني المروزي الأصل، ولد في بغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤، وقيل: إنه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع وهو إمام المحدثين، صنف كتابه (المسند)، وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث، كان من خواص أصحاب الشافعي، ولم يزل بصحبته حتى أرتحل إلى مصر، وقال فيه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا ألقه من ابن حنبل أو ذي وسجن بسبب امتناعه من القول بخلق القرآن كان حسن الوجه، رُبعة مخضب بالحناء. من أخذ عنه الإمامان البخاري ومسلم. توفي يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ (رحمه الله تعالى). انظر- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦٣/١-٦٥).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بطول الحديث (١٣٠/٦).

وأوضح الإمام ابن حجر هذا التمثيل فقال: «والمرسلة» أي المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح، وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تُهبُّ عليه<sup>(١)</sup>.

وكان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) يراعون أحوال المحتاجين من أمتهم حتى لا يفوتهم الإحسان إليهم، ومد العون إليهم من أموالهم الخاصة، كما هو ظاهر في موقف نبي الله سليمان عليه السلام حيث ما كان يشبع حتى لا ينسى الفقراء<sup>(٢)</sup>.

ونماذج في إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) في وجوه الخير كثيرة جداً ومظاهرها في كتب التاريخ والتفسير والحديث وغيره.

### ٣- الإنفاق في بناء المساجد

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يهتمون ببناء مساجد الله في أرضه من أموالهم الخاصة كما هو ظاهر في شراء النبي ﷺ موضع مسجده بالمدينة المنورة.

كما هو في رواية عن الزهري قال: «بركت ناقة رسول الله ﷺ عند موضع مسجد رسول الله، وهو يؤمئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربداً لسهل وسهيل، غلامين من الأنصار، كانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة، فدعا رسول الله ﷺ بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذ مسجداً، فقال: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما ... بعشرة دنانير ... وأمر أبا بكر<sup>(٣)</sup> أن يعطيتهما ذلك ...»<sup>(٤)</sup>. والنماذج متعددة في اهتمام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ببناء مساجد الله في أرضه<sup>(٥)</sup>.

### ٤- الإنفاق في الدعوة من جميع جوانبها

إن الرسل (عليهم الصلاة والسلام) كانوا ينفقون في صالح جميع أجهزة الدعوة ومراحلها من أموالهم الخاصة بهم كجعل الرسول ﷺ ما بقي من أموال بني النضير بعدما يأخذ نفقة السنة لأهله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.

(١) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤١/١).

(٢) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٧٤/١٤).

(٣) وجاء في رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» قال فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله هل أنا ومالي إلا لك، يا رسول الله! أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه المقدمة باب رقم (١١) (٣٦/١) وقال محمد فزاد عبد الباقي عند تعليقه على الحديث، إسناده إلى أبي بكر فيه مقال، لأن سليمان بن مهران الأعمش يدلّس، وكذا أبو معاوية إلا أنه صرح بالتحديث فزال التدليس، وباقي رجاله ثقات أ.هـ. الزوائد .. المرجع السابق.

(٤) أخرجه الإمام ابن سعد بطوله في الطبقات الكبرى (١٨٤/١).

(٥) كبناء إبراهيم وابنه إسماعيل الكعبة وبناء نبي الله سليمان بيت المقدس. انظر - البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٣٧٧/١ و ٤٥٣، ٤٥٤) و (٣٤١/٢).

وأموال بني النضير كانت من الأموال التي اختص بها الرسول ﷺ<sup>(١)</sup> والنماذج في إنفاق الرسول ﷺ في أجهزة الدعوة من أمواله الخاصة كثيرة جداً ومظاهرها كتب السيرة والحديث. وكإنفاق نوح عليه السلام ما كان يملكه من العدة والعتاد والأخشاب والألواح والمسامير في صنع السفينة بنفسه لنقل مدعويه المستجيبين فوق الطوفان وإبعادهم من الهلاك وذلك بأمر الله عز وجل له بذلك كما جاء في قوله تعالى له: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧].

والآيات كثيرة في بيان قصة نوح عليه السلام ومنها قوله تعالى عنه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ، وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادَى نُوحٌ ابْنُهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٣٨-٤٢].

ومما جاء في معنى قوله: (ومن آمن) أي: واحمل في السفينة من آمن من قومك وأفراد الأهل منهم لمزيد العناية بهم وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وجاء في رواية حديث طويل عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «... نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم حتى كان آخر زمانه وغرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة...»<sup>(٣)</sup>.

والنماذج كثيرة في إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) أموالهم الخاصة في مصالح الدعوة من جميع جوانبها.

(١) سبق ذكر هذا الحديث في صفحة (٩١) من هذا البحث.

(٢) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢/٤٩٦-٥٠٢).

(٣) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين، تفسير سورة هود (٢/٣٧٢) رقم الحديث (٣٣١٠) وقال الإمام الحاكم: «هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه» قال الإمام الذهبي في التلخيص: «إسناده مظلم موسى ليس بذلك». وجمهور العلماء يميزون رواية الحديث الضعيف في القصص وغيرها بشروطه. راجع هامش (٢) ص/١٢١ من هذا البحث. وأخرجه الإمام الطبري في تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن بطول الحديث (٣٥/١٢). وقال الإمام ابن كثير: «وهذا الحديث غريب وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد وغير واحد شبيه لهذه القصة، وأخرى بهذا الحديث أن يكون موقوفاً متلقى عن مثل كعب الأحبار - والله أعلم -». انظر - البداية والنهاية للإمام ابن كثير (١/٢٦٥، ٢٦٦).

إذن فالعبادات المالية وبذل المال والرزق في وجوه الخير وفي جميع جوانب الدعوة إلى الله ومراحلها كانت من أبواب مصارف الأرزاق والأموال الخاصة للرسول (عليهم الصلاة والسلام)، وكانوا خير قدوة في القيام بأداء هذا العمل المشروع. فعلى الدعاة أن يجعلوا جزءاً من أموالهم وأرزاقهم الخاصة للعبادات المالية، ولوجوه الخيرات والدعوة بقدر الطاقة، وأن يراعوا صفات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ومناهجهم في تسخير الأموال الخاصة في الإنفاق المشروع، في كل زمان ومكان. وكل ما سبق بيانه من وجوه إنفاق الرسل (عليهم الصلاة والسلام) أرزاقهم في المصاريف المشروعة جاء وفق ما دعا إليهم دينهم وشريعتهم، وكانوا أشد الناس تمسكاً بها وبهديهم، وأكثر عملاً بأمر ربهم عز وجل في جميع التصرفات والنشاطات عند إنفاق الرزق وغيره، ولم يخالفوا فيها أمراً من أمور ربهم في صرف أرزاقهم لسد الحاجات وإشباع الرغبات لأنفسهم ولغيرهم<sup>(١)</sup>.

وقيام الرسل (عليهم الصلاة والسلام) بإنفاق أموالهم وأرزاقهم في المصارف المباحة المشروعة فإنهم يكونون بذلك قد أكملوا الركن الثالث<sup>(٢)</sup> من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع عن علم وبصيرة ونور من ربهم ﷻ<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع المسألة الأولى والثانية من صفحة (١٠٧) إلى صفحة (١١١) والمسألة الخامسة والسادسة من صفحة (١٣٦) إلى (١٥١) من المطلب الأول في البحث الأول.

(٢) سبقت الإشارة إلى أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/١٠٥ من هذا البحث.

(٣) وما ذكر في هذا المطلب من وجوه الإنفاق للرسول (عليهم الصلاة والسلام) إنما هو على سبيل إثبات صدور الإنفاق الرزق من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) سواء من الأموال العامة أو الأموال الخاصة وأما ما يتعلق بكيفية الإنفاق في صالح الدعوة يأتي تفصيلها عند الكلام حول دواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الفصل الرابع من هذا البحث.

## المبحث الثاني

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة سلف الأمة رضوان الله عليهم

المطلب الأول - التعريف بالسلف

المطلب الثاني - سيرة الصحابة رضي الله عنهم

في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المبحث الثاني

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة سلف الأمة (رضوان الله عليهم)

المطلب الأول - التعريف بالسلف

أولاً - معنى السلف في اللغة: السلف مأخوذ من سلف ويأتي بمعنى تقدم وسبق ومضى وانقضاء وغيرها من المعاني كالقرض والسلم.

وأما اسم فاعله فهو سالف جمعه سلاف وسلف وهي سالفة جمعها سواف<sup>(١)</sup>. قال ابن فارس: «السلف: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف: الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون. والسلاف: السائل من عصير العنب قبل أن يعصر والسلفة: المعجل من الطعام قبل الغداء...»<sup>(٢)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني<sup>(٣)</sup>: «السلف: المتقدم، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]. أي معتبرا متقدماً. وقال تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. أي: يتجافى عما تقدم من ذنبه... ولفلان سلف كريم: أي آباء متقدمون...»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في لسان العرب: «السلف... الجماعة المتقدمون وقوله ﷺ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]. وقال الفراء يقول جعلناهم سلفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون». والسلف أيضاً: «كل عمل قدمه العبد. والسلف القوم المتقدمون في السير»<sup>(٥)</sup>. ولكلمة السلف معاني أخرى يدور أغلبها حول معنى تقدم وسبق<sup>(٦)</sup>. وأما المطلوب من المعنى اللغوي في هذا الموضوع فهو أن السلف بمعنى الجماعة المتقدمون.

(١) انظر - لسان العرب لابن منظور (١٥٨/٩-١٦١)، والمعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية (٤٤٤/١)).

(٢) انظر - مقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق عبد السلام محمد هارون (٩٥/٣، ٩٦).

(٣) الراغب الأصفهاني هو: أبو القاسم الفضل بن محمد وقيل الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني كان من أذكى المتكلمين يقارن بالغزالي. من آثاره: الذريعة إلى مكارم الشريعة، والمحاضرات وأفانين البلاغة، ومفردات القرآن وغيرها، كان حياً في أوائل القرن الخامس. انظر - سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨) وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي (٢٩٧/٢) رقم (٢٠١٥) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بدون رقم الطبعة سنة ١٤١٩ هـ - شركة أبناء شريف الأنصاري صيدا - لبنان.

(٤) انظر - المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب الأصفهاني (ص: ٢٣٩).

(٥) انظر - لسان العرب للعلامة ابن منظور (١٥٨/٩-١٥٩).

(٦) انظر - المرجع السابق ومعجم الوسيط (٤٤٤/١) ومقاييس اللغة العربية لابن فارس (٩٥، ٩٦/٣).

ثانياً : ومعنى السلف في الاصطلاح العام في الشرع:

يأتي المعنى العام للسلف في الشرع بعدة تعريفات:

١- السلف: كل من يقلد مذهبه في الدين ويقتفى أثره فيه كالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين<sup>(١)</sup>.

السلف: هم أهل القرون الأولى خير قرون هذه الأمة وأقربها إلى تمثيل الإسلام فهماً وإيماناً وسلوكاً والتزاماً<sup>(٢)</sup>.

٢- السلف: هو الصدر الأول من المسلمين في هذه الأمة وفي قمتهم أصحاب الرسول محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>.

٣- السلف: لغة أهل العراق ويأتي بمعنى السلم لغة أهل الحجاز. وهو في الشرع بمعنى: عقد على موصوف في الذمة مؤجل بثمن مقبوض بمجلس العقد<sup>(٤)</sup>، وهو من أنواع البيوع المشروعة كما في قول الرسول ﷺ: «من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»<sup>(٥)</sup>.

وأما التعريف الملائم لموضوع هذا البحث فهو التعريف الشرعي العام الأول وهو يشمل مضمون التعريفين اللاحقين بعده.

«ثم أصبح [اسم السلفية] مع التطور التاريخي لظهور الفرق الإسلامية منحصراً في المدرسة السلفية التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقوه جيلاً بعد جيل...»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر- كشاف اصطلاحات الفنون ل محمد علي الفاروقي بتحقيق الدكتور لطفي عبد البديع التهانوي (١٥/٤)

الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٧م، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٥٠).

(٢) انظر- السلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن زيد الزبيدي (ص: ٣٢). ط/ مركز الدراسات والإعلام دار إشييليا.

(٣) انظر- المصدر السابق (ص: ٢٠).

(٤) انظر- حاشية الروض المربع بشرح زاد المستقنع للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي التجدي الحنبلي (٤-٣/٥) الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

(٥) أخرجه الإمام مسلم بطوله في صحيحه كتاب المساقاة (٢٢) باب رقم (٢٥) رقم الحديث (١٦٠٤) (١١/٤٤).

(٦) انظر- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٥٠، ١٥١)، ط/ مكتبة الوادي جدة الطبعة

الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

وبهذا التعريف بالسلف يظهر أن السلف يشمل الصحابة والتابعين وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وحامد بن سلمة، وحامد بن زيد، وابنا أبي شيبة، والبخاري ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من الأئمة الأجلاء الأعلام الذين شهد لهم بالإمامة في الدين والورع والتقوى ظاهراً وباطناً، وتلقى الناس كلامهم بالقبول والعمل به خلفاً عن سلف<sup>(١)</sup> دون اعتبار لزمن معين، وعندئذ يتحدد مذهب السلف بما كان عليه الصحابة الكرام عليهم السلام والتابعون وتابعوهم من الأئمة المذكورين رحمهم الله<sup>(٢)</sup>.

«وكذلك يخرج عن السلف كل من رمى ببدعة أو اشتهر بلقب غير مرضي من الفرق المخالفة للسنة ولمذهب الصحابة عليهم السلام وما كانوا عليه، مثل: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والمعتزلة، والمشبهة أو المجسمة، وسائر الفرق الضالة، فهؤلاء ليسوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، بل هم مخالفون لهم، ومخالفون لأهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة وعلمائها الذين يقتدى بهم في الدين»<sup>(٣)</sup>.

إذن فنهج السلف واحد ومتابعة منهجهم في العقيدة والعبادة والسلوك وغيره من أحكام الشريعة واجب، وفي تركه إثم وضلال، حيث إنه مطابق لما دعا إليه الكتاب والسنة، لما يفهم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «... وإن بني إسرائيل تفرقت

(١) انظر- لوامح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح السدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للشيخ محمد بن أحمد السفاريني (٢٠/١)، ونموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٩هـ - محمد منير عبده آغا الدمشقي (ص: ١١، ١٢). ط/مكتبة الإمام الشافعي بالرياض الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني بتحقيق ودراسة محمد بن محمود أبو رحيم (٢/٤٧٣-٤٧٦) ط/دار الولاية للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٥١).

(٢) انظر- المراجع السابقة، وانظر- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري (٥١، ٥٢) ط/دار الطيبة للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان بن جمعة ضميرية (ص: ١٥١).

(٣) انظر- المراجع السابقة، والفرق بين الفرق، لصدر الإسلام الأصولي المتفنن عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني التميمي، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ص: ٣١٨-٣٢٢) ط/ مطبعة المدني - القاهرة، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٥١).



على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قال ما هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «افتרכת اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وافتרכת النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى: «ف قيل له ما الواحدة قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(٣)</sup>.

ويفهم من الحديث أن نجاة الفرقة الواحدة من ضمن ثلاث وسبعين فرقة ناتج من تمسكهم في الدين بمنهج الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ، وأن دخول اثنتين وسبعين فرقة في النار ناتج من انجرافها وتعرضها في الدين عن منهج الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ.

وكذلك يدل الحديث على استمرار وجود الفرقة الناجية في العصور اللاحقة بعد عصر الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>، وهم المسمون بأهل السنة والجماعة في بعض تسمياتها على أرجح أقوال العلماء<sup>(٥)</sup>. ومذهبهم هو مذهب السلف رحمهم الله، ولم يكن مذهب

(١) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه أبواب الإيمان باب رقم (١٨) (٣٣٣/٧، ٣٣٤) والحديث له روايات كثيرة، وصحح العلماء أكثرها منهم الإمام الحاكم في مستدركه. انظر - المرجع السابق (٣٣٣/٧) ومنهم الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهاء وفوائدها برقم (٢٠٣، ٢٠٤) (٣٥٦/١-٣٦٧).

(٢) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (١٢٨/١).

(٣) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين بطول الحديث (١٢٩/١).

(٤) من الأحاديث الدالة على وجود الفرقة الناجية في العصور اللاحقة: ما جاء في رواية أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمي قواماً على أمر الله لا يضرها من خالفها» أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه. المقدمة باب رقم (١) (٤/١)، وفي رواية عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب باب رقم (٤) (١٦٢/٧). قال النووي: «وأما هذه الطائفة فقال البخاري هم أهل العلم. وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قال: النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة متفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض». المرجع السابق (١٦٢/٧، ١٦٣).

(٥) انظر - مدخل للدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٤٧) ومن الأسماء التي تطلق على الفرقة الناجية: اسم أهل الحديث وأهل الأثر وأهل السنة والجماعة وأهل العلم. والأفضل أن يطلق على المفهوم الواسع وهو ما يشمل اسم أهل السنة والجماعة. انظر - المصدر السابق (ص: ١٥٦)، والسلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزبيدي (ص: ٣٢، ٣٣)، وعون المعبود بشرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (١٦٢/٧، ١٦٣).

السلف مذهباً جديداً مبتدعاً بل هو المنهج القديم الذي كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة المقتدى بهم (رحمهم الله) وإنما تميزوا فيما بعد بهذا اللقب والتسمية لمخالفة أهل البدع والأهواء، والفرق المخالفة الأخرى الضالة.

وأهل السنة والجماعة هم المنسوبون إلى السلف الصالح وهم السلفيون وهؤلاء ليسوا محصورين في فئة معينة أو جماعة معينة، أو بلد أو زمن دون الآخر، إذ كل من اتصف بسماتهم وصفاتهم وكان على منهجهم فهو داخل في دائرة أهل السنة والجماعة ودخل في دائرة السلفية<sup>(١)</sup>. (الذين يتجهون تجاه السلفي)<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: المراد بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة سلف الأمة

أما المراد بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سير سلف الأمة، فهو عبارة عن بيان أحوال السلف الصالح (الذين يقتدى بهم في الدين) في تنظيم عملية أداء الدعوة مع السعي في طلب الرزق، وصرف الرزق في الوجوه المباحة، من الصحابة ﷺ والتابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم واقتدى بمنهجهم ﷺ.

وأما أفضل السلف فهم عموم الصحابة ﷺ على أرجح أقوال العلماء، لما جاء في رواية عن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني<sup>(٣)</sup>، ثم الذين يلونهم، ثم

(١) وللأسف تعريفات عدة عند العلماء المسلمين ومنها ما يأتي:

أن السلفية هي الاتجاه الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان والأئمة الأربعة ومن سلك منهجهم، دون من انحرف إلى مسلك مبتدع كالحوارج والرافض والمرجئة والجهمية والمعتزلة وغيرها من التعريفات. للسلفية كلها يرجع إلى الانتساب لما كان عليه السلف من علم ودين. انظر - السلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزبيدي (ص: ٣٠، ٣١).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية بتحقيق محمد رشاد سالم (١/٤٨٢-٤٨٦) الطبعة الثانية عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م مناسبة افتتاح المدينة الجامعية (جامعة الإمام بالرياض)، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية (ص: ١٤٨-١٤٩ ص/ ١٥٦)، والسلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزبيدي (ص: ٢١، ٢٢).

(٣) «القرن» وردت في معناه أقوال كثيرة منها: أن القرن هو أهل كل زمان وهو مقدار الوسط في أعمار أهل كل زمان، وقيل: القرن أربعون سنة، وقيل: ثمانون. وقيل: مائة سنة. قال السيوطي: والأصح أنه لا ينضبط بمدة، وقيل: غير ذلك. والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة ﷺ. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٨/٧)، وعون المعبود بشرح سنن الإمام أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (١٢/٤١٠).

الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام النووي: «واتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه»<sup>(٢)</sup>.

ويدل الحديث على أن الصحابة ﷺ أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين<sup>(٣)</sup>.

واقترضت دراسة هذا الموضوع الاكتفاء بأهم ما ورد في سيرة الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ليماثل ذلك سيرة سائر السلف في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نظراً لوحدة مناهج السلف في الدين في كل عصر، ولفضل الصحابة على غيرهم من السلف بمشاهدتهم الرسول ﷺ وتعلمهم الأحكام عنه عياناً، ولورود النصوص الشرعية في استقامتهم في الامتثال بأداء أحكام الدين والدعوة إليه والذب عنه. كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًّا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومما ورد في معنى الآيات أن الله تعالى يخبر عن نبيه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من أصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال،

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب رقم (١) (٥/٧).

(٢) انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣١٨/١٦).

(٣) هناك خلاف بين العلماء في نسبة الأفضلية إلى مجموع أهل كل قرن على أهل قرن آخر يليه أو نسبة الأفضلية لبعض أفراد كل قرن على بعض أفراد قرن آخر يليه. فبين الإمام ابن حجر أن الصحابة الذين قاتلوا مع النبي ﷺ أو في زمانه بأمره أو أنفق شيئاً من ماله بسببه لا يعد له في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]. ثم بين وجه انقسام رأي العلماء في رأيين حول تفضيل بعض من يأتي بعد الصحابة على بعض الصحابة، أو تفضيل كل الصحابة على كل من يأتي بعدهم.

ومن ذهب إلى الرأي الأول الإمام ابن عبد البر والإمام القرطبي. ولهم أدلة في ذلك ومن أدلتهم: ما رواه الإمام أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه إلى النبي ﷺ: «تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل: منهم أو منا يا رسول الله ﷺ. قال: بل منكم» وغيرها من الأدلة ولكن لم يسلم كل الأدلة من الرد.

وأهم أشداء على الكفار أي جادون ومجتهدون في نصرتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم ير الكفار منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، وكذلك من صفات الصحابة رضي الله عنهم أنهم يصلون لله عز وجل ويتغون بتلك العبادة بلوغ رضا ربهم والوصول إلى ثوابه وعزله<sup>(١)</sup>.

وكذلك قول الله تعالى عن المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وقال الإمام ابن الجوزي<sup>(٢)</sup> في معنى الآية: «﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٢]. أي هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك»<sup>(٣)</sup>.

إذن فالآية من الآيات الدالة على الثناء الإلهي على مواقف الصحابة رضي الله عنهم في صدق الإيمان والعمل بمقتضاه والقيام بنصرة دين الله ورسوله ﷺ، وهذه شهادة إلهية لهم بذلك وكفى بالله شهيداً.

وحديث: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»<sup>(٤)</sup>.

= أما الرأي الثاني: فهو تفضيل كل الصحابة على كل من يأتي بعدهم، وهو مذهب الجمهور حيث ينو أن فضيلة الصحبة لا يعد لها عمل لمشاهدة رسول ﷺ، وأما من أنفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعد له أحد من يأتي بعده لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم. ثم بين الإمام ابن حجر أن محل النزاع يتمحصر فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهاً على أن حديث «للعامل منهم أجر خمسين منكم» لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة؛ لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضاً فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعد له فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة.

انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٨/٧، ٩).

(١) انظر - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١١٠/٧).

(٢) ابن الجوزي هو: الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي القرشي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي ٥٩٧ هـ، ومن مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير، والمغني في علوم القرآن والموضوعات، وغيرها. انظر - طبقات الحفاظ (ص: ٤٧٨) لجلال الدين السيوطي رقم الترجمة (١٠٦٧) ط/مكتبة وهبة القاهرة - مصر الطبعة الثانية ١٤١٥ م - ١٩٩٤ م.

(٣) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام الجوزي (٣/٣٨٧).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث سبق تخريجه في صفحة (٢٠١) من هذا البحث.

إن إثبات هذه الخيرية للصحابة يقتضي أموراً كثيراً ومنها: حسن تقيد الصحابة بطاعة الله ورسوله ﷺ والدعوة إلى دينه والذب عنه وعن الرسول ﷺ. ولا سيما ورود أمر النبي ﷺ بأخذ سنته وسنة أصحابه من بعده.

كما جاء ذلك في موعظة الرسول ﷺ في رواية العرباض بن سارية ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»<sup>(١)(٢)</sup>.

وقوله: «فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» أي: فليلزم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها قاله القارئ.

ومما جاء في قول الإمام الشوكاني عند توضيح معنى الحديث: «فالسنة هي الطريقة فكأنه قال ألزموا طريقي وطريقة الخلفاء الراشدين»<sup>(٣)</sup>، قد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنهم أشد الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها...»<sup>(٤)</sup>.

والعض بالنواجذ على سنة الرسول ﷺ وسنة الصحابة ﷺ كناية عن الحث على شدة ملازمة السنة والتمسك بها للرسول ﷺ وللصحابة ﷺ. إذن فالأخذ بسنة الصحابة ﷺ أولى من الأخذ برأي غيرهم عند عدم الدليل<sup>(٥)</sup>.

وبناء على ما سبقت الإشارة إليه من الاكتفاء ببيان أحوال الصحابة ﷺ دون غيرهم من السلف في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، اقتضت دراسة تلك الأحوال التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً حتى يسهل تناول الجوانب الخاصة بهم في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وذلك في المطلب التالي:

(١) «النواجذ» جمع ناجذة بالذال المعجمة وهي الضرس الأخير. وقيل: مرادف السن وقيل: غير ذلك. انظر - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٣٦٨/٧).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه، أبواب العلم باب رقم (١٦) قال الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» (٣٦٨-٣٦٥/٦).

(٣) وما قيل في المراد بالخلفاء أنهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأن الرسول ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد انتهى بخلافة علي كرم الله وجهه» وقيل: غير ذلك من التحليل في كونهم الخلفاء الراشدين. انظر - المرجع السابق (٣٦٧/٧، ٣٦٨).

(٤) انظر - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٣٦٧/٧، ٣٦٨).

(٥) انظر بالتصرف: المرجع السابق (٣٦٧/٧، ٣٦٨).

## المطلب الثاني- سيرة الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

أولاً- التعريف بالصحابة لغة واصطلاحاً

أ- التعريف بالصحابة لغة: لفظ الصحابة أصله مصدر مأخوذ من صحب، الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربتة، ومن ذلك الصاحب، وهو اسم فاعل وجمعه: أَصْحَاب، وَأَصَاحِبٍ وَصُحْبَانٍ وصحاب وصَحْب، وَصَحَابَةٌ<sup>(١)</sup> بفتح الصاد وكسره.

وأكثر الناس على الكسر دون الهاء، وعلى الفتح معها، إذن فيجوز الهاء معها. والصحابة جمع صاحب ولم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا<sup>(٢)</sup>، ومؤنث الصاحب: الصاحبة وجمعها صواحب، وربما أنث الجمع فقليل صواحب<sup>(٣)</sup>. والصحابي منسوب إلى الصحابة كالأنصاري منسوب إلى الأنصار، ويقال: في النسبة إلى التأنيث منه بالصحبايات مفردها صحابية.

ويأتي معنى صحب بعدة معانٍ ويدور كلها على الملازمة والانقياد. ومما جاء في توضيحات الراغب الأصفهاني لمعنى صحب المبني على الملازمة والانقياد ما يأتي: «الصاحب الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر أو بالعناية والهمة».

ويقال للمالك للشيء هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التصرف فيه قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]. ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٧]. ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩]. ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣]. ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦].

وقد يضاف الصاحب إلى مسوسة نحو صاحب الجيش إلى سائسه، نحو صاحب الأمير. ولا يقال للصاحب في العرف إلا لمن كثر ملازمته<sup>(٤)</sup>.

(١) قيل: إن جمع الأصحاب وجمعه أصحاب. وأما الصحبة والصحب فاسمان للجمع. انظر- لسان العرب لابن منظور (٥١٩/١، ٥٢٠).

(٢) انظر- لسان العرب لابن منظور (٥١٩/١)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٣٥/٣)، والمعجم الوسيط (٥٠٧/٢)، ومختار الصحاح لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ص: ٣٥٦).

(٣) انظر- المصباح المنير معجم عربي للعالم العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المغربي (ص: ١٢٧) ط/مكتبة لبنان.

(٤) انظر- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٢، ٢٨٣).

وقال ابن فارس وغيره: عند توضيح معنى صحب النبي على الملازمة: «واستصحب الكتاب وغيره حملته صحبتي ومن هنا قيل: استصحبته الحال إذا تمسكت بما كان ثابتاً كأنك جعلت تلك الحالة مصاحبة غير مفارقة»<sup>(١)</sup>.  
إذن فالصاحب في العرف اللغوي: يطلق على من طالت ملازمته ومعاشرته  
لغيره<sup>(٢)</sup>.

ب- التعريف بالصحابة في اصطلاح العلماء:  
للعلماء تعريفات عدة باصطلاح الصحابة مما أدى إلى إيجاد الاختلاف بينهم  
في المراد بالصحابة، ومن تلك التعريفات ما يأتي: -

#### ١- الصحابة عند جمهور المحدثين

قال الإمام البخاري: «من صحب النبي ﷺ ، أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»<sup>(٣)</sup>. قال الإمام أحمد: «من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه»<sup>(٤)</sup>. قال الإمام ابن الصلاح<sup>(٥)</sup>: «اختلف أهل العلم في أن الصحابي من؟ فالمعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من أصحابه» ثم ساق تعريف البخاري للصحابي، ثم قال: «وبلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً، أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة»<sup>(٦)</sup>.

- (١) انظر- المصباح المتبرع معجم عربي للفيوم (ص: ١٢٧).
- (٢) وهناك توضيحات أخرى لمعنى الصحاب المبنى على الملازمة والانقياد. انظر- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٢، ٢٨٣)، ولسان العرب لابن منظور (٥١٩/١-٥٢١).
- (٣) انظر- صحيح البخاري للإمام البخاري كتاب فضائل الصحابة باب رقم (١) (٥/٧).
- (٤) انظر- فتح المغيث شرح ألفية العراقي للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (٩٣/٣) ط/دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- (٥) الإمام ابن الصلاح هو: تقي الدين المعروف بابن الصلاح واسمه عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني أبو عمرو. وهو أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. ولد في شرحان سنة ٥٧٧هـ وولاه الملك الأشرف تدریس دار الحديث في دمشق، وتوفي فيها عام ٦٤٣هـ رحمه الله تعالى. وله مؤلفات كثيرة من أهمها: كتابه: معرفة أنواع علم الحديث، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح، وغيره من الكتب المفيدة. انظر- الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٠٧/٤، ٢٠٨).
- (٦) انظر- علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح (ص: ٢٥١-٢٥٥) ط/مطبعة العلمية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ-١٩٣١م.

قال الإمام الحافظ أحمد بن حجر رحمه الله: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك في تعريف الصحابي أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى»<sup>(١)</sup>.

وزاد في كتابه نخبة الفكر، على تعريف الصحابة فقال: «ولو تخللت ردة في الأصح»<sup>(٢)</sup>. وقوله: «ولو تخللت ردة أي بين لُقيهِ له مؤمناً بين قوته على الإسلام فإن اسم الصحبة باق له سواء أرجع إلى الإسلام في حياته ﷺ أو بعده وسواء ألقيه ثانياً أم لا. وقوله: «في الأصح»: إشارة إلى الخلاف في المسألة، ويدل على رجحان الأول قصة الأشعث بن قيس<sup>(٣)</sup> فإنه كان ممن ارتد وأتى به إلى أبي بكر ﷺ أسيراً فعاد إلى الإسلام فقبل ذلك منه، وزوجه أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها»<sup>(٤)</sup>.

ثم قال الإمام ابن حجر: بعد شرح التعريف: «وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما، وراء ذلك (التعريف بالصحابي) أقوال أخرى شاذة»<sup>(٥)</sup>.

التعريف بالصحابة عند جمهور الأصوليين

أما التعريف بالصحابي عند جمهور الأصوليين فمنه ما يأتي:

١- الصحابي عند جمهور الأصوليين: «مسلم طالت صحبته مع النبي ﷺ متبعاً إياه، والأصح عدم التحديد للطول، وقيل ستة أشهر، وقيل سنة أو غزوة»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٧/١) مكتب المثنى بغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

(٢) انظر- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للإمام ابن حجر (ص: ٥٥).

(٣) الأشعث بن قيس هو الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ابن ثور الكندي يكنى أبا محمد قال ابن سعد وفد على النبي ﷺ سنة عشر في سبعين ركباً من كندة، وكان من ملوك كندة، وهو صاحب مربع حضرموت، وقعت منه ردة بعد وفاة رسول الله ﷺ وأسر وأتى به أبو بكر ﷺ فأطلقه ورجع إلى الإسلام، شهد اليرموك، وكان مع علي في قتال صفين قيل: مات بعد مقتل علي ﷺ بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن. وقيل: توفي سنة ٤٢ اثنتين وأربعين. انظر- الاستيعاب بامش الإصابة في تمييز الصحابة (١٠٣/١-١٠٨) والإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٦٦/١).

(٤) انظر- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للإمام ابن حجر (ص: ٥٥، ٥٦).

(٥) انظر- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٨/١).

(٦) انظر- فواتح الرحموت للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري المطبوع مع المستصفي من علم الأصول للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (١٥٨/٢) ط/دار الفكر.



٢- «الصحابي هو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها أو شاهد منه ﷺ أمراً يعيه ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك» ولهذا لا يوصف من جالس عالماً ساعة بأنه من أصحابه، وكذا إذا أطلال المجالسة معه إذا لم يكن على طريق التبع له والأخذ عنه<sup>(١)</sup>. وهناك تعريفات أخرى لجمهور الأصوليين وغيرهم ولكنها لم تسلم من اعتراض بعض العلماء لها<sup>(٢)</sup>.

والتعريف الملائم لموضوع هذا البحث هو تعريف المحدثين والذي قال به الإمام ابن حجر رحمه الله لكون ذلك أشمل لمضمون التعريفات الأخرى للعلماء ولاحتوائه على كل من آمن بالرسول ﷺ ولقيه مع قصر مدة لقائه بالرسول ﷺ ورؤيته إياه، كما أشار إليه الإمام الشوكاني عند حديثه عن اختلاف العلماء حول من يستحق اسم الصحبة. وقال: «والحق ما ذهب إليه الجمهور وإن كانت اللغة تقتضي أن صاحب هو من كثر ملازمته فقد ورد ما يدل على إثبات الفضيلة لمن لم يحصل له منه إلا مجرد اللقاء القليل والرؤية ولو مرة»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً- المراد بسيرة الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق  
أما المراد بسيرة<sup>(٤)</sup> الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فهو عبارة عن ذكر أهم أحوال الصحابة ﷺ في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وبيان مدى تقيدهم بهدي الشريعة في ذلك، وكيفية تنظيمهم الوقت بين الدعوة وطلب الرزق، وبيان إنفاقهم أرزاقهم في الوجوه المشروعة.

(١) انظر- تدريب الراوي في شرح تقريب النوي للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٢١١/٢-٢١٢) ط/دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩هـ، والإحكام في أصول الأحكام للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (٦٦٥/٥) ط/مطبعة العاصمة - القاهرة وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ل محمد بن علي بن محمد الشوكاني (٧٠٧١) ط/دار الفكر، والإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر (٨/١). أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب الناس فيهم لعبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام بالرياض عام ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر- المراجع السابقة.

(٣) انظر- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ل محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ص: ٧٠).

(٤) سبق التعريف بالسيرة في صفحة (١٠٦) من هذا البحث.

إن سيرة الصحابة رضي الله عنهم مليئة بمواقف ثابتة لقيامهم بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق وإقرار الرسول ﷺ إياهم على تلك الأعمال وتعاونهم ﷺ معهم في نجاح أعمالهم التي ضمنت الجمع بين الدعوة وطلب الرزق طوال حياة الرسول ﷺ <sup>(١)</sup>. وكذلك استمر عمل الصحابة رضي الله عنهم بمبدأ الجمع بين الدعوة وطلب الرزق بعد حياة الرسول ﷺ لكونه عملاً مشروعاً بالكتاب والسنة المطهرة وهدى الرسل عليهم السلام. ومن الصور الدالة على موقف الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق بعد وفاة الرسول ﷺ قيام أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ بالتوجه إلى السوق لبيع أثواباً يتجر بها كعاداته في حياة الرسول قبل وفاة الرسول ﷺ حتى منعه عن ذلك بعض الصحابة رضي الله عنهم وفرضوا له مالاً من بيت مال المسلمين حتى يتفرغ بتنظيم شئون المسلمين.

وقد جاء في رواية أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف <sup>(٢)</sup> للمسلمين فيه» <sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عطاء بن السائب قال: «لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقية عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة...» <sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر: «حديث أبي بكر هذا وإن كان ظاهره الوقف لكنه بما اقتضاه من أنه قبل أن يستخلف كان يحترف لتحصيل مؤنة أهله يصير مرفوعاً لأنه

(١) راجع أساليب إقرار الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم في جمعهم بين الدعوة وطلب الرزق في صفحة (٩٥) من هذا البحث.

(٢) قوله: «واحترف للمسلمين» وقد وردت للعلماء توجيهات حول معنى هذا القول: ومنها: قال ابن الأثير: «أراد باحترافه للمسلمين نظره في أمورهم وتمييز مكاسبهم وأرزاقهم». انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٧/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه سبق تخريجه في صفحة (٩٥) من هذا البحث.

(٤) أخرجه الإمام ابن سعد في الطبقات الكبرى بطول الحديث (١٣٧/٣)، وانظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٧/٤).

يصير كقول الصحابي: كنا نفعل كذا على عهد النبي ﷺ ، وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجراً إلى بصرى في عهد النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في استمرار عبد الرحمن بن عوف في تجارته بعد وفاة الرسول ﷺ يدل على استمرار الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صورة ملائمة لأحوالهم<sup>(٢)</sup>.

إذن فالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في سيرة الصحابة كان عملاً مستمراً في حياتهم كل بحسب علمه وقوته ومكانته في مجتمعهم ﷺ.

اقتضت دراسة أحوال الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق تقسيمها في عدة جوانب ليسهل تصورها وتناولها في صيغة علمية مستقلة، ولذا جاءت دراستها في المسائل الآتية:

المسألة الأولى- أساليب الصحابة في الالتزام بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وأما أساليب الصحابة في العمل بهدي الشريعة عند الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فكثيرة ومنها ما يأتي:

١- العمل في الدعوة وكسب الرزق لأجل الفوز بمروضة الله.

إن القيام بالعمل في إحدى جوانب الدين لأجل الحصول على رضا الله فيه والأجر المعد منه على ذلك العمل من أقوى الحوافز للمؤمن على امتثاله لهدي شريعة الله المتعلق بذلك الجانب من العمل حتى يفوز بمروضة الله وأجره كاملاً غير منقوص.

وقد بادر الصحابة ﷺ إلى هذا الأسلوب في جميع أعمالهم التي منها الدعوة إلى الله ﷻ. حيث كان حرص الصحابة ﷺ على رضا الله في الأعمال الدعوية عظيماً، مما جعلهم يتقيدون بهدي الشريعة في الدعوة في جميع مراحلها سواء منها ما كان في أثناء ممارسة عملية طلب الرزق أو عند التفرغ بالدعوة.

(١) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٧/٤).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل (١١٥/٦)، وأسد الغاية في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي

ابن محمد الجزري بتحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين (٤٨٣/٣). ط/دار الشعب.

كما هو ظاهر في الثناء الإلهي على موقف الفقراء المهاجرين في تقيدهم بهدي الشريعة في أعمالهم الدعوية من نصرة دين الله ورسوله وطلب أرزاقهم من الله ﷻ لأجل الفوز بمَرْضَاة الله في الآخرة، لما في قوله تعالى عنهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ومعنى قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾. أي: يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالجهاد للكفار<sup>(١)</sup>. ومعنى قوله: ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. أي: الكاملون في الصدق الراسخون فيه<sup>(٢)</sup>. وهؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين<sup>(٣)</sup>.

والشهادة الإلهية لكمال الصدق في الإيمان يستلزم التقيد التام بشريعة الله ورسوله ﷺ من قبل هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم في أعمالهم في الدعوة وطلب الرزق وغيره من الأعمال الشرعية.

ومواقف الصحابة كثيرة جداً في العمل في الدعوة وكسب الرزق لأجل الفوز بمَرْضَاة الله ﷻ وكسب ثوابه.

## ٢- العمل بما علم من الكتاب والسنة في الدعوة وطلب الرزق.

وإن من أساليب الصحابة في الالتزام بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق العمل بتعاليم الدعوة والأحكام المتعلقة بجميع الجوانب المتعلقة بطلب الرزق بعد تعلمها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث كان من عاداتهم عند القيام بأي عمل أن يتعلموا حكمه سواء منه ما كان دعوياً أو طلب رزق أو غيره.

كما جاء في رواية عبد الله بن عمر قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها ومما ينبغي أن يقف عنده فيها...»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٠٠/٥).

(٢) انظر- المرجع السابق.

(٣) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٣٢).

(٤) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين بطوله، كتاب الإيمان، (٩١/١) رقم الحديث «١٠١» وقال الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه» وقال الذهبي في التلخيص: «على شرطهما ولا علة له». والحديث له سند آخر عند الأمام الطبراني في الأوسط وقال الإمام الهيثمي: «رجاله الصحيح» انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (١/١٦٥).

والنماذج كثيرة في بيان التزام الصحابة بهدي الشريعة بعد معرفته عند القيام بالدعوة أو طلب الرزق للجمع بينهما ومنها:

أ- ما جاء في عمل عمر بن الخطاب بكلام الرسول ﷺ في ترك بيع فرسه الذي كان قد حمل عليه في سبيل الله.

كما في رواية عبد الله بن عمر «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل على فرس في سبيل الله ثم رآها تباع، فأراد أن يشتريها، فسأل النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُعَدُّ في صدقتك يا عمر»<sup>(١)</sup>.

ب- وكذلك ما جاء في عمل الأنصار بحكم الرسول ﷺ بعد غزوة حنين في تقسيم الغنيمة بين المؤلفة قلوبهم دون الأنصار واتكاهم على إيمانهم.

ومما جاء في الحوار بين الرسول ﷺ والأنصار، ما جاءت به إحدى روايات الإمام البخاري في صحيحه: «فقال النبي ﷺ فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رجالكم؟ فوالله لما تتقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله، قد رضينا...»<sup>(٢)</sup>.

ج- وكذلك ما جاء في إعراض الصحابة ﷺ عن المتجارة في الخمر بعد نزول تحريمه في القرآن الكريم من الأدلة الأكيدة على تقيد الصحابة بهدي الشريعة بعد معرفته في مجال طرق طلب الرزق، ومن الآيات التي نزلت في تحريم الخمر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾. يقتضي الاجتناب المطلق الذي لا ينتفع معه شيء بوجه من الوجوه...<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الهبات، باب كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث «١٦٢١» (٣/١٢٤٠) ط/ دار إحياء التراث - بيروت.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث كتاب المغازي باب رقم (٥٦) (٧/٦٤٩، ٦٥٠).

(٣) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٦/١٨٧).

وروي عن ابن عباس قال: «لما نزلت تحريم الخمر، مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض، وقالوا حرمت الخمر، وجعلت عدلاً للشرك؛ يعني أنه قرنها بالذبح للأنصاب وذلك شرك»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عن ابن عباس قال: «إن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر فقال له رسول الله ﷺ هل علمت أن الله قد حرّمها قال: لا فسر إنساناً فقال له رسول الله ﷺ بم ساررتة فقال أمرته ببيعها فقال: إن الذي حرم شر بها حرم بيعها قال ففتح المزايدة<sup>(٢)</sup> حتى ذهب ما فيها»<sup>(٣)</sup>. أي: أراق ما كان في المزايدة من الخمر، وامتنع عن بيعها وأخذ بحكم الله ورسوله في الخمر بعد معرفته.

د- ما جاء في تمسك الصحابة بهدي الشريعة في إنفاق أموالهم بعد معرفته كما هو ظاهر في تصدق عمر بن الخطاب من أنفس ماله وفقاً في سبيل الله لكلام الرسول ﷺ بعد مشاورته في ذلك.

وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أصاب عمر بخير أرضاً، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالا قط أنفس<sup>(٤)</sup> منه، فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه»<sup>(٥)</sup>.

إذن فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يستمدون عملهم في جميع متطلبات الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من هدي الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

(١) انظر- المرجع السابق (١٨٦/٦).

(٢) «المزايدة» وعاء يحمل فيه الماء في السفر كالقربة ونحوها. جمعه مزاد. انظر- المعجم الوسيط (٤٠٩/١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث المطبوع مع شرح صحيح مسلم للإمام النووي كتاب المساقاة

باب رقم (١٢) (٦/١١).

(٤) «أنفس منه» أي: أجود والنفوس الجيد المغتبط به يقال نفس بفتح النون وضم الفاء نفاسه، وقال الداودي: سمي نفساً لأنه يأخذ بالنفس». انظر- فتح الباري للإمام ابن حجر (٤٧٠/٥).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيح كتاب الوصايا باب رقم (٢٨) رقم الحديث (٢٧٧٢) (٤٦٨/٥).

وأساليبهم في ذلك كثيرة ومتعددة واكتفينا بما ذكر حرصاً على الإيجاز والاختصار.

### ٣- الثبت من حكم العمل المتعلق بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق

وإن من التزام الصحابة بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق استخدام أسلوب الثبت من حكم العمل المتعلق بالدعوة أو طلب الرزق بعد القيام بالعمل في أحدهما في حالة غلبة الظن على أنه موافق لسنة رسول الله ﷺ. والنماذج في ذلك كثيرة منها ما يأتي:

#### أ- ما تعلق بطلب الرزق عند القيام بعملية الدعوة

كما هو ظاهر في تثبت الصحابة عند الرسول ﷺ من حكم الجعل الذي اشتمل على قطيع من الغنم وجدوه نتيجة قيام أحدهم برقيه سيد حي من العرب. وفي رواية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيّ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحيّ، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضافناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق ينقل عليه ويقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسما واضربوا لي معكم سهماً، فضحك النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث دلالة واضحة على قيام الصحابة بالثبوت من أحكام فعلهم في غياب الرسول ﷺ عند الرسول ﷺ للسير على هديه ﷺ في مجال طلب الرزق في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإجارة رقم (١٦) (٤/٥٢٩، ٥٣٠).

سبيل الله، كما ذكرت بعض الروايات أن هذه الحادثة وقعت مع سرية من السرايا في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

ب- ما تعلق بعمل في مجال الدعوة

كما هو ظاهر في تثبيت أسامة بن زيد من حكم قتله رجلاً كافراً في الجهاد بعد أن أقر بالشهادة من قبل الرسول ﷺ بعد عودتهم من الجهاد إلى المدينة، فأبرز حزنه على عدم موافقة فعله للصواب الذي علمه عن طريق الرسول ﷺ. وفي رواية عن أسامة بن زيد<sup>(٢)</sup> قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة للنبي ﷺ فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوق في نفسي من ذلك فنكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: ألا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ...»<sup>(٣)</sup>.

وهناك رواية أخرى مختلفة في كيفية وصول الخبر إلى الرسول ﷺ، ولكن يجمع بينهما بأن أسامة وقع في نفسه من ذلك شيء بعد قتله، ونوى أن يسأل عنه فجاء البشير فأخبر به قبل مقدم أسامة، وبلغ النبي ﷺ أيضاً بعد قدومهم فسأل أسامة فذكر وليس في قوله «فذكرته» ما يدل على أنه قال ابتداء قبل تقدم علم النبي ﷺ به - والله أعلم -<sup>(٤)</sup>.

إذن فالحديث يدل على تثبيت الصحابة ﷺ من حكم عمل دعوي من قبل الرسول ﷺ وامتثالهم بذلك الحكم.

كما دل عليه قول أسامة في الحديث: «فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ» معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤/٤٣٢).

(٢) أسامة هو أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وابن حبه، ولد في الإسلام، وأمره رسول الله ﷺ على الجيش الذي توفي رسول الله ﷺ قبل نفاذه فانفذه أبو بكر ﷺ بعد توليه الخلافة. توفي أسامة بالجرف قرب المدينة سنة ٥٤ على الأصح. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٦١-٧٢) وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (١/٧٩-٨١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث كتاب الإيمان باب رقم (٤١) (٢/٤٦١، ٤٦٢).

(٤) انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٢/٤٦٦).

(٥) انظر - المرجع السابق (٢/٤٦٢).



وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم إذا شكوا في حكم عمل دعوي أو ما يتعلق بمجال طلب الرزق توقفوا عنه حتى يتضح لهم الحكم الموافق لهدي الرسول ﷺ، ثم يعملون به بعد معرفة الحكم الشرعي. والنماذج في ذلك كثيرة ومنها ما يأتي:

#### أ- ما تعلق بالعمل الدعوي

ويظهر ذلك في موقف عمر بن الخطاب عند ما توقف عن محاربة مانعي الزكاة في خلافة أبي بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى فهم الحكم عن طريق أبي بكر رضي الله عنه فوافق على محاربة مانعي الزكاة.

وجاء في رواية أبي هريرة قال: «لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله ﷻ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق» <sup>(١)</sup>.

وفي الحديث دلالة واضحة على أن عمر بن الخطاب تثبت من حكم محاربة مانعي الزكاة عن طريق توضيح المسألة له من قبل أبي بكر له فخرج من شبهته التي كانت قد تعرضت له.

#### ب- ما تعلق بمجال طلب الرزق

وكذلك كان الصحابة يوقفون عن عمل ما في مجال طلب الرزق حتى يتثبتوا من حكمه فيعملوا بهدي الشريعة في ذلك، كما يظهر في موقف بعض الصحابة عند ما كرهوا التجارة في بعض أسواق الجاهلية بعد مجيء الإسلام، في مواسم الحج حتى علموا جواز ذلك في الكتاب والسنة بعد تثبتهم منه.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (٨) رقم الحديث (٢٠) (٢/٣١٤-٣١٨).

وفي رواية عن عمرو بن دينار قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما «كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت البقرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مواسم الحج»<sup>(١)</sup>.

وجاء في رواية ابن عيينة «فكأنهم تأثموا» أي خشوا من الوقوع في الإثم للاشتغال في أيام النسك بغير العبادة<sup>(٢)</sup>.

إذن فالحديث مما يدل على تثبت الصحابة من الحكم الشرعي وعملهم به فيما يتعلق بمجال طلب الرزق.

والنماذج كثيرة في بيان عمل الصحابة بالحكم الشرعي بعد التثبت منه في مجال الدعوة وكسب الرزق.

وأما أساليب الصحابة في التقيد بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فكثيرة ومتنوعة<sup>(٣)</sup>. واكتفينا بالأساليب المذكورة ليقاس عليها غيرها وليستنبط غيرها على نمطها حيث امتد تمسك الصحابة بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق إلى كل أمر شرعي متصل بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وغير ذلك من أعمال الدين. وجاء في رواية عن عبد الله بن عمر قال: «من كان مُسْتَنّاً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائفهم فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة...»<sup>(٤)</sup> وقيام الصحابة بالتقيد بهدي الشريعة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق يكونون بذلك قد عملوا بالركن الأول من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الحج باب رقم (١٥٠) (٦٩٤/٣).

(٢) انظر - فتح الباري للإمام ابن حجر (٦٩٥/٣).

(٣) كأسلوب تحمل المعاناة في الدعوة وطلب الرزق - وأسلوب العمل بقدر الطاقة في الدعوة وطلب الرزق، وأسلوب التزام الأخلاق الحسنة في المعاملة المالية مع أنفسهم ومع غيرهم.

(٤) أخرجه الإمام أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٠٥/١، ٣٠٦).

المسألة الثانية- أساليب الصحابة في تنظيم الوقت بين الدعوة وطلب الرزق.

إن مما كانت عليه أحوال الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق تنظيم الوقت بين الدعوة وطلب الرزق، وجاء هذا التنظيم بصور متعددة، ومنها ما يأتي:

أولاً: التفرغ بطلب الرزق إلى وقت ظهور ما يقتضي الدعوة

إن الصحابة رضي الله عنهم قسموا أوقاتهم بين القيام بالدعوة ومتطلباتها التي كان منها السعي لطلب الرزق، كانوا يتفرغون لطلب الرزق في الوقت المخصص به ويجتهدون فيه ويذلون ما في وسعهم للفوز بفضل الله على أرضه مع تحمل الصعاب في سبيل تحقيق ذلك الفوز كما جاء في رواية عن عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم فكان يكون لهم أرواح فقيل لهم: لو اغتسلتم»<sup>(١)</sup>.

وكذلك كان الصحابة يملكون الأرزاق بما يسهل عليهم من أنواع طرق المكاسب المشروعة كالزراعة والتجارة والإجارة وغيرها ويجتنبون عن الطرق المكاسب المحرمة كما جاء في حديث أبي هريرة عند رده على الناس في إكثاره الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة فقال: «وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا واحفظ إذا نسوا وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم...»<sup>(٢)</sup>.

كما هو ظاهر في اجتهاد عبد الرحمن بن عوف في تجارته التي كسب فيها فوائد عظيماً بعد أن كان محتاجاً فقيراً في أوائل أيامه بعد وصوله المدينة المنورة للهجرة إليها. وجاء في رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. قال: فقال له عبد الرحمن: «لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق فينقاع. قال فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن، قال ثم تابع الغدو»<sup>(٣)</sup>، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (١٥) (٣٥٥/٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري. سبق تخريجه في صفحة (٩٦) من هذا البحث.

(٣) «تابع الغدو» أي: دوام الذهاب إلى السوق للتجارة. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر

صفرة، فقال رسول الله ﷺ: تزوجت؟ قال: نعم. قال: ومن؟ قال امرأة من الأنصار. قال: كم سقت؟ قال: زنة نواة من ذهب - أو نواة من ذهب فقال له النبي ﷺ أولم ولو بشاة»<sup>(١)</sup>.

والنماذج كثيرة في بيان صبر الصحابة واجتهادهم في السعي لكسب الرزق. وكما هو ظاهر في تأجير بعض الصحابة أنفسهم عند احتياجهم إلى المال والرزق. ومن الصور الدالة على ذلك ما رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المد، وإن لبعضهم لمائة ألف<sup>(٢)</sup>». والنماذج كثيرة جداً في بيان أنواع طرق المكاسب التي سلكها الصحابة لكسب أرزاقهم وملكيته<sup>(٤)</sup>.

وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم على صلة وثيقة بالدعوة إلى الله فينتقلون إلى القيام بالدعوة ومتطلباتها في أية لحظة يرونها فيها واجبة عليهم. ويتركون الاشتغال بطلب الرزق بعد أن يعملوا ما يضمن لأموالهم وأرزاقهم من الخسارة والفساد ويتفرغوا بالدعوة أو أداء متطلباتها من عبادة وغيرها. في مدة زمنية مختلفة التي كانت تنتهي بانتهاء أداء العمل الدعوي ومتطلباته فيها.

وقد جاءت مواقف الصحابة في هذه المرحلة في صور عدة ومنها ما يأتي:

أ- الاستجابة لنداء الاستنفار إلى الجهاد وغيره من الأعمال الدعوية.

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستجيبون لنداء الجهاد والأعمال الدعوية بأمر الرسول ﷺ فيتوقفون عن أعمالهم الخاصة بطلب الرزق إلا ما كان منها لصالح الجهاد والدعوة فكانوا بذلك متفرغين بالدعوة وما يؤدي إليها في ذلك الوقت المخصص بالعمل الدعوي. كما هو ظاهر في خروج الصحابة في غزوات أحد وخندق ومؤتة وتبوك وغيرها من الغزوات والسرايا بأمر الرسول ﷺ كسرية عبد الله بن جحش

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (١) رقم الحديث (٢٠٤٨) (٣٣٧/٤).

(٢) وقوله: «إن لبعضهم مائة ألف» أي: أن بعض الصحابة في وقت حديث الراوي عنهم يملكون مائة ألف بينما كانوا لا يملكون في وقت الحمل درهماً لفقرهم. انظر - فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٥٢٧/٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإجارة باب رقم (١٣) رقم الحديث (٢٢٧٣) (٥٢٦/٤، ٥٢٧).

(٤) ومظان معرفة تلك الطرق في كتب السنة عند أبواب البيوع وفروعها وأبواب الغنمة والميراث، والزكاة وغيرها.

ﷺ<sup>(١)</sup> وكما هو ظاهر في خروج بعض الصحابة ﷺ لإيصال كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء بخصوص تبليغ الدعوة إليهم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك خروج بعض الصحابة ﷺ لتعليم الناس أمور دينهم كخروج مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة لتعليم الأنصار الإسلام وقراءة القرآن<sup>(٣)</sup>.

وهذا كله للامتنال بأمر الله ﷻ وأمر الرسول ﷺ في ذلك وجاءت بهذا الأمر نصوص كثيرة ومنها: قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ومما ورد في معنى الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم والكفرة من أهل الكتاب وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر<sup>(٤)</sup>. ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

ومما ورد في معنى الآية: أن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدة، وتكثير العدد بالنفير في سبيل الله جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية. أو أمر أن تنفروا كلكم في سبيل الله<sup>(٥)</sup>.

ومنها: ما جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ قال يوم الفتح، لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»<sup>(٦)</sup>. قوله «وإذا استنفرتم

(١) انظر - الكامل في التاريخ للإمام ابن أثير (١٢/٢)، ١٣، ٤٤-٤٥ و ٧٠-٧٤ و ١١٣-١١٥ و ١٤٩-١٥٣.

(٢) انظر - الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٨/١-٢٢١).

(٣) انظر - المرجع السابق (٦١١/١).

(٤) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٧٣/١). وللعلماء أقوال كثيرة في معنى «خفافاً وثقالاً» تبلغ أحد عشر قولاً. انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٤٢/٣).

واختلف في هذه الآية فقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى...» [التوبة: ٩١]، وقيل الناسخ لها قوله: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ» [التوبة: ١٢٢]، والصحيح أنها ليست بمنسوخة. انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٩٦/٨).

(٥) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٩٧/١). ونقل عن ابن عباس أن هذه الآية من الآيات المنسوخات بقوله: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» [التوبة: ١٢٢]. قال أبو سليمان الدمشقي: «والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء». انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام الجوزي

(١٢٩/٢، ١٣٠).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب رقم (٢٧) (٤٥/٦).

فانفروا». أي: وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه<sup>(١)</sup>. وكذلك لم يقتصر خروج الصحابة للدعوة والجهاد على عهد النبوة بل امتد إلى ما بعد وفاته. كما هو ظاهر في إنفاذ أبي بكر رضي الله عنه جيش أسامة بعد وفاة الرسول ﷺ، وخروج الجيوش الإسلامية في عصور الخلفاء الراشدين للجهاد والدعوة إلى دين الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢُ<sup>(٢)</sup>.

إذن فالصحابه رضي الله عنهم امثلوا لأمر الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢُ وأمر رسوله ﷺ للجهاد والدعوة إلى الله مع التفرغ لها حتى نهاية مفعوليتها في عهد الرسول وبعده ﷺ.

#### ب- التجهيز قبل الانطلاق لأداء مهمة الدعوة

إن ما كان من صفات الصحابة رضي الله عنهم في التوقف عن كسب الرزق ثم التحول إلى أداء المهمة الدعوية أن يستعدوا ويجهزوا أنفسهم بما يحتاجون إليه من الأمتعة والرزق والمال والعدة ووسائل المواصلة وغيرها من الأشياء التي تعينهم على تنفيذ عملهم الدعوي.

كما هو ظاهر في تجهيزات الصحابة قبل أداء كل عمل دعوي من جهاد وغيره كتجهيز الصحابة أنفسهم قبل غزوة تبوك لأداء العمل في تلك الغزوة مثل تجهيز أبي حيشمة وإعراضه عن ملاذاة الحياة ولحاقه بالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزوة تبوك<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يفهم من تجهيز الصحابة رضي الله عنهم الذين كانت لهم أموال يعملون فيها - قبل انطلاقهم لأداء عمل دعوي ما - أنهم كانوا يضعون أموالهم في مأمن عن الفساد والاعتداء عليها بقدر الطاقة وبأساليب ملائمة مشروعة التي كان منها تخليف القاعدين لعذر شرعي في أهل إخوانهم وأموالهم عند غيبتهم في الجهاد والدعوة إلى دين الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢُ حتى وقت رجوعهم من أداء ذلك العمل الدعوي.

(١) انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٦/٦) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١١/١٣).

(٢) انظر- البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٤١٣/٩) و (٢٤/١١).

(٣) انظر- تاريخ الأمم والملوك للإمام ابن جرير الطبري (١٨١/٢-١٨٣).

كما دل على هذا الموقف من قبل الصحابة رضي الله عنهم ما جاء في رواية أبي سعيد الخدري «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني لحيان ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام النووي عند شرح الحديث: «... وقد اتفق العلماء على أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفاراً فبعث إليهم بعثاً يغزوهم وقال لذلك البعث ليخرج من كل قبيلة نصف عددها وهو المراد من كل رجلين أحدهما...»<sup>(٢)</sup>.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يعملون بهذا المبدأ المشروع من كلا الجانبين اقتداء منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كأمره علياً رضي الله عنه بأن يخلفه في أهله في المدينة المنورة عند خروجه لغزوة تبوك<sup>(٣)</sup>. ولحرصهم على الثواب العظيم الذي كان يترتب على تخليف القاعد في أهل ومال المجاهدين والدعاة في غيبتهم. ولاطمئنان إخوانهم المجاهدين والدعاة على أهلهم وأموالهم حتى تسلم أعمالهم الدعوية من المشغوليات الخارجية.

جـ- أداء العبادة في وقتها:

إن من صفات الصحابة رضي الله عنهم في طلب الرزق والمال التوقف عن السعي في عملية طلب الرزق والمال لأجل أداء العبادة المختلفة أنواعها في وقتها المحدد من صلاة وذكر وإيتاء الزكاة وغيرها. كما جاء الثناء الإلهي على بعض الصحابة في ذلك بقوله تعالى عنهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْمِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب رقم (٣٨) (٤٥/١٣). والأحاديث كثيرة في بيان فضل تخليف الغازي في أهله ومنها رواية زيد بن خالد الجهني قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا» وقال الإمام النووي: «أي حصل له أجر بسبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليلة وكثيرة ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم» شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٤/١٣).

(٢) انظر- المرجع السابق (٤٤/١٣).

(٣) انظر- تاريخ الأمم والملوك للإمام ابن جرير الطبري (١٨٣/٢).

وقال قتادة: «كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نأهم حق من حقوق الله لم تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤديه إلى الله»<sup>(١)</sup>.  
إذن فمقصود الصحابة في التوقف عن كسب الرزق لم يكن مقصوداً على عملية الدعوة فحسب بل كان ممتداً إلى أداء العبادات في وقتها.

ثانياً- مواصلة طلب الرزق بعد أداء الدعوة

إن من صفات الصحابة رضي الله عنهم في تقسيم الوقت بين الدعوة وطلب الرزق العودة إلى مباشرة عملية طلب الرزق والمال بعد أداء مهمة الدعوة، والعبادة؛ لأنهم فهموا من النصوص الشرعية أن الله أمر بالإكتساب لطلب المعاش ليستعينوا به على طاعته، ومما أخذوا به من النصوص قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].  
ولأخذهم بإقرار الرسول ﷺ في البيع والشراء بعد أداء مهمة الدعوة والجهاد، والنماذج في ذلك كثيرة منها:

— تجارة الصحابة بعد الغزوات في الغنائم.

كما جاء في رواية أبي قتادة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فبعت الدرع فابتعت به مخرفاً»<sup>(٢)</sup> في بني سلمة فإنه لأول مال تأثلته<sup>(٣)</sup> في الإسلام»<sup>(٤)</sup>.  
وما جاء في رواية عبيد الله بن سليمان أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ حدثه قال: «لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسي فجعل الناس يتبايعون [يتاعون] غنائمهم فجاء رجل حين صلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٨) (٣٤٨/٤).

(٢) «مخرفاً» بالمعجمة الساكنة والفاء مفتوح الأول هو البستان وبكسر الميم الوعاء الذي يجمع فيه الثمار — المصدر السابق (٣٧٩/٤).

(٣) «تأثلته» بالثنية قبل اللام أي: جمعه قاله ابن فارس، وقال القزاز: جعلته أصل مالي، وأثله كل شيء أصله. المصدر السابق.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٣٧) رقم الحديث «٢١٠٠» (٢٧٨/٤). ويستفاد من هذا الحديث جواز بيع السلاح في الفتنة لمن لا يخشى منه الضرر لأن أبا قتادة باع درعه في الوقت الذي كان القتال فيه قائماً بين المسلمين والمشركين وأقره النبي ﷺ على ذلك... فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٧٨/٤، ٣٧٩).



ربحت ربحاً ما ربح اليوم مثله أحد من أهل هذا الوادي قال: ويحك وما ربحت؟ قال: ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية، فقال رسول الله ﷺ أنا أنبتك بخبر رجل ربح. قال ما هو يا رسول الله؟ قال ركعتين بعد الصلاة»<sup>(١)</sup>.

والحديث من الأدلة على جواز التجارة في الغزو، وعلى أن الغازي مع ذلك يستحق نصيبه من المغنم وله الثواب الكامل بلا نقص.

إذن فمواصلة السعي لطلب الرزق بعد أداء المهمة الدعوية من الأعمال المشروعة التي عمل بها الصحابة رضي الله عنهم، فعلى الدعاة في كل زمان ومكان الاقتداء بهم في ذلك.

ثالثاً- القيام بواجب الاحتساب<sup>(٢)</sup>

إن من صفات الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق التزام القيام بواجب الاحتساب عند ظهور المحتسب فيه من قبل المحتسب عليه في أية لحظة وفي أي مكان وفي أي مجال من المجالات سواء ما كان في مجال طلب الرزق أو غيره.

والنماذج كثيرة في بيان مواقف الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الاحتساب عند جميع الأحوال، ومنها ما يأتي:

١- ما جاء في احتساب أبي بكر الصديق رضي الله عنه على رجل من الصحابة عندما طلب من الرسول ﷺ أن يرضى صاحب السلب عن سلبه الذي استحقه بقول

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب رقم (١٧٩) رقم الحديث «٢٧٦٨» (٤٧٢/٧، ٤٧٣) وفي سند الحديث أبو سلام وهو مجهول والحديث سكت عنه المنذري ولكن الحديث له رواية أخرى عن خارجة بن زيد عند الإمام ابن ماجه في سننه فيكون ذلك شاهداً له. انظر- عون المعبود بشرح سنن أبي داود للإمام العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (٤٧٣/٧).

وبين الإمام الشيخ محمد بن علي الشوكاني أن هذا الحديث سكت عنه أيضاً أبو داود والمنذري وأخرجه الحاكم وصححه وأخرجه البخاري بنحوه وبوب عليه باب الأجير. انظر: نيل الأوطار له (١٢١/٨) ط/ دار الجليل، بيروت - ١٩٧٣ م.

(٢) وللاحتساب تعريفات كثيرة لدى العلماء ولعل من أرجحها تعريف الإمام الماوردي: الحسبة: «هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله» وبين الأستاذ الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصفي وجه صواب تعريف الماوردي وذلك ما يفيد شمول نطاقه لشموله المحتسب والمتطوع، وسلامة أساسه لارتكازه على جوهر الحسبة، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانضباط عبارته للإحاطة بكنه الحسنة، وسلامة أسلوبه حيث استوحاه من الكتاب والسنة المطهرة. انظر- الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٣٩١) ومذكرات الأستاذ الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصفي بعنوان: نظام الحسبة في الإسلام (ص: ٨) نقلاً عن الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها للدكتور فضل إلهي (ص: ١٦).

الرسول ﷺ، وذلك عقب صدور هذا الطلب من الرجل، وجاء في رواية عن أبي محمد مولى أبي قتادة قال «خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله ﷻ. ثم رجعوا، وجلس النبي ﷺ فقال: من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه. فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست فقال النبي ﷺ مثله، قال ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت فقلت: من يشهد لي ثم جلست. قال ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت، فقال: ما لك يا أبا قتادة: فأخبرته، فقال رجل: صدق وسلبه عندي، فأرضه مني. فقال أبو بكر: لأها الله، إذا لا يعمدُ إلى أسدٍ من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سلبه. فقال النبي ﷺ: صدق فأعطه فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثنته في الإسلام»<sup>(١)</sup>.

٢- ما جاء في احتساب عمر بن الخطاب على بعض الصحابة عند دخول بعضهم في مجال الربا، وجاء في رواية مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: «أقبلت أقول من يصطرف الدراهم؟ فقال طلحة بن عبيد وهو عند عمر بن الخطاب أرنا ذهبك ثم ائتنا إذا جاء خادمنا نعطك ورقك. فقال عمر بن الخطاب كلا والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء»<sup>(٢)</sup>.

ومعروف أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا من الصحابة الذين كانوا يعملون بالتجارة ثم يقومون بالدعوة في زمنها الملائم<sup>(٣)</sup>.

إذن فالصحابة رضي الله عنهم كانوا مستعدين للقيام بالاحتساب في جميع الأحوال إثر معرفة المنكر دون أن يقيدوه بوقت معين مع وجود صلتهم بكسب الرزق وفق ما يخدم الدعوة إلى الله ﷻ.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب رقم (٥٤) (٦٣٠/٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب رقم (١٥) رقم الحديث (١٥٧٦) (١٥٧٦-١٤/١١).

(٣) سبق ذكر الحديث الدال على قيام أبي بكر بالتجارة في صفحة (٩٥) وكذلك جاء قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رواية عندما خفي عنه حكم الاستئذان: «أخفي علي هذا من أمر رسول الله ﷺ أهاني الصفق بالأسواق، يعني

الخروج إلى التجارة» أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٩) (٣٤٩/٤).

وكذلك كانوا يقسمون أوقاتهم بين العبادة وتعليم الدين والقيام بواجب الدعوة في وقتها الذي يقتضي فيها الدعوة بقدر الطاقة. كما هو ظاهر في موقف الصحابة القراء السبعين، الذين قسموا أوقاتهم بين تعليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في وقت والقيام بالعبادة في وقت، والمبادرة إلى أداء واجب الدعوة كلما حان الوقت لذلك والسعي في طلب الرزق في وقته.

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أتاه رعلٌ وذكوان وعصية وبنو لحيان<sup>(١)</sup> فرعموا أنهم أسلموا، واستمدّوه على قومهم، فأمدّهم النبي ﷺ بسبعين من الأنصار، قال أنس: كنا نسميهم القراء، يَحْطُبُونَ بالنَّهار ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوههم فقتل شهرًا يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان. قال قتادة: وحدثنا أنس أنهم قرءوا بهم قُرْآنًا: ألا بلُّعُوا عنا قومنا، بأنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا. ثم رُفِعَ ذَلِكَ بَعْدُ»<sup>(٢)</sup>.

وقيام الصحابة بتنظيم الوقت بين الدعوة وطلب الرزق في حياتهم الدعوية وفي السعي لكسب الرزق يكونون بذلك قد عملوا بالركن الثاني من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع.

وينبغي للدعاة في كل زمان ومكان أن يستفيدوا من أساليب الصحابة رضي الله عنهم في تقسيم أوقاتهم بين الدعوة وطلب الرزق والعبادة.

#### المسألة الثالثة - أساليب الصحابة في إنفاق الرزق بعد ملكيته

إنفاق الرزق بعد ملكيته في الوجوه المباحة من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع<sup>(٣)</sup> وهو من الأعمال التي حث عليها الدين الإسلام والنصوص الشرعية كثيرة في إثبات ذلك ومنها ما يأتي:

(١) قال الدماطي: (قوله في هذه الطريق) «أتاه رعل وذكوان وعصية ولحيان» وهم، لأن هؤلاء ليسوا أصحاب بئر معونة وإنما هم أصحاب الرجيع، وهو كما قال «قال به الإمام ابن حجر. انظر - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٠٩/٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب رقم (١٨٤) رقم الحديث (٣٠٦٤) (٢٠٩/٦).

(٣) سبق التعريف بالإنفاق في صفحة (١٧٧) من هذا البحث. والمراد بإنفاق الرزق في هذا الموضوع هو ما كان على مستوى الأفراد فقط.

١- قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. وفي قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [طه: ٨١]. تأكيداً للأمر الإلهي الأول للمؤمنين بأكل الطيبات من رزق الله، الذي جاء به قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾ [البقرة: ١٦٨]. ومما قيل في المراد بالأكل أنه الانتفاع بالرزق من جميع الوجوه.

وقيل هو الأكل المعتاد<sup>(١)</sup>. والأكل من أنواع الانتفاع بالرزق فيمكن قياس غيره عليه دون معارضة. إذن فالآية من الأدلة على الإنفاق في الحاجات الذاتية.

٢- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. والخطاب في هذه الآية موجه لجميع أمة محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفي الآية: الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث، وقد ذهب جماعة من السف إلى أن الآية في الصدقات المفروضة. وذهب آخرون إلى أنها تعم صدقة الفرض والتطوع، وهو الظاهر، ولكل فريقين أدلته في ذلك<sup>(٣)</sup>، إذن فالآية من الأدلة على الأمر بإنفاق الرزق بعد ملكيته بالطريق المشروع في وجوه الطاعات من الصدقات وغيرها.

٣- ما جاء في رواية أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»<sup>(٤)</sup>.

وفي ترك تقييد النفقة بشيء معين ما يرشد إلى أن الحث على الإنفاق يشمل جميع أنواع الخير<sup>(٥)</sup>.

إذن فإنفاق الرزق بعد ملكيته في الوجوه المباحة من هدي الشرع ومن الأعمال التي حث عليها الشرع، وأن الصحابة ؓ كانوا سباقين إلى إنفاق أرزاقهم في الوجوه

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٥/٢) وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (١/١٦٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٢٠٨/٣).

(٣) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (١/٢٨٩).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب رقم (١) (٤٠٥/٩).

(٥) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٠٩/٩).

المباحة بعد ملكيته وفق الطريق المرسوم الذي وضع لهم القرآن الكريم والرسول ﷺ فقد جاءت أساليبهم في إنفاق الأرزاق في الوجوه المباحة بصور عديدة منها ما يأتي:

#### الصورة الأولى: الإنفاق في الحاجات الذاتية

إن من أساليب الصحابة ﷺ في إنفاق الأرزاق بعد ملكيتها إنفاقها في سد الحاجات الذاتية المتعلقة بأنفسهم كالإنفاق في مجال الطعام والشراب والمسكن والملبس النكاح وسد الديون وغيرها من المستلزمات التي كانوا يحتاجون إليها. والنماذج كثيرة في إنفاق الرزق في الوجوه المباحة من قبل الصحابة ﷺ ومنها يلي:

##### ١- ما جاء في شراء سلمان الفارسي ﷺ طعاماً لنفسه.

في رواية سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق فمر علينا سلمان الفارسي ﷺ وقد اشترى وسقاً من طعام فقال له زيد: يا أبا عبد الله: تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس»<sup>(١)</sup>.

##### ٢- ما جاء في استخدام علي بن أبي طالب ﷺ الماء في حاجاته الذاتية بعد أن صار له حلالاً طيباً.

وفي رواية عن علي ﷺ أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بماء فغسل وجهه ويديه - وذكر رأسه ورجليه - ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت»<sup>(٢)(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء عند حديثه عن سليمان الفارسي برقم (٣٤) (٢٠٧/١).

(٢) وللعلماء اختلاف في حكم الشرب قائماً لوجود أحاديث النهي عن ذلك مما تسبب في ورود أقوال كثيرة في ذلك الحكم، ومنها ما جاء في توضيح الإمام النووي للمسألة: «هذه الأحاديث أشكل معناها على بعض العلماء حتى قال فيها أقوال باطلة، وزاد حتى تجاسروا ورام أن يضعف بعضها ولا وجه لإشاعة الغلط بل يذكر الصواب ويسار إلى التحذير عن الغلط، وليس في الأحاديث إشكال ولا فيها ضعف، بل الصواب أن النهي فيها محمول على التثنية، وشربه قائماً لبيان الجواز...» إلى غير ذلك من التحليلات. لتوضيح المسألة، وكذلك توجد أقوال الآخرين من العلماء في المسألة. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٨٧، ٨٥/١٠)، ومذهب جمهور العلماء في المسألة أن أحاديث الشرب قائماً تحمل على الجواز وأحاديث النهي تحمل على الاستحباب. انظر المرجع السابق.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣/١٠-٨٤).

٣- ما جاء في استعمال عثمان رضي الله عنه اللباس في حاجته الشخصية من تستر به لأداء الصلاة وغيرها.

وفي رواية عن أبي عبد الله مولى شداد بن الهاد قال: «رأيت عثمان بن عفان علي المنبر يوم الجمعة وعليه إزار عدني غليظ قيمته أربعة دراهم أو خمسة دراهم وريطة كوفية ممشقة ضرب اللحم طويل اللحية حسن الوجه»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك استخدام أبي بكر رضي الله عنه ثوبه ليستر به جسمه في الصلاة وعورته عن الناس<sup>(٢)</sup>.

٤- ما جاء في اتخاذ عتبان بن مالك رضي الله عنه منزلاً يأوي إليه ويعبد الله فيه بعد ملكتيه إياه.

وفي رواية عن عتبان بن مالك أن النبي ﷺ أتاه في منزله فقال: أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى مكان، فكبر النبي ﷺ وصففنا خلفه فصلى ركعتين»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قيام عبد الله بن عمر ببناء بيته لنفسه لأجل أن يأوي إليه ويقية من المطر ويظله من حر الشمس.

وفي رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد بنيت بيتاً بيدي يكني من المطر ويظلي من الشمس ما أعاني عليه أحد من خلق الله»<sup>(٤)</sup>.

٥- ما جاء في زواج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه لنفسه.

(١) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة (٢٤/٣) وقال الإمام الهيثمي: «رواه

الطبراني وإسناده حسن» انظر - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الهيثمي (٨٠/٩).

(٢) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٢٦٦/١٠، ٢٦٧) ..

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب الصلاة باب

رقم (٤٥) رقم الحديث «٤٢٤» (٦١٧/١).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاستئذان، باب ما جاء في البناء (٢٣٢١/٥) حديث رقم (٥٩٤٣)

تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

وفي رواية عند ابن سعد عن محمد بن عمر خطب أم كلثوم رضي الله عنها إلى علي فقال: إنما حبست بناتي على بني جعفر، فقال: زوجنيها فوالله! ما على ظهر الأرض رجل يرصد كرامتها ما أرصد، قال: قد فعلت، فجاء عمر إلى المهاجرين فقال: زفوني: فزفوه فقال: بمن تزوجت؟ قال: بنت علي، أن النبي ﷺ قال: كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة إلا نسيي وسبيي وكنت قد صاهرت فأحببت هذا أيضاً. ومن طريق الخرساني أن عمر أمهرها أربعين ألفاً، كذا في الإصابة<sup>(١)</sup>.

وكذلك زواج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه امرأة بعد أن ربح في تجارته<sup>(٢)</sup>. وكذلك زواج جابر بن عبد الله رضي الله عنهما امرأة ثيباً لتربية بنات أبيه من بعده<sup>(٣)</sup>.

٦- ما جاء في قيام جابر بن عبد الله بسد الدين الذي لزمه عن طريق أبيه لمشرك. وفي رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً<sup>(٤)</sup> لرجل من اليهود، فاستنظره<sup>(٥)</sup> جابر بن عبد الله، فأبى أن ينظره<sup>(٦)</sup> فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاءه رسول الله ﷺ فكلّم اليهودي ليأخذ ثم نخله بالذي له عليه<sup>(٧)</sup> فأبى عليه فكلّمه رسول الله ﷺ فأبى أن ينظره، فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: «جدّ له»<sup>(٨)</sup> فأوفه الذي له «فجدّ له، بعد ما رجع رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً. وفضل له اثنا عشر وسقاً، فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان فوجد رسول الله ﷺ غائباً فلما انصرف رسول الله

(١) انظر - الطبقات الكبرى لابن سعد، والإصابة في تمييز الصحابة نقلاً عن حياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي (٢٧٣/٣).

(٢) سبق ذكر نص الحديث وتخرجه في صفحة (٩٩) من هذا البحث.

(٣) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٢٣/٩).

(٤) «وسقاً» بالفتح والكسر والفتح أشهر وهو ستون صاعاً. انظر - تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على الحديث في هامش سنن الإمام ابن ماجه (٨١٣/٢).

(٥) «فاستنظره» أي: طلب منه التأخير. المرجع السابق.

(٦) «أن ينظره» أي: يؤخره. المرجع السابق.

(٧) «ولياخذ ثم نخله بالذي له عليه» أي: لياخذ كل الثمر في مقابل الدين مصالحة. المرجع السابق (٨١٤/٤).

(٨) «جدّ له» أي اقطع له الثمر. المرجع السابق.

ﷺ جاءه فأخبره أنه قد أوفاه، وأخبره بالفضل الذي فضل، فقال رسول الله ﷺ: «أخبر بذلك عمر بن الخطاب» فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال عمر: لقد علمت حين مشى فيه رسول الله ﷺ، ليباركن الله فيها»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث مما يدل على اهتمام الصحابة ﷺ ببذل أرزاقهم في سبيل إيفاء حقوق الآخرين وتبرئة ذمتهم منها. إذن فكل ما سبق ذكره من النماذج للدليل على إنفاق الصحابة أرزاقهم في سد حاجاتهم الذاتية، الضرورية منها والكمالية.

وإن حاجاتهم الذاتية كانت كثيرة ومتنوعة. وأما ذكر تفصيل القول في واحدة منها فيطول به الكلام فاكفني بالنماذج المذكورة ليقاس عليها غيرها مما لم يذكر. ومظان ذلك في كتب السنة والتاريخ الإسلامي وتراجم الصحابة وبعض الكتب الاقتصادية الإسلامية.

#### الصورة الثانية- الإنفاق في الحاجات الأسرية

إن من وجوه إنفاق الرزق الذي تعرض له الصحابة ﷺ لتسخير أرزاقهم وأموالهم لسد حاجات أسرهم من الأبناء والأمهات والزوجات والأولاد وغيرهم من أقاربهم الذين لزمته نفقتهم وفق هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. حيث إن الإنفاق على الأهل والأقارب من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية في نصوص كثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وفي الآية: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾. دلالة واضحة على الأمر الإلهي بالإحسان إلى الوالدين والأقرباء من الرجال والنساء<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب الصدقات باب رقم (٢٠) رقم الحديث «٢٤٣٤» (٢/٨١٣، ٨١٤). والحديث صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢/٥٧) ط/المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(٢) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/٦٥٦، ٦٥٧).



ومنها: ما جاء في حديث النبي ﷺ «... الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصله»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث من الأدلة على مشروعية الإنفاق على الأقارب والتصدق عليهم، وقد بادر الصحابة رضي الله عنهم إلى العمل بهذا المبدأ العظيم طوال حياتهم. والنماذج كثيرة لبيان مواقف الصحابة في إنفاق أرزاقهم بعد ملكيتها لسد حاجات الأهل والأقارب ومنها ما يأتي:

#### ١- الإنفاق في سدّ حاجات الأقارب

ويدل على ذلك ما جاء في إنفاق أبي طلحة بستانه على أقاربه وبني عمه لصلة رحمه بهم وكسب رضا الله ورسوله في ذلك.

وفي رواية أنس بن مالك يقول: «كان أبو طلحة<sup>(٢)</sup> أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب ماله إليه بيرحاء»<sup>(٣)</sup> وكانت مستقبل المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، «قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وأنها صدقة لله أرجو برها، وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله ﷺ حيث أراك الله فقال رسول الله ﷺ: بخ، ذلك مال رايح - أو رايح -<sup>(٤)</sup> شك عبد الله<sup>(٥)</sup> وقد سمعت ما قلت،

(١) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه أبواب الزكاة باب رقم (٢٦) رقم الحديث «٦٥٣». وقال أبو عيسى الترمذي: «حديث سلمان بن عامر حديث حسن» (٣/٢٦١، ٢٦٢). وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه بلفظ آخر باب (صدقة التطوع - ذكر البيان بأن الصدقة على ذي الرحم تشتمل على الصلة والصدقة) رقم الحديث «٣٣٤٤» (٨/١٣٢، ١٣٣) ط/ مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) أبو طلحة الأنصاري هو: الصحابي الجليل زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي التجاري كان أحد النقباء اثني عشر ليلة العقبة وشهد بدرًا وأبلى فيه بلاء حسنًا، وكان جلدًا قويًا ورامياً شديد الزرع وكان ﷺ من المهتمين بالزراعة، فكان من أكثر الأنصار نخلاً، ثم أوقف بعضها على أقاربه بأمر النبي ﷺ، واختلف في سنة وفاته، فقيل: توفي سنة ٣٤، وقيل: ٣٢، وقيل: ٥١. انظر - سير أعلام النبلاء (٢/٢٧-٣٤)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/٤٥) رقم (٣٦٩) ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

(٣) «بيرحاء» حديقة نخل، وروى بكسر الباء وفتحها. رياض الصالحين للإمام النووي (ص: ١٣٠).  
(٤) قوله: «ذلك مال رايح أو رايح» الأول بتحتانية والثاني بموحدة والحاء مهملة فيها، فالأول معناه أن أجره يروح إلى صاحبه أي يصل إليه ولا ينقطع عنه، والثاني معناه كثير الربح، وأطلق عليه صفة صاحبه المتصف به. انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١٠/٧٧).

(٥) قوله: «شك عبد الله» هو عبد الله بن مسلمة القعنبي أحد رجال سند الحديث. انظر - المرجع السابق.

وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه<sup>(١)</sup>. وفي الحديث دلالة على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا على اهتمام كبير بسد حاجات الأقارب من الرزق بقدر الطاقة.

## ٢- الإنفاق لسد حاجات الوالدين

ويدل على ذلك ما جاء في استغناء الرسول ﷺ عن مشاركة بعض الصحابة في الجهاد لأجل أن يخدموا والديهم بأموالهم وأنفسهم. وفي رواية أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله. قال نعم. قال: فارجع إلى والديك فاحسن صحبتهما»<sup>(٢)</sup>.

وبر الوالدين والإحسان إليهما يشمل الإنفاق عليهما من الرزق الحلال وطاعتهما في غير معصية الله كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

إذن فبر الوالدين كان من جوانب إنفاق الأرزاق للصحابة الذين معهم والداهم أو أحدهما.

## ٣- الإنفاق على الزوجات والأولاد

ويدل على ذلك ما جاء في شكوى هند بنت عتبة زوجها أبا سفيان رضي الله عنها أنه كان ينفق عليها وعلى ولدها من رزقه الحلال بقدر قليل.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة باب رقم (١٣) (٧٦/١٠، ٧٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب رقم (١) (٣٣٩/١٦). وفي الحديث دليل لعظم فضيلة برهما وأنه أكد من الجهاد. وفيه حجة لما قاله العلماء أنه لا يجوز الجهاد إلا ياذنهما إذا كانا مسلمين أو ياذن المسلم منهما فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعي ومن وافقه. وشرطه الثوري هذا كله إذا لم يحضر الصف ويتعين القتال وإلا فحينئذ يجوز بغير إذن. المرجع السابق.

وفي رواية عن عائشة «أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم. فقال: خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف»<sup>(١)</sup>.

وإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينفقون على الأزواج والأولاد لإيفاء حقوقهم المتعلقة بدمتهم، وكانوا يجدون تأييداً على ذلك من قبل الرسول ﷺ.

كما هو ظاهر في موقف الرسول ﷺ مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وفي رواية عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلاثي مالي؟ قال: لا. فقلت: بالشرط؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث والثلث كبير - أو كثير - إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعله في في امرأتك...»<sup>(٢)</sup>.

وإن إنفاق الرزق في سد الحاجات الأسرية من الأبناء والأمهات والأقارب والأولاد وغيرهم كان من وجوه إنفاق الرزق للصحابة رضي الله عنهم طوال حياتهم الأسرية. والنماذج كثيرة لبيان مواقف الصحابة في ذلك، واكتفي بالنماذج المذكورة في الموضوع ليقاس عليها غيرها.

#### الصورة الثالثة - الإنفاق خارج حدود الأسرة.

قد أنفق الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يملكون من الأرزاق والأموال خارج محيط أسرهم وأقاربهم في مجتمعهم حرصاً منهم في ذلك على تحقيق الفوائد المترتبة على ذلك في الآخرة من الثواب العظيم الموعود من الله ﷻ على ذلك الإنفاق، وفي الدنيا من تحقيق مصالح الناس واستقامة أمور حياتهم التبعية والدعوية والاجتماعية والاقتصادية. وجاء إنفاق الصحابة خارج حدود الأسرة والأهل في أحوال آتية:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب رقم (٩) (٤١٨/٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري بطول الحديث في صحيحه كتاب الجنائز باب رقم (٣٦) (١٩٦/٣).

## الحالة الأولى: الإنفاق في صالح العملية الدعوية

إن مما سخر له الصحابة أرزاقهم بعد ملكيتها الإنفاق لسير العملية الدعوية في جميع جوانبها ومراحلها، وبذلوا في سبيل رفعتها وعزها والدُّودِ عنها بكل غال ورخيص من ممتلكاتهم الحسية والمعنوية.

والشواهد التاريخية كثيرة جداً لإثبات مواقفهم في هذا الإنفاق المتميز ومنها ما يأتي:

١- ما جاء في جملة الأعمال التي من أجلها أثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار ﷺ أنهم أنفقوا أموالهم في سبيل رفعة دين رسول الله ﷺ كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

يقول الإمام ابن كثير عند شرح الآية: «ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين ومنازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم...»<sup>(١)</sup>. وكذلك من الأعمال التي لأجلها استحق المهاجرين والأنصار مغفرة ربهم والرزق الكريم في الآخرة أنهم نصروا دين الله بالنفس والمال كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٣٤)، وإن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالمواخاة التي عقدها الرسول بينهم لأجل ما كان من ولاية بعضهم لبعض لقوله تعالى: (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [الأنفال: ٧٢]. حتى نسخ الله تعالى ذلك بالموارث بقوله تعالى: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) [الأحزاب: ٦]. انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٣٤)، وتفسير البغوي معالم التنزيل للإمام البغوي (٣/٣٧٩، ٣٨٠).

ومما جاء في تفسير الآية: قوله تعالى ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا﴾<sup>(١)</sup>  
أي: أن الأنصار لا يحسدون المهاجرين على ما أتاهم الله من فضله، وخصهم به، من  
الفضائل والمناقب التي هم أهلها<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ومن أوصاف  
الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها عن سواهم، الإيثار وهو أكمل أنواع  
الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس، من الأموال وغيرها وبذلها للغير مع الحاجة إليها،  
بل مع الضرورة والخصاصة...<sup>(٤)</sup>.

والآيات كثيرة في بيان مواقف الصحابة من المهاجرين والأنصار في الإنفاق  
لأجل سير الدعوة إلى دين الله ﷻ.

٢- ما جاء في إنفاق أبي بكر الصديق أمواله في نصرة الرسول ﷺ وهو أول  
داعية إلى الإسلام.

وفي رواية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعتي مال قط ما نفعتي مال  
أبي بكر» قال فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله! هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله<sup>(٥)</sup>.

٣- ما جاء في إنفاق عثمان بن عفان نصيباً كبيراً من ماله في تجهيز غزوة  
تبوك وثناء الرسول ﷺ عليه في ذلك.

وفي رواية عبد الرحمن بن سمرة قال: «جاء عثمان ؓ إلى النبي ﷺ بألف دينار  
حين جهز جيش العسرة ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول:  
ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم قالها مراراً»<sup>(٦)</sup>.

وكذلك رواية عبد الرحمن بن حباب السلمي ؓ قال: «خرج رسول الله ﷺ  
فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان ؓ علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم  
حث فقال عثمان علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث،

(١) انظر- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣٣٤/٧).

(٢) المرجع السابق (٣٣٥/٧).

(٣) أخرجه الإمام الخافظ ابن ماجه في سننه (٣٦/١)، سبق تخريج الحديث في صفحة (١٩٣) هامش رقم (١) من هذا البحث.

(٤) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة وقال: «هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١٠٢/٣).

فقال عثمان بن عفان ؓ علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت النبي ﷺ يقول بيده هكذا يحركها - وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب - ما على عثمان ما عمل بعد هذا»<sup>(١)</sup>.  
وقد أنفق في صالح العملية الدعوية على مستوى الأفراد من قبل عدد كبير من الصحابة ؓ، كأمثال أبي بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وحكيم بن حزام وعبد الله بن عمر وغيرهم ؓ أجمعين<sup>(٢)</sup>.

الحالة الثانية - المشاركة في سد حاجات الناس في المجتمع  
إن من صفات الصحابة ؓ في تسخير أرزاقهم للإنفاق المشروع خارج نطاق الأسرة إنفاق الرزق من مال وغيره في سد حاجات الناس في المجتمع أفراداً وجماعات، وسلكوا في ذلك أبواب الطاعات والخيرات المختلفة كإعطاء مختلف أنواع زكوات أموالهم لمستحقيها، وبذل الصدقات التطوعية للمحتاجين وتبادل الهدايا فيما بينهم وتقديم قرى الضيف للضيوف، وتخفيف الدين على المدينين وإقامة الأوقاف وإزالة المعاناة العامة والخاصة النابعة من الشفقة الشديدة في قلوبهم على أفراد المجتمع، وغيرها من وجوه بذل الخير في المجتمع، وذلك ليفوزوا بثواب تلك الأعمال الخيرية عند الله ﷻ. كما قال الله تعالى في وصفهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].  
ومما جاء في معنى الآية: أن الله تعالى يخبر عن نبيه محمد ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال وأنهم في غلظة وشدة على أعدائهم الكفار، وأنهم متحابون، متراحمون، متعاطفون كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك تراهم ركعاً سجداً، أي وصفهم كثرة الصلاة التي أجل أركانها، الركوع والسجود ومقصودهم بتلك العبادات بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث «١٦٧٤٢» (٧٥/٤). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده

ضعيف لجهالة فرقد أبي طلحة فقد انفرد بالرواية عنه الوليد بن أبي هشام».

(٢) انظر - حياة الصحابة للشيخ العلامة محمد يوسف الكاندهلوي (٢٣٥/٢-٢٤١).

(٣) انظر - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١١٠/٧، ١١١).

والنماذج كثيرة في بيان مواقفهم في المشاركة في سد حاجات المجتمع ومنها ما يأتي:  
أولاً- نماذج لقيام الصحابة في سد حاجات الأفراد.

١- ما جاء في رواية أبي نضرة قال: «أتيت عثمان بن أبي العاص في أيام العشر وكان له بيت قد أخلاه للحديث فمر عليه بكبش فقال لصاحبه بكم أخذته؟ فقال: باثني عشر درهماً. فقلت: لو كان معي اثنا عشر درهماً اشتريت بها كبشاً فضحيت وأطعمت عيالي، فلما قدمت اتبع عثمان فلما قدمت اتبعني بصرة فيها خمسون درهماً فما رأيت دراهم قط كان أعظم بركة منها أعطاني وهو لها محتسب وأنا إليها محتاج»<sup>(١)</sup>. وفي هذه الرواية دلالة على قيام عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بإعطاء أبي نضرة هدية من ماله لكي يسد به حاجته.

٢- ما جاء في تصدق حارثة بن النعمان رضي الله عنه على بعض المساكين ببعض أمواله مشاركة منه في سد بعض حاجاتهم إلى الطعام، وحرصاً منه على العمل بهدي الرسول ﷺ في ذلك. وفي رواية عن محمد بن عثمان عن أبيه، قال كان حارثة بن النعمان قد ذهب بصره، فاتخذ خيطاً من مصلاه إلى باب الحجر ووضع عنده مكتلاً فيه تمر، فإذا جاء المسكين فسلم؛ أخذ من ذلك المكتل ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله وكان أهله يقولون له نحن نكفيك، فيقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مناولة المسكين تقي ميتة السوء»<sup>(٢)</sup>.  
٣- ما جاء في تصدق كعب بن مالك ببعض ماله من دينه على ابن أبي حذرد رضي الله عنهما ليسهل عليه قضاء ما بقي عليه من الدين حتى يخرج من التزام الدين. وفي رواية عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه أنه تقاضى ابن أبي حذرد ديناً له عليه في المسجد حتى ارتفعت أصواتهما، حتى سمعهما رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما. فنادى كعباً، فقال: لبيك يا رسول الله! قال: دع من دينك هذا» وأوماً بيده إلى شطر. فقال: قد فعلت. قال قم فاقضه»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام الطبراني نقلاً عن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي وقال الإمام الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (٣٧١/٩).

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، رقم الحديث «٣٢٢٨» ط/ مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ وأخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأوليات وطبقات الأصفياء (٣٥٦/١).

(٣) أخرجه الإمام الحافظ ابن ماجه في سننه كتاب الصدقات باب رقم (١٨) ورقم الحديث «٢٤٢٩» (٨١١/٢). والحديث صحيح. انظر - صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٥٦/٢).

وقوله: «دع من دينك هذا» أي: خفف عنه بترك النصف<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في رواية عن أبي سعيد الخدري قال: «أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال رسول الله ﷺ: تصدقوا عليه، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: «خذوا ما وجنتم وليس لكم إلا ذلك»<sup>(٢)</sup>.

معنى قوله: «وليس لكم إلا ذلك» أي: ما وجدتم والمعنى ليس لكم إلا أخذتم ما وجدتم، والإمهال بمطالبة الباقي إلى الميسرة<sup>(٣)</sup>. إذن فمواقف الصحابة رضي عنهم كثيرة في سد حاجات أفراد من الناس في المجتمع، واكتفي بالأمثلة المذكورة ليقاس عليها ما لم يذكر من الأمثلة والنماذج.

ثانياً - نماذج لقيام الصحابة بسد حاجة الجماعة من الناس في المجتمع.

١- ما جاء في شراء عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة من صلب ماله وجعلها وقفاً للمسلمين في المدينة مشاركة منه بذلك في إزالة مشكلة عدم وجود الماء العذب التي كانوا يعانونها في المدينة المنورة.

وفي رواية عن عثمان رضي الله عنه: «... أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من أصل مالي...»<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين» بكسر الدال جمع دلو وهو كناية عن الوقف العامة...»<sup>(٥)</sup>. أي: جعله عثمان بن عفان رضي الله عنه وقفاً عاماً للمسلمين.

٢- ما جاء في صرف وفد تجيب زكاة أموالهم لفقراء بلدهم، مشاركة منهم بذلك في سد حاجات الفقراء والمحتاجين في بلدهم وحرصاً منهم على أداء واجب الزكاة من أموالهم. وفي رواية عن أبي الحويرث قال: قدم وفد تجيب على رسول الله ﷺ

(١) انظر - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على الحديث. المرجع السابق.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين. بتحقيق محمد فؤاد عبد

الباقي، رقم الحديث «١٥٥٦» (١١٩١/٣).

(٣) انظر - تحفة الأحوذى بشرح جامع الإمام الترمذي للإمام المباركفوري (٢٥٧/٣).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه في أبواب المناقب باب رقم (٧٦) ورقم الحديث «٢٩٥١»

(١٣٤، ١٣٥/١٠). قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن عثمان».

(٥) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (١٣٥/١٠، ١٣٢).



ﷺ سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر رسول الله ﷺ بهم وقال: «مربحاً بكم!» وأكرم منزلهم...»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: وقالوا: يا رسول الله! سقنا إليكم حق الله في أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ردوها فاقسموها على فقرائكم» قالوا: يا رسول الله! ما قدمنا عليكم إلا بما فضل عن فقرائنا...»<sup>(٢)</sup>.

٣- ما جاء في مبادرة الصحابة ﷺ بتصدق على قوم محتاجين من قبيلة مضر مشاركة منهم بذلك في سد حاجة هؤلاء القوم الفقراء، وحرصاً منهم على الفوز برضا الله ورسوله ﷺ.

وفي رواية عن المنذر بن حرير عن أبيه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاء قوم حفاة عراة محتالي النمار<sup>(٣)</sup> أو العباء<sup>(٤)</sup> متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من ضر فتمعر<sup>(٥)</sup> وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. والآية التي في الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمر. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه

(١) أخرجه الإمام ابن سعد في الطبقات الكبرى بطول الحديث (٢٤٤/١-٢٤٥).

(٢) انظر- عيون الآثار في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس (٢١٤/٢، ٢١٥) ط/دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧م، وزاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية (٦٥٢/٣، ٦٥٣).

(٣) «النمار» بكسر النون جمع غمرة بفتحها وهي ثياب صوف فيها تمر. شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٠٦/٧).

(٤) «العباء» بالمد وفتح العين جمع عباءة وعباية لغتان. المرجع السابق.

(٥) «تمعر» بالعين المهملة أي تغير. المرجع السابق.

رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(١)</sup> فقله: «يتهلل» أي: يستنير فرحاً وسروراً.

وأما سبب سروره ﷺ ففرح بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ويكون فرحه لما ذكرناه<sup>(٢)</sup>.

ومواقف الصحابة ﷺ كثيرة في سد حاجة الجماعات في المجتمع بالأساليب المتنوعة المشروعة لإنفاق الأرزاق في وجوه الطاعات والبر. واكتفي بالأمثلة المذكورة في الموضوع ليقاس عليها غيرها.

الصورة الرابعة: العمل بهدي الكتاب والسنة في إنفاق الأرزاق.

إنه من أهم صفات الصحابة ﷺ في إنفاق أرزاقهم بعد ملكيتها على الوجه المشروع أنهم كانوا ينفقون أرزاقهم وفق هدي القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ والاجتهاد في تحقيق ذلك بقدر طاقتهم بأساليب مشروعة. ومن أساليب الصحابة في ذلك ما يأتي:

أ- التوقف عن الإنفاق قبل معرفة الحكم

إن الصحابة ﷺ كانوا يتوقفون عن الإقدام في إنفاق الأموال عند جهلهم بحكم الإنفاق أو عند التردد في اختيار الإنفاق الأفضل فيسألون الرسول الله ﷺ عن كيفية إنفاق أموالهم على وجه مطابق للشريعة ومفيد لهم في الدنيا والآخرة، عندئذ يجدون الجواب الكافي منه ﷺ على ذلك السؤال ثم يمشون في تنفيذ ذلك الإنفاق وفق هدي الرسول الله ﷺ بعزيمة صادقة، كما هو ظاهر في موقف الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ عندما جاء إلى الرسول ﷺ يسأله عن كيفية تصرفه في بعض

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٢٠) (١٠٧/٧، ١٠٨).

(٢) انظر - شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٠٨/٧، ١٠٩).

أمواله التي أراد التصدق بها. حيث وجد الجواب النبوي من قبل الرسول الله ﷺ فعمل به بكل صدق وإيمان.

وفي رواية: «أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخير، فأتى النبي ﷺ يسأله فيها. فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث. وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول» قال: فحدثت به ابن سيرين فقال: «غير متأثل مالا»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في سؤال بعض الصحابة للرسول ﷺ عن كيفية إنفاق أموالهم في وجوه الخير فكان ذلك سبباً في نزول قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]<sup>(٢)</sup>. أي: عمل هؤلاء الصحابة بهدي القرآن الكريم وهدي الرسول ﷺ في ذلك الإنفاق بقدر طاقتهم بعد هذا السؤال. والنماذج من هذا الأسلوب في الأخذ بهدي الكتاب والسنة في الإنفاق كثيرة في سيرة الصحابة رضي الله عنهم.

#### د- الرجوع عن الخطأ مع العمل بهدي الرسول ﷺ

إن من الصفات التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم في الأخذ بهدي الكتاب والسنة أنهم إذا وقعوا في خطأ عن جهل أو اجتهاد منهم نتيجة حرصهم على بذل الخير رجعوا عن ذلك الخطأ، وبادروا إلى العمل بالصواب لأجل شدة تمسكهم بهدي الكتاب والسنة في الإنفاق وغيره. كما هو ظاهر في موقف الصحابي الذي أعتق عبداً له عن دبر مع عدم وجود مال آخر له. فأبطل الرسول ﷺ ذلك العتق ثم وجه تصرفه بما عاد عليه بالفائدة، ورضي الرجل الصحابي بذلك التوجيه النبوي.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الشروط باب رقم (١٩) (٤١٨/٥).

(٢) انظر - جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٣٥٥/٢، ٣٥٦) وزاد المسير في علم التفسير

للإمام ابن الجوزي (٢٣٣/١).

وفي رواية عن جابر قال: أعتق رجل من بني عذرة عبداً له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ألك مال غيره؟ فقال: لا. فقال: من يشتريه مني فاشتره نعيم ابن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في رجوع بعض الصحابة عن الإنفاق بالتمر الرديء للفقراء المهاجرين، وأخذهم بهدي القرآن الكريم في الإنفاق بالتمر الطيب، وذلك بعد نزول قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]<sup>(٢)</sup>.

وجاء في قول البراء في إحدى روايات سبب نزول الآية: «... فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده»<sup>(٣)</sup> أي أنهم كانوا بعد ذلك ينفقون من التمر الطيب للفقراء ويحتنبون عن التمر الرديء في الإنفاق على الفقراء بقدر الطاقة.

والنماذج متعددة في بيان مواقف بعض الصحابة رضي الله عنهم في الرجوع عن الخطأ في إنفاق الرزق، والأخذ بهدي الكتاب والسنة فيه.

وهناك أساليب أخرى للصحابة رضي الله عنهم في التمسك بهدي الكتاب والسنة في إنفاق الرزق. واكتفي بالأساليب المذكورة في هذا الموضوع ليستفاد بها في معرفة غيرها.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (١٣) (٨٧/٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٢٨/١، ٤٢٩) وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣٢١، ٣٢٢/١).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه بطول الحديث. أبواب تفسير القرآن سورة البقرة وقال الإمام الترمذي: «هذا

حديث حسن غريب» (٢٦٤/٨، ٢٦٥).

إذن فأرزاق الصحابة ﷺ من عين وطعام وشراب وعقار وملبس ودابة وغيرها كانت مسخرة للإنفاق المشروع بمختلف أنواعها كأداء زكاة الأموال الواجبة والإنفاق في الحاجات الذاتية والحاجات الأسرية والإنفاق في خدمة مصالح العملية الدعوية والإنفاق في وجوه الخيرات التطوعية الأخرى، وفق هدي الكتاب والسنة.

وأما قيام الصحابة رضي الله عنهم بإنفاق أرزاقهم في الوجوه المباحة شرعاً بعد ملكيتها بالطرق المشروعة، فيكونون بذلك قد أكملوا أداء الركن الثالث<sup>(١)</sup> من أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع.

ويجب على الدعاة في زمان ومكان الاقتداء بهم في ذلك، حيث إن منهج الصحابة ﷺ كان مبنياً على منهج الرسول ﷺ.

وكل ما ذكر في كل هذا المطلب من أحوال الصحابة رضي الله عنهم في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق هو ما تعلق بأحوالهم الفردية التي لم تتحكم فيها ولا يتهم المناصب في البلدان.

وأما الصحابة الذين تولوا مناصب سلطة في الدولة الإسلامية فكانوا يأخذون أرزاقهم وأرزاق عيالهم من بيت مال المسلمين مقابل تفرغهم لتنظيم مصالح المسلمين وتنظيم أمور الدعوة، والمحافظة على الموارد المالية للدولة، وحسن استثمارها وتوزيع نتاجها المالي وغيرها بين مستحقيها في الدولة.

وإن الصحابة (رضي الله عنهم) أمام هذه الأعمال الجليلة كانوا خير منفذين لها وفق هدي الكتاب والسنة المطهرة. كما ظهر ذلك في مواقف الصحابة المتعاونين مع الرسول ﷺ في سياسة أمور الدولة بعدما كثر المال في أول الدولة الإسلامية<sup>(٢)</sup>. حيث كانوا قبل ذلك يتحملون أرزاقهم بأنفسهم دون اعتماد على أرزاق من بيت

(١) سبقت الإشارة إلى أركان الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/١٠٥ من هذا البحث.

(٢) انظر - السياسة المالية للرسول ﷺ لقطب إبراهيم محمد ص/١٨١ وص/١٨٦، ١٨٥. والنظام الاقتصادي في

الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية للدكتور مصطفى الممشري ص/١١٩-٣٩٠.

مال المسلمين، وكذلك لم يمنعهم ظهور المال في الدولة الإسلامية من المشاركة بأموالهم الخاصة في نصرة الدعوة وسد حاجات المجتمع. كما هو ظاهر في مواقف الخلفاء الراشدين (رضي الله عنه) في فترات خلافتهم مع أحوال الصحابة المتعاونين معهم في سياسة أمور الدولة والدعوة فيها<sup>(١)</sup>.

(١) انظر - المرجعين السابقين، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام، وكتاب الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب إبراهيم.

## الفصل الثالث

ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## الفصل الثالث

ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المبحث الأول

الضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المطلب الأول

التعريف بالضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المطلب الثاني

بيان الضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المبحث الثاني

الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المطلب الأول

التعريف بالضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

## المطلب الثاني

بيان الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق



### الفصل الثالث

## ضوابط الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

توطئة: معنى الضوابط:

أما كلمة الضوابط فهي جمع الضابط والضابطة وهو مأخوذ من ضبط، ويطلق على عدة معان منها: الحفظ بالجزم فيقال ضبط الشيء ضبطاً أي حفظه بالجزم حفظاً بليغاً. ومنها: الإحكام والإتقان، فيقال: ضبط البلاد وغيرها، أي قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص، ومنها: لزوم الشيء وحبسه، وغير ذلك من المعاني<sup>(١)</sup>.

والمعنى اللغوي الموافق للمراد بالضوابط في موضوع الجمع بين الدعوة وطلب الرزق هو مجموع هذه المعاني المذكورة من حفظ الشيء وإتقانه ولزومه. وعندئذ كون المعنى المراد بضوابط الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، هو الأمور التي تحكم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وتحفظها من الخروج عن حدودها ودائرتها وأهدافها.

وهذه الأمور طبيعتها شرعية، ويأتي تفصيلها في المباحث التالية:

(١) انظر - لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري «مادة

ضبط» (٣٤٠/٧، ٣٤١) والمعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) (٥٣٣/١).

## المبحث الأول

الضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

المطلب الأول- التعريف بالضوابط<sup>(١)</sup> الشرعية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

أولاً: معنى الشريعة في اللغة:

الشريعة: اسم مأخوذ من شرع، وكذلك تؤخذ منه ألفاظ أخرى المؤدية لمعنى

الشريعة كالشرعة.

وأما «شرع» بتخفيف الراء فلها معان متعددة منها: الإعلان والإظهار، فيقال: شرع الشيء: أعلاه وأظهره، ومنها: جعل الأمر مشروعاً ومسنوناً فيقال: شرع الأمر أي جعله مشروعاً مسنوناً، وشرع الدين: أي سنه وبينه كما في قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]. ومنها: التمديد والتمهيد، فيقال: شرع الطريق: مده ومهده. وغيره من المعاني.

وكذلك يأتي معنى الشريعة بمورد الشاربة الماء وبمعنى الطريقة، كما في قول الله

تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الحاثية: ١٨].

وكذلك يأتي معنى الشرعة: بالطريق والمذهب المستقيم كما في قول الله تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨]<sup>(٢)</sup>.

والمعنى اللغوي المناسب للشريعة في هذا الموضوع، هو الطريق والمذهب

المستقيم، وما يدل على هذا المعنى من الألفاظ المذكورة لأنه يعاضد بعضها بعضاً في الدلالة على ذلك المعنى المذكور.

ثانياً- معنى الشريعة في الاصطلاح.

للعلماء تعريفات عديدة للشريعة، ومدلولها كلها واحد من حيث الغرض

والقصد من معنى الشريعة، ومن تلك التعريفات ما يأتي:

١- الشريعة: هي «الأحكام التي سنّها الله لعباده ليكونوا مؤمنين عاملين على ما

(١) سبق التعريف بالضوابط في صفحة (٢٤٧) من هذا البحث.

(٢) انظر- معجم مقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون (٢٦٢/٣) والمعجم الوسيط

مادة «شرع» (٤٧٩/١).

يسعدهم في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

- ٢ - الشريعة: هي «النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة»<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - الشريعة: هي «الالتزام بالتزام العبودية. وقيل الشريعة هي الطريق في الدين»<sup>(٣)</sup>.

وهذه التعريفات موافقة مع المعنى اللغوي الذي يدل على أن الشريعة هي الأحكام الإلهية التي وضعها لعباده، وهي طريقتهم التي يسلكونها للفوز برضا الله عز وجل في الدين والدنيا.

إذن فالمراد بالضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا البحث: هي الأوامر الإسلامية التي يلتزم بها الداعية ويرعاها في أداء عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، لتستقيم تلك العملية على الوجه المشروع.

**المطلب الثاني - بيان الضوابط الشرعية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق.**

**الضابط الأول - المحافظ على هدي الكتاب والسنة في الدعوة وطلب الرزق.**

أما المراد بالمحافظة على هدي الكتاب والسنة في الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع فهو العمل بما رسمه القرآن العظيم والسنة النبوية الشريعة من الأحكام الشرعية المتعلقة بالدعوة وطلب الرزق.

وإن السير في الأعمال وفق هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة من الواجبات الشرعية على كل مكلف لدلالة النصوص الشرعية الكثيرة على ذلك التي منها ما يأتي:

(١) تاريخ الفقه الإسلامي، الجامعة الأزهرية أشرف على مراجعته وتصحيحه وتقديمه محمد علي السائس ص ٥.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت، ص/ ١٠ ط/ دار الشروق، الطبعة الثامنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٣) التعريفات للجرجاني بتحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة ص/ ١٦٦.

١ - ومما يتعلق بالتمسك بهدي القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ومما تدل عليه الآية الكريمة أن من أهداف نزول القرآن على الرسول ﷺ هو بيان كل الأحكام الشرعية للناس مما يستدعي العمل بهدي القرآن وهدي الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وأما من النصوص الدالة على وجوب التمسك بهدي الرسول ﷺ فكثيرة منها قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي عند تفسير الآية: «ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم - أي الصحابة وكل من يأتي بعدهم من المسلمين - لا يؤمنون، حتى يحكموا الرسول، فيما شجر بينهم أي وكل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة ثم لا يكفي هذا التحكم، حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضييق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض. لا يكفي هذا التحكيم، حتى يسلموا لحكمه تسليماً، بانسراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم، في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان.

فمن استكمل هذه المراتب، وكمّلها، فقد استكمل مراتب الدين كلّها، ومن

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢٥٨).

(٢) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٠/٧٢).

ترك هذا التحكيم المذكور، غير ملتزم له، فهو كافر، ومن تركه - مع التزامه - فله حكم أمثاله من العاصين»<sup>(١)</sup>.

وكذلك يدل على وجوب الأخذ بسنة الرسول ﷺ ما جاء في موعظة الرسول ﷺ لبعض أصحابه في رواية العرياض بن سارية عنه ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة فمن أدرك منكم فعله بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» أي فليلتزم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها، قاله القارئ<sup>(٣)</sup>.

والعض بالنواجذ على سنة الرسول ﷺ وسنة الصحابة ﷺ كناية عن الحث على شدة ملازمة السنة والتمسك بها عند كل الأمور<sup>(٤)</sup>.

والتمسك من الدعاة وغيرهم بهدي الكتاب والسنة هو على بصيرة واستقامة من أمره وبعيد عن كل أنواع الانحراف والضلال والتخبط فيه لامتياز القرآن بذلك كما في قول الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وكذلك بين الرسول ﷺ أن التمسك بسنته هو تمسك بالحجة المستقيمة التي لا تقبل الزيغ والضلال، كما جاء في حديث العرياض بن سارية المرفوع قال: «تركتكم على النهج البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بتحقيق محمد زهري البخار (٩٣/٢، ٩٤).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي بطول الحديث في جامعه سبق تخريج الحديث في هامش رقم (٥) ص/٢٠٣ وسبق توضيح الكلام حول معنى الحديث في ص/٢٠٣.

(٣) انظر - تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٣٦٧/٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٦٨/٧).

المهدين»<sup>(١)</sup>.

إذن فالمحافظة على هدي الكتاب والسنة والسير عليه في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق أمر ضروري؛ لأن فيه العمل بجميع الأحكام الشرعية المتعلقة بجزئيات الدعوة إلى الله، والعمل بجزئيات السعي في كسب الأرزاق على بصيرة ونور، حيث لا يوجد مثل تلك الصفة في غيرهما، وبه عمل الرسول ﷺ في حياته. والافتداء به في جميع الأعمال الشرعية واجب على أمته كما في قوله الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويجب على الدعاة أن يقتدوا به عند جميع الأعمال التي منها عملية الجمع بين الدعة وطلب الرزق، حيث لا تستقيم تلك العملية إلا بهدي الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة<sup>(٢)</sup> (رحمهم الله)، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لمعرفة هدي الكتاب والسنة في كل الجوانب المتعلقة بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، لعموم الأمر الشرعي بوجوب معرفة أحكام الدين في نصوص شرعية كثيرة، والتي منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومما جاء في معنى الآية: أنه ما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبى ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده، بل تبقى طائفة منهم مع النبى ﷺ؛ ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه.

وقيل: الأمر في الآية بالتفقه في الدين للفرقة النافرة دون الفرقة المقيمة ولكن الإمام القرطبي وغيره يرجحون التفسير الأول مما جعل الإمام القرطبي يصرح بأن هذه

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه المقدمة باب رقم (٦) (١٦/١) وسبق ذكر الحديث برواية أخرى عن الإمام الترمذي في جامعه. وتخرجه في ص/٢٠٣ من هذا البحث.

(٢) راجع سيرة الرسل عليهم السلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المبحث الأول من الفصل الثاني من ص/١٠٧ إلى ص/١٩٤، وراجع سيرة الصحابة ﷺ في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المبحث الثاني من الفصل الثاني من ص/٢٠٤ إلى ص/٢٢٦.

الآية أصل وجوب طلب العلم<sup>(١)</sup>.

إذن ينبغي للدعاة أن يتعلموا هدي الكتاب والسنة بما يتاح لهم من وسائل الوصول إلى المعرفة والعلم للعمل به في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في كل زمان ومكان.

الضابط الثاني- تفصيل مصالح الدعوة على الأهداف الأخرى عند الدعوة وطلب الرزق. إن تفضيل الداعية وتقديمه الأهداف الدعوية على غيرها من الأهداف الأخرى عند قيامه بإحدى عمليتي الدعوة أو طلب الرزق في الوقت المخصص لأحدهما. أمر شرعي، لدلالة النصوص الشرعية عليه.

أولاً- النصوص الشرعية الدالة على تفضيل الهدف الدعوي على غيره عند ممارسة عملية الدعوة. ومن النصوص الشرعية الدالة على ذلك ما يأتي:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]. والدعوة داخل في عموم العبادة لله في الآية الكريمة، كما جاء التعريف بالعبادة عند شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية (رحمه الله): «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»<sup>(٢)</sup>.

إذن فالإخلاص في الدعوة وتفضيل تحقيق هدفها على غيره عند ممارستها واجب على الداعية. وتدل أيضاً على هذا العمل المشروع مواقف الرسل عليهم السلام في تفضيل الهدف الدعوي على غيره عند ممارسة دعوتهم ومقارنتها بغيرها من الأعمال الأخرى، كما يظهر في قصة شهادة ملكة بلقيس بذلك عندما أرسلت إلى نبي الله سليمان عليه السلام لتمنعه عن دعوته إياها إلى الإسلام، ولكن نبي الله

(١) انظر بالتصرف: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٦/٨، ١٨٧).

«طلب العلم ينقسم إلى قسمين: فرض على الأعيان، كالصلاة والزكاة... فرض على الكفاية، كتحصيل الحقوق وإقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلح أن يتعلمه جميع الناس فتضيع أحوالهم وأحوال سراياهم وتنقص أو تبطل معاشهم، فتعين بين الحالين أن يقوم به البعض من غير تعيين، وذلك بحسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته وكلمته» انظر- المرجع السابق (١٨٧/٨).

(٢) انظر- العبودية في الإسلام لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية ص/٤ ط/المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة -

الطبعة الرابعة عام ١٤٠٠هـ.

سليمان عليه السلام أثبت أن تحقيق هدف دعوته أهم لديه من أهداف دنيوية أخرى.

ومن الآيات التي تحكي هذه القصة قول الله تعالى عما دار بين ملكة بلقيس وربي الله سليمان عليه السلام: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاظِرَةٌ بِهِمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ \* فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهِدْيَتِكُمْ تُفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٥-٣٦].

ومما جاء في تفسير العلماء حول تمسك سليمان عليه السلام بهدف دعوته: أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا أعتنى به بل أعرض عنه وقال منكراً عليهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أي تصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟ ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ أي الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهِدْيَتِكُمْ تُفْرَحُونَ﴾ أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ في تفضيل دعوته على الأغراض الدنيوية من رزق ومال وغيره، مما جعله يطلب أجر دعوته من الله وحده دون أن يطلب ذلك من مدعويه، بل كان يطلب منهم قبول دعوته فقط؛ لأن الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن الآيات الدالة على موقفه هذا كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٦-٥٧].

وتدل الآيات الكريمة على أن من أعمال الرسول ﷺ تبشير الناس بوعد الله وتخويفهم من وعيد الله، وأنه لا يفضل على دعوته شيئاً يقبله من مدعويه من الخيرات وأن ما يقدمونه من الخيرات فهو من باب تقرّبهم إلى الله بذلك للفوز بثوابه عند الله ﷻ، وليس ذلك أجراً لدعوته<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٨٣/٣).

(٢) انظر بالتصرف: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي



وكذلك ما جاء به قوله تعالى لنبيه ﷺ أن يرد به على مناوئ دعوته: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].  
ومما جاء في معنى هذه الآية الكريمة: أي لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن أجراً أي أجرة ولا أريد منكم شيئاً وأن ما أقوم بتبليغه إياكم هو ذكرى للعالمين يتذكرون به فيرشدوا من العمي إلى الهدى، ومن الغي إلى إرشاد ومن الكفر إلى الإيمان<sup>(١)</sup>.

إذن ينبغي للداعية في جميع مراحل دعوته أن تصاحبه هموم نجاح دعوته، ويفضل تحقيق هدفها على أي هدف آخر في صورة لا يهلك بها نفسه لما في ذلك من القضاء على الداعية، والدعوة كما نهي الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ عن ذلك بقوله له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. ومما جاء في معنى قوله ﴿بَاخِعٌ نَفْسِكَ﴾ أي مهلك نفسك أو قاتل نفسك أو مجهد نفسك أو مضعفها<sup>(٢)</sup>.

ومما جاء في معنى قوله: ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي على فراقهم ومن بعد توليهم وإعراضهم عنك<sup>(٣)</sup>. وكذلك جاءت في معنى قوله: ﴿أَسَفًا﴾ أربعة أقوال للعلماء:  
أحدها: حزنا. قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: جزعا. قاله مجاهد.  
والثالث: غضبا. قاله قتادة. والرابع: ندما. قاله السدي. وقال أبو عبيدة: ندما وتلهفا وأسى. قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن أو الغضب. وهذه الآية يشير بها إلى نهي رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف<sup>(٤)</sup>.

وينبغي للداعية في هذه المرحلة أن يكتفي بتبليغ الدعوة إليهم بوسائل مشروعة

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢١٠).

(٢) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥/١٠٤)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من

علم التفسير للإمام الشوكاني (٣/٢٧٠).

(٣) انظر - المرجعين السابقين.

(٤) انظر - بالتصرف: زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥/١٠٥).

ويعتقد أن إيمان المدعو بالدعوة ليس بيد أحد وإنما ذلك بيد الله ﷻ، كما أخبره الله ﷻ بذلك في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

إذن فمصاحبة هموم تحقيق الهدف الدعوي من قبل الداعية مشروط بكيفية لا تؤدي إلى هلاك نفس الداعية وتعطيل دعوته.

ثانياً- النصوص الشرعية الدالة على تفضيل الهدف الدعوي على غيره عند طلب الرزق. وأما مشروعية مصاحبة هموم تحقيق هدف الدعوة وتفضيله على هدف آخر عند كسب الرزق فيدل عليه ما هو ظاهر في المعاملات المالية للرسول ﷺ عند كسب رزقه. ومن تلك المعاملات ما يأتي:

١ - ما جاء في قيام الرسول ﷺ بحسن قضاء الدين الذي كان في ذمته لرجل، وذلك لإدخال السرور في نفس الرجل المدعو. وليجد ثواب ذلك العمل عند الله ﷻ، وليعلم الصحابة رضي الله عنهم بفضل حسن قضاء الدين بواسطة عمله التطبيقي حتى يقتدى به في فعل ذلك الخلق المستهدف.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان لرجل على النبي ﷺ سن<sup>(١)</sup> من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال ﷺ: أعطوه. فطلبوا سنه فلم يجدوا إلا سنا فوقها، فقال: أعطوه. فقال: أوفيتني أوفى الله بك قال النبي ﷺ: «إن خياركم أحسنكم قضاء»<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث كثيرة في بيان هذا الأسلوب الدعوي من قبل النبي ﷺ في دعوة الناس إلى الامتثال لتحقيق هدف دعوي في أثناء المعاملات المالية وهذا من سنن النبي ﷺ. وسنته تشمل الأمور الدعوية وغيرها من أمور أخرى مشروعة، والأخذ بسنته واجب على الأمة.

كما أمر الله رسوله ﷺ بالتصريح لأئمة بوجوب التقيد بسنته في الدعوة

(١) «سن» أي: جل له سن معين. انظر- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٧٢/٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض رقم (٤٣) باب رقم (٧) (٧٢/٥).

وغيرها في آيات كثيرة والتي منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والآية من الأدلة على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله أي الدعاء إلى الإيمان به، وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده<sup>(١)</sup>.

وكذلك إن مشروعية مصاحبة هموم تحقيق الهدف الدعوي في أثناء كسب الرزق يدخل في عموم ملازمة طاعة الله، وذكره في أثناء طلب الرزق وغيره، في قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. بعد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

فتأتي صفة الذكر في الآية الكريمة أي: اذكروا الله في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة<sup>(٢)</sup>.

وبناء على التوضيحات المذكورة للنصوص الشرعية فإن العمل في الدعوة وكسب الرزق لصالح تحقيق الهدف الدعوي أمر يلزم الداعية أن يتمسك به عند القيام بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأن فيه ما يعطي قوة لعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الوصول إلى الهدف المرسوم لها، من حيث استغلال محل طلب الرزق بالدعوة، وقبول الدعوة من قبل المدعوين المتعاملين في ذلك المحل، ومن حيث الفوز بالرزق الحلال، ومن حيث التحلي بصفة الداعية الملتزم؛ لأن الداعية يتميز عن غيره من الناس لمكانته العظيمة عند الله ﷻ؛ لأجل قيامه بواجب الدعوة، فتحتم عليه نوعية عمله الدعوي أن يركز على ثواب دعوته أكثر من اهتمامه

(١) انظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني (٥٩/٣)،

وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٥٢/٢).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٧١/٤)، ومن الآيات الدالة على مشروعية ذكر الله وطاعته

والحرص على فعلها في أثناء كسب الرزق ثناء الله تعالى على بعض الصحابة الذين قاموا بذلك العمل الجليل بقوله تعالى عنهم: ﴿رَجُلًا لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْبِّدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ [النور: ٣٧-٣٨].

بالأرزاق الدنيوية الفانية، حيث يأتي اهتمامه بها في المرحلة الثنائية بعد المرحلة الأولى التي هي مرحلة الفوز بثواب القيام بالدعوة لمعرفته فضل الدعوة عليها، كما أشار إلى ذلك قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم خيبر عند حمل راية الجهاد لمحاربة الكفار: «... فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر<sup>(١)</sup> النعم»<sup>(٢)</sup>.

فيكون الداعية عندئذ في العمل لتحقيق المصالح الدعوية في أثناء الأعمال الدعوية والاقتصادية قد نسق وقت حياته بين الدعوة والسعي في طلب رزقه الذي هو من الأعمال الصالحة المشروعة لكل مسلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].  
ومما تدل عليه الآية الكريمة أن من أفضل الناس الداعية إلى الله مع قيامه بالأعمال الشرعية واستسلامه لجميع أوامر الله ﷻ.

وأما القيام بالدعوة والسعي في طلب الرزق فهو من أوامر الله لعباده، والحرص على تحقيقهما، وهو أيضاً حرص على أداء عمل من أفضل الأعمال المشروعة.

إذن فمصاحبة هموم نجاح الهدف الدعوي، والعمل لتحقيقه بالوسائل المشروعة في أثناء ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الأمور الشرعية التي ينبغي للداعية أن يتمسك بها في كل زمان ومكان عند قيامه بالجمع بين هذين العاملين الواجبين الشرعيين (الدعوة وطلب الرزق).

الضابط الثالث: سلوك طرق الدعوة وطرق طلب الرزق المشروعة.

المراد بسلوك طرق الدعوة وطرق طلب الرزق المشروعة في هذا البحث هو عبارة عن استخدام الداعية الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة المناسبة لمقتضى

(١) «حمر النعم» بسكون الميم من حمر وفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير من أن تكون لك فتصدق بها، وقيل: «تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها» فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٥٤٦/٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث كتاب المغازي رقم (٦٤) باب رقم (٣٨) (٥٤٤/٧).

حاله الدعوي، وكذلك استعماله ما يناسب حاله وطاقته من طرق المكاسب المشروعة عند القيام بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. والكلام في هذا الضابط يقتضي تقسيمه إلى جانبين:

أولاً- سلوك طرق الدعوة المشروعة.

أما استخدام الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة وفق مقتضى حال الداعية ودعوته ووفق حال المدعو فهو عمل مشروع لدلالة النصوص الشرعية عليه منها قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. والآية صريحة في أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أمته إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة الحسنة لكل من يحتاج إلى ذلك من المدعويين، والأمر الإلهي للنبي ﷺ يعم أمته حيث ليس في الآية ما يدل على الخصوصية له، بل هم مأمورون بوجوب الاقتداء به في اتخاذ الوسائل المناسبة، وحسن استخدامها لإقناع المدعو.

وقد وردت أقوال في المراد بالحكمة منها: أنها القرآن، وقيل إنها: الفقه وقيل: إنها النبوة<sup>(١)</sup>. وكذلك قيل في معنى «الحكمة» إنها المقالة المحكمة الصحيحة، وقيل: هي الحجج القطعية المفيدة لليقين. وقيل: الكلام الصواب الواقع من النفس أجمل موقع<sup>(٢)</sup>.

ومما جاء في معنى «الموعظة الحسنة» أنها هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. وقيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة، وقيل: وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه: «وجادلهم بالتى هي أحسن» أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة

(١) انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥٠٦/٤).

(٢) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٠٣/٣).

لكون الداعي محقاً وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مبطلاً وغرضه فاسداً<sup>(١)</sup>.

وإنما تفاوتت طرق دعوة النبي (عليه الصلاة والسلام) مع مدعويهم لتفاوت مراتبهم بالنسبة إليه<sup>(٢)</sup>. وهذا طريق الرسل عليهم السلام في الدعوة كما هو ظاهر في موقف نوح عليه السلام مع قومه في تنوعه أساليب الدعوة في محاولته لقبول قومه دعوته، ويحكي القرآن الكريم موقفه هذا في آيات عديدة منها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا \* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا \* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا \* ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا \* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩].

ويثبت للداعية بهذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص الشرعية أنه يجب عليه استخدام الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة التي يراها ناجحة في تحقيق هدف الدعوة في جميع مراحل الدعوة، والتي منها مرحلة قيامه بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، حيث إن قبول الدعوة وتأثيرها في المدعويين له ارتباط بحسن اختيار الداعية الوسائل والأساليب الملائمة لأحوالهم - بتوفيق من الله ﷻ -، ولا فرق في ذلك بين مرحلة القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها من مراحل الدعوة وأبعادها. ثانياً - سلوك طرق كسب الرزق المشروعة.

وأما الأخذ بالطرق المشروعة في طلب الرزق فهو مما حث عليه النصوص الشرعية، وحذرت عن الطرق المحرمة لطلب الرزق ومن تلك النصوص ما يأتي:

١ - قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. ومما جاء في معنى الآية: أي إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها فانتمشوا في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم.

وقوله: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي اطلبوا من رزق الله الذي يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى

(١) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٣/٢٠٣).

(٢) انظر - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغدادي (١٤/١٥٤).

عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب<sup>(١)</sup>.

إذن فالآية من النصوص الدالة على مشروعية الأخذ بطرق مشروعة لكسب

الرزق والحث عليه.

٢ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ

تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

ومما جاء في معنى الآية: أن الله تبارك وتعالى ينهى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا

أموالهم بعضهم بعضاً بالباطل، أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا

والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل<sup>(٢)</sup>.

إذن فالآية من الأدلة القطعية على تحريم سلوك طرق المكاسب المحرمة الباطلة؛

لأن الباطل كما قال الإمام ابن الجوزي: «يطلق على ما لا يحل في الشرع»<sup>(٣)</sup>.

وكما أن الآية دالة على مشروعية سلوك الطرق المشروعة لطلب الرزق

لإشارة الآية إلى إحدى الطرق المشروعة التي هي التجارة بالتراض بين البائع والمشتري

ويلحق بها كل طرق مشروعة في طلب الرزق.

٣ - ما جاء في رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا

أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن

أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»<sup>(٤)</sup>.

وفي قوله: «وأجملوا في الطلب..... وخذوا ما حل» دلالة على مشروعية

(١) انظر - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٢٧/٥) وتيسر الكريم

الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٨٣/٧-٣٨٢).

(٢) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٣٧/١).

(٣) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٦٠/٢).

(٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب التجارات باب رقم (٢) وفي الزوائد: إسناده ضعيف لأن فيه الوليد بن

مسلم وابن جريج وكل منهما كان يدلس. وكذلك أبو الزبير. وقد عنعنوه. ولكن المصنف لم ينفرد به من حديث

أبي الزبير عن جابر فقد رواه ابن حبان في صحيحه بإسنادين عن جابر. انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على

أحاديث سنن الإمام ابن ماجه (٧٢٥/٢). والحديث له شاهد يقويه حيث أخرجه الحاكم في مستدركه على

الصحيحين بلفظ آخر كتاب الرقاق، رقم الحديث «٧٩٢٤» (٣٦١/٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد

ولم يخرجاه» وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح» وكذلك يجيز جمهور العلماء العمل بالحديث الضعيف بشروطه.

راجع هامش (٢) ص/١٢١ من هذا البحث.

الأخذ بالطرق الحلال في كسب الرزق.

وكذلك في قوله: «وأجملوا في الطلب... ودعوا ما حرم» دلالة على تحريم

الطرق المخالفة للشرعية في طلب الرزق.

إذن فالحديث من الأدلة على مشروعية سلوك الطرق المشروعة لكسب الرزق

والحث عليه، ووجوب تجنب الطرق المحرمة لكسب الرزق<sup>(١)</sup>.

وبناء على توضيح النصوص الشرعية السابقة في مشروعية سلوك الطرق

المشروعة لكسب الرزق وتجنب ما حرم منها، يثبت في حق الداعية كما يثبت في حق

غيره عند سعيه لطلب الرزق، وأن يتمسك بما يسهل عليه من طرق المكاسب

المشروعة ويتعدى عن الطرق المحرمة منها؛ لأن في ذلك تطبيق للأحكام الشرعية المتعلقة

بذات الداعية في ذلك المجال، ويكون قدوة لغيره في الدعوة إلى الأخذ بتلك الأحكام

الشرعية عن طريق استخدام وسيلة الإيحاء بالعمل، فيكون بذلك موفقاً في الجمع بين

الدعوة وطلب الرزق وفق الحال المناسب له.

إذن فسلوك الطرق المشروعة لطلب الرزق ينبغي أن يلزم عملية الجمع بين

الدعوة وطلب الرزق وفق هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح (رحمهم

الله)<sup>(٢)</sup> فعلى الدعاة مراعاتها في كل زمان ومكان.

الضابط الرابع- إنفاق الرزق في المصارف المباحة.

المراد بصرف الرزق في المصارف المباحة في هذا الموضوع هو عبارة عن

إنفاق<sup>(٣)</sup> الأرزاق بعد ملكيتها في الوجوه التي أجازها الشرع.

(١) وكذلك يدل الحديث على مشروعية الأخذ بالطرق المباحة في طلب الرزق وتحريم الطرق المخالفة فيه.

وأما جميع ما ورد من النصوص الشرعية في القرآن والسنة، لبيان أحكام الطرق المشروعة لطلب الرزق على حدة كالنجارة والإجارة والزراعة وغيرها. وكذلك جميع النصوص الشرعية من القرآن والسنة لبيان أحكام الطرق

المحرمة لكسب الرزق كالربا والنهب والسرقة والغصب والرشوة وغيرها.

فمطابق بيان هذه الأحكام الكتب الفقهية وشروح كتب السنة المطهرة، وكتب أحكام القرآن الكريم وبعض الكتب المؤلفة في الاقتصاد الإسلامي.

(٢) راجع: أحوال الرسل عليهم السلام وأحوال الصحابة رضي الله عنهم في الأخذ بالطرق المشروعة في اكتساب الرزق عند

الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/ ١١٤ وص/ ٢١٠ من هذا البحث.

(٣) سبق ذكر التعريف بالإنفاق في ص/ ١٧٧ من هذا البحث.



وإن إنفاق الرزق في المصارف المباحة وترك إنفاقه في المصارف المحرمة من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية.

ومن النصوص الشرعية الدالة عليه قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ومنطوق الآية يدل على الأمر الإلهي بإباحة التزين والأكل والشرب في حدود الشرع عند الإنفاق في تلك الأمور، وكما يدل أيضاً على تحريم الإسراف بجميع أشكاله في الزينة والأكل والشرب عند الإنفاق في هذه الأمور المذكورة<sup>(١)</sup>. وكذلك يمكن قياس غير المذكور من أنواع الأرزاق على الأرزاق المذكورة في الآية.

إذن فالآية من الأدلة على مشروعية إنفاق الرزق في الوجوه المباحة وتحريم إنفاقه في الوجوه المحرمة.

ومن الأدلة على مشروعية الإنفاق في الوجوه المباحة ما جاء في رواية المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات، ووأد البنات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر عند شرح قوله ﷺ: «إضاعة المال» إن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه؛ لأن الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح، إما في حق مضيعها وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً أخروياً أهم منه...»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة

(١) انظر بالتصرف: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٢٥/٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب رقم (٧٨) باب رقم (٦) (٤١٩/١٠).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٢٢/١٠).

إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»<sup>(١)</sup>. والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب.

وكذلك ينبغي أن يتصف الإنفاق الفردي من قبل الداعية وغيره الترتيب الشرعي لإنفاق الرزق فيبدأ المسلم المنفق بسد حاجات نفسه ثم أهله والحقوق المتعلقة بذمته ثم أقاربه من والديه وغيرهما ثم الإنفاق في سبيل الله.

وأما الإنفاق في سبيل الله فهو باب واسع يدخل فيه أغلب أنواع الإنفاق في وجوه الخيرات في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ومن الأحاديث الدالة على ترتيب درجات الإنفاق الفردي ما جاء في رواية جابر رضي الله عنه قال: «أعتق رجل من بني عذر عبداً له عن دبر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ألك مال غيره؟ فقال: لا. فقال: من يشتريه مني؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلكي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووي: «في هذا الحديث فوائد منها الابتداء في النفقة بالمذكور على هذا الترتيب، ومنها أن الحقوق والفضائل إذا تراحمت قدم الأوكد فالأوكد...»<sup>(٤)</sup>.

وبناء على توضيح هذه النصوص الشرعية يلزم الداعية أن ينفق رزقه في

(١) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على صحيحين كتاب الأطعمة ١٣٥/٤. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) انظر- النظام الاقتصادي في الإسلام من عهد بعثة الرسول ﷺ إلى نهاية عصر بني أمية للدكتور مصطفى الممشري ص/٣١٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (١٣) (٨٧/٧).

(٤) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨٧/٧). ذكر علماء أصول الفقه: أن المقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم. إذن فمقصد الشارع في حكم الإنفاق داخل في المقصد العام للأحكام الشرعية وإنفاق المسلم لا يخلو من تحقيق واحدة من هذه المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.

والمراد الشرعي بالأمر الضروري والحاجي والتحسيني يتضح فيما يأتي:

الوجوه المباحة وفق هدي الشريعة<sup>(١)</sup>، حيث يكون به قدوة للمدعوين في تطبيق الأحكام المتعلقة بإنفاق الرزق، ويعزز به روح الترابط بين قيامه بالدعوة والسعي في طلب الرزق.

وينبغي للدعاة في كل زمان ومكان أن يراعوا إنفاق الأرزاق والأموال في الوجوه المباحة بعد ملكيتها للأمر الشرعي بذلك للداعية وغيره عند القيام بالدعوة أو بعدها أو في حالة أخرى.

وما ذكر في هذا المبحث من الضوابط السابقة للجمع بين الدعوة وطلب الرزق كالمحافظة على هدي الكتاب والسنة في الدعوة وطلب الرزق، وتفضيل مصالح الدعوة على الأهداف الأخرى عند الدعوة وطلب الرزق، وسلوك طرق الدعوة، وطرق طلب الرزق المشروعة، وصرف الرزق في النفقات المباحة، تضمن بعض الأمور الشرعية والعقدية دون تعرض لذكر بعض الأمور الشرعية الأخلاقية، وذلك لمقتضى تقسيم دراسة الموضوع، ولزيادة البيان فيما يتعلق بضوابط الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وعليه يأتي تفصيل الضوابط الأخلاقية في المبحث التالي وفق ما ظهر للباحث لمعالجة الموضوع، دراسة علمية مستقلة في مجال الدعوة وطلب الرزق.

= الأمر الضروري: هو ما تقوم عليه حياة الناس ولا بد منه لاستقامة مصالحهم، وإذا فقد اختل نظام حياتهم، ولم تستقم مصالحهم وعمت فيهم الفوضى، والمفاسد.

والأمور الضرورية للناس بهذا المعنى ترجع إلى حفظ خمسة أشياء: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال. فحفظ كل واحد منها ضروري للناس.

وأما الأمر الحاجي: فهو ما يحتاج إليه الناس للسر والسعة، واحتمال مشاق التكليف وأعباء الحياة، وإذا فقد لا يختل نظام حياتهم ولا تعم فيهم الفوضى كما إذا فقد الضروري، ولكن ينافهم الحرج والضيق، والأمور الحاجية للناس بهذا المعنى ترجع إلى رفع الحرج عنهم، والتخفيف عليهم ليحتملوا مشاق التكليف، وتيسر لهم طرق التعامل والتبادل وسبل العيش.

وأما التحسيني: فهو ما تقتضيه المروءة والآداب وسير الأمور على أقوم منهاج، وإذا فقد لا يختل نظام حياة الناس كما إذا فقد الأمر الضروري، ولا ينافهم حرج، كما إذا فقد الأمر الحاجي، ولكن تكون حياتهم مستنكرة في تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة.

والأمور التحسينية للناس بهذا المعنى ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وكل ما يقصد به سير الناس في حياتهم على أحسن منهاج. انظر علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف ص/ ١٩٩-٢٠٠. إذن ينبغي أن يأتي ترتيب إنفاق الرزق وفق الحاجات الضرورية والحاجية والتحسينية، بالنسبة للعبد المنفق لرزقه وماله في ضوء الحديث الشريف في بيان ترتيب الإنفاق الفردي في سد الحاجات المذكورة فيه

(١) راجع أحوال الرسل عليهم السلام في تسخير الرزق للإنفاق المشروع من ص/ ١٧٧ إلى ص/ ١٩٤ من هذا البحث، وراجع أحوال الصحابة رضي الله عنهم في إنفاق الرزق ص/ ٢٢٦ من هذا البحث.

### المبحث الثاني

الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

#### المطلب الأول

التعريف بالضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

#### المطلب الثاني

بيان الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المبحث الثاني

## الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

المطلب الأول- التعريف بالضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق  
سبق التعريف بكلمة الضوابط في المبحث الأول<sup>(١)</sup> وينبغي هنا التعريف  
بالأخلاق.

أولاً- معنى الأخلاق<sup>(٢)</sup> في اللغة.

الأخلاق جمع خلق وكلمة الخلق بضم اللام أو سكونها، لها معان متعددة  
منها: الطبع والمروءة، والدين، والسجية<sup>(٣)</sup>.

ثانياً- معنى الخلق في الاصطلاح.

للعلماء تعريفات عدة بالخلق، والتي وقفت عليها يكاد كلها يرمي لمعنى واحد  
مع اختلاف العبارات ومنها ما يأتي:

١ - الخلق: «عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة  
ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال  
الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها  
الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً»<sup>(٤)</sup>.

٢ - الأخلاق: «هي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها  
وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه»<sup>(٥)</sup>.

٣ - وقيل إن حقيقة الخلق: «أنه لصورة الباطنة وهي نفسه وأوصافها

(١) ص/٢٤٧ من هذا البحث.

(٢) وكذلك تطلق كلمة الأخلاق على علم الأخلاق وهو علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف  
بالحسن أو القبح. المعجم الوسيط (١/٢٥٢).

(٣) انظر- لسان العرب لابن منظور (٨٦/١٠) مادة (خلق)، والنهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير  
(٧٠/٢)، والقاموس المحيط للشيخ محمد الدين الفيروزآبادي (٢٣٦/٣) «مادة خلق» ط/ المطبعة الميمية بمصر.

(٤) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي بتحقيق سيد بن إبراهيم (٨٦/٣) ط/ دار الحديث  
القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، والتعريفات للجرجاني بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة  
ص/١٣٥، ١٣٦.

(٥) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص/٤٥.

ومعانيها المختصة بما بمرتلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً- التعريف بالخلق في القرآن والسنة.

أ - معنى الخلق في القرآن:

يمكن استخلاص التعريف بالأخلاق في القرآن من خلال تدبر قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم:٤].

ومما جاء في تفسير العلماء لمعنى الخلق في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾ [الفلم:٤]. ما يأتي: قيل: هو الإسلام والدين. حكاه الواحدي عن الأكثرين.

وقيل: هو القرآن. روي هذا عن الحسن والعوفي. وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من

أمر الله وينتهي عنه من نهي الله. قال الزجاج: المعنى إنك على الخلق الذي أمرك الله به

في القرآن. وقيل: هو رفقه بأمرته وإكرامه إياهم. وقيل: المعنى: إنك على طبع كريم.

قال الماوردي: وهذا هو الظاهر. وحقيقة الخلق في اللغة ما يأخذ الإنسان نفسه به من

الأدب<sup>(٢)</sup>، فَسُمِّيَ خُلُقًا، لأنه يصير كَالْخَلْقَةِ فِي صاحبه، فأما ما طبع عليه فيسمى:

«الخيم» فيكون الخيم الطبع الغريزي، والخلق الطبع المتكلف. هذا قول الماوردي:

«وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ، فقالت: كان خلقه

القرآن»<sup>(٣)</sup>. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن<sup>(٤)</sup>.

فيمكن أن يقال: إن الأخلاق في القرآن هي الصفات الحمودة فالرسول ﷺ

متمكن من أخلاقه العظيمة المثلى<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (٨٦/١٠، ٨٧).

(٢) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٢٦٧/٥).

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩١/٦).

(٤) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٢٨/٨، ٤٢٩).

(٥) انظر بالتصرف: منهج الرسول ﷺ في تربية أصحابه على ضوء سورة الحجرات، للشيخ فيصل بن علي يحيى أحمد

ص/٨٧ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. والأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حنكة الميبداني

(٣٩٦/١) ط/ دار القلم الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

وقال الإمام القرطبي عند تفسير الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. لم يذكر خلق محمود إلا كان للنبي ﷺ منه الحظ الأوفر، وقيل: «سمي خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى». وقيل: سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدل عليه قوله عليه السلام: «إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>. وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]<sup>(٢)</sup>.

ب - معنى الخلق في السنة.

وأما الخلق في السنة النبوية المطهرة فإن النبي ﷺ قد رفع من قدر الخلق في أحاديث كثيرة التي منها: قوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من خلق حسن فإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء»<sup>(٣)</sup>. وإن من أسباب رفع قدر الخلق من قبل الرسول ﷺ لأهمية الخلق في تأثيره على سلوك الإنسان فيما يصدر عنه من الأعمال.

كما قال الدكتور عبد الكريم زيدان: «لأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات»<sup>(٤)</sup>.

ويصدق ذلك قول الرسول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٩/١٨)، وأخرج الإمام أحمد الحديث في مسنده بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٣٨١/٢)، وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد باب حسن الخلق رقم (١٣٥) وحديث رقم (٢٧٣) ص/١٠٤ ط/دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، والحديث صححه الشيخ الإمام ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٤٥) (٧٥/١) ط/المكتب الإسلامي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٩/١٨).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة باب رقم (١٦) (١١٨/٦، ١١٩) وقال الإمام الترمذي:

«هذا حديث حسن صحيح»

(٤) أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص/٧٥.

(٥) قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (٣٩) (١٥٣/١).

وفي هذا الحديث بيان أن مركز إدارة الأخلاق والأعمال هو القلب<sup>(١)</sup>.  
ويظهر في بيان القرآن الكريم والسنة المطهرة لمفهوم الخلق: «أن الأخلاق هي مجموعة فضائل ومكارم يتحلى بها الشخص ليصبح عضواً صالحاً، فإذا اطمأنت نفس الإنسان بالإيمان فإنه عند ذلك جدير بأن يتربى على هذه الفضائل الحسنة»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك إن الأخلاق في مفهوم الكتاب والسنة يكتسبها المسلم دون أن يكون متعوداً عليها، أو دون أن يكون ذلك الخلق من طبعه لامتناله بأمر الرسول ﷺ بذلك في قوله ﷺ: «اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(٣)</sup>. لأن معنى قوله في الحديث: «وخالق الناس» أي: أمر من المَخَالِقَةِ مأخوذ من الخلق مع الخلق أي خالطهم وعاملهم (بخلق حسن) أي تكلف معاشرتهم بالمعاملة في المعاملة وغيرها من نحو طلاقة الوجه، وخفض جانب، وتلطف، وإيناس، وبذل ندى فإن فاعل ذلك يرجى له في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح<sup>(٤)</sup>.

وأما التعريف الآتي بالخلق فهو موافق لما دعا إليه الكتاب والسنة المطهرة من المراد بالخلق وهو ما أشار إليه الدكتور مقداد يالجن بقوله: «وأما مفهوم الأخلاق في الاتجاه الإسلامي: «فهي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر - دراسة دعوية لبعض خطب الرسول ﷺ لسيد محمد بن محمد الحسني ص/٢٣٣. أصله رسالة ماجستير

مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - المملكة العربية السعودية.

(٢) منهج الرسول ﷺ في تربية أصحابه على ضوء سورة الحجرات للشيخ فيصل بن علي يحيى أحمد ص/٨٨.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعة أبواب البر والصلة باب رقم (٥٤) (١٠٤/٦، ١٠٥). وقال الإمام الترمذي:

«هذا حديث حسن صحيح».

(٤) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (١٠٤/٦).

(٥) انظر - الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة للدكتور مقداد يالجن ص/٤٧. ط/ مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة

الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.



رابعاً- المراد بالضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

بناء على بيان تلك التعريفات اللغوية والاصطلاحية الشرعية دون الاصطلاحات العرفية يكون المراد بالضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق، هو صفات محمودة في الشرع يتحلى بها الداعية لتكون معبرة عن حاله النفسية الحسنة للمشاركة في استقامة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو تحقيق الهدف المنشود لتلك العملية. وهي مفصلة في المطلب التالي:

المطلب الثاني- بيان الضوابط الأخلاقية للجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

الضابط الأول- الحرص على ثواب<sup>(١)</sup> العمل من الله في الدعوة وطلب الرزق.

إن الله ﷻ قد وضع الثواب لكل الأعمال التي أمر العباد أن يفعلوه، وكذلك وضع العقاب لكل الأعمال المنهية التي أمر العباد أن يتركوه، كما جاء بذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وقال مقاتل عند شرح الآيتين: «فمن يعمل في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به، وكذلك من يعمل في الدنيا مثقال ذرة شراً يره يوم القيامة فيسوؤه...»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الخطاب في الآية شامل لكل أنواع الخير والشر؛ لأنه إذا رأى مثقال

(١) والثواب هو ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله فيسمى الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو هو ألا ترى كيف جعل الله تعالى الجزاء نفس الفعل في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] ولم يقل جزاءه، والثواب يقال في الخير والشر ولكن الأكثر المتعارف في الخير، وعلى هذا قوله ﷻ: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وكذلك المثوبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٠] فإن ذلك استعارة في الشر كاستعارة البشارة فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] انظر- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص/ ٨٣، ٨٤. والمرد بالثواب في موضوع هذا البحث هو جزاء العمل الصالح عند الله عز وجل.

(٢) «مثقال ذرة» أي: وزن غلة وهي أصغر ما يكون من النمل، انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني (٤٧٩/٥).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني (٤٧٩/٥).

الذرة التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى<sup>(١)</sup>.

والآية الكريمة هي إحدى النصوص الكثيرة الواردة في مشروعية الرغبة في الحصول على ثواب العمل الصالح من الله ﷻ، والتحذير من ارتكاب المعاصي المؤدية لحصول الذنوب المسببة للوقوع في عذاب الله القدير، وعقابه الأليم الشديد المحيط بالعصاة.

وأما حرص العبد على ثواب أعماله الصالحة من قبل ربه ﷻ فهو من الأخلاق الحميدة التي يحث عليها الإسلام كما جاء في الثناء الإلهي على الصحابة الذين كانوا يطلبون من الله ﷻ الثواب على أعمالهم الصالحة، لحرصهم على ذلك الثواب كما كانوا يطلبون منه ما هو أكبر من ذلك وهو رضوان الله عليهم بقول الله تعالى عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومما جاء في معنى قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾: أن من وصفهم الجميل في الدنيا أنهم يحتسبون عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله ﷻ ومن سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول<sup>(٢)</sup>.

إذن فالحرص على ثواب الأعمال الصالحة في الدنيا حتى يحقق له في الآخرة من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتمسك به المسلم سواء كان داعية أو غيره.

وأما أهمية الحرص على ثواب عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فتأتي من جانبين: أ - جانب الدعوة. ب - جانب طلب الرزق.

أولاً - الحرص على ثواب العمل الدعوي.

إن مما ينبغي للداعية أن يركز عليه من الأعمال في الحرص على ثواب العمل

(١) انظر بالتصرف: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٦٦١/٧).

(٢) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٦٠/٤).

الدعوي أن يحرص على ثواب العمل قبل الإقدام عليه ويحتسب الثواب والأجر عند الله ﷻ بعد أداء ذلك العمل ويؤمن بوفائه ﷻ بإعطاء الثواب، حيث إن ذلك من طريق المرسلين عليهم السلام كما قال تعالى عن نوح عليه السلام في مخاطبته قومه بعدما أعرضوا عن قبول دعوته: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٠٥-١١٠].

ومعنى قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي: لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذكر ثواب ذلك عند الله <sup>(١)</sup>.

إذن فالحرص على ثواب عمل الدعوة من الأمور اللازمة للعملية الدعوية، وكذلك ينبغي للداعية أن يلتزم الجد والاجتهاد في أداء العمل الدعوي باستخدام الوسائل المناسبة؛ لكي يحقق له الأجر المكتوب في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة يوم القيامة، كما جاءت التربية القرآنية للصحابة ﷺ على ذلك في قول الله تعالى لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

ومما جاء في معنى الآية أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جددوا فيهم وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد وإن تكونوا تصابون بالقتل والجراح في سبيل الله فإنهم أيضاً كذلك يحصل لهم، أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة على أعمالكم والنصر والتأييد من الله كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وهو وعد حق، وخبر صدق.

وأما الكفار فلا يرجون شيئاً من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها، والله أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويُمضيه من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال <sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٥٤/٣).

(٢) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧٣١/١).

وكذلك ما جاء في إقرار النبي ﷺ موقف عمير ؓ عندما حرص يوم بدر على دخول الجنة بعد ما سمع من الرسول ﷺ أن الشهيد يدخل الجنة جزاء على استشهاده في الجهاد، فرمى تمرات كانت في يده وشارك في المعركة حتى استشهد.

وجاء في رواية عن ابن إسحاق قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير<sup>(١)</sup> بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن، بخ، فأمّا بيبي، وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل» وهو يقول:

رَكُضاً إِلَى اللَّهِ بَغِيرِ زَادٍ	إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ	إِنَّ التَّقَى مِنْ أَعْظَمِ السَّدَادِ
وَحَيْرٌ مَا قَادَ إِلَى الرَّشَادِ	وَكَلَّ حَيٌّ فَإِلَى نَفَادِ

ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل، قتله خالد بن الأعلم<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بخ بخ قال: لا والله يا رسول الله إلارجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها...»<sup>(٣)</sup>.

إذن فالحرص على ثواب عمل الدعوة والاجتهاد فيه من الأسباب المؤدية إلى النجاح في العمل والتوفيق فيه، والقضاء على معاناته وصعابه، وتخفيفها في سبيل الدعوة سواء عند التفرغ للدعوة أو عند اقترائها بغيرها من طلب الرزق وغيره.

(١) عمير بن الحمام هو صحابي جليل واسمه عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي وقتل بدر، وهو أول قتل من الأنصار في الإسلام في حرب قتله خالد بن الأعلم.

انظر - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢٩٠/٤، ٢٩١.

(٢) أخرجه الإمام ابن إسحاق في السيرة النبوية لابن هشام ١٩٦/٢ دون أن يذكر الأبيات. وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير ٢٩٠/٤، ٢٩١. وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين بلفظ آخر، كتاب معرفة الصحابة رقم «٣١» ذكر مناقب عمير بن حمام بن جموح، حديث رقم «٥٧٩٨» قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (٤٨١/٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (٩/٤) رقم الحديث

«١٩٠١» (١٥٠٩/٣، ١٥١٠).

ثانياً- الحرص على ثواب العمل المتعلق بجانب الرزق.

وكذلك ينبغي للداعية أن يحرص على ثواب أعماله للفوز به عند ممارسة كل عمل متعلق بالرزق سواء في ذلك ما تعلق بطرق كسبه أو ملكيته أو إنفاقه، حيث يجب عليه أن يطبق شريعة الله في التعامل مع تلك الأمور كلها حتى يحصل على ثواب الله المترتب على فعل تلك الأمور.

والنصوص الشرعية كثيرة بأساليب متنوعة في الحث على الحرص على ثواب الله في طلب الرزق ومتطلباته وفق هدي الشريعة.  
ومن تلك الأساليب ما يأتي:

١ - أسلوب اعتبار السعي في طلب الرزق من أنواع الخروج في سبيل الله لما فيها من الثواب الجزيل عند الله إذا كان ذلك السعي لطلب الرزق في مرضاة الله ﷻ وبعيداً عن كل المخالفات الشرعية.

٢ - أسلوب اعتبار إنفاق الرزق من أنواع الجهاد في سبيل الله في الثواب، وذلك بعد ملكية الرزق مع إنفاقه على الولد والوالدين وعلى النفس لعفها عن الإقدام إلى المعاصي.

كما في رواية عن كعب بن عجرة ؓ قال: «مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»<sup>(١)</sup>.

٣ - أسلوب ذكر قصة من فاز بعد وفاته بجزاء عمله في مجال طلب الرزق لحرصه في الدنيا على ذلك الثواب عند الله بعد الموت.

(١) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث «٨٢» (١٢٩/١٩) وقال الإمام المنذري: «رجالهم رجال الصحيح» انظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف له (٥٢٤/٢). وقال الإمام الهيثمي: «رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال الكبير رجال الصحيح». انظر: مجمع الزوائد (٣٢٥/٤) ط/ دار الريان للتراث - القاهرة، بيروت.

كما جاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانہ: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»<sup>(١)</sup>.

ومما يستفاد من الحديثين: أن سبب بيان فضائل تلك الأعمال المذكورة في الحديثين هو الحرص على ثواب فعل تلك الجوانب المتعلقة بالرزق للفوز به سواء عند التفرغ بالعمل في مجال طلب الرزق ومتعلقاته، أو مع اقترانه بالعملية الدعوية أو غيرها. وكذلك يجب على الداعية عند الحرص على ثواب الأعمال أن يخاف عقاب الله نتيجة الوقوع في معصية الله ورسوله ﷺ سواء ما تعلق بالجوانب الدعوية أو بجوانب طلب الرزق، وإنفاقه لدخول ذلك في عموم الأمر بالوقاية من عقاب الله وتجنب كل أنواع المعاصي وامتنال الطاعات كما في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]<sup>(٢)</sup>.

وبناء على التوضيحات السابقة حول النصوص الشرعية فإن تحلي الداعية بخلق الحرص على ثواب الأعمال عند ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق أمر ضروري يلزم هذه العملية، حيث لا تنفك تلك العملية عن هذا الحرص النبيل. وينبغي للدعاة في كل زمان ومكان، أن يلتزموا هذا النوع من الأخلاق في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وفق هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح (رحمهم الله)<sup>(٣)</sup>.

الضابط الثاني- العدل في المعاملة الدعوية وطلب الرزق.

أ - معنى العدل ومشروعيته.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (١٨) رقم الحديث (٢٠٧٨) (٣٦١/٤)، والأحاديث كثيرة جداً في بيان فضائل كل جزئية متعلقة بطلب الرزق ومتطلباته، ومظاهرها في كتب السنة المطهرة.

(٢) ومما جاء في معنى الوقاية في قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]. أي وقاية النفس بامتنال الأوامر واجتناب النواهي، ووقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطاعة، وينهوا عن المعصية، انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣١٢/٨، ٣١٣).

(٣) راجع بعض أحوال الرسل عليهم السلام في خشية الله ﷻ في ص/ ١٠٧ من هذا البحث.

معنى العدل في اللغة: العدل بفتح العين وسكون الدال مصدر عدل ويأتي بعده ألفاظ منها: عَدَلَ عَدْلًا وَعَدَالَةً وَعُدُولًا وَمَعْدَلَةً وَمَعْدَلَةً، وكذلك يطلق على عدة معان منها: الاستقامة فيقال: استقام في حكمه، أي حكم بالعدل. ومنها: المساواة، فيقال: عَدَلَ بِرَبِّهِ عَدْلًا أي: أشرك وسوى به غيره. ومنها: الرجوع، فيقال: عَدَلَ فِي أَمْرِهِ عَدْلًا أي: رجع عنه. ومنها: الفداء: كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]. وغير ذلك من المعاني<sup>(١)</sup>.

وأما المعنى اللغوي المناسب لموضوع البحث فهو معنى الاستقامة والاعتدال والعدل أو العدالة في المعنى الاصطلاحي الشرعي، وهو: «عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينه»<sup>(٢)</sup>.

وتوجد اصطلاحات أخرى للعدل وفق الفنون العلمية، ولكن المقصود في موضوع هذا البحث هو الاصطلاح الشرعي.

إذن فيكون المراد بالعدل في المعاملة عند الدعوة وطلب الرزق وإنفاقه في هذا البحث، هو التزام الداعية خلق العدل والاستقامة في معاملته مع نفسه ومع غيره في أثناء تنفيذ عملية القيام بالدعوة والسعي في كسب الرزق وإنفاقه لأجل تحقيق الهدف الدعوي فيها.

#### ب - مشروعية العدل.

وإن التحلي بخلق العدل من الأمور التي أوجبها الإسلام على كل مسلم بنصوص شرعية كثيرة، والتي منها:

١ - قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]. وتعني الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ

(١) انظر - لسان العرب لابن منظور (٤٣٠/١١ - ٤٣٧) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٦/٤، ٢٤٧)

ومعجم الوسيط (٥٨٨/٢). وأما العدل في أسماء الله سبحانه فهو بمعنى الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً. انظر - لسان

العرب لابن منظور (٤٣٠/١١).

(٢) التعريفات للجرجاني ص/١٩٢.

مَعَكَ» أن الله تعالى يأمر رسوله ﷺ وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة على طاعة الله عند أداء كل الأمور<sup>(١)</sup>. والأمر هنا يقتضي الوجوب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]. النهي عن الطغيان لأن الطغيان مضاد للعدل والاستقامة. والنهي يقتضي التحريم.

إذن فالآية تؤكد ضرورة التمسك بالعدل بتحريم ما يخلفه من الطغيان.

٢ - قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ومما جاء في معنى أمره سبحانه وتعالى بالعدل: أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين<sup>(٢)</sup>.

والأمر في الآية يقتضي وجوب القيام بالعدل.

٣ - ما جاء في رواية سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووي عند تعليقه على الحديث: «قال العلماء معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى، قالوا: وهي من جوامع الكلم، وهي نظام الأمور، وبالله التوفيق»<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث من الأحاديث الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان بالله مع الاستقامة والعدل في تطبيق متطلبات الإيمان.

(١) انظر بالتصرف تفسير القرآن العظيم تأليف الإمام ابن كثير ٦٦/٢.

(٢) انظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (٣/١٨٧، ١٨٨)،

وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٧٦٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (١٣) (٢/٣٢٨).

(٤) رياض الصالحين للإمام النووي ص/٥٨.



وهذا يشمل كل أمور الدين سواء فيها ما تعلق بالدعوة أو طلب الرزق. إذن، فيجب على الداعية أن يتخلق بخلق العدل في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، ويتقيد بمقتضيات العدل المشروع في كل ما من شأنه أن يكون فيه تحقيق هدف الدعوة عند قيامه بالدعوة أو طلب الرزق؛ لأن استعمال العدل فيهما من الأمور التي تستقيم بها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في مسارها الصحيح.

مستلزمات عدل الداعية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

هناك أمور لازمة للعدل ينبغي للداعية أن يتمسك بها عند عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وهي كثيرة ومن أبرزها ما يأتي:

١ - العدل بين الداعية وربه.

ويكون العدل بين الداعية وربه بالتزام الداعية بأوامر الله واجتناب نواهيه وتقديم رضا الله وسنة رسوله ﷺ على هواه أو هوى غيره من المخلوقين عند تنفيذ أي عمل في الدعوة ومتعلقاتها أو في طلب الرزق ومتعلقاته؛ لأن في ذلك كمال الإيمان والاستسلام لحكم الله ورسوله ﷺ كما جاء تأكيد وجوب الانقياد لحكم الله ورسوله ﷺ للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢ - العدل بين الداعية ونفسه.

إن مما ينبغي أن يكون عليه عدل الداعية بينه وبين نفسه هو أن يسلك كل الطرق والأخلاق المؤدية به لنجاحه في دينه ودنياه وبجانبه كل سبل وأخلاق سيئة ومهلكة ومحرفة عن الصواب في دينه ودنياه وذلك، عند ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأن ذلك يدخل في عموم الأمر بإنقاذ النفس من الهلاك وأسبابه والسعي بها إلى السعادة والفلاح وأسبابه، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ

مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: ٧-١٠].

ومما جاء في معنى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أنه يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله، وقد خاب من دساها، أي دساها أي أحملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتماً ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ. وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دس الله نفسه. يمكن العمل بالمعنيين لأن المعنى الأول يتناسب مع سياق الآية، والمعنى الثاني لورود الأحاديث في تفسيرها به<sup>(١)</sup>.

فالآية مع غيرها من النصوص القرآنية دالة على وجوب اتخاذ العبد مع نفسه الطريق المستقيم في جميع أمور الدين والدنيا<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - العدل بين الداعية والعباد:

إن مقتضيات العدل من قبل الداعية إلى العباد كثيرة منها ما يأتي:

#### أ - بذل النصيحة للناس.

إن من العدل للناس بذل النصيحة لهم بالأمانة الصادقة لهدايتهم إلى ما فيه صلاحهم، وتحذيرهم عما فيه شقاؤهم وبؤسهم بالوسائل والأساليب الدعوية الملائمة لحال المدعوين، اقتداء بالرسول عليهم السلام في دعوتهم الناس، كما صرح نبي الله هود عليه السلام بذلك لقومه في قول الله تعالى عنه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

#### ب - حسن معاملة المدعوين.

إن من عدل الداعية إلى المدعوين المستجيبين حسن معاملتهم وخفض الجناح لهم، وعدم التفريق بينهم بالمعاملة الحسنة من حيث الغنى والفقر أو من حيث القوة والضعف، أو من حيث القرب والبعد، وأن يصير على أذاهم ليجمع شملهم ويهديهم إلى الحق والصواب اقتداء في ذلك بالرسول عليهم السلام، كما أمر الله الرسول محمد

(١) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٦٦٦، ٦٦٧).

(٢) كما في قول الله تعالى للمؤمنين بإنفاذهم أنفسهم من الهلاك وأسبابه: ﴿وَأَلْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿بِحَسَنِ مَعَامَلَةِ الْمَدْعُوعِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ وَالَّتِي مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقوله تعالى له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وكذلك من عدل الداعية إلى المدعو غير المستجيب حسن معاملته إياهم وفق الهدى الشرعي في ذلك لدخوله في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الآدميين، وغيرهم.

كما جاء بيان ذلك للصحابة الذين تأثموا من صلة بعض أقاربهم المشركين وظنوا أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه في قول الله تعالى لهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]<sup>(١)</sup>.

وكذلك من عدل الداعية إلى المدعوين المستجيبين منهم وغير المستجيبين عدم الإساءة إلى أحد منهم أو خيانتهم أو الانتقام منهم لنفسه اقتداء في ذلك بالنبي ﷺ. وجاء في رواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام النووي عند شرح الحديث: «في هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرماً أو نحوه، وفيه أنه

(١) انظر - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣٥٦/٧)، (٣٥٧). وللعلماء أقوال في حكم الإحسان إلى الكافر غير المعادي، والراجع هو جواز الإحسان إليهم. انظر - تفسير آيات الأحكام - أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٥٣٦/٤، ٥٣٧)، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨٠/١٥) والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤٠/١٧) والنفقات العامة في الإسلام دراسة مقارنة للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص/٣٠٢-٣٠٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب رقم (٢٣) (٦٥٤/٦).

يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله»<sup>(١)</sup>.

وكل ما سبق ذكره من مقتضيات العدل للداعية يشمل أحواله في معاملته الناس عند دعوته وعند سعيه لكسب رزقه.

وعليه يجب أن يلتزم بهذا الخلق النبيل حتى يستقيم سيره في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، امثالاً بالأمر الإلهي بالعدل والاستقامة في طاعة الله ورسوله ﷺ، «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» [النحل: ٩٠].

وعلى الدعاة في كل زمان ومكان مراعاة التحلي بخلق العدل في أثناء ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وفق هدي الكتاب والسنة المطهرة.

الضابط الثالث - القناعة بمقسوم الله بين العباد.

— معنى القناعة ومشروعيتها:

القناعة مصدر قنع بكسر النون ومعناها في اللغة هي الرضا بالقسمة وقيل: هي الاقتصار على الكفاف ولكن أغلب اللغويين يعنون بها المعنى الأول<sup>(٢)</sup>. والمعنى اللغوي المقصود به في هذا البحث هو المعنى الأول.

وأما المراد بالقناعة بمقسوم الله بين العباد في موضوع هذا البحث، فهو رضا الداعية بما أعطاه الله من الأرزاق الظاهرة والباطنة<sup>(٣)</sup>، ويعمل في الدعوة وطلب الرزق حسب ما يملكه من أنواع الأرزاق لتحقيق الأهداف الدعوية.

إن رضا العبد بما قسمه الله تعالى له من الأرزاق هو من الأخلاق التي حث عليها الإسلام بنصوص شرعية كثيرة، والتي منها ما يأتي:

١ - ما جاء في رواية حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعِفْهُ

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٩٢/١٥).

(٢) انظر - التعريفات للجرجاني ص/٢٢٨، والمعجم الوسيط (٧٦٢/٢، ٧٦٣) ولسان العرب لابن منظور (٢٩٧/٨، ٢٩٨).

(٣) سبق ذكر أنواع الأرزاق بالتفصيل في هذا البحث ص/٧.

الله، ومن يستغن يغنه الله»<sup>(١)</sup>.

ومن فوائد الحديث، الحث على القناعة بما قسمه الله من الأرزاق بين العباد، والتنفير عن كل ما يفسد ذلك من سلوك طرق محرمة كالسؤال مع الغنى لاستكثار المال. وكما يدل على الاستعانة بالله على الكف عن ارتكاب المحرمات والاستغناء بالرزق الموجود مع العبد<sup>(٢)</sup>.

والقناعة من الأخلاق التي ينبغي للداعية أو غيره أن يلتزمها في جميع أحواله سواء عند الدعوة أو كسب الرزق؛ لأنها تؤدي إلى الفلاح من الوقوع في كثير من المهالك والسوء، كما يؤدي إلى الفوز برضا الله ﷻ. كما يفهم من حديث الرسول ﷺ قال: «أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»<sup>(٣)</sup>.

— مستلزمات القناعة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

ومستلزمات خلق القناعة كثيرة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ينبغي للداعية أن يتحلى بها، ومن أبرزها ما يأتي:

أ - قناعة القلب.

إن مما ينبغي للداعية في التحلي بخلق القناعة أن يكون القلب مصدر قناعته عند الأعمال، ويسخر قلبه لمرضاة الله ورسوله ﷺ وَيُسَبِّعُهُ وَيُقْنَعُهُ بما رزقه الله من الأرزاق المختلفة الظاهرة منها والباطنة<sup>(٤)</sup> لتسيير أموره في الدعوة وطلب الرزق؛ لأن محل القناعة هو قلب العبد حيث منه يصدر الفعل ويظهر أثره بالعمل في الظاهر، كما جاء في رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (١٨) رقم الحديث (١٤٢٧) (٣/٣٤٥).

(٢) انظر بالتصرف: فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣/٣٤٥-٣٥٠) وص/٣٩٣، ٣٩٤، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (٧/١٣٦-١٤٠) ومرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (٤/٣٤٦-٣٥٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٤٣) رقم الحديث (١٠٥٤) (٧/١٥١، ١٥٢). والحديث من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص عنه.

(٤) سبق ذكر أنواع الأرزاق الباطنة في ص/ ١٠.

النفس»<sup>(١)</sup>.

ب - بناء القناعة على الأسس الإيمانية.

إن مما ينبغي للداعية أن يبني عليه قناعته أن يؤمن أن جميع ما يملكه من الأرزاق قسمة الله ﷻ بين العباد ويشكر الله على ما وجده من تقسيمات نعم الله سواء قل نصيبه أو كثر، وأن لا يحزن على القليل ولا يفرط في الكثير، وأن يضع ثقته بالله ﷻ في العمل بما معه من الأرزاق الذي أعطاه إياه لأنه مدبر الأمور كلها في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى عن نفسه في معرض آياته لعباده: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢].

ج - العمل في الدعوة وطلب الرزق في حدود القناعة.

إن من التحلي بخلق القناعة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، قيام الداعية بالعمل فيها في حدود استطاعته من الأرزاق التي رضي بها من الله ﷻ من الأرزاق الظاهرة كذهب وفضة وغنم وعقار ومسكن وموطن وغيرها، وكذلك العمل في حدود ما أعطاه الله من الأرزاق الباطنة كالهداية إلى الإسلام والعزة والجاه والمنصب والعلم والمعرفة والصحة والقوة والنشاط والمحبة والأولاد والعشيرة وغيرها وحب الإيمان والتقوى والصلاح والأمن والسكينة وغيرها، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وكذلك يسعى الداعية لتعزيز قوة تلك الأرزاق بأساليب مشروعة في تحقيق

الأهداف الدعوية.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب رقم (١٥) (٢٧٦/١١).

وللعلماء أقوال في بيان معنى الحديث، ولكن ما توصل إليه الإمام ابن حجر بعد إيراده أقوال بعض العلماء حول الحديث فقال: «والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله، ولا يحرص على الزيادة لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبداً في طلب الزيادة من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف فكأنه فقير من المال لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب...» فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٢٧٧/١١).

وأما إذا عجز من تحقيق تلك الأهداف الدعوية فتجوز له الاستعانة بغيره في إنجاز تلك المهمة الدعوية، وإن لم يجد أحداً لذلك فهو معذور<sup>(١)</sup>.

والعذر هو ما يتعذر عليه المعنى على موجب الشرع إلا بتحمل ضرر زائد<sup>(٢)</sup>.  
وأما التحلي بخلق القناعة في تحقيق حصول رزق، فينبغي للداعية أن يعمل طوال مراحل سعيه لكسب الأرزاق الظاهرة أن يرضى بما يسلكه من طرق كسب الرزق الحلال، ويجد فيه حتى يكسب ما كتب له من الأرزاق ولا ينتقل منه لأية طرق محرمة لكسب الرزق، وإن كان لابد له من الانتقال إلى طرق أخرى فليكن من الطرق المشروعة لدخول ذلك في عموم الأمر بسلوك الطرق المشروعة لطلب الرزق<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ينفق ما يجد من الأرزاق في حدود الطاقة والاستطاعة في المباحات حتى لا يخرج به ما فوق طاقته إلى الحرام.

كما في قول الله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]<sup>(٤)</sup>.

إذن فعمل الداعية في دائرة القناعة بمقسوم الله ﷻ له من الأرزاق الظاهرة والباطنة عند القيام بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ينبغي أن يكون مبنياً على ما يستطيع من الأساليب المشروعة للرضا بالأرزاق، أو مبنياً على ما يستطيع من

(١) كما هو ظاهر في إقرار الرسول ﷺ الصحابة رضوا على استعانة بعضهم ببعض على أداء المهمة الدعوية عند عجز الآخر عنها، أو توقف بعضهم عن أداء المهمة الدعوية لعذر، والآيات والأحاديث كثيرة في إقرار هذا الحكم. ومن الآيات الدالة عليه ما نزلت في حق الصحابة المعذرين عن مشاركة الرسول ﷺ في الجهاد بقول الله تعالى عنهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا لَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢]. انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٥٠٢، ٥٠٣). سبب نزول الآيات

(٢) انظر- التعريفات تأليف الجرجاني ص/١٩٢.

(٣) راجع بعض النصوص الواردة في وجوب سلوك الطرق المشروعة لطلب الرزق في ص/٤٤ من هذا البحث.

(٤) وإن كان موضوع الآية متعلقاً بالإنفاق على المرضعات ولكن الحكم عام لكل أنواع الإنفاق حيث لا يوجد في الآية ما يدل على الاختصاص بالمرضعات فقط.

استخدام الوسائل المشروعة المؤدية إلى ملكية تلك الأرزاق، ومبنيًا على ما يستطيع من إنفاق تلك الأرزاق في الوجوه المباحة.

وإن خلق القناعة بقسمة الله لأرزاق الظاهرة والباطنة من الأخلاق التي تستقيم بها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو تحقيق أهدافها المرسومة. على الدعاة في كل زمان ومكان مراعاة هذا الخلق النبيل في جمعهم بين الدعوة وطلب الرزق وفق هدي الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

الضابط الرابع - الصبر في الدعوة وطلب الرزق.  
أولاً - معنى الصبر في اللغة.

الصبر مصدر مأخوذ من صبر، وله عدة معان منها ما يأتي:

١. الصبر بمعنى النصب على القتل. فيقال: صبر الإنسان على القتل: نصبه عليه.
  ٢. الصبر بمعنى التجلد فيقال صبر على الأمر احتمله ولم يجزع.
  ٣. الصبر بمعنى الجراءة، ومنه قوله ﷺ: «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» [البقرة: ١٧٥] أي: ما أجراًهم على أعمال أهل النار.
  ٤. الصبر بمعنى الحبس وهو أصل الصبر. وكل من حبس شيئاً فقد صبره، ومنه الحديث: «نَهَى عَنِ الْمَصْبُورَةِ وَنَهَى عَنْ صَبْرِ ذِي الرُّوحِ»<sup>(٢)</sup>. والمصبورة التي نهى عنها هي المحبوسة على الموت. وكل ذي روح يصبر حياً ثم يرمى حتى يقتل، فقد قتل صبراً. ويقال: فلان صبر نفسه أي حبسها وضبطها كما في قول الله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ» [الكهف: ٢٨]<sup>(٣)</sup>.
- وهناك معان أخرى للصبر<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع بعض مواقف الرسل عليهم السلام في الرضا بمقسوم الله من هذا البحث في ص/ ١٣٩ .  
(٢) ويبدو أن هذا الحديث مروي بالمعنى والله أعلم حيث جاء برواية الإمام ابن ماجه في سننه بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبراً» كتاب الذبائح باب رقم (١٠) (١٠٦٤/٢).  
(٣) انظر - لسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٣٨، ٤٣٩) والمعجم الوسيط (١/ ٥٠٥، ٥٠٦) ومعجم المقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق عبدالسلام محمد هارون (٣/ ٣٢٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٧، ٨).  
(٤) انظر - المراجع السابقة، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/ ٢٧٣، ٢٧٤، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن قيم الجوزية ص/ ٢٥. ط/ مكتبة الساعي - الرياض.



وأما المعنى اللغوي المقصود بالصبر في هذا الموضوع فهو الحبس وما يؤدي إلى معناه كالجلد والتحمل وغيره.

ثانياً - معنى الصبر في الاصطلاح.

جاءت أقوال العلماء كثيرة حول المعنى المراد بالصبر ومنها ما يأتي:

أ - حقيقة الصبر هو: خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها، وهذا من تعريفات الإمام ابن القيم الجوزية بالصبر<sup>(١)</sup>.

ب - وقال أيضاً: «قل: إن النفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره»<sup>(٢)</sup>.

ج - وقال الإمام الراغب الأصفهاني: «الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه»<sup>(٣)</sup>.

د - وقيل: «الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة»<sup>(٤)</sup>.

هـ - قال ذو النون: «الصبر هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة»<sup>(٥)</sup>.

وهناك تعريفات أخرى للصبر، وأما هذه التعريفات المذكورة للصبر وغيرها من التعريفات التي ذكرها العلماء، يدور كلها حول حبس العبد نفسه على فعل الطاعات وحبسها عن ارتكاب المعاصي، وتحمل المشاقات في سبيل ذلك.

إذن فالمراد بالصبر في الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع، هو عبارة عن تحلي الداعية بحبس نفسه على القيام بالأعمال الدعوية والسعي في طلب الرزق على

(١) انظر - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن قيم الجوزية بتحقيق محمد علي أبو العباس ص/٢٢.

(٢) المرجع السابق ص/٢٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/٢٧٣.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن قيم الجوزية ص/٢٢.

(٥) المرجع السابق.

وجه شرعي مع تحمل الصعاب الواردة في سبيلهما لأجل تحقيق الهدف الدعوي.  
— مشروعية الصبر.

وإن الصبر من الأخلاق التي حث عليها الشرع بنصوص كثيرة والتي منها:  
قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. والحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: «لن تعطوا عطاء خيراً أو سع من الصبر»<sup>(١)</sup>.

ومن دلالات الآية الكريمة والحديث النبوي أن الصبر خلق مشروع ينبغي أن يتحلى به كل مسلم عند الحاجة إليه في جميع الأعمال سواء منها ما كان دعوياً أو غيره<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً— التحلي بالصبر في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

إن الصبر في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق يقتضي جانبين:

أ — جانب الدعوة. ب — جانب طلب الرزق.

أ — الصبر في جانب الدعوة.

إن صبر الداعية في جانب الدعوة يتطلب مواقف كثيرة للصبر ومنها ما

يأتي:

١ — الصبر على تحمل معاناة الأداء.

(١) أخرجه الإمام البخاري في بطول الحديث برواية عطاء بن يزيد عن أبي سعيد عنه في كتاب الرقائق باب رقم (٢٠) (٣٠٩/١١).

(٢) وقد قسم العلماء حكم الصبر باعتبار متعلقاته إلى خمسة أحكام: واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح. وكذلك قسموا الصبر الواجب ثلاثة أنواع: أحدها: الصبر عن المحرمات، والثاني: الصبر على أداء الواجبات. والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها. كالأمراض والفقر وغيرها. وأما الصبر المندوب فهو: الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله. وأما الصبر المحظور فأنواع: منها الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت، وغيره من أنواع الصبر المحظور. وأما الصبر المكروه فهو أنواع أيضاً منها: صبره عن فعل المستحب، ومنها صبره على فعل المكروه وغيره من أنواع الصبر المكروه. وأما الصبر المباح فهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه، وبالجملته فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه. والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر على المباح مباح والله أعلم. انظر بالتصرف: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام ابن قيم الجوزية ص/٣٧، ٣٨.

إن من مواقف صبر الداعية أنه يجب عليه أن يصبر على تحمل معاناة الأعمال الدعوية في جميع جوانبها سواء عند الإعداد الذاتي، أو عند إعداد الغير له لبلوغ منصب الداعية الناجح، أو عند استخدام الوسائل الدعوية وأساليبها، أو عند التعاون مع الآخرين من الدعاة في أداء المهمة الدعوية، أو عند المعاملة الدعوية للمدعوين المستجيبين وغيرهم، لدخول ذلك في عموم الأمر بالصبر على معاناة طاعة الله من جهاد في سبيل الدعوة وغيرها، بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. أي اصبروا على مشاق الطاعات وما يمسكم من المكارِه والشدائد، وكذلك غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الجهاد، ولا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الصبر على المكارِه.

إن من مواقف صبر الداعية في الدعوة، أن يصبر على الصعاب والمكارِه وجميع أنواع الأذى المقصودة له ولدعوته سواء منها ما صدر من قبل المدعوين المستجيبين بغير قصد<sup>(٢)</sup>، أو ما صدر من قبل المدعوين المعارضين غير المستجيبين، أو ما كان ابتلاء من الله له من حوادث الدهر.

فعلية أن يصبر في كل ذلك اقتداء فيه بالرسول عليهم السلام، كما جاء الثناء الإلهي على مواقف بعض رسله عليهم السلام في الصبر على أذى أعدائهم بقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]. أي جاء لهم النصر في الدنيا بعدما نالهم التكذيب والأذى البليغ من قومهم، وهذا أيضاً سنة الله لعباده المؤمنين في

(١) انظر بالتصرف: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي (٢/٣٣٦).

(٢) ولدلالة الأمر الإلهي للرسول محمد ﷺ بوجوب الصبر على ما يصدر من المدعوين المستجيبين من أذى بقوله تعالى له: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. والأمر الإلهي للنبي ﷺ أمر لأمته حتى يدل دليل على تخصيصه، وليس في الآية تخصيص له بهذا الحكم دون غيره.

دعوتهم إلى دين الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

٣ - الصبر على تطبيق أحكام الله ورسوله ﷺ في الدعوة.

إن من مواقف صبر الداعية في الدعوة أن يصبر على تطبيق أحكام الله ورسوله ﷺ في جميع مراحل الدعوة وغيرها وأن يتجنب من ارتكاب كل ما من شأنه إعاقة العملية الدعوية من المخالفات الشرعية وغيرها اقتداء منه في ذلك بالرسول عليهم السلام، كما هو ظاهر في عمل الرسول ﷺ بحكم ربه في جميع مراحل الدعوة وغيرها بقول الله تعالى عنه: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]. ولورود النصوص الكثيرة في وجوب طاعة الرسول ﷺ والحث عن مخالفته في الدعوة أو غيرها، ومن تلك النصوص الشرعية قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. والعمل بحكم الرسول ﷺ يشمل جميع أوامر الله ﷻ وأوامر رسوله ﷺ في الدعوة وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وحكم مخالفة أمر الرسول ﷺ يشمل حكم مخالفة أوامر الله ﷻ وأوامر الرسول ﷺ. والصبر من الأخلاق المساعدة على تنفيذ طاعة أمر الله ورسوله ﷺ وتجنب نواهيها.

إذن فالصبر من مستلزمات نجاح الأعمال الشرعية التي منها الدعوة إلى الله ﷻ نحو تحقيق أهدافها سواء عند التفرغ بالدعوة، أو عند مقارنتها بعمل آخر من طلب الرزق وغيره.

ب - الصبر في جانب طلب الرزق.

إن صبر الداعية في جانب طلب الرزق يتطلب مواقف كثيرة للصبر، منها ما

يأتي:

(١) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٧٧/٢).

## ١ - الصبر على تحمل مشاق طلب الرزق.

إن من مواقف صبر الداعية عند طلب الرزق، أن يصبر على المشاقات والصعاب المرتبطة بطرق طلب الرزق ووسائل المحافظة على الرزق من الضياع والتلف ومعاناة بذل الجهد في استثماره؛ لدخول هذا النوع من الصبر في عموم الأمر بالجد والصبر في سبيل الفوز برزق الله الذي يعف العبد عن الحرام، لما جاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول»<sup>(١)</sup>.

ويدل قوله ﷺ في الحديث: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره» ويدل قوله: «خير له من أن يسأل رجلاً» على الحث على تحمل مشقة السعي في طلب الرزق للاستغناء به عن الحرام والفوز بثواب ذلك<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - الصبر على شدة الإنفاق.

إن من مواقف صبر الداعية عند طلب الرزق أن يصبر على شدة الإنفاق في المصارف المباحة، ويؤثرها على غيرها من المصارف المحرمة، ويختار فيها الجهات المفضلة المشروعة للإنفاق لورود الثناء الإلهي في ذلك على الصحابة رضي الله عنهم الذين سلموا من البخل والشح، وصبروا على شدة الإنفاق بإيثار غيرهم بالعطاء على أنفسهم به، وذلك بقوله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ<sup>(٣)</sup> وَمَنْ يُوقِ شُحَّ<sup>(٤)</sup> نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بطوله رقم الحديث «١٠١٥٥» (٤٧٥/٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٢) انظر بالتصرف: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري (٣/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) (خصاصة) أي: حاجة وفقر انظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ٢٠١/٥.

(٤) (شح النفس): وردت في معناه أقوال كثيرة منها: أن الشح هو البخل مع الحرص وقيل الشح أشد من البخل. وقيل غير ذلك انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر بالتصرف: المرجع السابق

والنصوص الشرعية كثيرة في الحث على الصبر على مرارة الإنفاق في النفس.

### ٣ - الصبر على تطبيق الأحكام الشرعية فيما يتعلق بالرزق.

إن من مواقف صبر الداعية عند طلب الرزق، أن يصبر على تطبيق الأحكام الشرعية في كل ما يتعلق بالرزق ومتطلباته كالصبر على سلوك طرق مشروعة لطلب الرزق، والصبر على تجنب الطرق المحرمة له<sup>(١)</sup> والصبر على الإنفاق في الوجود المشروعة والصبر على تجنب الوجوه المحرمة له<sup>(٢)</sup>.

### ٤ - الصبر على المكاره فيما يتعلق بالرزق.

إن من مواقف صبر الداعية عند طلب الرزق أن يصبر على ما يتلى به من فقر وفاقة، وفساد الأموال من أعدائه أو من معارضي الدعوة أو غيرهم فيحتسب الأجر عليه عند الله ﷻ، ولا يمنعه ذلك الابتلاء من القيام بأداء واجب الدعوة بل يؤديها بقدر حاله وحدود طاقته لدخول هذا النوع من الصبر في عموم الأمر بالصبر على الأذى في سبيل الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك لا يمنعه ذلك الضرر من الاستمرار في سعيه لطلب الرزق، بل يكتسب رزقه بوسيلة مشروعة مناسبة لحاله في تلك الظروف؛ لورود النصوص الشرعية الكثيرة على إثبات هذا النوع من الصبر بأساليب متنوعة التي منها: أسلوب الثناء الإلهي على الصابرين على مختلف البلايا التي يتلون بها، وبيان جزائهم عليها، يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والآيات الكريمات من الأدلة على وجوب الصبر عند المصيبة من مرض وخوف وفساد الأموال وغيرها، وتسليم الأمر لله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع بعض النصوص الواردة في النهي عن سلوك الطرق المحرم لطلب الرزق في ص/ ٢٦٠ من هذا البحث.

(٢) راجع بعض النصوص الواردة في النهي عن الإنفاق في الوجوه المحرمة في ص/ ٢٦٢ من هذا البحث.

(٣) راجع بعض النصوص الواردة في صبر الداعية على المكاره في الدعوة في ص/ ٢٨٩ من هذا البحث.

(٤) انظر بالتصرف: تفسير البغوي «معالم التنزيل» للإمام البغوي (١/ ١٦٩-١٧١).

وهذا يقتضي العمل بما ينبغي عمله بعد المصيبة من الأعمال الدعوية، والسعي في طلب الرزق وغيرهما اقتداءً بهدي الرسل عليهم السلام في ذلك<sup>(١)</sup>.

إذن فتحلي الداعية بخلق الصبر يؤيد ستقامة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو تحقيق أهدافها؛ لأن الصبر وسيلة قوية في حل كثير من المشاكل ومواجهة الشدائد والأزمات التي يتعرض لها الداعية عند الدعوة وطلب الرزق حتى يصل به إلى النتائج والغايات المطلوبة في الدعوة وطلب الرزق.

فعلى الدعاة في كل زمان ومكان مراعاة التحلي بالصبر عند عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لماله من فوائد عظيمة، كما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله ﷺ: «ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن مقام الصبر أعلى المقامات في الدين لأنه جامع لمكارم الصفات والحالات<sup>(٣)</sup> وإن من أكبر فوائده أن الصابر

(١) راجع بعض أساليب الرسل عليهم السلام في مواجهة بعض الأحوال المستعصية عند طلب الرزق في ص/١٤٢ من هذا البحث، وراجع الكلام حول صبر الداعية في الدعوة وطلب الرزق في ص/٢٨٨ من هذا البحث.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه سبق تخريجه في ص/٢٨٨ من هذا البحث.

(٣) انظر بالتصرف: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الشيخ الملا علي القارئ (٣٥٣/٤)، وقد أورد الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين في ص/٢٥ بياناً لأسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه فقال «لما كان الصبر المحمود هو الصبر النفساني الاختياري عن إجابة داعي الهوى المذموم كانت مراتبه وأسماءه بحسب متعلقة، فإنه إن كان صبراً من شهوة الفرج المحرمة سمي عفة، وضدها الفجور والزنا والعهر، وإن كان عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول مالا يجمل منه سمي شرف نفس وشبع نفس، وسمي ضده شرها ودناءة ووضاعة نفس، وإن كان عن إظهار ما لا يحسن إظهاره من الكلام سمي كتمان سر، وضده إذاعة وإفشاء أو قهمة أو فحشاء أو سباً أو كذباً أو قذفاً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، وضده حرصاً، وإن كان على قدر يكفي من الدنيا سمي قناعة وضدها حرص أيضاً، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلماً وضده تسرعاً، وإن كان عن إجابة داعي العجلة سمي وقاراً وثباتاً وضده طيشاً وخفة، وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي عفواً وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبة، وإن كان عن إجابة حلم وضده تسرعاً ... وإن كان عند إجابة داعي الفرار والهرب سمي شجاعة وضده جنناً وخوراً، وإن كان عن إجابة داعي الانتقام سمي عفواً وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبة، وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي جوداً وضده بخلاً، وإن كان عن إجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمي صوماً، وإن كان عن إجابة داعي العجز والكسل سمي كيساً، وإن كان عن إجابة داعي إلقاء الكفّل على الناس وعدم حمل كفّلهم سمي مروءة، فله عند كل فعل وترك اسم يخصه، بحسب متعلقة، والاسم الجامع لذلك كله «الصبر» وهذا يدل على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها إلى آخرها وهكذا يسمى عدلاً إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين وضده الظلم، ويسمى سماحةً إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار، وعلى هذا جميع منازل الدين».

مثاب على صبره عند الله ﷻ كما في قول الله تعالى في حق الصابرين وفضلهم: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

وكذلك إن الصبر يكون نافعا وناجحا عندما يكون مقرونا بالتوكل على الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

الضابط الخامس - التوكل على الله عند الدعوة وطلب الرزق.

أولاً - معنى التوكل لغة.

التوكل مصدر على وزن تفعل مأخوذ من (وكل) الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك.

وكذلك يؤخذ منه «التكلان» التاء فيه أصلها واو، وكذلك يؤخذ منه «الوَكْلَة» بضم الواو وفتح الكاف، أو التكلة بإبدال الواو تاء، وكلها بمعنى التوكل أي الاعتماد على الغير.

وأما معنى التوكل فهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك<sup>(٢)</sup>. ويقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي أُلجأت إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، وقيل غير ذلك من توضيحات معنى مادة «وكل»<sup>(٣)</sup>. ولكن المعنى اللغوي المناسب لموضوع البحث هو المعنى المذكور.

ثانياً - معنى التوكل في الاصطلاح الشرعي.

للعلماء أقوال كثيرة في بيان المعنى الشرعي للتوكل، ومنها ما يأتي:

١ - قال السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني: «التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣١٢/١١).

(٢) انظر - معجم مقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق عبد السلام محمد هارون (١٣٦/٦) ولسان العرب لابن منظور (٧٣٦/١١) والمعجم الوسيط (١٠٥٤-١٠٥٥).

(٣) انظر - النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير (٢٢٢/٥، ٢٢٣). والمعجم الوسيط (١٠٥٥/٢، ١٠٥٤) ولسان العرب لابن منظور (٧٣٦-٧٣٤/١١).

(٤) انظر - التعريفات للجرجاني ص/١٠٠.



٢ - وقال الإمام أبو حامد الغزالي: «التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده»<sup>(١)</sup>.

٣ - وقال الشيخ الملا علي القاري مبيناً المراد بالتوكل على الله حق التوكل: «بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل في الوجود موجود إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع، وفقر وغنى، ومرض وصحة، وموت وحياة وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود من الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

٤ - قال الإمام القرطبي عند بيان معنى التوكل: «التوكل اعتماد على الرب في أن يلم شعثه ويجمع عليه أربه، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر»<sup>(٣)</sup>.  
قال السهل: «التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد»<sup>(٤)</sup>.  
وهناك تعريفات أخرى لمعنى التوكل<sup>(٥)</sup>، والتي وقف عليها الباحث يدور معناها حول اعتماد العبد على الوكيل الذي هو الله ﷻ في جميع أموره.  
ثالثاً- مشروعية التوكل.

وأما التوكل على الله فهو من أجمع أنواع العبادة التي فرضها الله على عباده بأساليب شرعية متعددة التي منها: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

في هذه الآية الكريمة الأمر الإلهي للمؤمنين أن يواظبوا التقوى في كل حال وأن يعتمدوا عليه في طلب مصالحهم الدنيوية والدنيوية ويتبرعوا من حول غير الله وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون<sup>(٦)</sup>.

والأمر يقتضي الوجوب كما يقتضي الفورية فالآية من الأدلة على وجوب التوكل على الله على العباد في جميع أمورهم.

(١) انظر- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي بتحقيق سيد إبراهيم (٣٩٩/٤).

(٢) انظر- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري بتحقيق صدقي محمد جميل العطار (١٥٦/٩).

(٣) انظر- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٣).

(٤) انظر- مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام بن قيم الجوزية (١٢٠/٢).

(٥) انظر- المرجع السابق (١١٩-١٤٨).

(٦) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٤/٢).

وأما التوكل على الله فهو من أعمال القلب ويجب على المسلم أن يتحلى به عند جميع الأمور المتعلقة بالدين والدنيا.

وبين الإمام ابن قيم الجوزية <sup>(١)</sup> معنى قول الإمام أحمد: «التوكل عمل القلب» ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات» وهناك تفسيرات أخرى لبيان دور القلب في عمل التوكل <sup>(٢)</sup>. إذن فعمل التوكل ينطلق من القلب فيظهر أثره في الأقوال والجوارح والأعمال.

ولما كان التوكل من أعمال القلب فدخل بتلك الصفة في دائرة الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيره. عندئذ يكون المراد بالتوكل على الله في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق هو عبارة عن تحلي الداعية بالتوكل الذي هو اعتماده على الله وَعَلَيْكَ وثقته به وتفويض الأمر إليه مع الأخذ بالأسباب المؤدية إلى إنجاز الأمور المتعلقة بالدعوة وطلب الرزق لتحقيق الأهداف الدعوية.

والكلام في التوكل بهذا المعنى المقصود في الدعوة وطلب الرزق يطول به الوقت؛ لأن التوكل مرتبط بجميع الأمور الإيمانية والأعمال الإسلامية <sup>(٣)</sup>. لذا تقتصر الدراسة على ذكر أبرز جوانب التوكل المتعلقة بالدعوة وطلب الرزق لِيُسَهِّلَ ذَلِكَ معرفة جوانب أخرى التي لم تذكر.

(١) الإمام ابن قيم الجوزية هو الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي اشتغل بالعلم فبرع فيه وكان حسن الأخلاق كثير العبادة ترك مؤلفات كثيرة منها: زاد المعاد في هدي خير العباد، وإعلام الموقعين، ومدارج السالكين، وغيرها، وكان من أبرز تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية متأثراً به توفي سنة ٧٥١هـ - رحمه الله -  
انظر - وفيات الأعيان والمشاهير خلاصة تاريخ الإمام ابن كثير للشيخ محمد بن أحمد كنعان ص ٤٨٥ ط/مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ - ١٩٨٩م

(٢) انظر - مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (١١٩/٢).

(٣) كما جاء في كلام الإمام ابن القيم الجوزية حول أهمية التوكل في الدين «التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل» انظر - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٠٨.

رابعاً- التوكل في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وأما أبرز الجوانب التي ينبغي فيها التوكل على الله في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فتتقسم إلى قسمين: أ - الجوانب المتعلقة بالدعوة. ب - الجوانب المتعلقة بالرزق.

القسم الأول- جوانب التوكل المتعلقة بالدعوة.

إن من أبرز جوانب التوكل المتعلقة بالدعوة ما يأتي:

١ - التوكل عند الإعداد لتحمل مسؤولية الدعوة.

إن من الجوانب التي ينبغي فيها للداعية أن يعتمد على الله ﷻ هي مرحلة الإعداد لتحمل مسؤولية الدعوة، فيبحث عن كل ما يستعين به من علم شرعي ومعرفة لأحوال المدعوين ووسيلة دعوية وأسلوب مناسب لاستخدامها في تحقيق الأهداف الدعوية المحددة، مع الثقة القوية بالله ﷻ في اعتماده عليه وتفويض الأمور إليه في تنفيذ كل الأعمال الدعوية، والاعتقاد أنه ﷻ هو المتصرف الحقيقي في تدبير جميع شئون الدعوة ومتعلقاتها من حيث نجاحها وإخفاقها لدخول ذلك كله تحت عموم الأمر بالتوكل على الله في جميع الأحوال<sup>(١)</sup>. واقتداء بالرسل عليهم السلام في التوكل على الله في جميع مراحل الدعوة التي منها مرحلة الإعداد والاستعداد لأداء مهمة الدعوة.

ومواقف الرسل عليهم السلام فيها كثيرة ومنها: ما جاء في موقف نبي الله موسى عليه السلام قبل ذهابه إلى فرعون بحث عن الأمور التي يستعين بها في تبليغ دعوته، وسأل ربه أن يحقق له تلك الأمور لأجل اعتماده الكامل عليه ﷻ في تنفيذ أي عمل يريد القيام به، ومن الآيات التي تحكي هذا الموقف عنه قول الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِّي زَيْرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٤-٣٦].

(١) راجع بعض النصوص على وجوب التوكل في ص/ ٢٩٥ من هذا البحث.

ومما يفهم من الآيات الكريمة أن موسى عليه السلام كان متوكلاً على الله مع سعيه للحصول على بعض الأسباب المفيدة في الدعوة، وإيمانه الصادق أن الله هو الجدير بالتوكل عليه مطلع عليهم أينما كانوا، سواء عند مراحل الدعوة وغيرها<sup>(١)</sup>. إذن فتوكل على الله في مرحلة إعداد الداعية من أعمال الرسل عليهم السلام فعلى الدعاة مراعاة هديهم في تلك المرحلة وغيرها في كل زمان ومكان.

## ٢ - التوكل عند الإقدام لأداء واجب الدعوة.

إن من جوانب توكل الداعية في الدعوة أن يتوكل على الله عند أدائه واجب الدعوة، ويضع كل ثقته بالله في اعتماده على الله أنه هو الذي سينصره على تنفيذ ذلك العمل الدعوي، مع تمسكه بما يجده من الأسباب المعينة على الدعوة قليلة كانت أو كثيرة دون أن يركز اعتماده على تلك الأسباب التي يباشرها فحسب، بل يكون جميع اعتماده على الله ﷻ عند أداء ذلك العمل الدعوي.

كما جاء في قول بعض العلماء في معنى التوكل: وذلك «أن التوكل على الله هو الثقة بالله والإتيان بأن قضاءه ماض، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما يقتضيه سنة الله تعالى المعتادة»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا النوع من التوكل اقتداء بهدي الرسل عليهم السلام في التوكل على الله عند تنفيذ العملية الدعوية.

ومن مواقفهم الكثيرة فيه ما يأتي:

أ - ما جاء في اعتماد موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) على الله في أثناء قيامهما بدعوة فرعون وملئه بعدما خاطبهما ربهما بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]. مع استعمالهما الوسائل المناسبة لدعوة فرعون وقومه من القول اللين الذي يرقق القلوب كما في قول الله تعالى لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

(١) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/١٩٧، ١٩٩)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٥/١٥٢-١٥٦).

(٢) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤/١٢٢).

ومن وسيلتهما في الدعوة الإتيان بالمعجزات التي تلفت انتباه الغافلين من غفلتهم وثبت الصادقين على صدقهم مع ارتباطهما برهما بذكره عند الدعوة إلى دينه كما في قول الله تعالى لهما: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]. فآمن بها السحرة وكفر بها فرعون وأتباعه<sup>(١)</sup>.

ب - ما جاء في توكل الرسول محمد ﷺ على الله عند أعماله الدعوية بخروجه يوم أحد لقتال المشركين خارج المدينة المنورة بعد الأخذ بالأسباب حيث لبس سلاحه ثم توكل على الله، ورد على المؤمنين الذين رأوا أن خروجه ﷺ كان عن كره منهم بقوله ﷺ: «لا ينبغي لني يلبس لامته فيضعها حتى يحكم الله»<sup>(٢)</sup>. أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأنه نقض للتوكل الذي شرطه الله ﷻ مع العزيمة<sup>(٣)</sup>، وامتناله بأمر ربه، كما في قوله تعالى له: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وتوكله على الله يشمل الأحوال الدعوية وغيرها.

ج - ما جاء في حث النبي ﷺ علياً عليه السلام، على التوكل على الله في أثناء ممارسة العملية الدعوية مع استخدامه الأسباب المعينة التي كانت معه في أداء المهمة الدعوية من علم سابق، وتقيد بهدي الرسول ﷺ في الحكم بين الناس، وحسن الاتصال بالمدعوين وتحمل تكاليف الانتقال إلى بلد المدعوين، لما في رواية عن علي عليه السلام: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن<sup>(٤)</sup>، ولا علم لي بالقضاء فقال: إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس

(١) راجع تفصيل القصة في البداية والنهاية للإمام ابن كثير بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (٢/٦٥-٨٠).

(٢) راجع تفصيل القصة في السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (٣/٥٨٣-٥٨٥)، وصحيح البخاري للإمام البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب رقم (٢٨) المطبوع مع فتح الباري

بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١٣/٣١٥).

(٣) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤/١٦٢، ١٦٣).

(٤) قوله: «أنا حديث السن» اعتذر من استعمال الفكر واجتهاد الرأي من قلة تجاربه، ولذلك أجابه الرسول ﷺ بقوله: «سيهدي قلبك» أي يرشدك الله إلى طريق استنباط المسائل بالكتاب والسنة فيشرح صدرك ويثبت لسانك فلا تقضي إلا بالحق. انظر - عون المعبود بشرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم

آبادي بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (٩/٤٩٨، ٤٩٩).

بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء قال فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد»<sup>(١)</sup>.  
والحديث من الأدلة على وجوب تفويض الأمر إلى الله في أثناء تنفيذ المهمة الدعوية مع الأخذ بالأسباب المساعدة على نجاح تلك المهمة الدعوية.  
وعلى الدعاة في كل زمان ومكان مراعاة التوكل على الله في هذه المرحلة الدعوية وغيرها.

### ٣ - التوكل عند المشقة في الدعوة.

إن من جوانب توكل الداعية في الدعوة، أن يتوكل على الله ﷻ في مرحلة تعرضه للمشاكلات والمصائب والمشاقات والأذى في سبيل الدعوة، فيجب عليه أن يثق بالله ﷻ ويؤمن أن ما هو فيه من تلك المشاكلات مهما كان مصدرها إنما هي من قضاء الله وقدره عليه، ويعتمد على الله وحده في الإنقاذ من تلك المشاكلات القائمة، مع استعمال ما يتيسر له من الوسائل المشروعة في إزالتها، دون أن يكون اعتماده على تلك الوسائل فحسب بل يكون كل اعتماده على ربه ﷻ في تجوز تلك المشاكلات، والصبر على تحملها لوجوب ذلك بالنصوص الشرعية الكثيرة الواردة فيه بأساليب متنوعة التي منها: أسلوب حث المؤمنين على الاقتداء بالرسول في التوكل على الله عند الصبر على تحمل الأذى في سبيل الدعوة يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ينبغي للداعية في توكله عند تحمل الصعاب في سبيل الدعوة أن

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب القضاء باب رقم (٦) وقال المنذري: «أخرجه الترمذي مختصراً وقال

حديث حسن» انظر عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٥٠٠/٩).

(٢) ومن مواقف الرسل عليهم السلام في التوكل على الله عند المصيبة في الدعوة ما جاء في اعتماد نبي الله إبراهيم

عليه السلام على الله في خلاصه من فتنة النار التي ألقي فيها، وكذلك اعتماد الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ على الله في

خلاصهم من فتنة قريش بعد غزوة أحد لما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»

قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً

قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

يحتسب الأجر فيه عند الله ﷻ، لقول الله تعالى في بيان فضل المتوكلين الصابرين: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

والنصوص الشرعية كثيرة في بيان فضل المتوكلين عند الصبر على الأذى. إذن فالتحلي بخلق التوكل على الله عند تحمل المشقة في الدعوة مع الأخذ بالأسباب المشروعة للتخلص منها من الأمور الواجبة على الداعية في كل زمان ومكان.

#### ٤ - التوكل على الله في قبول الدعوة.

إن من جوانب توكل الداعية على الله في الدعوة أن يتوكل عليه في قبول الناس دعوته، ورفضهم إياها وذلك بأن يثق ويؤمن بأن قبول الناس الدعوة والحق وضلالهم وميلهم إلى الباطل بيد الله ﷻ، وليس ذلك في استطاعة مخلوق كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة<sup>(١)</sup>.

وأن يؤمن أن هداية تبليغ الدعوة للناس وإرشادهم فيها وبيانها لهم هي مهمة الرسل عليهم السلام وسائر الدعاة كما في قول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقوله أيضاً: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: من الآية ١٨]<sup>(٢)</sup>. ويعتمد على الله في التأثير الحسن لدعوته في الناس مع استخدام أفضل الوسائل الدعوية المتاحة له في الدعوة. وكذلك يكون معتمداً على الله في حالة نفور الناس عن قبول دعوته، ويستعمل كل الوسائل المتاحة لإقناعهم ولا ييأس من رجوعهم إلى الحق وقبول دعوته، ولا تصدر منه تصرفات مخلة للدعوة وأهدافها نتيجة إصرار المدعويين على رفض الحق والدعوة كالاستعجال على نتيجة الدعوة قبل

(١) منها قوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

(٢) انظر بالتصرف: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص/ ٣١١، ٣١٢، وأخلاق الدعاة إلى الله تعالى النظرية والتطبيق لطلعت محمد عفيفي سالم ص/ ٨٩.

وقتها، وغير ذلك لورود النهي الإلهي للنبي ﷺ من ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. والنصوص الشرعية في أمثال ذلك النهي كثيرة<sup>(١)</sup>، حيث إن الواجب على الداعية هو التبليغ الحسن لدعوته للناس، وليس الواجب عليه قبول الناس دعوته.

إذن فالتوكل على الله في نتائج الدعوة في الناس من حيث القبول والرفض مع استخدام الوسائل الناجحة للدعوة من الأخلاق الواجبة على الداعية أن يتحلى بها في عملية نشر الدعوة. وعلى الدعاة مراعاتها في كل زمان ومكان.

وما ذكر في هذا الموضوع من جوانب التوكل في الدعوة في هذا القسم المتعلق بالدعوة هو أبرز الجوانب التي ظهرت للباحث في خدمة الدعوة فيها.

أما القسم الثاني - جوانب التوكل المتعلقة بالرزق.

إن من أبرز جوانب التوكل المتعلقة بالرزق ما يأتي:

#### ١ - التوكل في جانب الأخذ بطرق طلب الرزق.

إن مما ينبغي للداعية عند السعي في طلب الرزق، أن يثق بالله ﷻ ويؤمن أنه صاحب الأرزاق كلها وخالقها ومالكها وموزعها بين العباد والمخلوقات، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذريات: ٥٨]. ويعتمد عليه في وصول الأرزاق إليه فيختار الطرق المشروعة المتاحة له في اكتساب الأرزاق دون أن يكون حقيقة اعتماده على تلك الطرق أو على غيرها من المخلوقات بل يكون كل اعتماده وتوكله على الله ﷻ في وصول الأرزاق إليه بواسطة إحدى طرق المكاسب، وكذلك لا يتخلى عن الأخذ بالأسباب المعينة على وصول الرزق إليه، ولا يقتصر على مجرد التوكل على الله في

(١) كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].



محيى رزقه إليه ؛ لأن ذلك مبدأ التوكل على الله ﷻ على الرأي الصحيح<sup>(١)</sup>. ولحث النبي ﷺ على التوكل مع الأخذ بالأسباب في الحصول على الرزق كما جاء ذلك في رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً<sup>(٢)</sup> وتروح بطاناً<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : «وليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق ؛ لأن الطير إذا غدت فارغاً تغدوا لطلب الرزق وإنما أراد - والله أعلم - لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون، ولا ينصحون وهذا خلاف التوكل»<sup>(٥)</sup>.

وقال العلامة الشيخ ابن قيم الجوزية: «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد»<sup>(٦)</sup>.

(١) ومما جاء في قول الإمام القرطبي في معرض حديثه عن أهمية التوكل مع الأخذ بالأسباب في اكتساب الرزق لو قدر رجل بالخبال منقطعاً عن الناس لما كان له بد من الخروج إلى ما تخرجه الأكام وظهور الأعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به، وهو معنى قوله عليه السلام: «لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم، كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً» فغدوها ورواحها سبب، فالعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل على التحقيق، ويقعد على ثنيات الطريق، ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم.

ثبت في البخاري عن ابن عباس قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألو الناس؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وتزودوا﴾ [البقرة: ١٩٧] ولم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أنهم خرجوا إلى أسفارهم بغير زاد، وكانوا المتوكلين حقاً. والتوكل اعتماد القلب على الرب في أن يلزم شئته ويجمع عليه أربه، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر وهذا هو الحق. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٣).

(٢) «خماصاً» بكسر الخاء المعجمة جمع خميص أي جياًعاً. انظر مرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري (١٥٦/٩).

(٣) «بطاناً» بكسر الموحدة جمع بطين وهو عظيم البطن، والمراد شباعاً. انظر المرجع السابق.

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه أبواب الزهد، باب رقم (٢١) رقم الحديث «٢٤٤٧» (٧/٧). وقال الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح لا تعرفه إلا من هذا الوجه». وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٠٥) (٣٠/١) وقال الشيخ شعيب الأرونازوط: «إسناده قوي رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هيرة فمن رجال مسلم».

(٥) انظر - شعب الإيمان للإمام البيهقي بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (٦٦/٢)، (٦٧).

(٦) انظر - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام الشيخ ابن قيم الجوزية (٢١/٢).

إذن فالتوكل على الله ﷻ مع الأخذ بالأسباب في كسب الرزق من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، فينبغي للدعاة وغيرهم أن يسيروا على هذا المبدأ العظيم في كل زمان ومكان.

## ٢ - التوكل على الله عند إنفاق الرزق.

إن مما ينبغي للداعية عند إنفاق رزقه سواء على نفسه في الحاجات الخاصة أو في شئون الدعوة، أو على غيره في حاجاتهم الخاصة أو فيما يتعلق بأمورهم الدعوية، أن يثق بالله ﷻ، ويؤمن بأن الله هو المنفق الحقيقي لتلك الأرزاق عليه وعلى غيره، وأن الله جعله سبباً وواسطاً في إيصال تلك الأرزاق إليه ولغيره كما قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: الله يفيض لها رزقها على ضعفها ويسره عليها، فيعثر إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء والحيتان في الماء»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ العلامة الملا علي القاري عند كلامه عن التوكل مع السعي في طلب الرزق: «فإن التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح، مع أنه قد يرزق أيضاً من غير حركة، بل بتحريك غيره إليه يصل رزق الله ببركته كما يستفاد العموم من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ينبغي للداعية أن يعتمد على الله وحده في استخلاف الله ما يصرفه من رزقه على نفسه، أو على غيره سواء ما تعلق بالدعوة أو بغيرها بالطرق المشروعة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩]. ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير الآية الكريمة: «أي مهما أنفقتُم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٥٧/٣).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري (١٥٧/٩).

في الحديث يقول الله: «أنفق، أنفق عليك»<sup>(١)(٢)</sup>.

إذن فالتوكل على الله ﷻ عند إنفاق الأرزاق من الأمور الواجبة على الداعية وغيره؛ لأنه من الأمور التي تستقيم به عملية إنفاق الأرزاق في الدعوة وغيرها في كل زمان ومكان.

٣- التوكل على الله عند المصيبة المانعة للرزق.

إن مما ينبغي للداعية عند الوقوع في مصيبة متعلقة بالرزق من فقر وتلف مال وغيره من أنواع المصائب، سواء ما تسببت فيها نفسه أو غيره، أن يؤمن بأن هذه المصيبة من قضاء الله وقدره، فيصبر عليها ويعتمد على الله ﷻ وحده في إزالتها<sup>(٣)</sup>. كما أمر النبي ﷺ بذلك بقوله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام إني معلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ينبغي للداعية أن يأخذ بكل ما تيسر له من الأسباب المشروعة مع التوكل على الله في إزالة تلك المصيبة المتعلقة بالرزق، وبذل الجهد في استعمال تلك الأسباب المشروعة، لما جاء في أمر النبي ﷺ بالتوكل على الله مع الأخذ بالسبب المساعد على تحقيق الهدف. وفي رواية عمرو بن أمية الضمري ﷺ أنه قال: «يا رسول الله أرسل راحلتي وأتوكل فقال رسول الله ﷺ: بل قيدها وتوكل»<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديث من رواية أبي هريرة ؓ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (١١) رقم الحديث «٣٧» (٨٣/٧، ٨٤).

(٢) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧١٥/٣).

(٣) راجع الكلام حول صبر الداعية في الدعوة وطلب الرزق في ص/ ٢٨٨ من هذا البحث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٩٣/١) رقم الحديث «٦٦٩» وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده قوي».

(٥) أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة وذكر عمرو بن أمية الضمري الكناي ؓ (٧٢٢/٣) رقم الحديث (٦٦١٦)، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: «سنده جيد». وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه رقم الحديث «٧٣» باب الورع والتوكل ذكر الأخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كره (٥١٠/٢).

وكذلك ما جاء في حث النبي ﷺ على العمل فيما ينفع والحرص على ذلك عند كل الظروف والأحوال التي منها حال المصيبة والمشقة المتعلقة بالرزق وغيره. كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»<sup>(١)</sup>.

ومما يدل عليه الحديث أن التوكل على الله عند المصيبة والمشقة مع إزالتها بالأسباب المشروعة من الأمور الواجبة على الداعية وغيره. وعلى الدعاة في كل زمان ومكان مراعاة ذلك.

وإذن فالتوكل على الله ﷻ من الضوابط الأخلاقية التي تستقيم بها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأن التوكل من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإن العبد إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى في كل الأمور التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق<sup>(٢)</sup>. كما جاء في قول الله تعالى على لسان رجلين من قوم موسى عليه السلام: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال الإمام ابن القيم في معنى الآية: «فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي آية أخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل»<sup>(٣)</sup>. وكذلك للتوكل على الله فوائد أخرى عظيمة للعبد في الدين والدنيا. وعليه ينبغي للدعاة أن يتوكلوا على الله في عملية الجمع بين الدعوة وطلب

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب القدر رقم (٤٦) باب رقم (٨) رقم الحديث (٢٦٦٤) (٤٥٥/١٦).

(٢) انظر بالتصريف: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٣٠٨ وراجع الكلام حول أهمية التوكل في الدين في ص/ ٢٩٥.

(٣) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص/ ٣٠٨.

الرزق في كل زمان ومكان وفق هدي الكتاب والسنة المطهرة. وكل ما ذكر في هذا المبحث من خلق الحرص على ثواب العمل من الله ﷻ، والعدل في المعاملة الدعوية وطلب الرزق، والقناعة بمقسوم الله بين العباد، والصبر في الدعوة وطلب الرزق، والتوكل على الله في الدعوة وطلب الرزق، من الأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، ويضبط بها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وهي أبرز الصفات والأخلاق التي ظهرت للباحث في هذا الموضوع، وليس من باب حصر جميع الأخلاق الحميدة الواردة في القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، بل يلزم الداعية أن يتخلق بما يراه مناسباً من الأخلاق القيمة فيه لما ورد به الحديث النبوي الشريف بقوله ﷺ: «وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(١)</sup>. وهذا الأمر النبوي يجب العمل به في مقتضيات الأحداث عند الدعوة أو غيرها في كل زمان ومكان.

(١) جزء من حديث سبق تخريجه في ص/٢٧٠.

## الفصل الرابع

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعوين

### المبحث الأول

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية

#### المطلب الأول

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الداعية

#### المطلب الثاني

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الدعوة

### المبحث الثاني

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين

#### المطلب الأول

المراد بدواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين

#### المطلب الثاني

تسخير نصيب من الرزق لصالح خدمة المدعو المستجيب

#### المطلب الثالث

تسخير نصيب من الرزق لدعوة المدعو غير المستجيب

## الفصل الرابع

### دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعويين

#### المبحث الأول

#### دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية

— المراد بدواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق.

معنى الدواعي في اللغة الدواعي جمع الداعي وهو مأخوذ من «دعا»<sup>(١)</sup> والداعي له عدة معانٍ منها: ما يترك في الضَّرْع ليدعو ما بعده فيقال داعي اللبن.

ومنها: السبب فيقال: هو داعية إلى كذا. والهاء للمبالغة.

ومنها: صرف الدهر فيقال دواعي الدهر صروفه. وغيرها من المعاني<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الداعية في هذا الموضوع هو «السبب» بالمعنى اللغوي المقصود.

إذن المراد بدواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بالداعية هو عبارة عن الأسباب، والأهداف التي من أجلها يقوم الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وإن القيام بأداء أي عمل لا بد له من أهداف وغايات ومقاصد تتسبب في قيام صاحب العمل بعمله لتحقيق تلك الغايات والمقاصد من وراء ذلك العمل.

وعلى ذلك فإن لعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق أهداف ومقاصد وغايات منشودة للداعية ينبغي له تحقيقها.

إن قصد تحقيق الأهداف والغايات في الأعمال الشرعية منهج إلهي، كما يقول بعض العلماء: «ونحن نجد أن الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله يبين الكثير من الغايات من الأوامر وما يجب على المؤمن أن يلتزم به كغايات وأهداف، والدعاة إلى الله بالتالي مأمورون بانتهاج نفس المبدأ في الانقياد والطاعات لتلك الأوامر»<sup>(٣)</sup>.

(١) سبق ذكر معنى «دعا» عند الكلام حول التعريف بالدعوة في ص/٦.

(٢) انظر - لسان العرب لابن منظور (٢٥٩/١٤، ٢٦٠).

(٣) انظر - الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بإشراف أحمد عبدالعزيز القطان

وجاسم بن محمد بن مهلهل ص/٦٩ ط/دار الدعوة ٦٠ الكويت الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

وتحديد الغاية والأهداف الصحيحة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق قبل الإقدام عليه واجب شرعي على الداعية لربطه بنيته، والنية من شروط صحة العمل الشرعي وقبوله، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وجاء في رواية أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»<sup>(١)</sup>.

وأما الدواعي بمعنى الأهداف والمقاصد المتسببة في الإقدام على ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فكثيرة ومتعددة، ويأتي ذكر أهمها في المباحث والمطالب والمسائل الآتية وفق استقراء الباحث لمواقف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذه الدراسة.

وأما الدواعي الخاصة بالداعية في هذا الموضوع فهي منقسمة بين جانب الدعوة وجانب الرزق.

**المطلب الأول - دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الداعية<sup>(٢)</sup>.**

أما أهم دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الداعية فهي مجملة في المسائل التالية:

**المسألة الأولى - المحافظة على الطاعات المالية.**

إن من أهم الدواعي التي تدفع الداعية إلى القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق أن يقصد بكسب الرزق، المحافظة على أداء العبادات المالية لله عز وجل بقدر الطاقة مع

(١) أخرجه الإمام البخاري بطول الحديث في صحيحه كتاب بدء الوحي رقم (١) باب رقم (١) رقم الحديث (١) (١٥/١).

(٢) المراد بالداعية: "هو الشخص الذي يتحمل أعباء الدعوة ويقوم بمسؤولياتها على الوجه الذي أراد الله لتبليغ دعوته للناس فالداعية هو وارث علم النبوة. والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً. وإنما ورثوا العلم ونعم الميراث وبوركت التركة ... وينقسم حملة الدعوة إلى: أ - فئة عامة. ب - فئة خاصة.

الأولى: الفئة العامة من المسلمين: وهي فئة غير المتخصصةين ويدخل فيها كل مسلم يعلم شيئاً من دين الله علماً يقيناً ... الثانية: الفئة الخاصة: وهي الفئة المتخصصة بالدعوة التي تحمل أعباءها وتحمل مسؤولياتها وهي الفئة التي يتحقق في أفرادها المؤهلات العلمية والفكرية والبيانية، والخلقية والاجتماعية، مع السلاح الإيماني وهي الصفات التي ترشح صاحبها ليكون من دعاة الحق". انظر - فقه الدعوة إلى الله لعبد الرحمن حنكة الميداني (٨١/٨٢) نقلاً عن من فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة - الداعية - المدعو) للدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر ص/١٥٢، ١٥٣. ط/ جامعة اليرموك.



تنفيذ ذلك القصد، مثل إعطاء زكاة الأموال وذبح الأضحية لعيد الأضحى والعقيقة للمولود والهدايا للقارن والمتمتع في الحج وزكاة الفطر لعيد الفطر وغيره، حتى لا يكون هذا الجانب من العبادة معطلاً من قبل الداعية حيث يجب على الداعية أن يكون مبلغاً للأحكام الشرعية ومطبقة لها في الواقع العملي بقدر الطاقة، لما في ذلك من العمل بعموم الأمر الإلهي في تطبيق مقتضيات التمكين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]<sup>(١)</sup>، فعندئذ يأخذ المدعوون من هدي الداعية ويقتدون به في ذلك العمل التطبيقي، اقتداء منه في ذلك بهدي الرسل عليهم السلام في الالتزام بالعبادات المالية الناجمة في اشتغالهم بكسب الرزق مع دعوتهم إلى الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

#### المسألة الثانية- الاستعانة بالرزق على تنفيذ العبادات البدنية.

إن من دواعي قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، أن يقصد في كسب الرزق العون على أداء العبادات البدنية وغيرها مع تنفيذ ذلك القصد. حيث إن وجود الرزق عند الداعية في بعض الحالات يمكنه من أداء بعض العبادات البدنية على وجهها الأكمل، مثل: ملكية المسلم أرزاقاً تمكنه من أداء فريضة الحج

(١) وللعلماء أقوال في المراد «بالذين إن مكناهم» وقيل: هم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان. وقيل: أهل الصلوات الخمس، وقيل: ولاية العدل وقيل غير ذلك. انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي الشوكاني (٤٥٧/٣). ولكن حكم عموم الآية يشمل جميع المذكورين. لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكذلك يشمل التمكين في السلطنة وغيرها من الخيرات والأرزاق عند الاستعانة بها. وليس في الآية ما يمنع دلالة الآية على ذلك عند التحقيق والتحليل، حيث إن تمكين الله الناس في أرضه متفاوت فمنهم من رزقهم بالملك ومنهم من رزقهم بالأموال. ومنهم من رزقهم بالصحة والعافية والأمن، ومنهم من رزقهم بالعز والمكانة بين الناس، وغير ذلك، وكل يسخر ما رزقه الله به ومكنه منه من هذه النعم في سبيل العبادة والدعوة إلى الله.

(٢) راجع أحوال الرسل عليهم السلام في الإنفاق في بعض العبادات المالية في هذا البحث في ص/ ١٩٠. وموافق الرسول ﷺ كثيرة في إقرار الصحابة على أداء العبادات المالية مع قيامهم بالدعوة وكسب الرزق. ومظاهرها في كتب التفسير وكتب الحديث والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي. وأحكام العبادات المالية مفصلة في كتب تفسير آيات أحكام القرآن، والكتب الفقهية.

وكذلك وجود أرزاق تسهل له الإفطار والسحور في صيام رمضان، وترتيبات أداء الصلاة وغيرها مما يؤدي إلى العون على إقامة العبادة، كما أشار إليه الإمام محمد بن الحسن الشيباني: «أن الكسب فيه معنى المعاونة والطاعات أي كسب كان، حتى أن قتال الجبال ومتخذ الكيزان والجرار. وكسب الحركة، فيه معاونة على الطاعة والقرب فإنه لا يتمكن من أداء الصلاة إلا بالطهارة، ويحتاج إلى كوز ورشا ينزح به الماء ويحتاج إلى ستر العورة لأداء الصلاة، وإنما يتمكن من ذلك بعمل الحركة، فعرفنا أن ذلك كله من أسباب التعاون على إقامة الطاعة، وإليه أشار علي عليه السلام في قوله: «لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن الدنيا إلى الآخرة». وقال أبو ذر رضي الله عنه حين سأله رجل عن أفضل الأعمال بعد الإيمان فقال: «الصلاة وأكل الخبز» فنظر إليه الرجل كالمتعجب، فقال: لولا الخبز ما عبد الله يعني بأكل الخبز ما يقيم صلبه فيتمكن من إقامة الطاعة»<sup>(١)</sup>.

وكذلك إن وجود الرزق لدى المسلم في بعض الحالات يكون له الاطمئنان وراحة النفس في أداء عبادته البدنية وغيرها، كما جاء في رواية عن سالم مولى زيد بن صوحان قال: «كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق. فمر علينا سلمان الفارسي رضي الله عنه وقد اشترى وسقاً من طعام. فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: «إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس»<sup>(٢)</sup>.

إذن فقصد الاستعانة بالرزق على أداء العبادة من الأعمال الحمودة التي يحث عليها الشرع؛ لأن أداء العبادة على وجهها واجبة. والاستعانة بالرزق عليها من الوسائل المؤدية إلى تحقيق ذلك، ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وكذلك يدخل قصد الاستعانة بالرزق على أداء العبادة تحت عموم الأمر الشرعي بضرورة ربط الأعمال الحسنة بالنيات لموافقة المطلوب الشرعي فيها لما ورد في

(١) الاكتساب في الرزق المستطاب للإمام الشيخ محمد بن الحسن الشيباني بتلخيص تلميذه الإمام العلامة الكبير محمد بن سماعة ص/٣٨، ٣٩ بتحقيق محمود عرنوس ط/دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٢٠٧).

الحديث النبوي: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»<sup>(١)</sup>.

وكذلك إن الاستعانة بالرزق على أداء الطاعات والنوافل من قبل العبد من أساليب شكر نعمة الله ورزقه على العبد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحاثية: ١٢].  
ومما جاء في تفسير الإمام ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> حول الآيات: «أن الله سخر لكم البحر لتجري السفن فيه بأمره لمعيشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبده وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه»<sup>(٣)</sup>.

وأساليب شكر نعم الله من قبل العبد كثيرة، منها: الاستعانة بها على الطاعات والنوافل لله ﷻ<sup>(٤)</sup>. والداعية أولى بالاستعانة بالرزق على أداء العبادة من غيره لأنه قدوة للمدعوين وهم به يقتدون وعنه يأخذون ما يعلمهم به من الموضوعات الدعوية.  
المسألة الثالثة - المحافظة على إعطاء النفقات اللازمة.

إن من دواعي قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق هو أن يقصد باكتسابه الرزق المحافظة على سد الحاجات الضرورية<sup>(٥)</sup> التي تلزمه وتترتب على ترك تسديدها مفسد عظيمة وخلل في حياته، أو حياة من يعوله مثل سد الحاجات من

(١) جزء من حديث سبق تخريجه في ص/٣١٠ من هذا البحث.

(٢) الإمام ابن جرير الطبري هو الإمام العالم المجتهد المفسر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ وطلب العلم حتى فاق فيه، واشتغل بالتجارة قليلاً لما دخل بغداد ثم تحول إلى تأديب أولاد الوزير ابن خاقان. وكان - رحمه الله - زاهداً ورعاً، ألف عدداً من المؤلفات العلمية منها: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك. وقهذيب الآثار وغيرها توفي سنة ٣١٠هـ - رحمه الله - . انظر - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٢٦٧/٤).

(٣) انظر بالتصرف جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٢٥٥/٢٥).

(٤) راجع المسألة السادسة شكر الله على تملكه الرزق من قبل الرسل عليهم السلام من المبحث الأول في الفصل الثاني في ص/١٤٧ من هذا البحث.

(٥) الأمر الضروري في الشرع هو ما تقوم عليه حياة الناس ولا بد منه لاستقامة مصالحهم وإذا فقد اختل نظام حياتهم. ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى، والمفاسد، والأمور الضرورية للناس بهذا المعنى ترجع إلى حفظ خمسة أشياء: الدين والنفس والعقل. والعرض، والمال، فحفظ كل واحد منهم ضروري للناس. انظر علم أصول الفقه، لعبد الوهاب خلاف ص/١٩٩. وراجع أيضاً صفحة (٢٦٤) هامش رقم (٤) من هذا البحث.

الطعام والشراب حتى تحيا النفس، ويسلم الجسم من الهلاك وكذلك سد الحاجة إلى المسكن الذي يأوي إليه الإنسان ويقي به نفسه من المصائب، وسد الحاجة إلى اللبس الذي يستر به عورته، وسد الحاجة إلى النكاح بالزوجات التي يسكن إليها، ويعفف بها نفسه من الفساد، وغير هذه الأمور من ضروريات الحياة التي أمر الشرع بسدها بقدر الطاقة بنصوص كثيرة<sup>(١)</sup>.

وكذلك ينبغي للداعية أن يكون من أسباب قيامه بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق الحرص على سد حاجات الأهل والأقارب من الأولاد والزوجات والآباء والأمهات وغيرهم ممن تلزمه نفقته بقدر الطاقة، لورود النصوص الشرعية بوجوب الإنفاق على من تلزمه نفقته من الأهل والأقارب. كما جاء في رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بمن تعول»<sup>(٢)</sup> أي: ابدأ الإنفاق بمن تعول من الأهل والأقارب<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ينبغي للداعية أن يكون من أهداف جمعه بين الدعوة وطلب الرزق الوفاء بدفع الديون التي في ذمته، لورود النصوص الشرعية الكثيرة بوجوب سد الديون في ذمة المدين<sup>(٤)</sup>، حيث لا تعارض بين القيام بالسعي لاكتساب الرزق لأجل سد تلك

(١) راجع أبواب أحكام الطعام والشراب واللباس والنكاح والمسكن والبيوت لمعرفة مزيد من أهمية هذه الأمور في حياة الإنسان في كتب الفقه والحديث وكتب تفسير آيات أحكام القرآن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب رقم (٢) (٤١٠/٩).

(٣) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر، راجع أبواب النفقات لمعرفة مدى وجوبها في الشرع في كتب الفقه والحديث وكتب تفسير آيات الأحكام.

(٤) ومن تلك النصوص إقرار الرسول ﷺ سعي بلال لسد دينه للمشرك الذي أراد أن يفضحه لأجل دينه عليه، مما جاء في تلك الرواية عن بلال ﷺ «... فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت أؤذن للصلاة فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما رأيته قال: يا حبشي. قلت: يا لئاه فتجهمني، وقال لي قولاً غليظاً وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت قريب. قال: إنما بينك وبينه أربع فأخذك بالذي عليك فأردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس حتى إذا صليت العتمة رجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فاستأذنت عليه فأذن لي فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي. إن المشرك الذي كنت أتدين منه قال لي: كذا وكذا. وليس عندك ما تقضي عني، ولا عندي وهو فاضحي فأذن لي أن أبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله ﷻ رسول الله ﷺ ما يقضي عني. قال فخرجت حتى أتيت مرلي فجعلت سيفي وجراي، ونعلي ومجني عند رأسي حتى إذا انشق عمود الصبح الأول أردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو يا بلال أجب رسول الله ﷻ. فانطلقت حتى أتيته فإذا أربع ركائب مناحات عند الباب عليهن أحامهن فاستأذنت فقال لي رسول الله ﷻ: «أبشر فقد جاء الله تعالى بقضائك =

الحاجات الضرورية والأسرية ودفع الديون وبين القيام بعملية الدعوة؛ لما في ذلك من أداء الواجبين في وقت متسع ومناسب لهما. ولهدي الرسل عليهم السلام والصحابة ﷺ في جمعهم بين الدعوة وطلب الرزق وإنفاقه في الوجوه المباحة<sup>(١)</sup>.

#### المسألة الرابعة- الحرص على بذل الخيرات التطوعية.

إن مما ينبغي أن يكون سبباً في قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق الحرص على بذل الخيرات التطوعية من رزقه للناس في المجتمع أفراداً وجماعات سواء من طبقة الفقراء والمساكين والمحتاجين. وسواء كان المنفق عليه محبباً أو مخالفاً لسد حاجاتهم بالصدقات والزكوات والأوقاف وغيرها، أو من طبقة الأغنياء بدفع الهدايا والهبات إليهم وغيرها. أو بذل الرزق والمال لتخفيف معاناة المجتمع وإزالتها وجلب الخير إليهم لتقوية الأخوة الإسلامية. وترسيخها بين أفراد المجتمع الإسلامي وتنظيم أموره على الحق والعدل والمحبة والنجاح والأمن والسلام، وغيره من كل ما من شأنه راحة المجتمع ورقيه في الدين والدنيا، مشاركة من الداعية بذلك في التكافل الاجتماعي المشروع، لدخول هذه الأعمال كلها تحت عموم الأمر بفعل الخيرات التطوعية المتنوعة بالنصوص الشرعية الكثيرة والتي منها:

أ - قول الله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

والمراد بقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ كل ما يصدق عليه اسم الخير كائناً ما كان، ثم بين سبحانه وتعالى في الآية أن النفقة المعتمد بها المقبولة إنما هي ما كان ابتغاء وجه الله

= ثم قال ألم تر الركائب المناحات الأربع؟ قلت: بلى، قال: فإن لك رقابهن وما عليهن، وإن عليهن كسوة، وطعاماً أهدهن إلي عظيم فذك فاقبضهن واقض دينك، ففعلت...» أخرجه الإمام أبو داود بطول الحديث في سننه، كتاب الخراج والأمانة والقي، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين، رقم الحديث «٣٠٥٥» (١٧١/٣) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ دار الفكر. وقال الإمام الشوكاني: «حديث بلال سكت عنه أبو داود والمنذري، ورجال إسناده ثقات». انظر: نيل الأوطار له (١٠٤/٦، ١٠٥). والحديث من الأدلة على أن ذمة الدين سبب في القيام لطلب الرزق والمال لإزالتها مع الارتباط بأداء واجب الدعوة. وراجع أيضاً أبواب الاستقراض لمعرفة مدى وجوب تسديد الدين على المدين في كتب الفقه والحديث وكتب تفسير آيات الأحكام.

(١) راجع أحوال الرسل عليهم السلام في القيام بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق في ص/١٥٣ وتسخير الرزق للإنفاق المشروع في ص/١٧٧ من هذا البحث. وراجع أيضاً: أحوال الصحابة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وإنفاقه في ص/٢٠٨ من هذا البحث.

سبحانه<sup>(١)</sup>.

ب - ما جاء في رواية عن أبي ذر قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام النووي عن الحديث: «فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء»<sup>(٣)</sup>.

وكما جاء حث الرسول ﷺ على الإنفاق بما فضل عن الكفاية في وجوه البر بقوله ﷺ: «... فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك»<sup>(٤)</sup>.

ووجوه الخير والبر كثيرة يحتاج إليها المجتمع لمعالجة بعض مشاكلها بها عن طريق الدعاة وغيرهم.

وسعي الداعية في طلب الرزق لأجل تحقيق تلك الأهداف من أنواع بذل المعروف بالمال والرزق بعد ملكيته بطريق مشروع، ومن أنواع الامتثال لما يدعو إليه الداعية من فعل الخير والحرص على حصول ثواب الأعمال الخيرية، التي تبذل من قبل الداعية أو غيره في المجتمع.

وينبغي للدعاة في كل زمان ومكان أن يحافظوا على نجاح هذا الهدف النبيل الذي هو بذل الخيرات التطوعية في مجتمعهم عن طريق القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

المطلب الثاني- دواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الدعوة إلى الله تعالى.  
وأما أهم دواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بشؤون الدعوة إلى الله تعالى فيأتي ذكرها في المسألتين التاليتين:-

(١) انظر- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٢٩٢/١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب باب رقم (٤٣) رقم الحديث (٢٦٢٦) (٤١٦/١٦).

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤١٦/١٦).

(٤) جزء من حديث سبق ذكره وتخريجه في ص/ ٢٦٤ من هذا البحث.

### المسألة الأولى- الحرص على أداء واجب الدعوة.

إن مما يجوز أن يكون سبباً دعوياً في قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق أن يحرص على أداء الدعوة بعد معرفته أهمية وجوب الدعوة عليه<sup>(١)</sup> مع حاجته إلى رزق ومال يسد به رغباته الدينية والدنيوية المشروعة.

حيث إن الداعية في هذه الحالة ينظم وقته بين أداء الدعوة وطلب الرزق. ويكون حريصاً على تحقيق الأهداف الدعوية عند جميع مراحل الدعوة وطلب الرزق؛ لأن المصالح المشروعة المتعلقة بالرزق نابعة من تحقيق الأهداف الدعوية ولا تعارض بينهما<sup>(٢)</sup>؛ لأن الدعوة تهدف إلى تنظيم وبيان كل ما يتصل بالرزق وغيره، والحث على تطبيق أحكام متطلبات كسب الرزق. والتحذير عن ما يقع فيها من مخالفات شرعية.

إذن فالحرص على أداء واجب الدعوة مع السعي في طلب الرزق لسد الحاجات بأساليب مناسبة من الأهداف والأسباب التي ينبغي للدعاة أن يتثبتوا بها في كل زمان ومكان، اقتداء منهم بالرسول عليهم السلام في مشيهم في الأسواق لطلب الأرزاق لغرض سد حاجاتهم مع استمرارهم على الدعوة، كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: يسعون في الأسواق لكسب رزقهم مع مواصلة الدعوة إلى الله<sup>(٣)</sup>.

### المسألة الثانية- تحمل تكاليف الدعوة وصورها.

إن مما ينبغي للداعية أن يكون من أهدافه وسبب قيامه بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، تحمل تكاليف الدعوة وتمويلها بقدر الاستطاعة.

ويأتي تحمل تكاليف الدعوة في صورتين: الأولى- ما تعلق بالتكاليف الذاتية في الدعوة. والثانية- ما تعلق بتكاليف الغير في الدعوة.

وتدخل هاتان الصورتان تحت عموم الأمر بالإنفاق في سبيل الله بنصوص شرعية

(١) راجع بعض الأدلة على وجوب الدعوة في ص/٣٧ .

(٢) راجع بعض الأدلة على مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٨٠ - ١٠٤ .

(٣) سبق توضيح الآية مع ذكر أحوال لرسول عليهم السلام في القيام بالدعوة مع الارتباط بطلب الرزق في ص/١٥٣

من هذا البحث.

كثيرة، والتي منها قول الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثم عطف بالأمر بالإحسان. وهو أعلى مقامات الطاعات...»<sup>(١)</sup>.

إذن فسبيل الله باب واسع تدخل فيه الدعوة وغيرها من الطاعات<sup>(٢)</sup>.

وأما الإنفاق في سبيل الله فلا يتأتى إلا بالسعي لكسب الرزق ثم إنفاقه في الذات وفي الغير؛ لتعزيز أداء المهمة الدعوية وغيرها من الطاعات، وعندئذ يكون قصده نبيلاً ومهماً بالنسبة للداعية في قيامه بأداء عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/١، ٣١٢).

(٢) حيث إن كلمة: «سبيل الله» في القرآن الكريم يقصد بها معانٍ كثيرة ويعرف كل معنى بدلالة القران في سياق الآيات التي ترد فيها كلمة "سبيل الله" ومن تلك المعاني ما يأتي:

١- كل أنواع البر والطاعات وصالح المجتمع والخير العام. ٢- الجهاد بالغزو والقتال. ٣- الدعوة إلى الله. كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُتَّفَقُونَ أَنْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] إن سبيل الله في هذه الآيات تعني الدعوة إلى الله أي نصرته الإسلام والدفاع عنه باليد واللسان والقلم فهي التي كان الكافرون يتفقون أمواهم ليصدوا الناس عنها وهي التي كان المؤمنون يجاهدون من أجلها وفي سبيلها فالدعوة إلى الله هي المفهوم الوحيد الذي يمكن أن يجمع المعاني التي يمكن أن يحمل عليها معنى سبيل الله في القرآن وليس هناك مفهوم آخر يجمعها، وذلك عند مقارنة المعاني الثلاثة والتوفيق بينها. ولكي يتفق مفهوم صالح المجتمع ومفهوم الغزو مع مفهوم سبيل الله بمعنى الدعوة إلى الله فلا بد من تضيق المفهوم الأول، وتوسيع المفهوم الثاني، فلكي تكون مصالح المجتمع داخلة في مفهوم «سبيل الله» فلا بد أن يكون المقصود منها التمكين لدين الله، أما القتال والغزو للدفاع عن الدين والوطن أو إزالة العقبات المادية من طريق الدعوة فهو داخل في مفهوم سبيل الله في جميع الحالات، ولا خلاف على دخوله بين الفقهاء القدامى واخديثين. انظر بالتصرف: النفقات العامة في الإسلام دراسة مقارنة، للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص/ ٢٩٨- ٣٥١ ط/ دار الكتاب الجامعي - القاهرة. ولأن مصالح المجتمع تثبت بالدعوة وتمكين الدين بعد إزالة العوائق أمامها بالقتال، أو غيره من وسائل الحماية للدعوة والدين.

(٣) راجع الكلام حول الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية في مشروعية طلب الرزق والمال لإنفاقه في سبيل الله ص/ ٨٤ من هذا البحث.



الصورة الأولى- تحمل التكاليف الذاتية في الدعوة.

إن من أهداف الداعية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، الحرص على تحمل التكاليف الذاتية في الدعوة.

— سلوكيات الداعية في تحمل التكاليف الذاتية.

وينبغي للداعية في هذه الصورة أن يلتزم ببعض السلوكيات المفيدة لاستقامة عملية تحمل التكاليف الذاتية في مجال الدعوة ومراحلها المختلفة، ومن تلك السلوكيات ما يأتي:

١ - مراعاة ترتيب الإنفاق الفردي.

ينبغي للداعية عند تحمل التكاليف الذاتية في الدعوة أن يراعي مراتب الإنفاق الفردي فيقدم الأهم على المهم حتى لا يُضَيِّع حقاً من الحقوق اللازمة<sup>(١)</sup>.

٢ - الاعتماد على الرزق الخاص.

ينبغي للداعية عند تحمل تكاليف نفسه في الدعوة أن يعتمد على رزقه الخاص في تسيير عملياته الدعوية من جميع جوانبها، ويستثمر رزقه وأمواله لتحقيق ذلك الهدف الدعوي اقتداءً منه في ذلك بهدي النبي ﷺ في إنفاقه ما بقي من أموال بني النضير في السلاح والكراع عدة في سبيل الله، بعد ما يأخذ منها نفقة السنة لأهله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يدل على العمل بالاعتماد على المال الخاص ما جاء به إقرار الرسول ﷺ الصحابة على تحمل نفقات أنفسهم في سبيل الله. كما هو ظاهر في قول سليم ﷺ قبيل غزوة أحد: «... سترون غداً إذا التقى القوم إن شاء الله قال والناس يتجهزون إلى أحد...»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث دلالة على إقرار الرسول ﷺ على التحيز الذاتي من الرزق الخاص

(١) راجع مراتب الإنفاق الفردي في ص/٢٦٤ من هذا البحث.

(٢) سبق ذكر نص الحديث وتخرجه في ص/٩٠ من هذا البحث. راجع أحوال الرسل عليهم السلام في الإنفاق للدعوة من جميع جوانبها في ص/١٨٢ وص/١٨٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بطول الحديث برقم الحديث «٢٠٧١٨» وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «صحيح لغيره، وهذا إسناد منقطع» (٧٤/٥). راجع الكلام حول تجهيز الصحابة أنفسهم لأداء المهمة الدعوية في ص/٢٢١ من هذا البحث.

لأداء العملية الدعوية.

### ٣ - استغلال أموال الغير في الدعوة.

وينبغي للداعية أن لا يأخذ أموال غيره مع وجود ما يكفيه من أمواله الخاصة في تنفيذ الأعمال الدعوية، إلا في حال إيصال تلك الأموال إلى من يحتاج إليها لخدمة الدعوة فيأخذها حينئذٍ إليه. كما هو ظاهر في استقبال النبي ﷺ تبرعات الصحابة في تجهيز الجيش الإسلامي لغزوة تبوك وتوزيعها بين الناس المحتاجين إليها حتى يتمكنوا من أداء مهمتهم الجهادية والدعوية<sup>(١)</sup>.

### ٤ - الاستعانة بالغير عند العجز.

وأما إذا عجز الداعية لعذر شرعي من أداء بعض الأعمال الدعوية، فيستحب له أن يسير إلى من يتوسم فيه الخير، ويقبل منه رزقاً ومالاً تطوعياً يكفي لتنفيذ تلك الأعمال الدعوية، كما هو ظاهر في قبول النبي ﷺ أموالاً تطوعياً من قبل أبي بكر رضي الله عنه لنصرة دينه ودعوته عند هجرتهما وعند شراء أرض مسجده في المدينة، وغير ذلك<sup>(٢)</sup>. وكذلك ما جاء في إقرار النبي ﷺ الفتى الصحابي الذي عجز عن تجهيز نفسه بأن يستعين بجهاز غيره لأداء مهمة الدعوة.

وفي رواية أنس بن مالك أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز قال: ائت فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض فأتى فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول أعطني الذي تجهزت به قال: يا فلانة أعطه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئاً فيبارك لك فيه<sup>(٣)</sup>.

فالحديث يدل على جواز الاستعانة بالغير من المسلمين في سبيل الله عند العجز عن التجهيز الذاتي لأداء المهمة الدعوية.

(١) راجع بعض صور استقبال الرسول ﷺ تبرعات الصحابة في تجهيز جيش العسرة في ص/٢٣٦ من هذا البحث، وانظر البداية والنهاية للإمام ابن كثير (١٥٢/٧-١٥٤).

(٢) سبق ذكر الحديث الدال على ذلك في ص/١٩٢. وانظر سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق بتهديب ابن هشام (٣٣٥/٢-٣٣٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب رقم (٣٨) رقم الحديث (١٨٩٤) (٤٣/١٣).

## ٥ - استئناف الدعوة بعد زوال العذر.

وأما إذا سعى الداعية في اكتساب الرزق فلم يجد ما ينفقه في تسيير أعماله الدعوية، أو لم يجد مساعدة من غيره على تحقيق نفس الغرض الدعوي. فينبغي له أن يتوقف عن أداء تلك الأعمال الدعوية حتى يجد قدرة على تنفيذها في مستقبل حياته الدعوية. لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ونفي الحرج عن الضعفاء والمرضى والفقراء المخلصين، والمجاهدين العاجزين عن التجهيز الذاتي لأداء مهمة الجهاد، بقول الله تعالى عنهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١-٩٢]<sup>(١)</sup>.

وأما ما ذكر من هذه السلوكيات المفيدة لاستقامة عملية تحمل التكاليف الذاتية في مراحل الدعوة، فهي من الأعمال الشرعية التي ينبغي المحافظة عليها.

وكذلك السعي لاكتساب الرزق لأجل تحمل تكاليف مسئولية الذات في سبيل الدعوة من الأمور المشروعة، فعلى الدعاة مراعاته في كل زمان ومكان لما له من ثواب عظيم، أي ثواب السعي لاكتساب الرزق وثواب الإنفاق، وثواب القيام بالدعوة وثواب الامتثال لأمر الله ﷻ. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]<sup>(٢)</sup>.

الصورة الثانية: تحمل تكاليف الغير في الدعوة.

إن تحمل تكاليف الغير في الدعوة من أنواع الإنفاق المشروع في سبيل الله<sup>(٣)</sup> ويأتي بيانه في السلوكيات الآتية:

(١) راجع الكلام حول العمل في الدعوة وطلب الرزق في حدود القناعة ص/ ٢٨٤ من هذا البحث.

(٢) راجع الكلام حول الحرص على ثواب العمل من الله ﷻ في الدعوة وطلب الرزق ص/ ٢٧١.

(٣) راجع بعض الأدلة في مشروعية الإنفاق في سبيل الله في ص/ ٨٤ وص/ ٣١٧. راجع أحوال الرسل عليهم السلام في الإنفاق من الأموال العامة والخاصة في صالح الدعوة في ص/ ٢٨٢ وص/ ١٨٩.

- سلوكيات الداعية في تحمل تكاليف الغير.

وينبغي للداعية عند تحمله تكاليف الغير عند أداء مهمة الدعوة أن يلتزم السلوكيات المفيدة لاستقامة عملية تحمل تكاليف الغير وفق مراحل الدعوة وأبعادها. ومن تلك السلوكيات ما يأتي:

١ - الإنفاق على الغير بعد الإنفاق على الذات.

وينبغي للداعية في تحمل تكاليف الغير أن يأتي إنفاقه على غيره ليؤدي مسئولية الدعوة بعد أن يكمل الإنفاق على نفسه لأداء المهمة الدعوية.

كما هو ظاهر في موقف ابن يامين بن عمير في تجهيزه بعض الصحابة الذين كانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ أن يُجهزهم لغزوة تبوك فلم يجد لهم ما يجهزهم به. وفي رواية عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> قال: «فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النصري لقي أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب وعبدالله بن مغفل وهما يكيان فقال: ما يكيكما؟ قال: جئنا رسول الله ﷺ فلم نجد عنده ما يُحمّلنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاها ناضحاً<sup>(٢)</sup> له فارتحلاه، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الأعمال من قبل الصحابة كانت تنفذ بعد إقرار الرسول ﷺ لها، حيث كانوا يستهدون بهديه في الأمور كلها. ٢ - تفضيل الغير بالإنفاق عند العجز.

وأما إذا كان للداعية عذر شرعي<sup>(٤)</sup> يمنعه من أداء مهمة دعوية بنفسه فينبغي له

(١) ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو عبدالله القرشي المطلبى المدني اشتهر برواية السيرة والمغازي، وكان حجة في ذلك قال عنه الإمام الشافعي: من أراد أن يبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. أخذ عن عدد من كبار التابعين كالزهري وابن المسيب وأبي الزناد وغيرهم، توفي - رحمه الله - سنة ١٥٠هـ وقيل ١٥١هـ وقيل غير ذلك. انظر - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٣٣/٧.

(٢) "الناضح": السائبة وهي الإبل يستقى عليها الماء من الدواليب. انظر الفائق في غريب الحديث للعلامة جاز الله محمود بن عمر الزمخشري ٣/٤٤٠ ط/دار الفكر، والمعجم الوسيط ١/٤٥٧.

(٣) انظر - سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق وتهذيب ابن هشام وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (٤/٩٤٥، ٩٤٦).

(٤) والعذر في الاصطلاح: هو ما يتعذر عليه المعنى على موجب شرعي إلا بتحمل ضرر زائد. التعريفات للجرجاني ص/١٩٣.

أن يكتفي بإنفاق قدر طاقته من الرزق لداعية آخر لكي يتولى المهمة الدعوية التي كان يقصدها. كما هو ظاهر في إقرار الرسول ﷺ فعل الصحابي الذي مرض وسلم جهازه لغيره حتى يشارك في الجهاد الذي لم يستطع المشاركة فيه <sup>(١)</sup>.

### ٣ - تخصيص الإنفاق على الجوانب المحتاجة.

وينبغي للداعية عند تحمل تكاليف غيره في الدعوة أن يبدأ إنفاقه بالجوانب المتعلقة بنجاح الدعوة، أو ما يراه محتاجاً إلى الإنفاق من قبل غيره، وذلك بقدر الطاقة، ويعمم الإنفاق على جميع الجوانب وفق الحاجة كالإنفاق في الإعداد العلمي وتدعيم وسائل الدعوة وتهيئة الميادين الدعوية، وتحسين الأحوال المعيشية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية للداعية وحمايته من أنواع الضرر لدخول ذلك كله في عموم الأمر بفعل الخيرات والإنفاق في سبيل الله <sup>(٢)</sup>.

### ٤ - عدم التسبب في إعاقة الدعوة بفعل المخالفات الشرعية.

وينبغي للداعية أن يحذر من كل ما من شأنه تعطيل شيء من أعمال الدعوة، ومن ذلك عدم التسبب في منع الآخرين من المشاركة في تحمل مسؤوليات غيرهم في الدعوة، وهو من أنواع النهي عن فعل الخيرات، وذلك محرم شرعاً بنصوص كثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وإن كان سبب الآية في المنافقين إلا أن حكم الآية يعم كل من يمنع غيره عن الخيرات في الدعوة وغيرها؛ لأن العبرة في الآيات بعموم اللفظ لا بخصوص سببها.

وكذلك يحرم على الداعية أن يصدر منه أي عمل آخر مخالف للشرعية من قول أو فعل يسيء به إلى هدم وتعطيل أهداف تحمل تكاليف الغير في سبيل الدعوة، لأن ذلك يؤدي إلى بطلان العمل لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

(١) سبق ذكر نص الحديث في ص/٣٢٠ من هذا البحث.

(٢) راجع الكلام حول الحرص على بذل الخيرات التطوعية في ص/٣١٥ والكلام حول إنفاق الرزق في المصارف المباحة ص/٢٦٢ من هذا البحث.

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٦٤﴾.

وهذه المخالفات الشرعية يجب إبعادها عن الصدقات التطوعية والواجبة<sup>(١)</sup>. وكذلك يجب على الداعية الامتثال بالأوامر الشرعية في تحمل تكاليف مسئوليات الغير في أداء الدعوة وغيرها من الطاعات؛ لأن ذلك يؤدي إلى قبول العمل والفوز بثوابه عند الله ﷻ بنصوص كثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى<sup>(٢)</sup>﴾ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ٢٦٢﴾<sup>(٣)</sup>. أي لهم أجر عظيم على حسن امتثالهم لأمر الله في إنفاق الصدقات البعيدة من المن والأذى.

إذن فسلوك الأعمال المذكورة عند تحمل تكاليف الغير في الدعوة من الأعمال المشروعة.

وكل ما ذكر في هذا المبحث من الدواعي والأهداف المتعلقة بالرزق كالمحافظة على الطاعات المالية، والاستعانة بالرزق على العبادات البدنية، والمحافظة على إعطاء النفقات اللازمة، والحرص على بذل الخيرات التطوعية، وكذلك ما ذكر في المبحث من الدواعي المتعلقة بالدعوة بالنسبة للداعية كالحرص على أداء واجب الدعوة وتحمل تكاليف الدعوة للذات وللغير. إنما هي أبرز الدواعي والأهداف المتصلة بالداعية في قيامه بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وينبغي للدعاة مراعاتها في كل زمان ومكان عند الإقدام لهذا العمل الجليل.

(١) لأن معنى الصدقة هو ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، ولكن الصدقة تقال للمتطوع به والزكاة للواجب. وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله. انظر - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/ ٢٧٨.

(٢) الأذى: هو ما يصل إلى الحيوان من الضرر إما في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أو أخروياً. انظر - المرجع السابق ص/ ١٥.

(٣) انظر : تفسير القرن العظيم للإمام ابن كثير (١/ ٤٢٥).

### المبحث الثاني

دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين

المطلب الأول- المراد بدواعي الجمع بين الدعوة إلى الله  
وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين

المطلب الثاني- تسخير نصيب من الرزق لصالح خدمة المدعو المستجيب

المطلب الثالث- تسخير نصيب من الرزق لدعوة المدعو غير المستجيب

## المبحث الثاني

## دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين

المطلب الأول- المراد بدواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين:  
المسألة الأولى- التعريف بالمدعو.

أ - معنى المدعو في اللغة: اسم مفعول مشتق من دعاه فهو مدعو وهي مدعوة<sup>(١)</sup>.  
ب - معنى المدعو في الاصطلاح: هو من توجه إليه الدعوة. ويمكن أن يعرف أيضاً بأنه الإنسان مطلقاً؛ لأن الإسلام رسالة الله الخالدة بعث الله به محمداً ﷺ إلى الناس أجمعين، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وهذا العموم بالنسبة للمدعوين لا يستثنى منه أي إنسان مخاطب بالإسلام ومكلف بقبوله والإذعان له، وهو البالغ العاقل مهما كان جنسه ونوعه، ولونه ومهنته وإقليمه، وكونه ذكراً أو أنثى إلى غير ذلك من الفروق بين البشر<sup>(٢)</sup>.

والمراد بالمدعو في موضوع هذا البحث هو كل من توجه إليه دعوة الداعية غير الرسل عليهم السلام في كل عصر من عصور الدعوة.

## ج - أصناف المدعوين:

قد قسم العلماء المدعوين إلى قسمين أساسيين.

القسم الأول: هم المسلمون أو المؤمنون وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي بأمة الاستجابة - ويمكن الإطلاق عليهم في هذا الموضوع بالمدعوين المستجيبين الذين استجابوا لدعوة الداعية - وهم أصناف متعددة. ومن أبرز هذه الأصناف ما يأتي:

- ١ - المدعوون المسلمون المهتدون: وهم الذين على الصواب في الدين.
- ٢ - المدعوون المسلمون العصاة: وهم المسلمون الذين لم يقو إيمانهم فيقعون في معصية بسبب ضعف إيمانهم.

(١) سبق ذكر معنى «دعا» عند التعريف بالدعوة في ص/ ٦ من هذا البحث.

(٢) انظر- المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص/ ٤١، ٤٢ وص/ ١٦٩ ط/ إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر. وأصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص/ ٣٥٨.



٣ - المدعون المسلمون الضالون: وهم الذين وقعوا في شيء من الضلال العقدي وبعض المسائل الفرعية لأجل تأويل دليل أو شبهة<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: هم الكافرون أو (غير المسلمين) الذين يدخلون في الاصطلاح الدعوي في أمة الدعوة، - ويمكن الإطلاق عليهم بالمدعويين غير المستجيبين الذين لم يستجيبوا لدعوة الداعية - وهم أيضاً على أصناف متعددة، ومن أبرز هذه الأصناف ما يأتي:

١ - الكافرون الجاحدون الملحدون: وهم الذين ينكرون وجود الله ﷻ ويحذونه كما هو حال الدهريين في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] وكما هو حال المشركين الشيوعيين اليوم الذين يقولون: «لا إله والحياة مادة» ويقولون: «الدين أفيون الشعوب» وغير ذلك مما هو مشهور عنهم.

٢ - المشركون الوثنيون: وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة، مثل مشركي العرب وغيرهم، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

٣ - الكافرون من أهل الكتاب: وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة كاليهود والنصارى، وسموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة، وهم داخلون في الحكم العام لوصف الكافرين؛ لأنهم لم يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٤ - المنافقون: وهم الذين يبتغون الكفر ويظهرون الإسلام. وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس، وخداعهم لهم حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين؛ ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم، كما قاله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

وإن غير المؤمنين في كل عصر ومصر، لا يخرجون عن هذه الأصناف الأساسية

(١) انظر - المدخل إلى علم الدعوة - دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص/١٧٢ -

١٧٧، وأصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص/٣٦٥.

للكافرين، مهما اختلفت أسماؤهم، وتنوعت أساليبهم، فقد وجدوا في زمن الرسول ﷺ، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وتوجد تقسيمات أخرى للمدعوين من قبل بعض العلماء (وفقهم الله تعالى) وكلها داخل في الأصناف المذكورة<sup>(٢)</sup>.

وكذلك توجد أساليب كثيرة في استخدام وسائل الدعوة لدعوة جميع أصناف المدعوين لكي يقبلوا الحق ويثبتوا عليه، أو لدفع شرور معارضي الدعوة عن الدعوة والدعاة، ومن تلك الوسائل وسيلة الرزق والمال<sup>(٣)</sup>.

وهذا من الأسباب التي تحتم على الداعية القيام بالدعوة مع سعيه لاكتساب الرزق والمال؛ لأجل إنفاقه في سبيل دعوة المدعوين وهدايتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدين والدنيا. إذن فالمراد بدواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين في هذا الموضوع هو عبارة عن قصد الداعية المصالح الدعوية التي يخص بها المدعوين نتيجة قيامه بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لأجل تحقيق الأهداف الدعوية.

وتنحصر دواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بالمدعوين في أمرين رئيسيين:

- (١) انظر - المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة، للدكتور محمد أبو الفتح البيسانوني ص/١٧٨-١٨١، وأصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص/٣٦٥-٣٩٦.
- (٢) راجع المصدرين السابقين، وأساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة - الداعية - المدعو) للدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر ص/٢٩٥-٣٤٢ ط/ جامعة اليرموك عام ١٩٩٩ م.
- (٣) وللعلماء الذين كتبوا في الدعوة تعريفات عدة بوسيلة الدعوة ومنها ما يأتي:
  ١. الوسيلة: هي «ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر» قال به الدكتور عبدالكريم زيدان.
  ٢. الوسيلة هي: «ما يتوصل به إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية ومادية» قال به الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.
  ٣. الوسيلة هي: «ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين وغالباً تكون حسية» قال به الدكتور عبد الله بن رشيد بن محمد الخوشاني.
  ٤. الوسيلة هي: «القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس» قال به الدكتور سيد محمد ساداتي.

وهناك تعريفات أخرى، ولكن التعريفات المذكورة هنا مع اختلاف ألفاظها إلا أنها يدور كلها حول شيء ما يستعين به الداعية في إيصال دعوته إلى المدعو، وهذه الوسائل كثيرة ومتعددة منها القول والقوة والمال والرزق وغيره. انظر كلاً من أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان ص/٤٢٩-٤٦٩، والمدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص/٤٨، ٤٩، ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله للدكتور عبد الله الخوشاني (٥٤٢/٢) ط/ مركز الدراسات والإعلام دار شبلييا - الرياض عام ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م، وركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام للدكتور سيد محمد ساداتي ص/٤٣، هامش رقم (٦). وأساليب الدعوة والإرشاد للدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر ص/١٢٢-١٥٠.

أ - تسخير نصيب من الرزق لصالح المدعو المستجيب.

ب - تسخير نصيب من الرزق لدعوة المدعو غير المستجيب.

ويأتي بيانهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الثاني: تسخير نصيب من الرزق لصالح خدمة المدعو المستجيب:

إن من دواعي الجمع بين الدعوة والسعي لكسب الرزق والمال من قبل الداعية، قصده إنفاق الرزق والمال في مصلحة المدعويين الذين استجابوا لدعوته أو لدعوة غيره من الدعاة ممن يحتاجون إلى ذلك الإنفاق من المدعويين المستجيبين لهدف ثباتهم على أداء أعمالهم الدينية، واستمرارهم عليها، وإبعادهم عن الأخطاء والهفوات في العبادات والطاعات التي تم تعليمهم إياها من قبل الداعية؛ لأن هذا العمل له أثر فعال في تحقيق تلك الأهداف الدعوية النبيلة بواسطة الرزق والمال، وهو عمل مشروع بدخوله تحت عموم الأمر الشرعي بالإنفاق في وجوه البر والطاعات كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وكما هو ظاهر في إقرار النبي ﷺ الصحابة على قيامهم بتأجير أنفسهم لأجل التصديق بقيمته على إخوانهم المدعويين. وفي رواية أبي مسعود قال: أمرنا بالصدقة قال كنا نحامل<sup>(١)</sup> قال فتصدق أبو عقيل بنصف صاع قال: وجاء إنسان بشيء أكثر

= وكذلك للعلماء تعريفات متعددة بأسلوب الدعوة ومنها ما يأتي:

- ١- أسلوب الدعوة هو: "طريقة الداعي في دعوته. أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة". قال به الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.
  - ٢- أسلوب الدعوة: «طريقة عرض الفكرة أو الطريقة العملية التي يسلكها الداعية في توصيل الفكرة للمدعويين». قال به الدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر.
  - ٣- أسلوب الدعوة: "هي الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنوية الفنية، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسية" قال به الدكتور عبدالله الحوشاني.
- وهناك تعريفات أخرى بأسلوب الدعوة لدى بعض العلماء، وكما أن بعض العلماء يخلطون بين الوسيلة والأسلوب مع وجود الفرق بينهما، ولكن التعريفات المذكورة هنا مع اختلاف ألفاظ عباراتها يتفق مضمون كلها على أن الأسلوب هو الطريقة أو الكيفية التي يتصرف بها الداعية باستخدام وسيلته الدعوية أو غيرها في تبليغ دعوته إلى المدعو.
- انظر كلاً من المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص/٤٧، ٤٨، وأساليب الدعوة والإرشاد للدكتور محمد أمين حسن ص/١٢٣، ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله للدكتور عبدالله الحوشاني (٢/٥٤٣، ٥٤٤) وانظر الدعوة إلى الله تعالى خصائصها مناهجها، دراسة مقارنة للدكتور أبو النجد السيد نوفل ص/١٨٩، وفقه الدعوة إلى الله للدكتور علي عبدالحليم محمود (١/٢١٥).
- (١) قوله: "كنا نحامل" وفي الرواية الثانية: "كنا نحامل على ظهورنا" معناه: نحمل على ظهورنا بالأجرة ونصدق من تلك الأجرة أو نتصدق بها كلها. شرح صحيح مسلم تأليف الإمام النووي (٧/١١٠).

منه...»<sup>(١)</sup>. وفي رواية سعيد بن الربيع قال: «كنا نحامل على ظهورنا»<sup>(٢)</sup>. قال الإمام النووي عند شرح الحديث: «ففيه التحريض على الاعتناء بالصدقة وأنه إذا لم يكن له مال، يتوصل إلى تحصيل ما يتصدق به من حمل بالأجرة أو غيره من الأسباب المباحة»<sup>(٣)</sup>.

المسألة الأولى - مرتكزات الإنفاق في صالح خدمة المدعو المستجيب.

وأما الإنفاق في صالح المدعو المستجيب فيتطلب التركيز فيه على جوانب متعددة في هذا الموضوع ومن أبرزها ما يأتي:

١ - الإنفاق في تعليم المدعو أمور دينه.

إن مما ينبغي أن ينفق فيه الداعية لصالح المدعو المستجيب، الإنفاق في جانب تعليم المدعو المستجيب أمور دينه ودنياه وفق المنهج الإسلامي، وذلك بالإنفاق في كل ما من شأنه إيصال المعلومات المفيدة إلى المدعو المستجيب كالإنفاق في بناء دور العلم بمختلف مستوياتها، ووضع برامجها ومناهجها وتزويدهم بالكتب الإسلامية القيمة، وبناء المكتبات الإسلامية. وتهيئة ميادين الاجتماعات بالمدعوين لتزويدهم بالعلم والمعرفة، وتمويل المعلمين المتخصصين المشتغلين المتفرغين لتعليمهم، وإنشاء وسائل الإعلام الإسلامية لتنمية مداركهم الثقافية الدينية، وغير ذلك من الأعمال المفيدة في تعليم المدعو المستجيب أمور دينه ودنياه وفق هدي الإسلام ؛ لأن تعليم المدعو بعد الاستجابة، له أهمية بالغة في نجاح العملية الدعوية.

كما هو ظاهر في إرسال الرسول ﷺ مصعب بن عمير<sup>(٤)</sup> ﷺ ليعلم من أسلم

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطول الحديث كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (٢١) (١١٠/٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١١٠/٧).

(٣) المرجع السابق (١١٠/٧).

(٤) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي البغدري، يكنى أبا عبدالله. كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام وأذى في دينه ودعوته فصر وهاجر إلى الحبشة والمدينة وهو أول سفير لرسول الله ﷺ إلى المدينة ليفقه أهلها ويعلمهم القرآن، وشهد بدرًا وشهد أحدًا ومعه لواء رسول الله ﷺ وقتل بأحد شهيداً ﷺ قتله ابن قيمته الليثي.

انظر - أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام ابن الأثير ١٨١/٥، ١٨٢.

من أهل يثرب الإسلام والقرآن والفقه في الدين<sup>(١)</sup>.

وكما هو ظاهر في مواقف الرسول ﷺ في تعليمه أصحابه أمور دينهم بعد دخولهم في الإسلام بأساليب مختلفة التي منها أسلوب الوعظ والإرشاد وغيره، كما في رواية عبدالله بن مسعود ؓ قال: كان النبي ﷺ يتحولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا<sup>(٢)</sup>. إذن فالقيام بتعليم المدعو المستجيب والإنفاق في سبيل تحقيقه من الأمور المشروعة التي ينبغي للداعية أن يهتم بها في كل زمان ومكان.

## ٢ - الإنفاق في جذب المدعو إلى قبول الحق والثبات عليه.

من جوانب الإنفاق في صالح المدعو المستجيب من قبل الداعية الإنفاق في جانب إمالة المدعو وكل من يتبعه من قبيلته وعشيرته، أو إمالة كل من له نفوذ عليه إلى قبول الحق والعمل به والثبات عليه بأسلوب مشروع مناسب لحال المدعو وفي حدود الطاقة المالية للداعية.

ومن تلك الأساليب أسلوب دفع الزكاة إلى المدعو لدخوله في حكم المؤلف قلوبهم<sup>(٣)</sup>، وأسلوب الصدقة وأسلوب الهدية وغيرها من الأساليب المشروعة، كما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ مع بعض المدعويين المستجيبين لكسب حبه ليكون سبباً في إدخال غيره إلى الإسلام. وفي رواية عن أنس ؓ «أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين

(١) انظر - سيرة النبي ﷺ تأليف ابن إسحاق وتهذيب ابن هشام بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (٢/٢٩٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم (٢) باب رقم (١١) رقم الحديث (٦٨) (١/١٩٥).

(٣) كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد اختلف العلماء في المؤلفة قلوبهم من المسلمين، فذهب الحنفية إلى أن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط بعد وفاته ﷺ سواء أكانوا من الكفار أم من المسلمين؛ لأن المعنى الذي لأجله كانوا يعطون قد زال بإعزاز الإسلام واستغنائه عن تأليف القلوب واستمالتها إلى الدخول فيه، وذهب إلى هذا كثير من أئمة السلف، واختاره الروياني وجمع من متأخري أصحاب الشافعي، وعلى هذا يكون عدد الأصناف سبعة لا ثمانية.

والمنقول عن نص الشافعي وأصحابه المتقدمين أن حكم المؤلفة قلوبهم من المسلمين لا يزال معمولاً به. وهو قول الزهري وأحمد، وإحدى الروايتين عن مالك، والآية في ظاهرها تشهد لهم. انظر - تفسير آيات الأحكام - أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٣/٦٤، ٦٥) ط/دار ابن كثير ودار القادر - دمشق - بيروت والقول الأخير هو الأرجح لظاهر الآية ولفعل النبي ﷺ.

جبلين فأعطاه إياه فأثنى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر فقال أنس إن كان الرجل يُسَلِّم ما يريد إلا الدنيا فما يُسَلِّم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(١)</sup>.

والحديث من الأدلة على جواز إعطاء المال للمدعو لأجل تحقيق هدف دعوي منه<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للداعية أن يتعرف على أصناف المدعوين المستجيبين الذين يؤلف قلوبهم كما قسمهم العلماء في الصورة الآتية: وأما المسلمون من المؤلفلة قلوبهم فهم أصناف: الصنف الأول: صنف لهم شرف في قومهم يُطَلَّبُ بتألفهم إسلام نظائهم<sup>(٣)</sup>. والصنف الثاني: هم صنف أسلموا ونيتهم في الإسلام ضعيفة.

فيتألفون لتقوى نيتهم ويثبتوا، كما ثبت ذلك بفعل الرسول ﷺ أنه أعطى أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن لكل واحد منهم مئة من الإبل، وغيرهم لشرفهم في قومهم<sup>(٤)</sup>.

الصنف الثالث: وهم جماعة يليهم جماعة من الكفار إن أُعْطُوا قَاتَلُوهُمْ. الصنف الرابع: وهم قوم يليهم قومٌ من أهل الزكاة إن أعطوا جَبَّوْهَا مِنْهُمْ، وقد ثبت أن أبا بكر ﷺ أعطى عدي بن حاتم حين قدم عليه بزكاته وزكاة قومه عام الردة<sup>(٥)</sup>. إذن فالسعي لكسب الرزق والمال وإنفاقه في تأليف قلوب المدعوين المستجيبين ممن يحتاجون إلى ذلك. عمل مشروع ينبغي للدعاة مراعاته في كل زمان ومكان.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب رقم (١٤) رقم الحديث (٥٨) (٧٩/١٥).  
(٢) قال الإمام النووي عند توضيح معنى قوله «فأعطاه غنماً بين جبلين» أي كثرة كأنها تملأ ما بين جبلين وفي هذا مع ما بعده إعطاء المؤلفلة. ولا خلاف في إعطاء مؤلفة المسلمين لكن هل يعطون من الزكاة؟ فيه خلاف. الأصح عندنا أنهم يعطون من الزكاة ومن بيت المال، والثاني - «لا يعطون من الزكاة بل من بيت المال خاصة...» المرجع السابق.

(٣) كما هو ظاهر في الحديث السابق برواية أنس في إعطاء الرسول رجلاً غنماً بين جبلين، في ص/٣٣١.  
(٤) راجع نص الحديث في صحيح مسلم كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (٤٦) رقم الحديث (١٠٦٠) (١٦١/٨).  
(٥) انظر بالتصرف: تفسير آيات الأحكام - أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٦٤/٣).

### ٣ - الإنفاق في دعم المستوى المالي للمدعو المستجيب في حياته الدنيوية والدينية.

إن مما ينبغي أن يكون من أهداف الداعية في قيامه بالسعي لكسب الرزق مع دعوته أن ينفق رزقه في صالح المدعويين المستجيبين المحتاجين لأجل دعم مستوياتهم المالية حتى يتمكنوا من أداء عباداتهم المالية والبدنية على أكمل الوجه، وكذلك ليستطيعوا سد حاجاتهم الدنيوية، وذلك بالأساليب المشروعة كأسلوب دفع الزكاة إليهم، وأسلوب تقديم الصدقات إليهم والهدايا وغيرها من أنواع البر، لدخول هذا الفعل في حكم عموم تسلط المال على هلكته لما جاء في رواية عبدالله بن مسعود<sup>(١)</sup> قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد<sup>(٢)</sup> إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا<sup>(٣)</sup> فسلط على هلكته<sup>(٤)</sup> في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»<sup>(٥)</sup>.

أو بأسلوب التوسط في إيصال معونات الآخرين إلى المدعو، سواء عند عجز صاحب المعونة أو مقدرته، لكون ذلك من أنواع التعاون على البر والتقوى، كما جاء في رواية أبي مسعود الأنصاري<sup>(٦)</sup> قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أبدع بي فأحملي فقال: ما عندي فقال رجل يا رسول الله أنا أدله على من يحمله، فقال رسول

(١) عبد الله بن مسعود هو: الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي المكي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين هاجر إلى الحبشة ثم المدينة وشهد مع النبي ﷺ المشاهد، وكان شديد الملازمة للنبي ﷺ مع خدمته، له فكان صاحب سواكه ﷺ ونعله. فحفظ عنه علماً جماً، واشتغل بالتعليم وانتشر عنه الفقه والحديث والفتاوى وتوفي بالكوفة وقيل بالمدينة سنة ٣٢هـ. انظر- سير أعلام النبلاء ١/٤٦١-٥٠٠، وتهذي الأسماء واللغات للإمام النووي ٢/٢٨٩.

(٢) (الحسد) هو قننى زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم. وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة. وأطلق الحسد عليها مجازاً. ومعنى الغبطة: هو أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة. فإن كان في الطاعة فهو محمود. ومنه: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [التفاسير: ٢٦]. وإن كان في المعصية فهو مذموم ومنه ﴿ولا تنافسوا﴾ وإن كان في الجائزات فهو مباح فكانه قال في الحديث لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة في هذين الأمرين. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (١/٢٠٠، ٢٠١).

(٣) قوله «مالاً» نكرة يشمل القليل والكثير من المال.

(٤) «هلكته» بفتح اللام والكاف أي: إهلاكه، وعبر بذلك ليدل على أنه لا يبقى منه شيئاً وكمله بقوله «في الحق» أي: في الطاعات ليزيل عنه إبهام الإسراف المذموم. انظر- المرجع السابق.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم رقم (٣) باب رقم (١٥) رقم الحديث (٧٣) (١/١٩٩).

الله ﷻ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله<sup>(٢)</sup>.

إذن فالسعي لاكتساب الرزق مع مواصلة الدعوة لأجل إنفاق الرزق في صالح المدعو المستجيب دينياً ودنيوياً من الأعمال المشروعة. والشواهد التاريخية كثيرة في إثبات ذلك في سيرة الرسل عليهم السلام وسيرة الصحابة مع غيرهم ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

المسألة الثانية: مسئوليات المدعو المستجيب إزاء الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وللمدعو المستجيب مسئوليات كثيرة إزاء قيام الداعية بدعوته مع السعي في طلب رزقه وإنفاقه منه في صالح الدعوة، بعد استفادته من أساليب الداعية في أثناء ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

ومن تلك المسئوليات ما يأتي:

١ - الاستجابة الكاملة لدعوة الداعية.

يجب على المدعو المستجيب أن يستجيب لكل ما أمَرَ به من أوامر الله ورسوله ﷺ، ويحْتَنِبُ عن كل ما نُهيَ عنه من نواهي الله ورسوله ﷺ؛ لأن الداعية هو مبلغ عن الله ورسوله ﷺ والاستجابة لأمرهما واجب شرعي، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. والنصوص الشرعية الواردة في ذلك كثيرة جداً.

٢ - السؤال والاستفتاء عن أمور دينه:

يجب على المدعو المستجيب أن يسأل الداعية وغيره من العلماء عن كل ما يتعلق بأمور دينه ودنياه؛ ليعرف حكم الله ورسوله فيها، كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة رقم (٣٣) باب رقم (٣٨) رقم الحديث (١٨٩٣).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٣/١٣).

(٣) راجع بعض أحوال الرسل عليهم السلام في إنفاق الرزق في ص/١٧٧ وبعض أحوال الصحابة ﷺ في إنفاق الرزق في ص/٢٢٦ من هذا البحث.



إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣] وفي الحديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup>.  
٣ - تطبيق الأحكام الشرعية في الواقع.

يجب على المدعو المستجيب بعد معرفته حكم الله ورسوله ﷺ أن يطبق أحكام الإسلام في كل أمور حياته في نفسه وسلوكه وأخلاقه وقوله وعمله وفي مجال أسرته ومجتمعه، ويؤدي عباداته وطاعاته وسعيه لاكتساب الرزق وإنفاقه الرزق والمال، ويحسن استغلال ما يتلقاه من الأموال المدفوعة إليه من قبل الداعية مع حاجته إليها بعد استجابته لدعوته أو دعوة غيره. ونحو ذلك من الأعمال التي يجب عليه أن يتم تنفيذها وفق ما بينه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف الصالح (رحمهم الله) كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقول الرسول ﷺ: «فعلosكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»<sup>(٢)</sup>. والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب.

٤ - التحول من استقبال الدعوة إلى إرسالها.

يجب على المدعو المستجيب أن يبذل جهده في التحول والانتقال من مرحلة استقبال الدعوة إلى مرحلة إرسال الدعوة للغير بممارسة العملية الدعوية قدر الطاقة، والمعرفة لعموم وجوب القيام بالدعوة على الناس كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]<sup>(٣)</sup>. وكذلك يبذل جهده في استخدام الوسائل الدعوية المشروعة، والتي منها وسيلة الرزق والمال. فيسعى لاكتساب الرزق والمال لإنفاقه في سد حاجاته وسد الحقوق اللازمة حتى لا يكون كلاً على غيره، وكذلك يتوسع في إنفاقه بقدر الطاقة إلى بذل المال والرزق في وجوه البر والطاعات، والدعوة إلى الله ﷻ<sup>(٤)</sup>.

وما ذكر في هذه المسؤوليات والواجبات للمدعو المستجيب هي أبرز الأعمال

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه بطوله المقدمة باب رقم (١٧) رقم الحديث «٢٢٤» (١/٨١، ٨٢). والحديث صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ ناصر الدين الألباني (١/٤٤).

(٢) جزء من حديث طويل سبق تخريجه في ص/٢٠٣ هامش رقم (٢) وهو من رواية الإمام الترمذي في جامعه.

(٣) راجع الأدلة في وجوب الدعوة في ص/٣٧ من هذا البحث.

(٤) راجع الأدلة في مشروعية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٨٠ من هذا البحث.

التي تلزم المدعو أن يقابل بها نعم الله عليه بالهداية<sup>(١)</sup> إلى دينه وَعَلَيْكُمْ.

إذن فالحرص على استعمال وسيلة الرزق والمال من قبل المدعو المستجيب في دعوة غيره، وإنفاق الرزق والمال في وجوه البر المشروعة من الأسباب المؤدية إلى قيام المدعو بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

فينبغي للدعاة والمدعويين المستجيبين أن يراعوا ذلك في كل زمان ومكان<sup>(٢)</sup>.

المطلب الثالث: تسخير نصيب من الرزق لدعوة المدعو غير المستجيب<sup>(٣)</sup>.

إن من دواعي قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، قصده استعمال المال وسيلة لدعوة المدعو غير المستجيب بأساليب مشروعة لدخول هذا الفعل في عموم الأمر بالإنفاق في سبيل الله بالنفس والمال كما في قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

والإنفاق في سبيل الله باب واسع يدخل فيه الإنفاق في جميع وجوه البر والطاعات، والتي منها إنفاق المال وسيلة لدعوة المدعويين غير المستجيبين، حيث إن للمال قوة مؤثرة لتغيير ما في النفوس من النية السيئة إلى النية الحسنة، ومن تحويل صاحبها من الباطل إلى الحق، ولما للمال من قوة فعالة في حماية الدعوة من كيد أعدائها عند استعماله لتحقيق ذلك<sup>(٤)</sup>.

والإنفاق على هذا الأساس من قبل الداعية يتطلب منه تخصيص نصيب من ماله للجوانب المتعلقة بالمدعو غير المستجيب.

(١) انظر - أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان ص/٣٦٣، وأساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة - الداعية - المدعو) إعداد الدكتور محمد أمين حسن محمد بني عامر ص/٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) راجع الكلام حول دواعي الجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعو المستجيب ص/٣١٦ وص/٣٢٩.

(٣) سبق ذكر التعريف بالمدعو غير المستجيب وأصنافهم في ص/٣٢٦. وكذلك سبق التعريف بوسيلة الدعوة وأسلوبها في ص/٣٢٨ هامش رقم (٣) من هذا البحث.

(٤) راجع الكلام حول الاستشهاد بالنصوص الشرعية على مشروعية الإنفاق في سبيل الله ص/٨٤ وص/٣١٨ وهامش رقم (٢).

## المسألة الأولى- مرتكزات الإنفاق في دعوة المدعو غير المستجيب.

أما إنفاق المال وسيلة لدعوة المدعو غير المستجيب فيقتضي التركيز فيه على جوانب متعددة متعلقة بالمدعو غير المستجيب ومن أهمها ما يأتي:

### ١- الإنفاق في إمالة المدعو غير المستجيب إلى الإسلام.

إن من جوانب إنفاق المال في دعوة الداعية المدعو غير المستجيب جانب دفع المال للمدعو غير المستجيب الذي لا يناوئ الدعوة والدعاة؛ لأجل تحويله من ملة الكفر إلى ملة الإسلام بتأليف قلوبهم - على أرجح أقوال العلماء الظاهرة للباحث في هذا الموضوع<sup>(١)</sup> - بأساليب مشروعة لدفع المال إليهم في حدود طاقة الداعية وفق ما يراه الداعية من استعدادات المدعو لقبول الدعوة.

(١) قال العلماء: "المؤلفة قلوبهم ضربان مسلمون وكفار، فأما الكفار فقد كانوا يتألفون لاستمالة قلوبهم إلى الدخول في الإسلام. ولكف أذيتهم عن المسلمين، وقد ثبت أن النبي ﷺ أعطى قوماً من الكفار يتألف قلوبهم ليسلموا... وإختلف العلماء في إعطاء الكفار من سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة. فروى عن الحسن وأبي ثور وأحمد أنهم يعطون، وهو قول عند المالكية. وذهب الحنفية والشافعية وأكثر العلماء إلى أن إعطاءهم إنما كان في عهد رسول الله ﷺ في أول الإسلام في حال قلة عدد المسلمين، وكثرة عدوهم. وقد أعز الله الإسلام وأهله، واستغنى بهم عن تألف الكفار". تفسير آيات الأحكام - أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٦٤/٣).

ومما جاء في الرد على دليل أصحاب القول بإزالة سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة، ما أشار إليه الدكتور يوسف إبراهيم يوسف «أن حجتهم مبنية على واقع عملي وجد في وقت من الأوقات. وعليه فإنهم لا يخالفون في بقائه - (سهم المؤلفة قلوبهم) - لو عاشوا اليوم ورأوا الإسلام قد عاد ضعيفاً كما بدأ. هذا على التسليم لهم بأن الهدف من التأليف هو حاجة المسلمين، غير أن الحقيقة أن الهدف من التأليف هو الإحسان إلى هذا الشخص والعمل على إنقاذه من النار التي يلقي بنفسه فيها بكفره فبدافع من الأخوة الإنسانية يتقدم المسلمون لإنقاذه. وهذا المعنى هو ما يفهم من قول النبي ﷺ: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم»..... وإذا كان هذا هو هدف التأليف فهو موجود ما بقي في الأرض إسلام وكفر... فآية الصدقات من الآيات المحكمة التي توفي النبي ﷺ ولم يلحقها نسخ فلا يلحقها إلى يوم القيامة. ورحم الله من يقول إن عمر قد أسقط سهم المؤلفة قلوبهم إذ أن هذا تصور خاطئ، إذ لا يملك عمر أو غيره أن يهدر أو يعطل نصاً، وإنما الأمر مرده «عدم توفر شروط تطبيق النص، أو كما يعبر عنه البعض باصطلاح زوال الوصف» وعمر ﷺ لم يزد على أن منع جماعة بأعيانهم قد استمروا الأخذ من الصدقات وقد كان في ذلك محققاً. فالتأليف ليس تقرير مرتبات لأشخاص بأعيانهم، وليس من كان مؤلفاً في وقت ما يستمر كذلك، بل إن تحديد أشخاص المؤلفة قلوبهم يرجع إلى ما يراه الإمام محققاً للمصلحة والهدف».

ومما يستنتج مما سبق أن سهم المؤلفة قلوبهم موجه إلى تحويل الدعوة إلى الله تعالى انظر بالتصرف: النفقات العامة في الإسلام دراسة مقارنة للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص/٣٠٢-٣٠٤. إذن يمكن العمل بدفع الزكاة لمؤلفة قلوبهم في الأحوال المشابهة بأحوال المسلمين في صدر الإسلام في القلة والضعف في العصور اللاحقة ويزول بزوالها.

ومن أساليب دفع المال لهم أسلوب تقديم الهدية لهم، كما هو ظاهر في إعطاء الرسول ﷺ صفوان بن أمية<sup>(١)</sup> من غنائم حنين. وصفوان يومئذ كافر ليؤلف به قلبه إلى الإسلام<sup>(٢)</sup>. وفي رواية سعيد بن المسيب أن صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك يستخدم أسلوب التصدق ودفع الزكاة لمؤلفة قلوبهم على جوازه بقول بعض العلماء<sup>(٤)</sup>، وأسلوب المساعدة والإحسان إليهم، لدخول هذا الفعل في عموم حكم جواز البر والصلة إلى الكفار الذين لا يعادون المسلمين والإسلام بقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]. وذلك على قول أكثر المفسرين: أن الآية محكمة، واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها سألت النبي ﷺ هل تصل أمها حين قدمت عليها وهي مشركة؟ قال: «نعم»<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن الآية فيها نزلت<sup>(٦)</sup>. وقال الإمام القرطبي: «هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم» ثم أورد أقوال العلماء في نسخ الآية وعدمها ثم بين أن أكثر أهل العلم يقولون: هي محكمة<sup>(٧)</sup>.

إذن فالدعوة بالمال والرزق لأجل تأليف قلوب الكفار غير المناوئين للإسلام والمسلمين، وجعل ذلك هدفاً لعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عمل مشروع،

(١) صفوان هو: صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن خذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي بن غالب. القرشي الجمحي المكي، أسلم بعد فتح مكة، وروى أحاديث، وحسن إسلامه، وشهد اليرموك أميراً على كُرْدُوس. وجاء في رواية أن النبي ﷺ استعار من صفوان أذرعاً، فهلك بعضها. فقال: "إن شئت، غرمتها لك"؟ قال: لا، أنا أرغب في الإسلام من ذلك. وتوفي سنة ٤١ هـ. انظر - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٥٦٧-٥٦٢/٢).

(٢) انظر - تفسير آيات الأحكام - أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٦٣/٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل رقم (٤٣) باب رقم (١٤) (٨٠/١٥).

(٤) راجع كلام العلماء حول مسألة دفع الزكاة لمؤلفة قلوبهم في هامش رقم (١) ص/٣٣٧ من هذا البحث.

(٥) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري كتاب الهبة وفضلها باب رقم (٥٥) حديث رقم (٢٤٧٧) (٩٢٤/٢).

(٦) انظر - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٤٠/١٧).

(٧) انظر - المرجع السابق.

ينبغي للدعاة مراعاته في كل زمان ومكان؛ لأن المال وسيلة من وسائل الدعوة استخدمها الرسول ﷺ. وأقر الصحابة عليه ﷺ.

٢- الإنفاق لوقاية الدعوة من كيد مناويها.

إن من الأمور التي ينبغي أن يكون دافعاً للداعية إلى القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق استعمال المال وسيلة لإزالة المعوقات التي تعترض مسيرة الدعوة وحماتها من المكاييد المتوقعة من قبل أعداء الدعوة من الكفار والمنافقين واليهود والنصارى والوثنيين والمشركين الملحدين والشيوعيين والبوذيين والهندوس وغيرهم، لدخول هذا الفعل تحت عموم حكم الأمر بالدفاع عن الدعوة بالجهاد بالنفس والمال بنصوص كثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١].

ومما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]. أي بأن تبدلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام والقصد: دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب فإن ذلك وإن كان كريهاً للنفوس شاقاً عليها فإنه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله...»<sup>(٢)</sup>.

والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب.

المسألة الثانية- صفات المنفق للدفاع عن الدعوة.

ويجب على الدعاة إنفاق الرزق والمال للدفاع عن الدعوة، وينبغي لهم في ذلك

(١) انظر- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (٣٧٢/٧، ٣٧٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث الجهاد والسير رقم (٥٦) باب رقم (٢) (٨/٦).

أن يختاروا الأساليب المناسبة المشروعة لوقاية الدعوة من شر أعدائها<sup>(١)</sup>، ويتحلوا بصفات حميدة المتعلقة بالمنفق للدفاع عن الدعوة. ومن أبرز تلك الصفات ما يأتي:

#### أ - الإنفاق بقدر الطاقة.

ينبغي للمنفق للدفاع عن الدعوة من شر مناوئها أن ينفق ما يستطيع ويقدر عليه لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

#### ب - الإنفاق فيما يكون قوة للدفاع عن الدعوة.

وكذلك ينبغي للمنفق أن يأتي إنفاقه في كل ما من شأنه يمكن تصديره قوة للدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] و«قوة» في الآية نكرة تفيد عموم أنواع القوة الصالحة للدفاع عن الدعوة ودعائها ووسائلها وأهدافها وغيرها من حماية أجهزة الدعوة ومتطلباتها.

#### ج - الأخذ بمتطلبات الإيمان في الدفاع عن الدعوة.

يجب على الداعية المنفق للدفاع عن الدعوة أن يلتزم بمتطلبات الإيمان بالله ورسوله ﷺ في الإنفاق للدفاع عن الدعوة، كما جاءت الإشارة إلى ذلك بالثناء الإلهي على الصحابة الذين بنوا مجموعة من أعمالهم على أساس إيمانهم بالله ورسوله ﷺ. ومن مجموعة تلك الأعمال، القيام بالجهاد في سبيل الله بقوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] ومن دلالات الآية الكريمة أن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس يجب أن يكون مبنياً على مقتضيات الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

وكذلك إن من حكم تشريع الجهاد في سبيل الله بمعنى قتال أعداء الدعوة، أنه لدفع فتنة الكفار المعارضين للدعوة عن الدعوة والدعاة وأوطانهم بقوة المال والعتاد، وبالقوة البشرية وغيرها<sup>(٢)</sup>. وتنفيذ الجهاد بهذا المعنى وغيره من معاني أنواع الجهاد،

(١) كأسلوب دفع الزكاة والصدقات والوقف والمساعدة والتعاون على الدفاع عن الدعوة وتعزيزها بما يناسب الحال القائم لحماية الدعوة والدعاة.

(٢) واختلف العلماء في سبب مشروعية الجهاد، فقال بعضهم: إنه شرع على أنه طريق من طرق الدعوة إلى الإسلام، وعلى هذا فغير المسلمين لابد وأن يدينوا بالإسلام طوعاً بالحكمة والموعظة الحسنة أو كرهاً بالغزو والجهاد. ولهم أدلة شرعية في إثبات هذا القول. وقال الجمهور إن الجهاد مشروع لحماية الدعوة الإسلامية ودفع العدوان عن المسلمين فمن لم يجب الدعوة ولم يقاومها ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتاله ولا تبديل أمنه خوفاً. ولهم أدلة شرعية في إثبات قولهم وهذا القول هو أرجح القولين. انظر - الجهاد طريق النصر لعبدالله غوث ص/١٣-٢٥.

يجب القيام به وفق إيمان العبد بربه ورسوله ﷺ على ضوء الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

#### د - الإنفاق في سد الخسائر الناتجة من كيد مناوئي الدعوة.

إن من الأسباب التي تدعو إلى قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، السعي في اكتساب الرزق والمال؛ لأجل تعويض الخسائر المالية التي تسبب فيها أعداء الدعوة، مع الاستمرار في أداء عملية نشر الدعوة، بالتنسيق بين العاملين، كما هو ظاهر في إقرار الرسول ﷺ الصحابة المهاجرين على ممارسة التجارة وغيرها من المكاسب في يثرب لتعويض المال الذي خسروه بعد ما شردوا من أموالهم وأهليهم في مكة من قبل الكفار لأجل إيمانهم بالله والرسول ﷺ. كما هو ظاهر في عمل أبي بكر الصديق بالتجارة وعثمان بن عفان بالتجارة وعبدالرحمن بن عوف بالتجارة وغيرهم مع استمرارهم على أداء واجب الدعوة في حياة الرسول ﷺ. وبعده ﷺ<sup>(١)</sup>.

إذن فالقيام لاكتساب المال بالطرق المشروعة لأجل تعويض المال المفقود بسبب ضرر من الأضرار، وعدم الاستسلام لمؤثرات الضرر، مع مواصلة العمل الدعوي، عمل مشروع، وكذلك ينبغي أن تكون نية تعويض المال المفقود مع الحاجة باعثاً للجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وما ذكر في هذا المطلب من دواعي قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق المتعلقة بالمدعو غير المستجيب، كالإنفاق لإمالة المدعو غير المستجيب إلى دخوله في الإسلام، والإنفاق لوقاية الدعوة من فتنة مناوئيه، والإنفاق لسد الخسائر المالية الناتجة من كيد أعداء الدعوة. إنما هو أبرز الدواعي والأسباب التي اتضحت للباحث في هذا الموضوع المتعلق بالمدعو غير المستجيب.

فينبغي للدعاة في كل زمان ومكان أن يسعوا إلى تحقيق هذه الأهداف النبيلة عند الحاجة إليها في أثناء حياتهم الدعوية، واكتساب الرزق وفق هدي الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح (رحمهم الله أجمعين).

(١) راجع بعض الأحاديث الدالة على عمل الصحابة بالتجارة في ص/٩٥ وص/٢٠٨ من هذا البحث.

## الفصل الخامس

مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية

## المبحث الأول

مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية

المطلب الأول- مجالات طلب الرزق الخاصة

المطلب الثاني- مجالات طلب الرزق العامة

المطلب الثالث- صفات عمل الداعية في مجالات طلب الرزق

## المبحث الثاني

عوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية

## المطلب الأول

العامل الأول- العمل بقوة الإيمان في الدعوة وطلب الرزق

## المطلب الثاني

العامل الثاني- تطبيق خلق الدعوة في مجال طلب الرزق

## المطلب الثالث

العامل الثالث- تقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق



## الفصل الخامس

### مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية

#### المبحث الأول- مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية

معنى مجال طلب الرزق بالنسبة للداعية.

كلمة «المجال» مأخوذ من جال، وله عدة معانٍ، ومنها: طاف فيقال: جال في الأرض أي طاف غير مستقر فيها. وكذلك تطلق كلمة «المجال» على موضع جولان، يقال: لم يبق له مجال في هذا الأمر. والجولان من مصادر جال، ويأتي بمعنى: ما تجول به الريح على وجه الأرض من تراب وحصر. وغير ذلك من المعاني<sup>(١)</sup>. وعلى أساس هذا المعنى يكون المعنى المقصود بالمجال في هذا البحث بموضع الجولان لطلب الرزق.

إذن فالمراد بمجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية، هو عبارة عن الأماكن التي يكتسب فيه الداعية رزقه بطرق الاكتساب المشروعة مع استمراره على الدعوة. وهذه الأماكن تشمل جميع أنواع الميادين والطرق المشروعة لطلب الرزق. ولكن مقتضى الدراسة العلمية لموضوع هذا البحث يستدعي تقسيم هذه المجالات إلى قسمين: (أ) مجالات ذات الصلة بالطاعة (ب) مجالات غير المتصلة بالطاعات. ويأتي تفصيلهما في المطالب التالية:

#### المطلب الأول- مجالات الرزق الخاصة.

##### أنواع المجالات الخاصة.

النوع الأول- ميادين الحرف والمهن المتصلة بالطاعات.

وأما المراد بميادين الحرف والمهن المتصلة بالطاعات فهي كل مكان وموضوع تمارس فيه الطاعة ويجوز فيه اكتساب الرزق شرعا.

(١) انظر- المعجم الوسيط (١/١٤٨).

وهذه الميادين كثيرة ومتعددة حسب كثرة الطاعات وتنوعها، وهي تتبع أوصاف الحرف والمهن وأنواع المال المستخدمة فيها من حيث الإباحة والتحريم. ومن أبرز الميادين ذات الصلة بالطاعة على سبيل المثال ما يأتي:

#### ١- دور العبادة:

يجوز للمسلم أن يكتسب رزقه بأي عمل مشروع مناسب له في دور العبادة من المساجد وملحقاتها، كبناء المسجد وتنظيفه وتأجير مبنى للصلاة فيه، والأذان والإمامة والخطب وكل ذلك بالأجرة على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام<sup>(١)</sup>.

#### ٢- دور التعليم الشرعي.

ويجوز للمسلم أن يكتسب رزقه من أي عمل مشروع ومناسب له في دور التعليم الشرعي كبناء مبانيها وتأجيرها وتنظيم أمورها وإدارتها وحمايتها من الأضرار وتدريس العلوم الشرعية بالأجرة فيها وتزويدها بالأدوات الدراسية من كتب وغيرها على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام<sup>(٢)</sup>.

#### ٣- دور مؤسسات الدعوة والاحتساب.

يجوز للمسلم أن يكتسب رزقه من أي عمل مشروع مناسب له في دور مؤسسات الدعوة والاحتساب كبناء مبانيها وتأجيرها وتنظيم أمورها وإدارتها وحمايتها من الأضرار بالأجرة والقيام بالدعوة مقابل الإعانات من قبل تلك المؤسسات الدعوية على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام<sup>(٣)</sup>. ولعموم حكم مشروعية العمل في المجالات المشروعة.

(١) انظر- أخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي إعداد الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي ص/٧١-٨٢، ط/ مكتبة المعارف الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وأخذ المال على أعمال القرب للشيخ عادل شاهين بن محمد شاهين (٢/٤٨٧-٢٢٠) رسالة مقدمة لنيل درجة ماجستير في قسم الفقه كلية الشريعة - جامعة الإمام بالرياض، عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. راجع الكتب الفقهية والفتاوى وفيها تفصيل حكم هذه المسائل.

(٢) انظر- المرجع السابق (١/١٦٦-٢١٣). وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي ص/١٣-٧٠ راجع الكتب الفقهية والفتاوى وفيها تفصيل حكم هذه المسائل ويأتي ذكر أسماء بعض هذه الكتب في ص/٣٤٧ هامش (٢) وص/ ٣٤٨ هامش (٢).

(٣) انظر- أخذ المال على أعمال القرب (٢/٧٩٠-٨٠٥ و ٨٠٦-٨١٠)

## ٤- دور القضاء الشرعي.

يجوز للمسلم أن يكتسب رزقه من أي عمل مشروع ومناسب لحاله في دور القضاء الشرعي كبناء مبانيها أو تأجيرها وتنظيم أمورها وإدارتها وحمايتها من سوء والأضرار وتولي القضاء بين الناس فيها بالأجر على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام<sup>(١)</sup>.

## ٥- دور تجهيز الأموات ومقابرها.

يجوز للمسلم أن يكتسب رزقه في أي عمل مشروع مناسب لحاله في دور تجهيز الأموات ومقابرها كبناء مغسلة الأموات وتأجيرها وغسل الأموات فيها وتكفينها بالأجر على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام. وكذلك العمل في المقابر بحفر القبور ودفن الأموات بالأجر على أرجح أقوال العلماء في هذه الأحكام<sup>(٢)</sup>.

## ٦- الأراضي المقدسة:

ويجوز للمسلم أن يكتسب رزقه في أي عمل مشروع مناسب لحاله في أي مكان من الأراضي المقدسة للحج أو العمرة أو غيرها كالعمل بالأجرة في خدمة الحجاج والمعتمرين في الأماكن المقدسة ومساعدتهم على أداء مناسكهم بالأجر، أو التجارة في الأماكن المقدسة في أثناء الحج والعمرة وبعدهما. قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. ولعموم حكم مشروعية العمل في المجالات المشروعة.

## ٧- ساحات الجهاد في سبيل الله.

يجوز للمسلم أن يكتسب رزقه في أي عمل مشروع مناسب لحاله في الطريق إلى الجهاد والدعوة وساحتها قبل أداء الجهاد وبعد أدائهما لإقرار النبي ﷺ ذلك

(١) انظر أخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي للدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي ص/٩٢-١٠٤ وأخذ المال على أعمال القرب للشيخ عادل شاهين بن محمد شاهين (٢/٧٣٠-٧٧٧) راجع الكتب الفقهية والفتاوى لمعرفة تفصيل أحكام هذه المسائل.

(٢) انظر المصدر السابق (١/٢١٤-٢٢٩). وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي ص/١٠٥-١٠٦ راجع الكتب الفقهية والفتاوى لمعرفة تفصيل أحكام هذه المسائل.

لأصحابه عليه السلام، ولفعله في بعض غزواته عليه السلام <sup>(١)</sup>. وأما ما ذكر من ميادين طلب الرزق المرتبطة بالطاعات فإنما هي من باب ذكر نماذج وليس من باب حصرها ولا من باب تفصيل الأحكام الشرعية المتعلقة بها وذلك ليقاس عليها غيرها في معرفة كيفية العمل الدعوى في الميادين المتصلة بالطاعة <sup>(٢)</sup>.

النوع الثاني- الحرف المتصلة بالطاعة.

الحرف جمع حرفة وهي وسيلة الكسب من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها <sup>(٣)</sup>. والحرف كثيرة ومتعددة وتدور أشكالها وأساليبها في أربعة أمور وهي الزراعة والإجارة والتجارة والصناعة.

وقد أباح الإسلام اكتساب الرزق والمال عن طريق الحرف والمهن إلا ما كان منها حراماً أو ما اختلط بالمخالفات الشرعية لدخول ذلك كله في عموم النهي عن المكاسب المحرمة والأمر بالمكاسب المشروعة <sup>(٤)</sup>.

إن لممارسة الحرف والمهن مراحل كثيرة ومن مراحلها ممارستها على الوجه الشرعي في ميادين الطاعات فتتحول طبيعتها في هذه المرحلة إلى حرف ذات الصلة بالطاعات، وهذا مجاله واسع، ومن أهم هذه المجالات ما يأتي:

(١) راجع بعض النماذج من شراء الرسول عليه السلام في طريق الغزوة في سنن الإمام ابن ماجه (٧٤٣/٢)، وبعض النماذج من بيع الصحابة عليه السلام السلعة بعد الغزوة في ص/٢٢٣ من هذا البحث.

(٢) لمعرفة تفصيل الأحكام الشرعية بأخذ المال على الطاعات وميادينها فارجع إلى الكتب الفقهية، والفتاوى للعلماء ومن الكتب المفيدة في هذا الباب المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، المجلد الثامن، ورسالة علمية بعنوان أخذ المال على أعمال القرب إعداد الشيخ عادل شاهين بن محمد شاهين، مقدمة لقسم الفقه بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٩هـ - وكتاب أخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي إعداد الدكتور عبدالله بن محمد بن أحمد الطريق ط / مكتبة المعارف - الرياض الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه المجلد الثلاثون. وغيره من الكتب والفتاوى للعلماء

(٣) انظر- المعجم الوسيط ط، ص ١٦٧.

(٤) راجع بعض الأدلة الشرعية على الأمر بسلوك طرق كسب الرزق المشروعة في ص/٢٦٠ من هذا البحث.

## ١- مهنة التجارة.

والتجارة هي عبارة عن شراء شيء لبيع بالربح<sup>(١)</sup>.  
ويباح للمسلم أن يحترف بمهنة التجارة فيتجر في أماكن الطاعات بالأموال  
المباحة وفق هدي الإسلام في تلك التجارات، كالتجارة في الأماكن المقدسة في الإسلام  
وحول المساجد وطرق الجهاد وساحاته بعد الجهاد، وأماكن الدعوة وغيرها.  
وكذلك يباح للمسلم أن يتجر في الأموال والبضائع ذات الصلة بالطاعة  
كالتجارة في الكتب الإسلامية من قرآن وحديث وفقه وغيره، والتجارة في الملابس  
المعروفة بالطاعات كالإحرام والحجاب والكفن وسجادات الصلاة وغيرها، لدخول  
ذلك كله في عموم مشروعية التجار فيما كان حلالاً طيباً<sup>(٢)</sup>.

## ٢- مهنة الزراعة.

يباح للمسلم أن يحترف بمهنة الزراعة والسقاية فيزرع ويسقي على الوجه الشرعي  
في أراضي الوقف والصدقات المهيئة للاستثمار وتمويل الفقراء والمحتاجين، وتسيير الأمور  
الدعوية وغيرها للدخول ذلك في عموم مشروعية اكتساب الرزق عن طريق الزراعة<sup>(٣)</sup>.

## ٣- مهنة الصناعة والبناء.

يباح للمسلم أن يحترف بمهنة الصناعة فيصنع المصنوعات ذات الصلة بالطاعة  
ككتابة المصاحف والكتب الإسلامية وطباعتها وخياطة ملابس الإحرام والحجاب

(١) انظر- التعريفات، تأليف الجرجاني ص ٧٩، ويقول ابن خلدون، عن التجارة «اعلم أن التجارة محاولة الكسب  
بتمتية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك  
القدر النامي يسمى ربها، فالحاول لذلك الربح إما أن يخزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى  
الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه  
...» المقدمة تأليف عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ص/٤٣٧، ط / دار الجيل بيروت.

(٢) راجع تفصيل الأحكام الشرعية المتعلقة بالمهن المذكورة في الكتب الفقهية مثل كتاب المغني لابن قدامة المجلد السادس  
والسابع والثامن، والموسوعة الفقهية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت المجلد (٢٠-٢٢) والفقه الإسلامي  
وأدلته... تأليف الدكتور وهبة الزحيلي - المجلد الرابع والخامس، ط/ دار الفكر، دمشق سورية الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ  
١٩٨٩م وغيرها من الكتب الفقهية، ومن كتب فتاوى العلماء في هذا الباب مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية  
المجلد (٢٩، ٣٠) وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش المجلد  
(١٣، ١٤) وغيره من كتب الفتاوى. وراجع بعض النصوص الشرعية في الأمر بسلوك الطرق المشروعة لاكتساب  
الرزق وحكمها يعم هذه المهن المذكورة أيضاً: انظر- ص/٣٧ وص/٢٦٠ من هذا البحث.

(٣) انظر- المراجع السابقة.

والخمار الإسلامي وحلاقة شعر رأس الحجاج والمعتمرين، وصناعة المنبهات والساعات لمعرفة أوقات العبادات، وبناء المساجد، والجهات الخيرية الإسلامية وغيرها من الأعمال المنتجة من مهنة الصناعة والبناء ذات الصلة بالطاعة لدخول ذلك كله في عموم مشروعية اكتساب الرزق عن طريق صناعة المصنوعات المباحة<sup>(١)</sup>.

٤- مهنة الإجارة.

ويباح للمسلم أن يحترف بمهنة الإجارة فيأخذ الأجرة على أعمال الطاعات التي يجوز أخذ الأجرة عليها وفق الأحوال المشروعة للمستأجر والأجير في نوع الطاعات لدخول ذلك كله في عموم جواز الاكتساب عن طريق مهنة الإجارة وجواز أخذ الأجرة على كل الأعمال الطيبة\*.

وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات باب واسع، وأما أبرز الطاعات التي تؤخذ عليها الأجرة، ولها صلة مباشرة بموضوع هذا البحث فهي أخذ الأجرة على الدعوة وأخذ الأجرة على الاحتساب، وأخذ الأجرة على تعلم العلوم الشرعية وأخذ الأجرة على الفتوى ونحو ذلك من أعمال الطاعات على أرجح أقوال العلماء في جواز أخذ الأجرة على تلك الطاعات المذكورة وفق أحوال المستأجرين والأجر عند أداء هذه الطاعات من حيث جوازه وعدمه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر المراجع السابقة في هامش رقم (٢) صفحة (٣٤٧).

\* ومن النصوص الشرعية الدالة على جواز العمل بمهنة الإجارة ما جاءت به رواية عائشة رضي الله عنها قال: استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر من بني الدليل [.....] هاديا خريتا، أخرجه الإمام البخاري بطوله في صحيحه المطبوع مع فتح الباري كتاب الإجارة باب رقم (٣) رقم الحديث ٢٢٦٣ «(٤/٥١٧)»، والحديث من الأدلة على مشروعية الإجارة لصدورها من الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهما، وإقرار الرسول ﷺ بالأعمال بأفعاله من الأدلة الشرعية الثابتة لمشروعية تلك الأعمال [والإجارة من قبيل تلك الأعمال في هذا الحديث المذكور].

(٢) راجع الكتب الفقهية لمعرفة تفصيل الأحكام المتعلقة بهذه المهن والحرف المذكورة. والكتب المفيدة في هذا الباب المغني لابن قدامة المجلد الثامن، والفقه الإسلامي وأدلته... تأليف الدكتور وهبة الزحيلي - المجلد الرابع والخامس، وفقه السنة تأليف السيد سابق المجلد الثالث، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان وأخذ الأجرة على أعمال الطاعات والمعاصي إعداد الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي، وأخذ المال على أعمال القرب إعداد الشيخ عادل بن محمد بن شاهين: رسالة ماجستير مقدم لقسم الفقه بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وكسب المال في ضوء السنة، إعداد الشيخ علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الجمعة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وغيره من الكتب الفقهية.

ولما كان موضوع البحث مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالدعوة والاحتساب فاقترضت دراسة جانب الإجارة أن يذكر فيه شيء من التفصيل في حكم أخذ الأجرة على الدعوة والاحتساب وذلك فيما يأتي:

توطئة الكلام حول حكم أخذ الأجرة على الدعوة والحسبة  
وقبل الشروع في بيان المسألة ينبغي توضيح معنى الرزق الذي يدفع لمن يتولى مصلحة عامة من بيت المال\* أو غيره، وكذلك بيان الفرق بين معنى الرزق ومعنى الإجارة التي تؤخذ منها الأجرة على عمل ما؛ لكي تتضح صورة المسألة لدى القارئ.

أولاً- المراد بالرزق<sup>(١)</sup> الذي يدفع لمن يتولى مصلحة عامة.  
وللعلماء تعريفات عدة لمعنى الرزق ومن أرجحها أن الرزق: هو ما يرتبه الإمام من بيت المال لمن يقوم بمصالح المسلمين<sup>(٢)</sup>.  
ومن العلماء من يطلق الرزق على العطاء والعطاء على الرزق ومنهم من يفرق بينهما<sup>(٣)</sup>. ولهم عدة تعريفات بالعطاء ومن التعريفات بالعطاء ما يأتي: أن العطاء هو: ما يفرض للمقاتل في بيت المال<sup>(٤)</sup>، وقيل: إن العطاء هو: «ما يفرض في بيت المال في كل سنة، لا بقدر الحاجة بل بصبر المعطى له وغنائه في أمر الدين»<sup>(٥)</sup>.

عن رسول الله ﷺ في بيت المال اليوم

\* بصيغته المعروفة لدى السلف وإنما الموجود اليوم خزائن الدولة.

(١) سبق ذكر معنى الرزق لغة واصطلاحاً والمراد بالرزق الذي يسعى الداعية لكسبه في موضوع هذا البحث في صفحة (٧) وأما المراد بالرزق هنا فهو معنى خاص وذلك لاختصاص الرزق لمن يتولى منصباً للمصلحة العامة.

(٢) قال به الإمام ابن حجر في شرح صحيح البخاري (١٦٠/١٣).

(٣) وكذلك يأتي التفريق بين الرزق والعطاء في ناحيتين: ١- ناحية الأخذ ٢- ناحية الزمن. وأما من ناحية الأخذ فيخص الرزق بما يعطى لفقراء المسلمين أو بما يعطى لمن يقوم بمصالح المسلمين. أما العطاء فيخص به المقاتلين. وأما التفريق من ناحية الزمن فيجعل الرزق لما يكون كل شهر أو كل يوم والعطاء لما يكون في كل سنة، أنظر روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي (٣٦٣/٦، ٣٦٤) - المكتب الإسلامي بيروت ودمشق الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. والموسوعة الفقهية بالكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (٢٠٢/٢٢) ط/ ذات السلاسل، الكويت - الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، وأخذ المال على أعمال القرب للشيخ عادل شاهين بن محمد شاهين (٢٧/١ - ٢٨).

(٤) انظر - الموسوعة الفقهية بالكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (٢٠٢/٢٢) وأخذ المال على أعمال القرب (٢٥/١، ٢٦).

(٥) انظر - المصدرين السابقين.

وهذه التعريفات متقاربة في المعنى.

ولكن يظهر من أقوال أكثر العلماء عدم التفريق بين الرزق والعطاء كما جاء في قول تقي الدين أبي بكر محمد عند بيانه معنى الرزق حيث عرف الرزق في اللغة بالعطاء ثم عرفه في الشرع، فقال: «فعلّم من هذا أن اسم الرزق في عرف الفقهاء لكل ما يجوز إخراجه من بيت المال، والمرتزق كل من يرتبط به مصلحة»<sup>(١)</sup>.

وعدم التفريق بين الرزق والعطاء أقرب إلى الصواب لكثرة إطلاق الكلمتين من قبل الرسول ﷺ والصحابه ﷺ على ما كان يعطى للعاملين في مصالح المسلمين في عهدهم. ثانياً- التعريف بالإجارة.

أ. معنى الإجارة في اللغة: الإجارة مأخوذ من أجر يأجر أجراً، له عدة معان منها: الأجرة على العمل ومنها عقد يرد على المنافع بعوضٍ، ومنها: الثواب. والأجرُ جمعه أجور وأجر<sup>(٢)</sup>.

ب. معنى الإجارة في الاصطلاح:

للعلماء عدة تعريفات بالإجارة ومن أجمعها لقيود الإجارة وأوضحها عبارة لمعنى الإجارة، هو أن الإجارة هي: «عقد على منفعة مباحة معلومة، من عين معينة أو موصوفة في الذمة مدة معلومة أو عمل معلوم بعوض معلوم»<sup>(٣)</sup>.

ج- أركان الإجارة.

قد وضع العلماء أركاناً للإيجار، وهي ستة أركان:

الركن الأول والركن الثاني: الصيغة، وهي اللفظ الذي يحصل به العقد، وتشمل صيغة الإيجاب من قبل المؤجر. وصيغة القبول من قبل الأجير فتكون الصيغتان ركنين للإجارة.

(١) انظر- تحرير المقال فيما يحل ويحرم من بيت المال للحافظ تقي الدين أبي بكر محمد بن محمد البلاطنسي ص/١٤٧، ١٤٨.

(٢) انظر- لسان العرب، لابن منظور (١٠/٤، ١١)، ومعجم الوسيط (٦/١، ٧).

(٣) انظر- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (٢٩٣/٥، ٢٩٤).



الركن الثالث- المؤجر: وهو المنتفع الذي يأمر غيره بالعمل لمنفعته.  
الركن الرابع- الأجير: وهو العامل الذي يعمل بالأجر.  
الركن الخامس- المَعْوَض: وهو العمل الذي يقوم به العامل الأجير لصاحب العمل.  
الركن السادس- العَوَضُ: هو الأجر أو البذل الذي يدفعه المؤجر للعامل الأجير مقابل قيامه بالعمل<sup>(١)</sup>.

د- شروط صحة عقد الإجارة.

وقد وضع العلماء شروطاً لصحة عقد الإجارة وفق هدي النصوص الشرعية فيها ومن تلك الشروط ما يأتي:

- الشرط الأول- أن تكون المنفعة والأجرة معلومتين<sup>(٢)</sup>.
  - الشرط الثاني- أن تكون المنفعة مباحة لغير ضرورة<sup>(٣)</sup>.
  - الشرط الثالث- أن تكون المنافع مقدورة على تسليمها<sup>(٤)</sup>.
  - الشرط الرابع- أن تكون المنفعة مملوكة للمؤجر ومأذونا له فيها<sup>(٥)</sup>.
  - الشرط الخامس- أن لا يترتب على استيفاء المنفعة استهلاك العين<sup>(٦)</sup>.
  - الشرط السادس- أن تكون للمنافع قيمة مالية<sup>(٧)</sup>.
  - الشرط السابع- أن تكون منفعة العمل حاصلة للمستأجر.
- وهذا الشرط الأخير له أثر كبير في اختلاف العلماء في حكم أخذ المال على بعض القرب والطاعات بسبب الخلاف في وصول نفع العبادة التي استؤجر عليها إلى

(١) انظر بالتصرف: كسب المال في ضوء السنة. إعداد الشيخ علي بن عبدالله رسالة ماجستير ص/ ١٢٠-١٥٧، وأخذ المال على أعمال القرب إعداد الشيخ عادل شاهين رسالة ماجستير (٤١/١)، والتعريفات للجرجاني ص ٣١، والمعجم الوسيط (٧/١).

(٢) انظر- تبين الحقائق شرح كثر الدقائق للعلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (١٠٥/٥) ط / دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت. الطبعة الثانية.

(٣) كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (٥٥٩/٣) ط/ عالم الكتب بيروت عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٤) انظر- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٣٠٨/٥).

(٥) المرجع السابق (٣١٠/٥).

(٦) انظر- المرجع السابق (٣٠٦/٥) ومجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية (٥٥٠/٢٠).

(٧) المرجع السابق وأخذ المال على أعمال القرب ص ٤٣.

المستأجر أو عدم وصوله إليه\*، ويقول الإمام النووي بعد ذكر الشرط: «وأكثر العناية في هذا الشرط بالقرب»<sup>(١)</sup>.

هـ - الفرق بين الرزق والأجرة.

إن مما ينبغي بيانه في مسألة أخذ الأجرة والرزق على الحسبة والدعوة توضيح الفرق بين الرزق والأجرة.

وقد وضع العلماء فروقا عديدة بينهما، ومنها ما يأتي:

١ - أن الرزق أدخل في باب الإحسان وأبعد عن باب المعاوضة، من الأجرة والأجرة أدخل في باب المكايسة<sup>(٢)</sup>، وأبعد من باب المسامحة من الرزق وإن كان كل منهما بذل مال بإزالة المنافع من الغير.

٢ - أن الرزق يجوز فيه الدفع والقطع، والتقليل، والتكثير، والتغيير، والإجارة لا يجوز فيها ذلك، لأنها عقد، والوفاء بالعقود واجب، وأما الرزق فمعروف يصرف بحسب المصلحة.

٣ - أن الأجرة في الإجازات تورث ويستحقها الوارث ويطالب بها، وأما الرزق فلا يورث، ولا يحق للوارث المطالبة به؛ لأنه معروف غير لازم بجهة معينة.

٤ - أن الرزق يكون غالبا مقدرا بالكفاية، فيعطى العامل منه ما يكفيه وعياله، وأما الأجرة فتكون حسب التراضي بين الطرفين، ولو زاد عن الكفاية، أو قل. وغير ذلك من الفروق بينهما<sup>(٣)</sup>.

\* كإجارة المسلم غيره على أداء العبادات الخاصة عنه كالخج والأذان وتعلم القرآن الكريم لأن من شرط هذه العبادات أن تكون قرينة إلى الله ونفعه تقتصر على فاعله إلا في أنواع العبادات التي أجاز الشرع الإجارة فيها.

انظر - حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٣٢٠/٥).

(١) انظر - روضة الطالبين وعمدة المفتين تأليف الإمام النووي (١٨٧/٥).

(٢) المكايسة: تعنى المغالبة والمكايمة مأخوذة من كيس، يقال كَايَسْتُ فلاناً فَكَيْسَتْهُ أَكَيْسُهُ كَيْسًا، أي غلبته بالكَيْسِ،

انظر - لسان العرب تأليف ابن منظور مادة «كيس» (٢٠١/٦، ٢٠٢).

(٣) انظر - بالتصرف الفروق للإمام العلامة شهاب الدين أبي العباس الصنهاجي المشهور بالقراقي (٣/٣-٥)، ط/دار

المعرفة بيروت لبنان، وأخذ المال على أعمال القرب (٤٤/١-٤٦).

وبهذه الفروق وغيرها فففضح مءى اأفلاف ففم أأف الرزق على الفسبة والدعوة عن ففم أأف الأجرة على الفسبة والدعوة.

و- ففم أأف الأجرة على الدعوة والفسبة:

إن الفلام فف ففم أأف الأجرة على الدعوة والفسبة ففكاف ففكون واهفأ مع ففم الإففاف والقضاء وفعلفم العلوم الشرعفة. لأن كلا من المففف والقاضف والمعلم ففلفون أففام الله وأففام رسوله ﷺ إلى العباد بالوسائل والأسالف المأففلفة فف الأحوال المففاففة. والفسبة نوع من الدعوة وما ففال فف ففم أأف الرزق أو الأجرة على الفسبة ففطباق ذلك على الدعوة<sup>(١)</sup>.

وأما ففان هذه المسألة بالصورة المناسبة لموضوع هذا الفف فف ففما ففأف:

أولاف- رزق المأففب المنسوب من قبل الإمام.

ففوز للمأففب<sup>(٢)</sup>. الفف ففبه الإمام أن ففأف رزقه من ففف المال باففاف العلماء سواء كان فففا أو فقفراف ففها لا ففوز له أن ففأف العوض على الفسبة من مكان أفر لكفاففه بما فففه من ففف المال ولكون الفسبة فف ففه فرض عفن.

كالفقاضف والمففف إذا فعفن علفهما القضاء والإففاف بفامع الولاية فف كل من هذه المناصب<sup>(٣)</sup>؛ لأن الرزق للمأففب فف هذه الحالة هو عون له على أداء واهب الفسبة كما جاء به قول الإمام ففف الإسلام ابن ففمفه<sup>(٤)</sup>، عند ففانه الفرق ففن

(١) لأن اسم الدعوة فعم الفسبة وغيرها من أنواع الأمر بالمعروف والنهف عن المنكر، ولأن الفسبة هف أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهف عن المنكر إذا ظهر فعله، والفسبة مسئولة كل مسلم إلا أنه فعفن على من ولاف وفف الأمر علفها، انظر- الأحكام السلطانية للقاضف أبف فعلف محمد بن الفسفن الفراء الفنبلف ص ٢٨٤.

(٢) المأففب صنفان: الصنف الأول: المأففب المنسوب وهو من ففبه الإمام أو نائبه للنظر فف أأوال الرعفة والكشف عن أمورهم ومصالحهم. الصنف الفاف- المأففب المنطوع وهو الفف ففقوم بالفسبة دون فكلفف، انظر- معالم القرفة فف أففام الفسبة لابن الأخرة بفففف د/ محمد محمود شعبان وفففق أحمد عفسف المطفعف ص/٢٣-٥٣.

(٣) انظر- المرجع السابق ص ٢٨٥، ومجموع ففافف ففف الإسلام أحمد بن ففمفه، فف وفففب الففف/عء الرحمن بن محمد بمساعفة ابنه محمد(٥٨٦/٢٨).

(٤) ففف الإسلام ابن ففمفه: هو الإمام ففف الففن أبو العباس أحمد بن عبءالفلم بن ففء الففن بن عبءالسلام الفرافف، كانت أسرفه أسرة العلم والففن، برع فف فنون العلم وترك مؤلفاف كآففة ففأف، جاهء فف فففر عفففة السلف، وأوذف فف ذلك فففرا فوفف سنة ٧٢٨هـ (رجه الله فعاف) انظر- طبقات الففاظ للسفوطف ص/٥١٦.

الرزق والأجرة: «وأما ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضاً وأجرة بل رزق للإعانة على الطاعة فمن عمل منهم لله أثيب»<sup>(١)</sup>. لأن المحتسب قد فرغ نفسه لعمل من أعمال المسلمين على وجه الحسبة، وكذلك أن مصلحة عمل المحتسب ترجع إلى عامة المسلمين فجاز له أخذ الرزق على الحسبة من بيت مالهم<sup>(٢)</sup>.

والنصوص الشرعية كثيرة في دلالة عمومها على مشروعية أخذ الرزق من بيت المال على الحسبة وعلى غيرها من أعمال الطاعة التي يتولها المسلم للمصلحة العامة. ومنها: ما جاءت به رواية المُسْتَوْدِ بن شداد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من كان لنا عاملاً، فيكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً»<sup>(٣)</sup>. الحديث من الأدلة على مشروعية جواز الإنفاق على من يتولى مصلحة عامة من بيت مال المسلمين.

ومنها: ما جاء في رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: ما جاء في رواية عائشة رضي الله عنها قال: «لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال واحترف للمسلمين فيه»<sup>(٥)</sup>.

الحديث والأثر من الأدلة على جواز أخذ الرزق من بيت المال للعامل في مصلحة عامة للمسلمين، ومن المصلحة العامة عمل المحتسب المنصوب من قبل الإمام.

(١) انظر - الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه - باختيار العلامة الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلبي الدمشقي ص ٢٦٤ ط / المؤسسة السعيدية - الرياض.

(٢) انظر - بالتصرف كتاب المسوط لشمس الدين السرخسي (١٨/٣).

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه بطول الحديث كتاب الخراج والقيء والإمارة باب رقم (١٠) في أرزاق العمال رقم الحديث «٢٩٢٩» (١٦١/٨-١٦٢). والحديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢/٢٣٠، ٢٣١).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه رقم الحديث «٢٩٢٩» (١٦٠/٨). والحديث صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود تأليف محمد ناصر الدين الألباني (٢/٢٣٠).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع رقم (٣٤)، باب رقم (١٥) رقم الحديث «٢٠٧٠» (٤/٣٥٥).

ويدل الأثر على استمرار عمل الصحابة بهذا المبدأ بعد وفاة الرسول ﷺ وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يتناول الرزق الذي فرض له باتفاق الصحابة رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.  
وأما إذا لم يكن للمحتسب المنصوب رزق من بيت المال لعدم وجود المال أو لأي سبب آخر، أو ليس له ما يكفيه من ماله الخاص، فإنه في هذه الحالة يشبه حالة المفتي في هذه المسألة \* فيسوغ لأهل البلد أن يجمعوا ويجعلوا له من أموالهم رزقا، ويحل للمحتسب المنصوب أن يأخذ ذلك الرزق ليتفرغ للقيام بأداء واجب الحسبة عليه، لأن الرزق معروف غير لازم لجهة معينة وهو أدخل في باب الإحسان وأبعد عن المعاوضة<sup>(٢)</sup>. وأن حكم الأرزاق يطلق على المال الموقوف على أعمال البر والموصى به والمنذور وأخذ المحتسب رزقه من تلك الأموال مع الحاجة عون على الطاقة.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في جواز أخذ الرزق من بيت المال على الطاعة مع الحاجة: «وأما ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضا وأجرة بل رزق للإعانة على الطاعة فمن عمل منهم لله أثيب، وما يأخذ فهو رزق للمعونة على الطاعة، وكذلك المال الموقوف على أعمال البر والموصى به كذلك، والمنذور كذلك، ليس كالأجرة»<sup>(٣)</sup>.

وأما إذا لم يجد المحتسب المنصوب الفقير رزقا من بيت المال ولا من تبرعات أهل البلد أو غيرها من الأموال الموقوفة على أعمال الخير، فيجوز له حينئذ أخذ الأجرة على عمل الحسبة حيث إن ما يأخذه المحتسب المنصوب الفقير من الأجرة إنما

(١) انظر - بالتصرف فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٣٥٧/٤).

\* راجع الكتب الفقهية لمعرفة أقوال العلماء في حكم أخذ الرزق على الفتوى، وانظر أيضاً: أخذ المال على أعمال القرب للشيخ عادل بن شاهين (٢ / ٧٩١-٨٠٣).

(٢) انظر - بالتصرف: كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس (٣٠١/٦)، وأخذ المال على أعمال القرب لإعداد الشيخ عادل بن شاهين. (٢ / ٨٠١-٨١٠).

(٣) انظر - الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، باختيار العلامة الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي ابن محمد ص / ٢٦٤، ٢٦٥.

يأخذها لحاجته إليها وليستعين بها على طاعة الله التي هي الحسبة. فالله يأجره على نيته \* .

وهذا من أقوى أقوال العلماء في مسألة أخذ الأجرة على القرب<sup>(١)</sup>. كما قال الشيخ الإسلام ابن تيمية عند إيراد أقوال العلماء في المسألة: «وقيل: يجوز أخذ الأجرة عليها (القربة) للفقير دون الغنى. وهو القول الثالث في مذهب أحمد، كما أذن الله لولي اليتيم أن يأكل مع الفقر ويستغني مع الغنى. وهذا القول أقوى من غيره على هذا فإن فعلها الفقير لله، وإنما أخذ الأجرة لحاجته إلى ذلك، وليستعين بذلك على طاعة الله، فالله يأجره على نيته فيكون قد أكل طيباً وعمل صالحاً»<sup>(٢)</sup>. والله أعلم.

ثانياً - حكم أخذ الأجرة على الحسبة التطوعية:

وأما المحتسب المتطوع فإن كان غنياً وله ما يكفيه فلا يجوز له أخذ الأجرة على عمل الاحتساب والدعوة إلى الله؛ لعدم احتياجه إلى الأجرة على عمله ولتبرعه بعمله لله عز وجل، حتى لا يخلو عمله من الثواب والأجر من الله عز وجل؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، لا ما فعل لأجل عروض الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»<sup>(٤)</sup>.

\* ولكن من العلماء من يرى عدم جواز الاستئجار على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر - بالتصرف كتاب الميسوط لشمس الدين السرخسي (١٧/١١) ط، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. أخذ المال على أعمال القرب ص ٨١٠، ومما يمكن بيانه لهم: أن احتسب المنسوب الفقير إذا لم يأخذ الأجرة على عمله مع هذه الحالة ربما تعطل هذا المنصب المهم، ولحق الخرج والضيق عموم المسلمين فتكون هذه الحالة ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، فيجوز القول حينئذ بجواز أخذ الأجرة للضرورة لقوله تعالى: «فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» [البقرة: ١٧٣]. لأن حالته تشبه حالة المفتي وغيره ممن يتولى مصلحة دينه في المجتمع بالأجرة مع الحاجة والفقر. والله أعلم. انظر - المرجع السابق (٢٠٥/٣٠، ٢٠٦)، وانظر بالتصرف: أخذ المال على أعمال القرب إعداد الشيخ عادل بن شاهين (٨٠١/٢ - ٨١٠).

(١) والقول الأول: هو أنه لا يجوز الاستئجار عليها وهو مذهب أبي حنيفة وغيره، القول الثاني: هو أنه يجوز الاستئجار عليها وهو قول الشافعي.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٥/٢٤، ٣١٦) و(٢٠٦/٣٠، ٢٠٧).

(٣) انظر - بالتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣١٥/٢٤)، وأخذ المال على أعمال القرب إعداد الشيخ عادل بن شاهين (٨٠٩/٢).

(٤) جزء من حديث سبق تخرجه في ص ٣١٠ من هذا البحث وهو من رواية الإمام البخاري في صحيحه.

وكذلك فَرَّقَ بعضُ العلماء بين الغني والفقير في مسألة أخذ الأجرة على القرب ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «ومن فرق بين المحتاج وغيره - وهو أقرب - قال: المحتاج إذا أكسب بما أمكنه أن ينوي عملها لله، ويأخذ الأجر ليستعين بها على العبادة؛ فإن الكسب على العيال واجب أيضاً، فيؤدي الواجبات بهذا؛ بخلاف الغني لأنه لا يحتاج إلى الكسب، فلا حاجة تدعوه أن يعملها لغير الله بل إذا كان الله قد أغناه، وهذا فرض على الكفاية كان هو مخاطباً به، وإذا لم يقم إلا به كان ذلك واجباً عليه عينا والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

فلا يجوز للمحتسب الغني أخذ الأجرة على الحسبة سواء تعين عليه العمل أو لم يتعين عليه لكون الحسبة قربة لله لا لأجل أجرة دنيوية. وأما المحتسب المتطوع الفقير فلا يجوز له أخذ الأجرة على عمله بالدعوة والاحتساب لأن هذا العمل لا يقبل التعويض لكونه قربة لله عز وجل يجب عليه العمل فيها بحسب حاله وحدود طاقته لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، كما سار فيها الرسل عليهم السلام حيث كانوا يدعون إلى دين الله بقدر طاقتهم وبحسب حالهم بدون طلب أجر من الناس كما قال نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠]، وقال خاتم الرسل ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]. وقال هود عليه السلام لقومه: إنه يعمل في دعوته إياهم إلى دين الله بقدر طاقته وبحسب حاله ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

ويجب على الناس الاقتداء بالأنبياء (عليهم السلام) في هدايتهم في الدعوة وغيرها من أمور الدين والدنيا.

إن العلماء الشرعيين الذين منهم المفتون والدعاء والمحتسبون المنصبون والمحتسبون المتطوعون، هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء (عليهم السلام) لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٦/٣٠، ٢٠٧).

(٢) انظر بالتصرف: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٤/٣٠، ٢٠٥).

وأما إذا تعذر وجود أي طريق من طرق المكاسب المباحة على الداعية أو المحتسب المتطوعين بسبب إحدى الأعذار الشرعية، فيجوز للداعية والمحتسب في هذه الحالة أن يأخذ الأجرة على عمله حتى يجد ما يغنيه من تلك الأجور بشرط أن لا يتقيد بأي شروط مخالفة لهدي الكتاب والسنة؛ لأنه بهذه الإجارة يكون قد جمع بين أداء مهمة الدعوة والحسبة واكتساب المال لسد حاجاته وحاجات عياله، ويكون قد جمع فرض كفاية وهو التطوع بالحسبة وفرض العين وهو اكتساب الرزق لعياله.

ومتى وجد ما يغنيه من طرق اكتساب المال سلكه وترك الإجارة على دعوته واحتسابه التطوعي حتى يظل عمله على الأصل والأفضل فيه. وذلك عملاً منه بإحدى أقوال العلماء في أخذ الأجرة على تعليم العلوم الشرعية مع الحاجة، كما قال تعالى في ولي اليتيم: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، لأن بعض العلماء فرقوا بين المحتاج والغني في مسألة أخذ الأجرة على تعليم العلوم الشرعية وغيرها من أعمال القرب التي يجوز فيها ذلك بقولهم: «المحتاج إذا اكتسب بها أمكنه أن ينوي عملها لله، ويأخذ الأجرة ليستعين بها على العبادة فإن الكسب على العيال واجب أيضاً فيؤدي الواجبات بهذا بخلاف الغني لأنه لا يحتاج إلى الكسب فلا حاجة تدعوه أن يعملها لغير الله...»<sup>(١)</sup>.

إذن يتضح في هذه المسألة أن الداعية والمحتسب الفقيرين المتطوعين يجوز لهما أخذ الأجرة على عملهما لضرورة اكتساب الرزق لنفسهما ولعيالهما والضرورة تقدر بقدرها لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ومتى زالت الضرورة يكفان عن أخذ الأجرة على عملهما التطوعي الدعوي والاحتسابي\*. والله أعلم.

(١) انظر بالتصرف: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٥/٣٠-٢٠٧).

\* وكذلك يتضح أيضاً من استقراء أقوال العلماء وآرائهم حول مسألة أخذ الأجرة على أعمال القرب أن المال الذي يأخذه الداعية والمحتسب الفقيران من غير بيت مال المسلمين فالأفضل أن يطلق عليه بالرزق من غير بيت مال المسلمين دون الأجرة. كما يمكن أيضاً أن يطلق عليه بالإعانات لأنه عون على طاعة الله عز وجل أي =



كل ما ورد ذكره في المطلب الأول من أنواع المهن والحرف المتصلة بالقرب في هذا الموضوع فإنما هو من قبيل ذكر نماذج منها ليقاس عليها غيرها عند العمل فيها<sup>(١)</sup>.

إذن فكل مهن وحرف وميادينها المشروعة التي لها علاقة بالطاعات فهي مجالات طلب الرزق المتصلة بالطاعات في هذا الموضوع، وذلك لبيان كيفية استغلالها في مجال الدعوة الإسلامية مع كسب الرزق. وينبغي للداعية في كل زمان ومكان أن يستغلها بالدعوة والاحتساب مع اكتساب رزقه وفق حاله وطاقته.

المطلب الثاني- مجالات طلب الرزق العامة.

المسألة الأولى- المراد بمجالات طلب الرزق العامة.

أما المراد بمجالات طلب الرزق العامة في موضوع هذا البحث فهي عبارة عن كل الميادين والحرف والمهن المباحة لاكتساب الرزق. إن الإسلام قد جعل للإنسان ميदानاً واسعاً يكتسب فيه رزقه حيث خلق الله للإنسان ما في الأرض جميعاً، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض وما في البحر وجعل له الأرض ذلولاً، فميدان العمل واسع وميدان الرزق موجود في كل مكان فلم يقيد الله الإنسان في دائرة ضيقة بل فتح أمامه الأبواب المباحة كلها؛ ليشغل ويعمل ويصل إلى ما كتب له من رزق الله وفضله<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

= يستعين به الداعية والمحاسب على أداء مهمتهما الدعوية والاحتسابية. وعندئذ يجد كل من المنفق والمنفق عليه أجراً من الله عز وجل، على تنفيذ الدعوة والاحتساب في الواقع لقول الله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَغْنَوْا مَتًى وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وكذلك إن شروط صحة عقد الإجارة عند العلماء قد لا تستكمل غالباً في مثل هذه القرب التي منها الدعوة والاحتساب. والله أعلم بالصواب. راجع ص/٣٥٢ من هذا البحث.

(١) راجع ص/٣٤٦-٣٥٩ من هذا البحث.

(٢) انظر- العمل والعمال في الفكر الإسلامي تأليف إبراهيم النعمة ص ٢٨، ٢٩.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحج: ١٢: ١٣].

المسألة الثانية- أنواع المجالات العامة.

النوع الأول- المهن والحرف العامة.

أما المهن والحرف العامة فيدخل حكم إباحتها في حكم مجموع أنواع المهن والحرف التي أباحها الإسلام للإنسان كالزراعة والرعي والتجارة والإجارة والصناعة والقطف والصيد وغيره من الحرف بمختلف صورها وأشكالها.

وينبغي للإنسان أن يختار منها ما يريده ويطبقه بأساليب متنوعة وفق هدي الإسلام حتى يكتسب رزقه بطرق مشروعة<sup>(١)</sup>.

والمهن والحرف العامة باقية على إباحتها ما لم تدخلها مخالفة شرعية كما جاء في القاعدة الأصولية أن العادات كلها كالماكل والمشارب، والملابس والأعمال العادية والمعاملات، والصنائع الأصل فيها الإباحة والإطلاق فمن حرم شيئاً منها لم يحرمه الله ولا رسوله ﷺ فهو مبتدع<sup>(٢)</sup>.

وينبغي للدعاة سلوك المهن والحرف العامة والتي تتناسب مع مكانتهم في قلوب الناس وفي المجتمع لاكتساب الرزق بها في كل زمان ومكان وفق هدي الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح رحمهم الله<sup>(٣)</sup>.

(١) ولمعرفة مزيد من أنواع الحرف والمهن في الإسلام راجع كتاب العمل والعمال في الإسلام للدكتور زيدان عند الباقي وغيره من الكتب المفيدة في هذا الباب.

(٢) القواعد والأصول الجامعة والفرق والتفاسيم البديعة النافعة للعلامة المحقق المفسر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص / ٣٢، ط / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض الطبعة الثانية - ١٤١٠ هـ.

(٣) سبق الكلام حول مجال طلب الرزق ذات الصلة بالطاعات في ص/ ٣٤٣ من هذا البحث.

النوع الثاني- الميادين العامة في طلب الرزق.

أما الميادين العامة في طلب الرزق فيدخل حكم إباحتها في حكم جميع الميادين والأماكن والمواضع التي أباحها الشرع لكسب الرزق فيها، وذلك بخلو تلك الأماكن من المحظورات الشرعية المحرمة كتجنب مصانع الخمر والمخدرات، والأماكن الخاصة ببيعها في الأسواق، ومصانع تعبئة لحوم الخنازير ومعرض بيع الكلاب، وغيرها من الأماكن الخاصة لاكتساب الأموال المحرمة، لورود النهي عن جميع أنواع الوسائل المحرمة لكسب الرزق، كما جاء في رواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، واتقوا الله وأجملوا في الطلب وخذوا ما حل ودعوا ما حرم»<sup>(١)</sup>.

حيث إن الأموال والأعمال المحرمة لها صلة بالميادين التي تكتسب فيها في التحريم غالباً؛ لأنها وسيلة إلى فعل الحرام وما يؤدي إلى الحرام فإتيانه حرام وذلك بالنسبة لمن يقصد هذه الأماكن بفعل الحرام فيها. وأما إتيانها لإزالة المنكرات والأمر بالمعروف فليس بحرام بل هو واجب<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمثلة على الميادين العامة في طلب الرزق الزراعة في حقول التمور والقمح، والعمل في مصنع السيارات والطائرات، والعمل في مصنع تعبئة الأسماك، والعمل في مناجم الذهب والماس والحديد والألمنيوم، والعمل في الموانئ الخاصة باستيراد وإصدار البضائع المشروعة ونحوها من الميادين العامة المباحة.

وينبغي للداعية أن يعمل فيها وفي غيرها مما يتناسب مع مكانته الدعوية لاكتساب الرزق في كل زمان ومكان وفق هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الأمة (رحمهم الله) في تلك المجالات.

(١) سبق تخريجه في ص/٢٦١ من هذا البحث هامش رقم (٤).

(٢) راجع بعض النصوص الشرعية في وجوب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ص/٣٧ من هذا البحث.

### المطلب الثالث- صفات عمل الداعية في مجالات طلب الرزق.

إن الداعية يستوي مع غيره في حكم اكتساب الرزق في مجالات طلب الرزق وأما صفة عمله فيها فينبغي له أن يتميز عن غيره بصفات دعوية لائقة بعمله الدعوى. ويراعونها للحفاظ على المصالح الدعوية وأهدافها في مجالات طلب الرزق. وهذه الصفات كثيرة ومن أبرزها ما يأتي:

- ١- تقييد العمل بهدي الكتاب والسنة.
  - ٢- المحافظة على تعظيم المجالات ذات الصلة بالطاعة.
  - ٣- الإخبار عن الذات للهدف الدعوي في مجالات طلب الرزق.
  - ٤- استغلال مجالات طلب الرزق بالدعوة.
  - ٥- سلامة اختتام العمل بين المتعاملين.
- وهذه الصفات مفصلة في المسائل التالية:
- المسألة الأولى: تقييد العمل بهدي الكتاب والسنة.

إن من واجبات الداعية عند اكتسابه الرزق في مجالات طلب الرزق أن يتقيد بجميع الأحكام الشرعية المتعلقة بتلك المجالات سواء منها ما كان مرتبطاً بالطاعة أو غير مرتبط بها. حتى يكون الداعية صورة واقعية حية لتطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بتلك المجالات من مهن وحرف وميادينها، وذلك لعموم مشروعية العمل بهدي الكتاب والسنة في كل الأمور في الدين والدنيا<sup>(١)</sup>.

#### المسألة الثانية: المحافظة على تعظيم المجالات ذات الصلة بالطاعة.

إن مما ينبغي للداعية عند الاكتساب في المجالات ذات الصلة بالطاعات أن يحافظ على تعظيمها لأجل ما يرتبط بها من العبادات والطاعات سواء كانت تلك المجالات مهنة متصلة بقربة أو ميداناً لقربة سواء كان ذلك الميدان بقعة أو بلداً أو جبلاً أو داراً أو غيرها لما في ذلك من إشعار الداعية المدعويين بعظم شعائر الدين

(١) راجع بعض النصوص الشرعية في وجوب العمل بهدي الكتاب والسنة في الدعوة وطلب الرزق في صفحة (٤٩) من هذا البحث.

الإسلامي كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وأما الشعائر فجمعها شعيرة وهي كل شيء فيه لله تعالى شعار فشعائر الله أعلام دينه، وتدخل الهدايا في الحج دخولاً أولاً وغيره من أمور الدين<sup>(١)</sup>. ويحرم على الداعية أن يحدث منه شيء فيه إساءة إلى تلك المجالات مما يجلب إليها الاستخفاف بالطاعات المخصوصة بتلك المجالات، كما هو ظاهر في نهي الرسول ﷺ عن إنشاد الضالة في المسجد لما في تلك من إهانة المسجد. وفي رواية عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي ﷺ: «لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له»<sup>(٢)</sup>.

مما جاء في قول القاضي عند تعليقه على الحديث: «قال بعض شيوخنا إنما يمنع في المسجد من عمل الصنائع التي يختص بنفعها آحاد الناس ويكتسب به فلا يتخذ المسجد متجراً. فأما الصنائع التي يشمل نفعها المسلمين في دينهم كالمثاقفة وإصلاح آلات الجهاد مما لا امتهان للمسجد في عمله فلا بأس به»<sup>(٣)</sup>.

إذن فالآية والحديث من الأدلة على تعظيم مجالات طلب الرزق ذات الصلة بالطاعات، وينبغي للدعاة مراعاته؛ لكي يكونوا قدوة لغيرهم من المدعوين في كل زمان ومكان.

(١) انظر - بالتصرف فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لـ محمد بن علي الشوكاني (٤٥٢/٣). وهناك خلاف بين العلماء في المراد بالشعائر منها المعنى المذكور في هذا البحث وقيل فيها: البدن، وقيل: الشعائر: الناسك ومشاهدة مكة. وقيل: الشعائر هي الدين كله أو امره ونهايه، فهي شعائر الله لأن امتثالها والوقوف عند حدودها يدل على الطاعة لله تعالى. انظر المرجع السابق، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥/ ٤٢٩-٤٣٠) وتفسير آيات الأحكام أشرف على تنقيحه وتوضيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٣/ ١٥٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه شرح كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (٥) باب رقم (١٨) (٥٨/٥).

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٥٨/٥-٥٩).

## المسألة الثالثة- استغلال مجالات طلب الرزق بالدعوة.

إن مما ينبغي أن يتصف به الداعية عند اكتسابه الرزق أن يستغل مجالات طلب الرزق بالنوع المناسب في الدعوة وفق حال المدعويين في تلك المجالات بالوسائل المشروعة الملائمة لتلك الدعوة، سواء تعلقت الدعوة بالمهن والحرف أو بميادينها، وسواء ارتبطت المجالات بالطاعات أو بغيرها، وكذلك ينبغي أن تأتي الدعوة لعلاج واقع الناس على ضوء الكتاب والسنة كما هو ظاهر في مواقف دعوة النبي ﷺ في مجالات طلب الرزق<sup>(١)</sup>.

## المسألة الرابعة- الإخبار عن الذات للهدف الدعوي في مجالات طلب الرزق.

إن مما ينبغي للداعية أن يتصف به في مجالات طلب الرزق الخاصة والعامة أن يُعَلِّمَ النَّاسَ المتعاملين وغير المتعاملين من المدعويين بنفسه أنه من الدعاء إلى دين الله في تلك المجالات، ولا يمنعه من ذلك طمع في أموال معارضي الدعوة أو التزول على رضاهم، أو خوف أو حياء مواجهة جمهور الناس في مثل هذه المجالات المختلفة بأصناف من المدعويين، بل يكون اعتماده على الله عز وجل مع استخدام الوسائل الدعوية الملائمة لذلك الموقف، لكي يكون الداعية مرجعاً للناس في إرشادهم وتوجيههم في عباداتهم ومعاملاتهم الاقتصادية والإصلاح فيما بينهم وغير ذلك من الأمور المتعلقة بهم اقتداء منهم في ذلك بالنبي ﷺ.

ومن مواقف النبي ﷺ في تتابع الناس في مجالات طلب الرزق لأجل تبليغ

دعوته ما يأتي: -

١- ما جاء في رواية ابن إسحاق عند حديثه عن قصة رجوع النبي ﷺ من الطائف: «ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين، ممن آمن به؛ فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في

(١) راجع ص/١٦٧-١٦٩ وص/٣٦٤-٣٦٥ من هذا البحث.

المواسم، إذ كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به»<sup>(١)</sup>.

وما جاء في رواية جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وممجة وبعكاظ ومنازلهم بمنى من يؤوييني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي عز وجل وله الجنة»<sup>(٢)</sup>.

٢- ما جاء في إجاباته ﷺ على أسئلة الناس وتوجيهه إياهم إلى الصواب فيما يجهلونه من أحكام الدين في مجالات طلب الرزق وغيره، ومن مواقفه في ذلك ما جاء في رواية زيد بن ثابت ؓ قال: «كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار فإذا جَدَّ الناسُ وحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ قال المبتاع: إنه أصاب التمر الدُّمانُ»<sup>(٣)</sup>، أصابه مرض، أصابه قُشَامٌ»<sup>(٤)</sup> - عَاهَاتٌ يَحْتَجُونَ بِهَا فقال رسول الله ﷺ لما كثرت عنده الخصومة في ذلك: فأما لا فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح التمر كالمشورة يُشِيرُ بِهَا لكثرة خُصُومَتِهِمْ»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك ما جاء في رواية عمرو بن دينار وعامر بن مصعب أنهما سمعا أبا المنهال يقول سألت البراء بن عازب وزيد بن أرقم عن الصرف فقالا: «كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ فسألنا رسول الله ﷺ عن الصرف فقال: إن كان يداً بيد فلا بأس، وإن كان نسيئاً فلا يصلح»<sup>(٦)</sup>.

(١) سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق ومُذِيب ابن هشام (٢/٢٨٧).

(٢) سبق تخريج الحديث في ص/١٦٨ وهو رواية الإمام أحمد في مسنده.

(٣) «الدمان» فساد النخل قبل إدراكه. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري للإمام ابن حجر (٤/٤٦١).

(٤) «قشام»: شيء يصيب ثمر النخل حتى لا يوطب. وقيل فيه معنى آخر. المرجع السابق.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع رقم (٣٤) باب رقم (٨٥) رقم الحديث (٢١٩٣).

(٤/٤٦٠).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب رقم (٨) رقم الحديث (٢٠٦٠، ٢٠٦١) (٤/٣٤٨).

والأحاديث من الأدلة على مشروعية إخبار الداعية الناس بنفسه للهدف الدعوي والتصدي لاستفساراتهم في جميع المجالات سواء ما تعلق بطلب الرزق أو بغيره.

#### المسألة الخامسة - سلامة اختتام العمل بين المتعاملين.

إن مما ينبغي للداعية عند كسب الرزق بمهنة الإجارة أن يحافظ على حسن اختتام العمل، سواء كان العمل مرتبطاً بالطاعة أو غير مرتبط بها، وذلك للعمل بمشروعية الأمر بحسن العمل لما جاء به قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم أن يتقنه»<sup>(١)</sup> لكي تبقى له صورة جميلة لمعاملته الفاضلة فيتمكن بسببها جذب الناس إلى الامتثال بما يدعوهم إليه من الموضوعات الدعوية.

وأما إذا كان العمل خاصاً بالطاعة مثل تعلم العلوم الشرعية والدعوة والاحتساب ونحوه فيجب على الداعية سواء كان أجيراً أو مؤجراً أن يخلص في نجاح العمل لكونه طاعة لله عز وجل فيفوز بثواب إحسان العمل وثواب الطاعة لله عز وجل، لما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

ويجب على الأجير والمؤجر ترغيب الآخر في حسن استمرار أداء العمل بالأخلاق الفاضلة. وكما يجب على الأجير أن ينصح صاحب العمل ويرشده إلى ما فيه صلاح العمل ونجاحه نحو تحقيق أهدافه، ويحذره عن كل ما يكون سبباً في إعاقة العمل وتعطيله عن أهدافه؛ لأن ذلك من التناصح الواجب بين المسلمين<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر صاحب العمل الخاص بالطاعة فاعل خير يستحق التعاون معه على بره وإحسانه بماله في مجال الطاعة، وأن ما يتلقاه الأجير من الأجر أو الرزق على عمله، إنما هو من قبيل

(١) سبق تخريج الحديث في ص/١٢١، وهو برواية الإمام الطبراني في المعجم الأوسط. وجاء في رواية أخرى عند الإمام البيهقي «إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن». تأليف إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي تحقيق أحمد القلاس (٢٨٦/١) رقم الحديث «٧٤٧» ط/مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) كما في رواية أبي رمية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب رقم (٢٣) رقم الحديث



مساعدته على أداء واجبه نحو تلك الطاعات، من دعوة واحتساب وتعلم العلوم الشرعية ونحوها لقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]. وكذلك ينبغي أن يعلم كلاهما أن ثواب كل واحد منهما مضمون له عند الله عز وجل لا ينقص أجر أحدهما أجر الآخر لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(١)</sup>. وما جاء في رواية زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: أن الرسول الله ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا»<sup>(٢)</sup>، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»<sup>(٣)</sup>.

وهذه النصوص الشرعية من الأدلة على أن المتسبب في إيجاد الخير والهدى من عبادة وجهاد ودعوة واحتساب وصدقة وغيرها بالوسيلة المشروعة أجره مضمون له، لا ينقص منه شيء، وكذلك العامل في الخير والهدى أجره محفوظ له أيضاً.

وكذلك ينبغي أن تكون العلاقة بينهما في مجال الإجارة في الأعمال الخاصة بالطاعة مبنية على الأخوة الإسلامية المتصفة بالرحمة والشفقة والإكرام والتقدير والتعظيم المتبادل بين الطرفين، مع وجود العقد بينهما على أساس القيام بأداء العامل تلك الطاعات، أو أداء الأعمال العامة، مادام يتصفان بالإسلام، ويكون جو هذه الأخوة بعيداً عن كل أنواع الإهانة والاستخفاف من الطرفين لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النافقون: ٨]. وأن لا تكون علاقتهما مبنية على أساس تبادل المال والرزق بعيداً عن روح الإسلام والطاعة لله ولرسوله ﷺ، ولا سيما إذا كان العقد على أداء العمل الخاص بالطاعة والقرب لأن ذلك أدعى إلى الامتثال بمبادئ الأخوة الإسلامية.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب العلم رقم (٤٧) باب رقم (٦) رقم الحديث (٢٦٧٤) (٤٦٨/١٦).

(٢) «فقد غزا» أي هو مثله في الأجر والثواب. انظر رياض الصالحين للإمام النووي ص ٩١ هامش رقم (٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير رقم (٥٦)، باب رقم (٣٨) رقم الحديث (٢٨٤٣).

وقد جاء في رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تتاجسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله لا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(١)</sup>.

والحديث من الأدلة على وجوب بناء الأخوة الإسلامية على أساس الإسلام والإيمان سواء عند الطاعات أو عند المعاملات المالية الأخرى.

وكذلك ينبغي أن تستمر الأخوة الإسلامية بين العامل وصاحب العمل بالأساليب المشروعة بعد احتتام ذلك العمل الخاص بالطاعة؛ لأن الأخوة الإسلامية غير محصورة على حدود العقد الإرتزاقى المعين، وغير منتهية بنهاية ذلك العقد بل الأخوة الإسلامية تظل مستمرة مادامت حياتهما قائمة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأما في حالة تبديل صاحب الأجير بعامل آخر أكثر منه أداء للعمل الخاص بالطاعات، فينبغي للأجير أن يأخذ أجر العمل الذي عمله، ويفسخ المجال للعامل الأكثر منه أداء وإنتاجاً، ثم يبحث عن طريق آخر من طرق المكاسب المشروعة الكثيرة على وجه أرض الله الواسعة<sup>(٢)</sup>. ويعين العامل الجديد بقدر طاقته على أداء ذلك العمل المتعلق بالطاعة لما في ذلك من التعاون على البر والتقوى؛ لأن العمل في مثل هذه المجالات الخاصة بالطاعات كالدعوة والاحتساب والإفتاء وتعلم العلوم الشرعية وغيرها، فيه ما يؤدي إلى حمل مسئولية هذه الأعمال عن المجتمع، وأما إسنادها إلى من يقوم بها على أكمل الوجه فهو الأفضل والأكثر فائدة للدين والمجتمع أفراداً وجماعات، كما هو ظاهر في نصيحة الرسول ﷺ لأبي ذر بنهيه عن تولي أمر المسلمين مع عدم القدرة والضعف في تحمله.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب رقم (١٠) رقم الحديث (٢٥٦٤) (٣٥٦/١٦، ٣٥٧).

(٢) كما أشار إليه القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وفي رواية عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ﷺ - ألا تستعملني، قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة»<sup>(٢)</sup>.

والحديث من الأدلة على مشروعية إسناد تولى أمر المسلمين إلى القادر على تحمله وتقديم الأفضل فالأفضل في أداء العمل.

وأما تولى أمر المسلمين فيعم الوظائف ذات الصلة بالطاعات والقرب من دعوة واحتساب وتعلم العلوم الشرعية وغيرها، فتكون هذه الوظائف محتاجة إلى من يقوم بها عن مقدرة على أدائها وتفضيله، على غيره ممن يَخْفِقُ في أدائها.

إذن فينبغي للدعاة والمحتسين والمعلمين بالعلوم الشرعية أن يراعوا حسن اختتام أعمالهم مع من يتعاملون معهم في مجالات طلب الرزق الخاصة بالطاعات والمجالات العامة لطلب الرزق في كل زمان ومكان.

وأما ما ذكر في هذا المطلب من صفات عمل الداعية في مجالات طلب الرزق فهي أبرز الصفات التي ينبغي للداعية أن يتحلى بها في هذه المجالات الخاصة بالطاعة، وغيرها من صفات تقيد العمل بهدي الكتاب والسنة، والمحافظة على تعظيم المجالات ذات الصلة بالطاعة، والإخبار عن الذات للهدف الدعوي في مجالات طلب الرزق، واستغلال مجالات طلب الرزق بالدعوة، وسلامة اختتام العمل بين المتعاملين.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة (٣٣) باب رقم (٤) رقم الحديث (١٨٢٥)، (٤٥١/١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٥٢/١٢).

وإنَّ ورود هذه الصفات هنا ليس من باب حصر جميع الصفات في مجالات طلب الرزق بل هي من أبرزها وأهمها، وينبغي للداعية أن يتحلى بأية صفة أخرى مشروعة، ومناسبة لحاله في جميع مجالات طلب الرزق أو غيرها من المجالات الأخرى الصالحة للدعوة فيها.

## المبحث الثاني

عوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية

### المطلب الأول

العامل الأول - العمل بقوة الإيمان في الدعوة وطلب الرزق

### المطلب الثاني

العامل الثاني - تطبيق خلق الدعوة في مجال طلب الرزق

### المطلب الثالث

العامل الثالث - تقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

## المبحث الثاني

## عوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية

المراد بعوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية.  
أما المراد بعوامل النجاح في مجالات طلب الرزق بالنسبة للداعية في هذا الموضوع فهو عبارة عن أمور مؤثرة غالباً في تسهيل عمل الداعية إلى تحقيق أهداف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.  
وهذه العوامل كثيرة ومتعددة في مساعدة الداعية ووصوله إلى النجاح في عمله الدعوي وطلب الرزق، ومن أبرزها ما يأتي في المطالب التالية:

## المطلب الأول

## العامل الأول - العمل بقوة الإيمان في الدعوة وطلب الرزق

## المسألة الأولى - التعريف بالإيمان.

أ- معنى الإيمان في اللغة: الإيمان مصدر مأخوذ من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن. والإيمان بشيء يعني الوثوق به وتصديقه كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق لنا.  
ويتلخص معنى الإيمان عند أهل اللغة في التصديق. ومنه أن الإيمان هو التصديق بالقلب<sup>(١)</sup>.

ب- معنى الإيمان في الشرع: للإيمان عدة تعريفات للعلماء من أفضلها ما يأتي:  
١- الإيمان هو تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه، وهذا التعريف حكاه الإمام أحمد بن حنبل ثم قال: «وهذا القدر متفق عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٣/١٣) والمعجم الوسيط (٢٨/١) والتعريفات للجرجاني (ص ٦٤).

(٢) انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٦٠/١).

٢- وعرف الرسول ﷺ الإيمان بقوله عند رده على سؤال جبريل عليه السلام: «قال: وأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت...»<sup>(١)</sup>.

٣- الإيمان: «هو قول وفعل يزيد وينقص». والكلام في هذا التعريف في مقامين: أحدهما كونه قولاً وعملاً. والثاني كونه يزيد وينقص. فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين. وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات<sup>(٢)</sup>.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان رقم (١) باب رقم (١١) (١/٢٥٩-٢٧٤). وكذلك اختلف العلماء في جعل الإسلام والإيمان معنى واحداً إلى قولين: القول الأول: يرى الإيمان والإسلام معنى واحداً ومن ذهب إليه الإمام البخاري ولهم أدلة من الكتاب والسنة في إثبات ذلك. والقول الثاني: يرى التباين بين الإسلام والإيمان ومن ذهب إلى ذلك الإمام أحمد وغيره ولهم أدلة من الكتاب والسنة في إثبات ذلك. والقول الثاني هو الراجح من القولين: ومما جاء من كلام الخطابي لتوضيح الفرق بينهما: «والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها. وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر...» وهناك تحليلات أخرى للعلماء في توضيح الفرق بين الإيمان والإسلام ووجه الجمع بينهما، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (١/١٤٠، ١٤١)، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/٢٥٩-٢٦٠)، وقال الإمام أحمد بن حجر: والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، ولكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلماً كاملاً إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمناً كاملاً إلا إذا عمل، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو العكس، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معاً فهو على سبيل المجاز، ويتبين المراد بالسياق، فإن وردا معاً في مقام السؤال حملا على الحقيقة، وإن لم يردا معاً أو لم يكن مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز بحسب ما يظهر من القرائن...» انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (١/١٤١).

(٢) وأما زيادة الإيمان ونقصانه فقد اختلف فيه العلماء إلى قولين: القول الأول - يرى عدم زيادة الإيمان ونقصانه في الإيمان وهو مذهب أكثر المتكلمين، ولهم في ذلك أدلة عقلية متعددة والتي منها: أن قبول الزيادة والنقصان في التصديق يؤدي إلى الشك فيه. القول الثاني - يرى زيادة الإيمان ونقصانه وهو مذهب السلف الصالح رحمهم الله. وقال الإمام البخاري، «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص». والقول الثاني هو أرجح. القولين لما يؤيده من النصوص الشرعية الكثيرة التي منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ =

٤- الإيمان هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان وعمل بالأركان.

هذا تعريف السلف رحمهم الله بالإيمان، وزادوا فيه العمل بأركان الإيمان للدلالة على أن الأعمال في مسألة الإيمان شرط في كماله.

إذن، فالإيمان يعني تصديق العبد لجميع ما جاء به الرسول ﷺ من ربه مع العمل بمقتضاه في الواقع باطناً وظاهراً.

والإيمان له قوة مؤثرة في تحريك أعمال العبد من حيث موافقتها للصواب وبعدها عن الفساد والتحريف. وكذلك للإيمان قوة في دفع العبد إلى سرعة تنفيذ العمل في الوقت المناسب وعن تأخيره عنه، فيكون ذلك سبباً للنجاح في ذلك العمل.

وأما الكلام في أثر قوة الإيمان في موضوع الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فينصب الكلام فيه على نفسية الداعية وسلوكه في الدعوة وطلب الرزق. وتفصيل ذلك فيما يأتي:

المسألة الثانية - أثر قوة الإيمان في نجاح الداعية في الدعوة.

إن الإيمان إذا تمكن من نفس الداعية فتكون له آثار حسنة وفوائد عظيمة، ومن تلك الآثار والفوائد: أن قوة الإيمان تجعل الداعية واثقاً بربه ﷻ فيرتبط به ارتباطاً وثيقاً روحياً وجسدياً عند جميع المواقف الدعوية ومراحلها، ويجعل الدعوة لديه غالية ومهمة فيحافظ عليها وينتصر لها بكل ما أعطي من قوة ووسيلة مشروعة ويستمد كل قوته من الله وحده لا شريك له في نصره له عند جميع الأمور الدعوية.

- الصَّلَاةُ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأنفال: ٣:٤]، وقال الشيخ محي الدين: «والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة، ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل، حتى إنه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها» انظر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/٦٠-٦٢)، وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (١/٢٦١، ٢٦٢).



كما هو ظاهر في موقف نبي الله موسى (عليه السلام) في رده على قومه عندما تعرضوا للبحر في أثناء فرارهم من فرعون وجنوده، وأيقنوا من بطش فرعون وجنوده فقال لهم موسى: ﴿قَالَ كُلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وكذلك إن الإيمان يشعر الداعية بعظم مسئولية أداء أمانة الدعوة التي ائتمنها من الله إلى الناس فيؤديها بكل إخلاص، وخوف من الله ﷻ لكي لا يقع فيما يخالف أمر الله فيها.

كما هو ظاهر في موقف النبي ﷺ في ذكر مخافته من ربه في الوقوع في معصية تغيير القرآن أو تبديله من تلقاء نفسه عند ما طلب منه الكفار ذلك مع إخلاصه وأمانته في أداء مهمة الدعوة. كما أمره بها ربه ﷻ.

وقد حكى القرآن موقفه هذا ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٥: ١٦: ١٧].

وإن قوة الإيمان الصادق في نفس الداعية تجعله محباً لله ورسوله ﷺ، وحريصاً على العمل بهديهما فيأخذ بأمرهما وينتهي بنهيهما مهما كانت الظروف والأحوال في جميع مراحل الدعوة وغيرها. كما قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. قوله تعالى في وصف المؤمنين أيضاً: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وإن التمسك بهدي الكتاب والسنة يضمن للداعية كل أسباب النجاح في العمل الدعوي وغيره؛ لأن طريقهما مستقيم، وموصل إلى الصواب والتوفيق والنجاح

في كل الأمور، ولا يعتريها الضلال ولا الإنحراف المؤدي إلى الدمار والهلاك، كما قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكما جاء به قول الرسول ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي»<sup>(١)</sup>.

وكذلك إن قوة الإيمان في نفس الداعية تجعله محباً للناس وحريصاً على هدايتهم ومشفقاً عليهم؛ فيسعى إلى أنقاذهم من ظلمات الجهل وأسباب الهلاك ودخول النار، وإرشادهم إلى معرفة أحكام الإسلام ونوره وأسباب النجاة والفوز بالجنة، كما هو ظاهر في حرص النبي ﷺ على هداية أمته، وشفقته عليهم، ومن الآيات الدالة على ذلك ما حكاه القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ومما جاء في معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: أن النبي ﷺ في غاية النصح لأمته، والسعي في مصالحهم يشق عليه الأمر الذي يشق عليهم ويعنتهم، يحب لهم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليهم ويحرص على هدايتهم إلى الإيمان، ويكره لهم الشر، ويسعى جهده في تنفيرهم عنه، وهو شديد الرأفة والرحمة بالمؤمنين أرحم بهم من والديهم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك إن قوة الإيمان تمكن الداعية على تحمل كل أنواع الصعاب والمشقات والأذى والصبر عليها في سبيل إيصال دعوته إلى الناس، ويذل كل ما يملكه من غال ورخيص في سبيل تحقيق الأهداف الدعوية وحماتها، ويزداد إيماناً وثباتاً عند تلقي تلك الصعاب، كما هو ظاهر في صفة المؤمنين الذي شهد الله سبحانه وتعالى لهم

(١) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک علی الصحیحین بطوله (كتاب العلم) رقم الحديث (٣١٩) (١٧٢/١)

والحديث: صحيح. انظر - الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٣٩/٣)

حديث رقم (٢٩٣٤). ط/ المكتب الإسلامي بيروت - دمشق، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) انظر بالتصرف: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣١٩/٣).

بصدق الإيمان الذي حملهم على القيام بالدعوة بوسائل الجهاد بالمال والنفس بقوله تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]. وكذلك إن قوة الإيمان تجعل الداعية يتغني أجره على الدعوة من الله وحده لا من جهة أخرى؛ لأن ذلك يؤدي إلى الاجتهاد في العمل الدعوي للفوز برضا الله ﷻ.

قد صرح جميع الرسل عليهم السلام لقومهم مع اختلاف عصورهم بأن أجرهم على الله لا على العباد كما جاء في قول نوح لقومه بقول الله تعالى عنه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وكما قال رجل<sup>(١)</sup>، مؤمن من آل فرعون لقومه بقول الله تعالى عنه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠: ٢١].

وآثار قوة الإيمان كثيرة جداً في استقرار الداعية، واطمئنانه نفسياً وسلوكياً وعملياً مما يسبب له النجاح في حياته الدعوية وغيرها. إذن، فالإيمان الصادق لدى الداعية وعمله به من أكبر العوامل لنجاح الداعية في أداء مهمة الدعوة نحو أهدافها. وينبغي للدعاة في كل زمان ومكان مراعاة ذلك في دعوتهم وغيرها.

(١) واختلف في اسم الرجل: قيل: هو حبيب بن مریم، وقيل: حبيب النجار. انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام بن كثير (٧٤٩/٣، ٧٥٠).

المسألة الثالثة- أثر قوة الإيمان في نجاح الداعية في طلب الرزق.

إن الإيمان له آثار حسنة للداعية المؤمن في سعيه لكسب الرزق ووصوله إلى ما يريده من الأرزاق. ومن تلك الآثار الحسنة إجمالاً على نفسه الداعية وسلوكه في مجال طلب الرزق ما يأتي:

إن الإيمان الصادق يُحْتَمُّ على صاحبه أن يجتهد ويجد في سلوك الطرق المشروعة المتاحة التي تعود بالفوائد العظيمة على المجتمع، ويتبعد عن الطرق المحرمة التي تجر أنواع الفساد والهلاك إلى المجتمع أفراداً وجماعات، لأنه يؤمن بأن الله هو الرزاق ومنه تصل الأرزاق للعباد لقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ويعمل بالأوامر الشرعية وينتهي بنواهيها في كل الأمور والتي منها مجال طلب الرزق، وذلك من أكبر قوة للنجاح في مجال طلب الرزق والفوز بالمطلوب فيه.

وكذلك إن المؤمن الصادق سواء كان داعية أو لم يكن غيره يعمل في مجال طلب الرزق بشعور مستمر بمراقبة الله إياه في كل حين، فيزيده ذلك إخلاصاً في أداء العمل على وجهه في وصول الرزق إليه وإلى غيره في المجتمع، كما جاء في قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»<sup>(١)</sup>، ولأن التقوى والإخلاص وحب الخير للآخرين عند العمل، من مقومات نجاح ذلك العمل سواء كان في مجال طلب الرزق أو غيره ولا يأتي بذلك غالباً إلا الإيمان الصادق والاستقامة عليه. وقد نصح به الرسول ﷺ الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله الثقفي عند ما طلب منه ذلك قائلاً: «قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال: قل: آمنت بالله ثم استقم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيح كتاب الإيمان (٢) باب رقم (٧) رقم الحديث (١٣) (٧٣/١).

(٢) سبق تخريج الحديث في ص/٢٧٨ من هذا البحث وهو رواية الإمام مسلم في صحيحه.

وقال الإمام النووي عند تعليقه على الحديث: «قال العلماء معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى، قالوا: وهي من جوامع الكلم، وهي نظام الأمور وبالله التوفيق»<sup>(١)</sup>.

وقال الدكتور يوسف القرضاوي: «والحقيقة أن الإيمان أعظم دافع للإنتاج لو تأمل الناس وانصفوا، فالإنتاج لا ينمي ويزداد إلا بما يبذل الناس من جهد وعمل، وما يصحب هذا العمل من إحكام وإتقان ولا يتحقق هذا وذاك إلا في جو من الأمانة والإخلاص للعمل، وذلك لا يكون إلا بباعث قوي، وحافز غلاب، فهل هناك باعث أقوى تأثيراً من الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

والمؤمن الصادق عند عمله في مجال طلب الرزق يتمنى أن يفوز بشمرة عمله وجهده فيه في الدنيا وثوابه في الآخرة بالنية الصالحة لمعرفته فضائل بعض طرق كسب الرزق عن طريق النصوص الشرعية الواردة في ذلك<sup>(٣)</sup>.

وهذا الإحساس منه يزيده قوة واندفاعاً لأداء العمل على الوجه الأكمل وفق هدي الشريعة والاجتناب فيه عن كل ما يشينه.

إذن فعمل الداعية بقوة الإيمان من أكبر عوامل النجاح في مجال طلب الرزق والفوز به. لما للإيمان من فوائد عظيمة وقوة مؤثرة لكل عامل في تحقيق أهدافه في كل أمور الدين والدنيا.

وكل ما سبق ذكره في هاتين المسألتين من آثار الإيمان في نفسية الداعية وسلوكه في عمليتي الدعوة وطلب الرزق، له دلالة واضحة على أن قوة الإيمان من المحاور الرئيسية لنجاح عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو أهدافها. وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

(١) انظر - رياض الصالحين للإمام النووي ص ٥٨.

(٢) انظر - الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي ص/٢٥٣، ط /مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة

١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٣) راجع بعض النصوص الشرعية في فضل كسب الرزق في ص/٢٧٥ من هذا البحث.

المطلب الثاني- العامل الثاني- تطبيق خلق الإسلام في مجال طلب الرزق.

إن تطبيق خلق الإسلام في مجال طلب الرزق من الأمور المهمة بالنسبة للداعية في حياته الاقتصادية والدعوية؛ لأن الأحكام الشرعية المتعلقة بالأمور الاقتصادية هي من الأمور التي تستهدفها دعوة الداعية، وقيام الداعية بهذا التطبيق العملي يسبب له تسهلاً لأداء واجبه الدعوي في ميادين كسب الرزق، كما يوفر له الوقت في بذل المزيد من العمل في مجال الدعوة ومجال طلب الرزق؛ لأدائهما في ميدان واحد بخلاف ممارستهما في الميادين المتفرقة. فيسبب له ذلك أيضاً نجاحاً في الوصول إلى الأرزاق التي من أجلها وجدت تلك الميادين بطرق متعددة التي منها طرق المعرفة وحسن المعاملة.

أما معرفة الداعية لدى الناس وحسن معاملته إياهم عند عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فيتحقق نجاحه فيها من جانبين:

أ - جانب الرزق. ب - جانب الدعوة.

أ - نجاح الداعية في طلب الرزق بطرق المعرفة وحسن المعاملة.

يأتي نجاح الداعية في طلب الرزق بسبب ما يتم بينه وبين المتعاملين من التعرف والاختلاط بهم وما يسمعه الناس من قبل الداعية من التوجيهات المفيدة، وما يطلعون عليه من أخلاقه الحسنة في مجال طلب الرزق من صدق وأمانة وشفقة بالناس والإحسان إليهم والتيسير على المعسر والرفق ولين الجانب في المعاملة والعفو عن أخطاء المتعاملين وغيرهم والتجنب عن كل أنواع الظلم في معاملة الناس عند تلك المجالات من خيانة وغش في أنواع المعاملات المالية المختلفة.

وعندئذ يكون الداعية مطابقاً ومنفذاً لمواضيع الدعوة التي يدعو الناس إليها بالقول والفعل معاً. وإنه بذلك يكسب حب الناس وثقتهم فيما يتعلق بأمورهم ودينهم فيقصده المتعاملون بمعاملاتهم المالية بالإخلاص والرغبة في استمرارية تعامله في مجال طلب الرزق، فيكون ذلك من أسباب تيسير بعض أعماله الاستثمارية المالية التي تعود إليه بمزيد من أنواع الأرزاق.

وكذلك إن عادة الناس في المعاملات أن يتعاملوا مع العامل<sup>(١)</sup> الأمين الصادق القوي على أداء عمله، وينبذون العامل الخائن الضعيف في عمله.  
إذن فتطبيق الخلق الدعوي في مجال طلب الرزق من أكبر عوامل النجاح في تحقيق الأهداف المتعلقة بطلب الرزق بالنسبة للداعية وغيره.

ب - نجاح الداعية في الدعوة بطرق المعرفة وحسن المعاملة.

يأتي نجاح الداعية في تحقيق الأهداف الدعوية في مجال طلب الرزق بسبب شهرته بالالتزام بالخلق الإسلامي، والذي يكسبه محبة الناس له وثقتهم به وميول قلوبهم إليه وتعاطفهم معه، وإصغائهم إلى كل ما يبلي عليهم من الموضوعات الدعوية وعملهم بها.  
كما هو ظاهر في استجابة إخوة يوسف لطلبه عليه السلام منهم في إحضار أخيهام معهم عند رجوعهم إليه في المرة الثانية لشراء البضاعة منه، وذلك بعد أن أحسن ضيافتهم ومعاملتهم التجارية في المرة الأولى حيث كان لهذه المعاملة المالية والإنسانية أثر فعال في شد عزمهم على الرجوع إلى يوسف للشراء منه مرة ثانية.

ومن الآيات الدالة على القصة قول الله تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون \* قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ \*

(١) ومن الشواهد على تأثير الصفات الحسنة في تحقيق الأهداف المالية لبعض الأنبياء ما كان من إقبال بعض الناس بأموالهم إلى رسول الله ﷺ ليحافظ عليها أو يتعاملوا معه في التجارة لما كان يتحلى به من الخلق العظيم كالأمانة والصدق بين الناس قبل بعثته. قال ابن إسحاق عند حديثه عن هجرة الرسول ﷺ: «وأما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدق وأمانته ﷺ». وقال أيضاً في معرض حديثه عن تجارة الرسول ﷺ لخديجة رضي الله عنها: «فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام... ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة... فلما قدم مكة على خديجة بملها، باعت ما جاء به فاضعف أو قريباً...».

وهكذا ربح النبي ﷺ في تلك التجارة نتيجة شهرته بالأمانة والصدق في معاملة الناس. انظر - سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق بتهديب ابن هشام (١٢١/١) ٣٣٥/٢.

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتُلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ \* وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿يوسف: ٥٩-٦٥﴾<sup>(١)</sup>.

وإحسان الداعية إلى الناس وحسن خلقه في المعاملة المالية وغيرها من أكبر الوسائل لامتنال المدعوين بأوامر الداعية في الدين والدنيا، واجتناب ما ينهاهم عنه من الحرام والمنكرات.

ويتضح من دراسة ما ورد في المسألتين السابقتين أن تطبيق خلق الدعوة من قبل الداعية في مجال طلب الرزق، من أكبر عوامل نجاح عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو تحقيق أهدافها. وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

(١) راجع القصة في تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٠٩/١-٢١٧).



المطلب الثالث - العامل الثالث: تقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

المسألة الأولى - المراد بتقويم عملية الجمع وبين الدعوة وطلب الرزق.

أما المراد بتقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في هذا الموضوع، فهو عبارة عن مراقبة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق مع تصحيح الخطأ وتدعيم الصواب فيها بالوسائل المشروعة من قبل الداعية أو غيره لنجاح سير عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو أهدافها<sup>(١)</sup>.

إن مراقبة الأعمال الإسلامية لتصحيح الأخطاء وتدعيم الصواب فيها بالوسائل المناسبة في الشرع من الأمور المشروعة بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي منها:

١ - قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ومما جاء في تعليق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي<sup>(٢)</sup> على الآية: «هذه الآية الكريمة، أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي أن يتفقدتها، فإن رأى زللاً، تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً، في أمر من أوامر الله، بذل جهده، واستعان بربه في تكميله، وإتقانه»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر بالتصرف: التقويم الدعوي للدكتور عبد الله يوسف الحسين ص/١٢، ١١ ط/دار المجتمع - جدة - الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ودراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة، للأستاذ الدكتور محمد رواسي قلعة جي ص/٢٨٠، ٢٨١ ط/دار النفائس، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي هو: العالم العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي ولد في عينة سنة ١٣٠٧هـ وتربى تربية حسنة فاشتغل بطلب العلم حتى نال حظاً وافراً من العلم، ثم اشتغل بالإفادة والتعليم، فخرج عليه عديد من العلماء، وله مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون من أهمها، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان وغيره توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر - التبيان في تاصيل مسائل الكفر والإيمان لأبي عبد الله فتحى عبد الله الموصلي ص/١٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣٤٣، ٣٤٢/٧).

فالآية الكريمة من الأدلة على مشروعية التقويم بمعنى محاسبة النفس ومراقبتها في الأعمال الشرعية التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق لغرض تحقيق أهدافها.

٢ - ما جاء في رواية شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «الكيس<sup>(١)</sup> من دان نفسه<sup>(٢)</sup> وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

والحديث من الأدلة على أن العامل هو من استفاد من عقله في تنقية الأعمال الشرعية، وحاسب نفسه فيها وراقبها بالسعي لمعرفة صفتها فيعدل ما يجده سيئاً، وخطأً ويثبت على ما يراه ويجده صواباً طيباً ليفوز برضا الله سبحانه وتعالى بعد الموت.

وعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من أهم الأعمال الشرعية افتقاراً إلى مراقبة النفس فيها بمعنى تقويمها<sup>(٥)</sup>.

٣ - قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقال الإمام ابن جرير عند تفسيره الآية: «يقول تعالى ذكره فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم»<sup>(٦)</sup> والآية من الأدلة على وجوب إصلاح ذات البين على المسلمين.

(١) «الكيس»: العاقل المتبصر في الأمور الناظر في العواقب. انظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الإمام الترمذي للإمام المباركفوري ١٣٢/٧.

(٢) «دان نفسه»: أي حاسبها وأذنها واستعبدتها وفهرها حتى صارت مطيعة منقادة. انظر المصدر السابق (١٣٢/٧).  
والنهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير (١٤٨/٢).

(٣) وفي الجامع الصغير: «وتمنى على الله الأمان» أي مع تفريطه في طاعة ربه واتباع شهواته لا يعتذر بل يتمنى على الله أن يعفو عنه، انظر - تحفة الأحوذى (١٣٢/٧).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في أبواب صفة القيامة باب رقم (١٤) وحسنه الإمام الترمذي الحديث بقوله: «هذا حديث حسن». (١٣١/٧، ١٣٢).

(٥) انظر بالنصرف: دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة للأستاذ الدكتور محمد رواس قلعة جي ص/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام ابن جرير الطبري (٧٧/٦).

وأحوال المسلمين في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق داخلية في هذا العموم، فيجب عندئذ تصحيح أخطائها وتدعيم حسناتها وصوابها بالوسائل الملائمة المشروعة من قبل الغير.

ولتقويم الأعمال الشرعية فوائد عظيمة من حيث التوفيق في أدائها، والوصول إلى أهدافها.

وأما الكلام عن فوائد تقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فيدور حول فوائده في الدعوة وطلب الرزق. ويأتي توضيحه في المسائل التالية:

المسألة الثانية: فوائد تقويم عملية الدعوة.

إن لتقويم عملية الدعوة فوائد كثيرة منها ما يأتي:

١ - اكتشاف الأخطاء ومعالجتها.

إن مراقبة الداعية أو غيره الأعمال الدعوية بين حين وآخر بالأساليب المشروعة، يظهر له حقيقة العمل الدعوي وما يمر فيه من الأحوال فيطلع على ما فيها من الأخطاء التي قد تكون سبباً في تعطيل العمل في أي جزء من جزئيات العمل الدعوي، سواء من جهة الوسيلة أو الأسلوب، أو من ناحية الداعية أو المدعو أو غيره، فيسارع بأخذ الوسيلة الناجحة في إزالة تلك الأخطاء، وتجنب كل ما يؤدي إلى تكرار مثلها في مستقبل العمل.

وبإزالة تلك الهفوات والأخطاء، وتجنب الأسباب المؤدية إليها في الأعمال الدعوية يكون الداعية المقوم بذلك العمل قد قضى على مانع من موانع تحقيق الهدف الدعوي، عندئذ يظهر أثر فعال للتقويم في نجاح العملية الدعوية.

كما هو ظاهر في نهي النبي ﷺ أسامة بن زيد ؓ عن قتل أي كافر شهد بالشهادتين بعد إعلان إسلامه في الغزو، ويكف عن قتله في أثناء المعركة في ساحة الجهاد حتى يكثر عدد المسلمين، واتضح ذلك لأسامة بعد أن حاسب نفسه في أعماله الجهادية بعد الغزو.

وفي رواية أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من الجهينة، قال فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحى حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال فقال لي: يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذاً، قال: قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

وجاء في رواية الأعمش: «فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>. وقد علم أسامة خطأه فندم عليه وأصر على عدم تكرار مثله منه في العملية الدعوية كما يدل على ذلك قوله في الحديث: «فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»<sup>(٣)</sup>. والحديث من الأدلة على وجوب التمسك بالصواب وترك الخطأ بعد معرفته بتقويم العمل بمعنى محاسبته.

## ٢- إدراك الجوانب الحسنة في العمل الدعوي واستمرار العمل بها.

إن مراقبة الأعمال الدعوية بين حين وآخر بالأساليب المشروعة يبرز للداعية المقوم حقيقة صفة العمل فإذا وجد فيه أخطاء عاجلها بالوسائل والأساليب المشروعة، وأما إذا اطلع على جوانب حسنة فيها فيثبت عليها، ويزداد تمسكاً بها، ويدعمها بمواصلة العمل على النمط الذي يسير عليه في العمل، فيكون عندئذ أثر بارز للتقويم في تقدم سير العمل الدعوي واستمراره على الصواب المطلوب.

كما هو ظاهر في إقرار النبي ﷺ بتابع بعض الصحابة أحوال زيد في التعليم وحفظ آيات القرآن الكريم مما جعل النبي ﷺ يأمر زيداً بتنمية هذا العلم واستخدامه

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الديات رقم (٨٧) باب رقم (٢) رقم الحديث (٦٨٧٢) (١٢/١٩٩).

وسبق ذكر الحديث في صفحة (٢١٤).

(٢) وأما رواية الأعمش بطول الحديث فمروية في صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان رقم (١) باب رقم (٤١) (٢/٤٦١، ٤٦٢).

(٣) جزء من الحديث السابق سبق تخريجه في هامش رقم (٣) في صفحة (٢١٤).

في مجال الدعوة إلى الله، ثم أدرك زيد أهمية هذا العمل الجليل فازداد تمسكاً به حتى وصل إلى المرحلة المرجوة منه من تعليم لغة اليهود وترجمتها إلى اللغة العربية للمصالح الدعوية وحمايتها من مكائد أعدائها من اليهود وغيرهم. وكان لتقويم أحوال زيد من قبل بعض الصحابة والرسول ﷺ أثر بارز في قيام زيد بهذا العمل النبيل. وقد جاء في رواية خارجة بن زيد أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة قال: «ذُهِبَ بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فَأَعَجَبَ ذلك النبي ﷺ وقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي، قال زيد: فتعلمت كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته<sup>(١)</sup>، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب»<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث يحث على التمسك بالجوانب الحسنة في العمل بعد معرفتها عن طريق التقويم في الأعمال الدعوية وغيرها من الأعمال الشرعية. إذن، فقيام الداعية بالتقويم في الأعمال الدعوية من الأمور المساعدة على تحقيق الأهداف الدعوية.

#### المسألة الثالثة - فوائد تقويم عملية طلب الرزق.

إن فوائد تقويم عملية طلب الرزق كثيرة ومتعددة منها ما يأتي:

##### ١ - اكتشاف الأخطاء ومعالجتها.

إن مراقبة الداعية أحوال سير العمل في المجالات المتعلقة بطلب الرزق يبرز له الصورة الحقيقية لجميع جزئيات العمل في مجال طلب الرزق سواء في ذلك ما تعلق بنوع الرزق من حيث التحريم والإباحة، فإذا وجده حراماً تركه وسلم من إثمه وتبعاته.

(١) حذقته: أي عرفته وأتقنته. انظر - النهاية في غريب الحديث للإمام ابن الأثير (١/٣٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١٨٦/٥)، وجامع الإمام الترمذي في جامعه بلفظ آخر في كتاب أبواب الاستئذان والآداب باب رقم (٢٢) (باب في تعليم السريانية) وقال الإمام الترمذي: «حديث حسن صحيح»

كما هو ظاهر في مراقبة بعض الصحابة أحوالهم في التجارة بالخمر تخلوا عنها وتركوا التجارة فيها. وفي رواية عن عبد الرحمن بن وعلة قال: سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال: كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس فلقيه بمكة عام الفتح براوية الخمر يهديها إليه. فقال رسول الله ﷺ يا أبا فلان: أما علمت أن الله حرمها، فأقبل الرجل على غلامه فقال: اذهب فبعها. فقال رسول الله ﷺ يا أبا فلان بماذا أمرته؟ قال: أمرته أن يبيعها. قال: إن الذي حرم شربها حرم بيعها، فأمر بها فأفرغت في البطحاء»<sup>(١)</sup>.

وأما إذا وجد المقوم خطأ وخللاً في طريق اكتسابه للرزق فيتخلى عنه ذلك الخطأ، ويتخذ بالصواب فيه، لكي يفوز بأرزاق مطلوبة نتيجة سلامته من ذلك الخطأ والخلل.

كما هو ظاهر في استمرار الصحابة ﷺ في تأبير النخل بعدما علموا فساد الثمار بترك التأبير، نتيجة تتابعهم أحوال العمل بتأبير النخل في حقولهم، حيث أثمرت الحقول بسبب ذلك. وجاء في رواية عن عائشة، أن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال: ما هذا الصوت؟ «قالوا: النخل يؤبرونها فقال: لو لم يفعلوا لصلح» ولم يؤبروا عامئذ، فصار شيصاً<sup>(٢)</sup> فذكروا للنبي ﷺ فقال: «إن كان شيئاً من أمر دنياكم، فشأنكم به وإن كان من أمور دينكم، فإلي»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٣٠/١) رقم الحديث «٢٠٤١» وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط:

«حديث صحيح»

(٢) «شيصاً» الشيص: التمر الذي لا يشتد نواه. انظر التعليق على الحديث هامش رقم (٢٤٧١) في سنن ابن ماجه (٨٢٥/٢).

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب الرهون باب رقم (١٥) رقم الحديث «٢٤٧١» (٨٢٥/٢). والحديث صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٦٤/٢).

وكذلك إذا وجد المتتابع خطأ في أسلوب إنفاق الرزق رجع عن ذلك الأسلوب وتحول إلى أسلوب أفضل منه ومناسب له في استهلاك الرزق على الوجه المطلوب ويوفر له ذلك الأسلوب الأفضل النماء والبركة والاستقرار لرزقه. كما هو ظاهر في إعادة الصحابي عبده الذي كان قد أعتقه وليس عنده مال غيره بتوجيه الرسول ﷺ إياه بذلك. وهذا التحول عن الخطأ في الإنفاق قد وفر لهذا الصحابي أمواله فيما أنفع له ولما يريد أن يحقق في المستقبل من سد الحاجات والإنفاق في وجوه الخيرات بقدر الطاقة<sup>(١)</sup>.

إذن، فتصحيح الأخطاء الواردة في مجال طلب الرزق عن طريق تقويمه من أكبر الأسباب الموصلة إلى النجاح في تحقيق الأهداف المرجوة من مجالات طلب الرزق ومتعلقاتها لما له من أثر فعال في إزالة المعوقات التي تعطل عملية طلب الرزق من جوانبها المختلفة.

٢ - إدراك الجوانب الحسنة مع استمرار العمل بها.

إن تتابع الداعية أعماله في مجالات طلب الرزق يبرز له الصورة الحقيقية الحسنة للأعمال من جميع جوانبها، كما يُظهِرُ له الأخطاء الواردة فيها فيزيلها بطرق مشروعة مناسبة. وأما الجوانب الحسنة فيثبت عليها لكي تعود عليه بأنواع الأرزاق النافعة<sup>(٢)</sup>.

كما هو ظاهر في تتابع الرسول ﷺ أعمال الصحابي الذي أمره بالاحتطاب لمدة خمسة عشر يوماً مشاركة منه لمعالجة فقره وإبعاده من ذل المسألة، وقد استفاد الصحابي من هذا الطريق الاكتسابي وثبت عليه وكان ذلك بداية لتوفير أرزاقه له. وجاء في رواية أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله، فقال: أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، جلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: اتني بهما، فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال من يشترى

(١) راجع نص الحديث المستنبط منه هذا الكلام في ص/٢٤٢.

(٢) سبق الكلام في كيفية معالجة الأخطاء في عملية طلب الرزق في الفقرة السابقة في ص/٣٨٧ من هذا البحث.

هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ: «من يزيد على درهم مرتين؟ أو ثلاثاً؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاها إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاها الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك...»<sup>(١)</sup>. ويفهم من الحديث الحث على التمسك بالطرق المشروعة لاكتساب الرزق بعد معرفتها بواسطة التقويم الذاتي أو من قبل الغير في مجال طلب الرزق.

وكذلك إذا ظهر للداعية المقوم أسلوب حسن لإنفاق الرزق ثبت عليه بصفة مستمرة ولا يحيد عنها بل ينتقل إلى ما هو أفضل منه؛ لأجل ما يسبب له ذلك الأسلوب الحسن من الفوز بالثواب، وحصول البركة والزيادة في رزقه وكذلك توفير الرزق لغيره من المنفقين عليهم أفراداً وجماعات بسبب ذلك الأسلوب الحسن في الإنفاق.

كما هو ظاهر في ثبات عثمان بن عفان ؓ على أساليب إنفاق ماله بعدما علم ذلك بإقرار الرسول ﷺ بالثناء عليه لأجل ما كان يبذله من ماله في وجوه الخيرات.

وقد جاء من أساليب إنفاقه: شراء بئر رومة لتوفير الماء العذب للمسلمين في المدينة المنورة، وتجهيزه جيش العسرة، فاستحسن الرسول ﷺ هذا الفعل<sup>(٢)</sup> حتى قال في حقه: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه بطوله سبق تخريجه في ص/٤٩ .

(٢) سبق ذكر القصتين في ص/٢٣٦ وص/٢٣٨ من هذا البحث.

(٣) جزء من الحديث سبق ذكره في ص/٢٣٥ وهو من رواية الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين.



وقد كانت لتلك النفقات من قبل عثمان رضي الله عنه آثار نافعة في سد حاجات الناس كما كانت من أسباب حصول البركة في أمواله لأنه نجح في استثمار ماله طوال فترة حياته مع الرسول ﷺ وبعد وفاة الرسول ﷺ <sup>(١)</sup>.

ومصدق ذلك ما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان فيقول أحدهما: «اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» <sup>(٢)</sup>. قال الإمام النووي: «الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيغان والتطوعات» <sup>(٣)</sup>.

فتقوم عملية طلب الرزق من جميع جوانبها سواء من قبل الذات أو من قبل الغير بسبب للمقوم نجاحاً كبيراً في تحقيق أهدافه في طلب الرزق ومتعلقاته. ويتضح في هذا المطلب أن قيام الداعية بمحاسبة نفسه في أعماله الدعوية وعمله في مجالات طلب الرزق وإنفاقه وعمله بمقتضياتها يسبب له نجاحاً وتوفيقاً في جمعه بين الدعوة وطلب الرزق.

وكل ما ورد ذكره في هذا المبحث من عوامل النجاح في مجال طلب الرزق بالنسبة للداعية، كالعمل بقوة الإيمان في الدعوة وطلب الرزق، وتطبيق خلق الدعوة في مجال طلب الرزق، وتقويم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، إنما هي أبرز العوامل المساعدة للداعية على وصول الرزق، وحسن إنفاقه مع تحقيق الأهداف الدعوية في مجالات طلب الرزق وغيرها.

وينبغي للدعاة أن يراعوا العمل بهذه العوامل في كل زمان ومكان.

(١) انظر بالتصرف: الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة تأليف الإمام أبي جعفر أحمد الشهر المحب الطبري ٣٨/٢، ٣٩، طبعة دار الندوة الجديدة بيروت لبنان ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

ومن الشواهد الدالة على ثناء تجارة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ، ما كان من عجز تجار المدينة من شراء البضاعة التجارية لعثمان والتي جلبها إلى المدينة. ثم تصدقه بها على الناس في المدينة المنورة مشاركة منه في سد حاجة أهل المدينة وذلك في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. انظر - المرجع السابق.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٢٧) (٣٥٧/٣).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٨/٣).

## الفصل السادس

عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكيفية التغلب عليها

### المبحث الأول

العوائق الداخلية والخارجية في الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق

#### المطلب الأول

العوائق الداخلية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

#### المطلب الثاني

العوائق الخارجية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

### المبحث الثاني

كيفية التغلب على العوائق الداخلية والخارجية

#### المطلب الأول

كيفية التغلب على العوائق الداخلية

#### المطلب الثاني

كيفية التغلب على العوائق الخارجية

## الفصل السادس

## عوائق الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق، وكيفية التغلب عليها

أ- التعريف بالعوائق في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

العوائق جمع لمذكر غير عاقل وهو عائق. وجمع لمؤنث أي هي عائقة وجمعها عوائق. والعائق اسم فاعل مشتق من عاق وأصله عوق. ويحتمل أيضاً أن يكون بناؤه من عوق وعيق لأن الياء والواو في ذلك سواء، ومعنى عاقه عن الشيء أي صرفه وحبسه، ومنعه وشغله عنه. ويقال: عوائق الدهر: شواغله وأحداثه<sup>(١)</sup>.

وبهذا المعنى اللغوي يكون المراد بعوائق الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في موضوع هذا البحث أنها عبارة عن أمور ذات أثر في منع أو تعطيل تحقيق الأهداف الدعوية والأهداف الاقتصادية، أو إحداها دون الأخرى عند وقوعها في عملية الجمع بين الدعوة وطلب.

واقترضت دراسة العوائق في هذا الموضوع تقسيم العوائق إلى قسمين:

أ- العوائق الداخلية ب- العوائق الخارجية. ويأتي تفصيلهما في المباحث والمطالب التالية:

(١) انظر- لسان العرب لابن منظور (٢٧٩/١٠، ٢٨٠) ومعجم الوسيط (٢/٦٣٧-٦٤٠) ومعجم مقاييس اللغة

لابن فارس (٤/١٩٧، ١٩٨).

## المبحث الأول

## العوائق الداخلية والخارجية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

المطلب الأول- العوائق الداخلية.

— المراد بالعوائق الداخلية.

أما المراد بالعوائق الداخلية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق، فهي الأمور المانعة أو المعطلة لتحقيق أهداف الدعوة وطلب الرزق الصادرة من قبل القائم بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

والعوائق الداخلية كثيرة ومتعددة ومن أبرزها ما يأتي في المسائل الآتية:

المسألة الأولى- الجهل بهدي الإسلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

أ- معنى الجهل ووجوب إزالته بتعلم الدين.

ومعنى الجهل هو نقيض العلم<sup>(١)</sup>، ويقال أيضاً: الجهل هو خلو النفس من العلم وهو أصل معنى الجهل<sup>(٢)</sup>.

والمراد بالجهل بهدي الإسلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. هو عبارة عن عدم معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بصفة تنظيم العمل بين الدعوة وطلب الرزق عند الاشتغال بهما<sup>(٣)</sup>.

وأما الجهل بالأحكام الشرعية في أعمال الدين فهو من الأمور المحرمة بالنصوص الشرعية الكثيرة منها:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

(١) انظر- لسان العرب لابن منظور (١٢٨/١١).

(٢) وهناك معان أخرى للجهل حسب نظريات بعض العلماء. انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص/١٠٢. وانظر التعريفات للجرجاني بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ص/١١٢، ١١٣.

(٣) وبصيغة أخرى هو عبارة عن عدم معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بصفة تنظيم العمل الدعوية مع العمل في مجال طلب الرزق ومتعلقهما عند الاشتغال بالدعوة وطلب الرزق.

وقال الإمام القرطبي: «هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي مقيم لا ينفر فيتركوه وحده ... - بل وتبقى طائفة منهم - مع النبي ﷺ ليتعلموا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سعوا وعلموا...»<sup>(١)</sup>.

فالآية من الأدلة على وجوب طلب العلم الشرعي.  
٢- ما جاء في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم...»<sup>(٢)</sup>.

والحديث من الأدلة على وجوب تعلم أحكام الدين.  
وقد بين العلماء أن العلم الشرعي قسمان: أ- فرض عين ب- فرض كفاية.  
وأما العلم الشرعي الواجب فرض عين فمحمول على ما يتوقف عليه أداء الفرائض، فمن لا يعرف حدود الصلاة ومواقيتها محتم عليه أن يتعلمها كالزكاة والصوم والحج وسائر الفروض.  
وأما العلم الشرعي الواجب فرض كفاية فمحمول على معرفة الأحكام الدينية والتي تتوقف عليها صحة العبادة، فتعلمها فرض على الكفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط الواجب عن الباقين.  
ومعرفة أحكام الدين من الأمور التي تؤدي إلى أداء الواجب كاملاً، فيكون العلم بأحكام الدين مما لا يتم واجب الدين إلا به فيكون طلب العلم الشرعي واجباً. وكذلك إن الجهل بأحكام الدين من الأمور التي تؤدي إلى تعطيل أداء الواجب الشرعي، وما يكون سبباً في تعطيل الواجب الشرعي فهو حرام<sup>(٣)</sup>.

(١) وللعلماء خلاف فيمن وجه إليهم الأمر بالتفقه وقيل النافرون وقيل المقيمون. والراجح هو الأول. انظر بالتصريف الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٦/٨، ١٨٧).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه بطوله المقدمة باب رقم (١٧) (٨١/١، ٨٢). وقال السيوطي: سئل الشيخ محي الدين النووي (رحمه الله تعالى) عن هذا الحديث، فقال: إنه ضعيف، أي سنداً. وإن كان صحيحاً، أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزي: هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن. وهو كما قال. فإني رأيت له خمسين طريقاً وقد جمعتها في جزء أ. هـ - كلام الإمام السيوطي. انظر - المصدر السابق (٨١/١).

(٣) انظر بالتصريف: الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٨٦/٨، ١٨٧)، وتفسير آيات الأحكام بإشراف محمد علي السائيس وآخرين (٨٤/٣)، وحاشية الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب بقلم عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم الحنبلي النجدي ص/١٤ ط/وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

إذن، فالجهل بأحكام الدين من الأمور المحرمة شرعاً؛ لما له من أضرار وآثار سيئة على الدين في جميع جوانبه التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وتأتي أضرار الجهل بهدي الإسلام في إعاقه عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من جانبين: أ- جانب الدعوة ب- وجانب طلب الرزق.

أ- أضرار الجهل بهدي الإسلام في الدعوة.

إن الجهل بهدي الإسلام في الدعوة يسبب للداعية الوقوع في أخطاء كثيرة، في جميع أجهزة الدعوة التي منها استخدام وسائل الدعوة بأساليب مخالفة للصواب وفي غير موقعها الملائم، وعدم مراعاة أحوال المدعويين بالدعوة، والموعظة الحسنة والإخفاق في التحلي بخصائص الداعية، وسوء التخطيط لسير عملية الدعوة في مراحلها المختلفة، وفقدان التعاون بين الدعاة عند الحاجة إليه في الأوقات المناسبة، والتخبط في تحديد الأهداف الدعوية، والعجز عن معالجة المشكلات والتي تقع في مسيرة الدعوة بطرق سليمة.

وإن صدور هذه الأخلاق والأعمال المخالفة للهدي الإسلامي في أجهزة الدعوة من قبل الداعية يعطيه صورة سيئة أمام المدعويين، فينفرون منه، ولا يقبلون منه أمراً ولا امتثالاً لموضوع دعوته، فيكون للجهل حينئذٍ أثر فعال في منع تحقيق الأهداف الدعوية وتعطيلها.

ب- أضرار الجهل بهدي الإسلام في طلب الرزق

وإن الجهل بهدي الإسلام في مجال طلب الرزق يوقع العبد في أخطاء كثيرة مخالفة للشرع، التي منها ملكية الأرزاق المحرمة، أو استهلاكها بأسلوب محرم، أو سلوك طرق محرمة لاكتساب الرزق.

وكذلك يؤدي الجهل إلى التحلي بالأخلاق الرذيلة والدينية، في معاملة الناس في سبيل الوصول إلى الأرزاق، وعند إنفاقها بنية حسنة أو سيئة من قبل العبد الجاهل بأحكام الدين المتعلقة بمجال طلب الرزق ومتطلباته غالباً.

وإن صدور هذه الأعمال والأخلاق البعيدة عن هدي الإسلام من قبل المسلم داعية كان أو غيره يُعطيه صورة سيئة أمام الناس الآخرين، فلا يجد منهم قبولاً

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير قوله: «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا». أي فلا يحملنكم الهوى والعصية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل ألزموا العدل على أي حال كان»<sup>(١)</sup>. إذن، فالآية من الأدلة على تحريم متابعة الهوى بمخالفة الأمور الشرعية، والنهي يقتضي التحريم.

٢- رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(٢)</sup>. ويفهم من الحديث أن المتابع هواه مخالف لهدي الرسول ﷺ وخارج من دائرة الإيمان، وأن المسخر هواه لهدي الرسول ﷺ داخل في دائرة الإيمان. ويدل الحديث أيضاً على أن متابعة الهوى حرام لأنه يؤدي إلى الحرام وهو نفي الإيمان عن صاحب الهوى، وما يؤدي إلى الحرام فهو حرام.

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/٧٥٢).

(٢) أخرجه الإمام المحدث أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي في شرح السنة (١/٢١٢، ٢١٣) ط/المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٠-١٩٧١م، وكتاب خمسون سبباً للتخلص من الهوى لخالد أبو صالح ص/٢١ هامش رقم (١) ط/ دار القلم. وللعلماء أقوال حول ضعف الحديث وصحته، ويرى الشيخ ناصر الدين الألباني ضعف إسناد الحديث لوجود نعيم بن حماد في السند وهو ضعيف. انظر المصدر السابق. وقال الأمام النووي في أربعينه هذا حديث صحيح، رويناه في كتاب الحججة بإسناد صحيح. انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الملا علي القاري (١/٤١٢، ٤١٣) وأورده الإمام ابن حجر في كتابه فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري عند كلامه عن ذم القول بالرأي المجرد، وقال: «أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين». انظر فتح الباري (٣/٣٥٢).

ويؤيد معنى هذا الحديث في نفي الإيمان عن متبع الهوى ضد هدي الرسول صلى الله عليه وسلم عموم قول الله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [النساء: ٦٥].

العبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية من الأدلة على وجوب التمسك بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم في كل شيء.

قال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً» تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/٦٩١).

والآيات والأحاديث وأقوال السلف الصالح (رحمهم الله) كثيرة في ذم الهوى، وهذا كله مما يدل على تحريم متابعة الهوى في الأمور الشرعية التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها.

ولا تباع الهوى أضرار كثيرة على العبد في تشويه أداء أعماله وتحريفها عن حقيقة صفتها الشرعية، التي منها تعطيل عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عن تحقيق أهدافها.

د- أضرار اتباع الهوى في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وأما أضرار الهوى في إعاقة نجاح عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو هدفها فكثيرة ومتعددة ومن أبرزها ما يأتي:

١- مخالفة هدي الإسلام في الدعوة وطلب الرزق ومتعلقاته.

إن مما يسببه اتباع الهوى من قبل الداعية من الآثار السيئة في مجال الدعوة، الوقوع في المخالفات الشرعية في الأخلاق والسلوك، ومعاملة الآخرين وسوء استخدام الوسائل والأساليب الدعوية، وبناء تخطيط الأعمال الدعوية على أسس غير إسلامي، وغيره من الأمور المنحرفة عن هدي الإسلام في أجهزة الدعوة التي تحول بين الداعية وتحقيق الأهداف الدعوية.

وكذلك إذا ابتلي الداعية بمتابعة الهوى في مجال طلب الرزق ومتطلباته فإنه يسهل عليها التعرض لمخالفة الأحكام الشرعية المتعلقة بطرق كسب الرزق وملكيته وإنفاقه.

ويكون الداعية في هذه الحالة مخلاً لمبادئ الدعوة المبنية على التقيد بالهدي

الشرعي في جميع أمور الدين، والتي منها الأمور الدعوية وغيرها.

عندئذ يكون لمتابعة الهوى أثر فعال في إضلال الداعية عن تطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بالرزق ومتطلباته، وكذلك لا تجد دعوته قبولاً لدى المدعويين المتعاملين معه في مجال طلب الرزق، وغيرهم من الناس لأجل ما يشاهدونه منه من ظلم واعتداء في حقوق الآخرين، وتخبط في أموره لبعده عن الحق وسيره وراء هواه المضلة؛ لأن اتباع الهوى يأسر صاحبه فيكون له عبداً، ويعميه عن رؤية الحق والصواب ويمنعه من العمل به.



كما قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمحبوس من حُبِسَ قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه»<sup>(١)</sup>.

ولكبر خطورة اتباع الهوى جاء التحذير الإلهي لنبي الله داود عليه السلام بقول الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

إذن، فمتابعة الهوى من أكبر الأسباب المؤدية إلى ترك الداعية أحكام الله والانغماس في الضلال في جميع الأمور المتعلقة بالدعوة وطلب الرزق وغيره من الأعمال في الدين والدنيا.

## ٢- الوقوع في المعصية.

إن من آثار متابعة الهوى من قبل الداعية في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق تعرضه لمعصية أمر الله ورسوله ﷺ في الأعمال الدعوية والجوانب المتعلقة بالرزق وطرق كسبه وملكيته واستثماره وإنفاقه بسبب الميل عن أوامر الله ورسوله ﷺ في تلك الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وكذلك إن معصية الله ورسوله تؤدي إلى الوقوع في عذاب الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. إن لم يتب العاصي من معصيته.

ومعصية الله ورسوله ﷺ كثيرة ومتعددة يدخل فيها ترك جميع الأوامر الشرعية وفعل جميع النواهي سواء فيها ما تعلق بالدعوة والرزق أو غيره. وأما متابعة الهوى فهي إحدى الأمور المؤدية إلى الوقوع في هذه المعصية المحظورة.

## ٣- إهمال الضوابط في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

إن من آثار متابعة الهوى من قبل الداعية، ترك كل ما من شأنه تقوية تنظيم عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عند مخالفته هواه، سواء في ذلك ما تعلق بالأعمال والأخلاق وغيرها من الأمور المشروعة<sup>(٢)</sup>.

(١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٤٠٢/٢).

(٢) راجع ضوابط الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ص/٢٤٧ من هذا البحث.

فيسبب ذلك الترك تعطيل سير عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، فيكون لمتابعة الهوى أثر في إعاقه تحقيق أهدافها.

إذن، فاتباع الهوى بغير هدي الإسلام له قوة فعالة في حبس صاحبه عن الحق وانغماسه في الضلال في كل الأعمال، والتي منها الجمع بين الدعوة وطلب الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وهذا يقتضي من الدعاة أن يبحثوا عن الطريق المساعدة للتغلب على اتباع الهوى عند الابتلاء به.

المسألة الثالثة- مؤثرات الكسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

أولاً- التعريف بالكسل.

أ- معنى الكسل في اللغة: أما معنى الكسل في اللغة فهو الثاقل والفتور عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه. وفعله كسل. فهو كَسِلٌ وَكَسْلَانٌ جمعه كُسَالَى، وَكَسَلَى، وَهِيَ كَسَلَةٌ وَكَسَلَى وَكَسْلَانَةٌ<sup>(١)</sup>.

والكسل بهذا المعنى من الأمور المذمومة شرعاً؛ لأنه يؤدي إلى ترك الواجبات وارتكاب المنكرات. كما يفهم من وصف القرآن الكريم حال المنافقين بقول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء ١٤٢] أي أن من صفة المنافقين أداء الصلاة خالية من روح العبادة بالكسل المفضي إلى الرياء بها أمام الناس، ولا يريدون بها ثواب الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ب- المراد بمؤثرات الكسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وبناءً على التعريفات السابقة لمعنى الكسل فإن المراد بمؤثرات الكسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، هي الآثار السيئة التي يؤدي إليها صدور الكسل من قبل الداعية الكسلان في تعطيل عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عن تحقيق أهدافها المنشودة.

(١) انظر- لسان العرب لابن منظور (٥٨٧/١١، ٥٨٨) والمعجم الوسيط (٧٨٨/٢).

(٢) انظر بالتصرف: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢/٢٠٠-

٢٠٢) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٤٣١).

ثانياً- أضرار الكسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.  
إن ابتلاء الداعية بالكسل في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق له أضرار كثيرة ومن أبرزها ما يأتي:

#### ١- تعطيل مسيرة الدعوة.

إن تثاقل الداعية عن القيام بعملية الدعوة يؤدي إلى تأخير تنفيذ الدعوة عن وقتها المناسب، وعدم تحقيق أجهزة الدعوة أهدافها المنشودة في الوقت المطلوب كما هو ظاهر في موقف بعض الصحابة الذين تخلفوا عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك لأجل تأثرهم بالكسل والتثاقل عن القيام بمهمة الدعوة.

ومن الآيات القرآنية التي تحكي هذه الحادثة قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]<sup>(١)</sup>.

وكذلك يسبب الكسل والتثاقل الانقطاع عن القيام بالدعوة والقعود عنها، كما هو ظاهر في حال بعض المنافقين الذين تعودوا الكسل والتثاقل عن أداء الأعمال الشرعية، مما جعلهم يقعدون عن الجهاد مع رسول الله ﷺ في سبيل الله<sup>(٢)</sup>، ومن الآيات الدالة على وصفهم قول الله تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

أي أن الله طبع الكسل والتثاقل على المنافقين حتى يتأخروا عن الخروج والجهاد مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك حتى لا يسببوا له فتنة وشرّاً في صفوف المسلمين عند الجهاد<sup>(٣)</sup>.

إذن، فالكسل والتثاقل في الأعمال الدعوية من أسباب تعطيل جميع جوانبها وحبسها عن أهدافها، وتعرض الدعاة للآثار السيئة في الدعوة<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

(١) راجع القصة في تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٤٧١، ٤٧٢).

(٢) انظر- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق بهتذيب ابن هشام (٤/٩٤٤).

(٣) انظر بالتصريف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٤٧٥، ٤٧٦).

(٤) انظر بالتصريف: الفتور آثاره وأسبابه وعلاجه لجاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ص/٣٤، ٣٥.

(٥) ومن آثار الكسل على الدعوة:

## ٢- إهمال الجوانب المتعلقة بطلب الرزق.

إن التأثير بالكسل في عملية طلب الرزق قد يسبب إهمال الاشتغال بجميع الجوانب المرتبطة بكسب الرزق كعدم سلوك طرق المكاسب المشروعة، والقعود عنه بالأدلة الواهية وعدم إنفاق الرزق في الوجوه المشروعة، وقد يؤدي ذلك غالباً إلى الفقر والفاقة وضياع الحقوق، وفقدان النفقات اللازمة الخاصة منها والعامة، فيترتب على ذلك هلاك النفوس، وفساد مصالح المجتمع أفراداً وجماعات في الدين والدنيا.

## ٣- ترك تنظيم العمل الدعوي مع طلب الرزق.

وكذلك ينتج من التأثير بالكسل والتشاغل عن القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق ترك تنظيم العمل الدعوي مع السعي في تنفيذ كل متطلبات كسب الرزق، وقد يؤدي هذا الكسل إلى الاكتفاء بفعل أحد العاملين دون الآخر أو تركهما معاً. لأن الاستمرار على الكسل في الأعمال الشرعية ينتهي بصاحبه إلى الانقطاع عنها أو القصور فيها، ويسبب ذلك أيضاً تأخير رحمة الله عن صاحب الكسل. كما جاءت الإشارة إلى ذلك في قول الرسول ﷺ: «لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»<sup>(١)</sup>. وقال الإمام النووي: «وقوله ﷺ: «لا يزال قوم يتأخرون» أي: عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المترلة وعن العلم ونحو ذلك»<sup>(٢)</sup>. وكذلك يترتب على الكسل والتشاغل أثر فعال، في إعاقه عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عن تحقيق أهدافها من حيث تعرض الدعاة لاثم ترك واجب الدعوة وطلب الرزق الحلال، وقطع نور الدعوة وهدايتها عن المدعوين في المجتمع.

= ١- خسارة الدعوة من الطاقات والتي أخذت قسماً وافراً من التربية والجهد في البناء.

٢- تشويه صورة الداعية عند عامة الناس وذلك بوجود عناصر تظهر على السطح كقذورات للعامة ثم تنعكس في صورتها. يكون العناصر السلبية بيئة جديدة لاستقبال الأفكار المضادة لمسار الدعوة، حيث تنمو فتشكل صورة معكوسة لمسار الدعوة. انظر- المصدر السابق.

(١) نص الحديث هو عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخراً فقال لهم: «تقدموا فانتصروا بي وليأتكم بكم من بعدكم لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة رقم (٤) باب رقم (٢٨) (٤٠٢/٤).

(٢) انظر- شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٠٣/٤).

ولأجل إزالة هذه الآثار المذمومة ينبغي للدعاة أن يبحثوا عن الطرق المشروعة لتفادي الكسل عند التأثير به في كل زمان ومكان.

وكل ما ورد ذكره من العوائق في هذا المطلب الأول من الجهل بهدي الإسلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق واتباع الهوى فيه، ومؤثرات الكسل فيه، إنما هو أبرز العوائق الداخلية في موضوع هذا البحث. وينبغي للدعاة مراعاتها والانتباه إلى أي عائق آخر عند ظهوره للتمكن من التغلب عليه في كل زمان ومكان.

**المطلب الثاني- العوائق الخارجية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.**

— المراد بالعوائق<sup>(١)</sup> الخارجية.

أما المراد بالعوائق الخارجية في هذا الموضوع فهو عبارة عن الأمور الخارجية فوق إرادة الداعية في تعطيل أهداف الدعوة وطلب الرزق عند تنظيم العمل بينهما، إن العوائق الخارجية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق كثيرة، يكاد يرجع أغلبها إلى أمرين أساسيين وهما مؤثرات الفقر، وضغط أعداء الدعوة، ويأتي تفصيلهما في المسألتين التاليتين:

**المسألة الأولى- مؤثرات الفقر في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.**

— التعريف بمؤثرات الفقر في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

أ- معنى الفقر في اللغة.

لفظ الفقر يطلق على عدة معانٍ منها: ضد الغنى، ومنها: العوز والحاجة والشق والحز والهم والحرص<sup>(٢)</sup>. ومنها ما أشار إليه الشيخ الراغب الأصفهاني: «أن الفقر يستعمل على أربعة أوجه: الأول: وجود الحاجة الضرورية وذلك عام للإنسان مادام في دار الدنيا بل عام للموجودات كلها، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]. والثاني: عدم المقتنيات، وهو المذكور في قول الله

(١) سبق ذكر التعريف بالعوائق في ص/٣٩٣ من هذا البحث.

(٢) انظر- لسان العرب لابن منظور (٥/٦٠، ٦١)، والمعجم الوسيط (٢/٦٩٧).

تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ [البقرة: ٢٧٣]. الثالث: فقر النفس وهو الشره، وجاء معناه في قول الرسول ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(١)</sup>. وهو المقابل بقوله ﷺ: «الغنى غنى النفس»<sup>(٢)</sup>.

الرابع: الفقر إلى الله، وهو المشار إليه في قول الرسول ﷺ: «اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تفقرني باستغناء عنك»<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

وأما المعنى اللغوي للملائم لموضوع البحث فهو أن الفقر هو ضد الغنى وعدم المقتنيات وهو المعنى الموفق لتعريف الجرجاني بمعنى الفقر، وذلك أن الفقر هو عبارة عن فقد ما يحتاج إليه، وأما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً<sup>(٥)</sup>.

ب- المراد بمؤثرات فقر الداعية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

والمراد بمؤثرات فقر الداعية في هذا الموضوع، هو عبارة عن النتائج السيئة والتي يتسببها فقدان الدعية ما يحتاج إليه من مال ومتاع في تعطيل أو منع تحقيق أهداف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عند قيامه بها.

وأما الفقر فهو من الأعذار التي يعتبرها الإسلام في تحقيق تكليف المسلم ببعض الأعمال الشرعية لما له من أثر فعال في حبس المسلم ومنعه وعجزه عن أداء بعض الأعمال الشرعية والتي منها الأعمال المتعلقة بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق بالنصوص الشرعية الكثيرة، التي منها على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وتدل الآية الكريمة على مجموعة من أصحاب الأعذار الحقيقية التي تبيح لهم التخلف عن الغزو والجهاد في سبيل الله، الذي يعد وسيلة من وسائل الدعوة إلى دين الله.

(١) والحديث مروي ف كشف الخفاء بإسناد ضعيف لوجود يزيد الرقاش. رقم الحديث «١٩١٩».

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرق رقم (٨١) باب رقم (١٥) رقم الحديث «٦٤٤٦» (٢٧٦/١١) (٢٧٦/١١).

(٣) الحديث مروي بدون سند في عون المعبود شرح سنن أبي داود محمد شمس الحق العظيم آبادي (٤/٤٠٤) عند شرح الحديث رقم (١٥٢٩) في كتاب الوتر، باب في الاستعاذة.

(٤) انظر- المفردات في غريب القرآن للشيخ الراغب الأصفهاني (ص: ٣٨٣).

(٥) انظر- التعريفات للجرجاني ص/٢١٦.

ومن هؤلاء أصحاب الأعذار الفقراء الذين كان الفقر سبباً في عجزهم عن أهبة السفر والجهاد في سبيل الله مع إخلاصهم وحرصهم على الخروج والسفر للجهاد في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

ج- أبرز مؤثرات فقر الداعية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. ومؤثرات فقر الداعية في تعطيل تحقيق أهداف الجمع بين الدعوة وطلب الرزق كثيرة ومتعددة ومن أبرزها ما يأتي:

١- عدم القدرة على القيام بالدعوة في الوقت الضروري. إن من آثار الفقر بالنسبة للداعية أن يتأخر الداعية أو يجلس عن أداء بعض الأعمال الدعوية في وقت مناسب يحتاج فيه المدعون إلى دعوته لأجل وجود نقص في أجهزة الدعوة من وسيلة وأسلوب وميدان وغيره عند عجز الداعية عن سد ذلك النقص؛ لأجل ما يعانيه من حدة الفقر، فتفوته تلك الفرصة السانحة والمهمة لتحقيق الهدف الدعوي.

٢- العجز عن سد الحاجات المرتبطة بكسب الرزق في الوقت الضروري. إن من آثار الفقر بالنسبة للداعية أن يعجز عن الإنفاق على حوائجه الخاصة والعامة، والنفقات اللازمة والتطوعية في وقت يحتاج فيه إلى ذلك الإنفاق وبذل تلك النفقات. وكذلك يعجز عن سلوك بعض طرق المكاسب المفيدة في الأوقات المناسبة، للإنتاج والاستثمار نتيجة فقدان المال والرزق الموصل إلى تحقيق تلك الفوائد المالية العظيمة.

وقد يترتب على هذا فقدان المال آثار سيئة أخرى للداعية، من ضياع بعض الحقوق بين الداعية وغيره من أفراد المجتمع، فينعكس ذلك على دعوة الداعية، حيث لا يستجيب لدعوته من ضاع حقه غالباً من المدعويين في المجتمع. عندئذ يكون للفقر دور فعال في إعاقة اكتساب المال وإنفاقه وسير عملية الدعوة.

(١) انظر بالتصرف: الجامع لإحكام القرآن للإمام القرطبي (١٤٤/١-١٤٦) وتفسير آيات الأحكام، أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائس وآخرون (٧٤/٣، ٧٥).

## ٣- ضعف تنظيم الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

إن من آثار فقر الداعية إخفاقه في تسيير عمله ونشاطه في مجالي الدعوة وطلب الرزق بصفة منتظمة ومستمرة نتيجة فقدانه مقومات طلب الرزق المبنية على توفر المال، وعدم قدرته على القيام بالاستعدادات المتصلة بتنفيذ الأعمال الدعوية، والتي تستقيم بقوة المال والرزق، عندئذ يكون الفقر من أسباب تعطيل عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وأما تعرض الداعية لعائق الفقر فيها، فهو معذور؛ لأن الفقر من قضاء الله وقدره على من يشاء من عباده، لما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]. ولكن ينبغي للداعية وغيره من المسلمين أن لا يستسلم لمؤثرات الفقر، بل يجب عليه أن يسلك الطرق المشروعة للتغلب على الفقر، والبعد عن آثاره طوال حياته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً<sup>(١)</sup>.

## المسألة الثانية- ضغط أعداء الدعوة.

والمراد بضغط أعداء الدعوة في موضوع هذا البحث، هو الآثار السيئة الناتجة عن مكائد معارضي الدعوة في تعطيل أو منع سير عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عن تحقيق أهدافها. سبق الكلام حول تقسيم المدعويين غير المستجيبين إلى قسمين معارضين للدعوة وغير معارضين لها. أما المدعون المعارضون من الكفار والمشركين والمنافقين فتصدر منهم مكائد لمحاربة الدعوة والدعاة لأجل تعطيل مسيرة الدعوة، ومنعها عن تحقيق أهدافها<sup>(٢)</sup>.

(١) ويأتي توضيح بعض هذه الطرق في المسألة الأولى من المبحث الثاني في هذا الفصل السادس في ص/٤٣٣ من هذه الرسالة.

(٢) راجع الكلام حول تقسيم المدعويين إلى أصناف في ص/٣٢٦ من هذا البحث.



وأما وجود الأعداء والمعارضين للدعاة فهو أمر طبيعي خارج عن سيطرة الداعية وإرادته في سنن الدعوات، كما أخبر الله به نبيه محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

وكما جاء في قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي»<sup>(١)</sup>.

— أضرار ضغط أعداء الدعوة على الجمع بين الدعوة وطلب الرزق<sup>(٢)</sup>.

ولمكائد أعداء الدعوة آثار سيئة على الدعاة ودعوتهم، ومن أبرزها في تعطيل عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق عن تحقيق أهدافها ما يأتي:

#### ١- الإساءة إلى الحياة الاقتصادية<sup>(٣)</sup> للدعاة.

إن من نتائج كيد معارضي الدعوة إيجاد الخلل في الحياة الاقتصادية للدعاة ومن أساليبهم في ذلك على سبيل المثال ما يأتي:

أ- طردهم من أموالهم وأهليهم وبلدانهم؛ حتى يعيشوا فقراء في البلدان النائية، ولا يقدرُوا على تنفيذ أي نشاط اكتسابي للرزق، ولكي لا يقوموا بأداء أعمالهم الدعوية، كما هو ظاهر في موقف كفار قريش في طرد المهاجرين من أموالهم وأهليهم في مكة المكرمة مما جعلهم يرحلون إلى الحبشة ويثرب (المدينة المنورة) فراراً بدينهم ودعوتهم من أذى المشركين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢٢٣).

(٢) راجع الكلام في المسألة الرابعة مواجهة الرسل عليهم السلام المكائد المتصلة بالرزق من قبل معارضي الدعوة في المطلب الثاني في المبحث الأول من الفصل الثاني في ص/١٦٩.

(٣) المقصود بالحياة الاقتصادية هي الحياة المبنية على بذل الجهود للحصول على وسائل العيش من طعام ولباس وسكن وغير ذلك من الأمور الضرورية وغير الضرورية. انظر بالتصرف أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص/٢٢٨.

أما مصطلح كلمة الاقتصاد فيراد بها: "علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع". انظر المعجم الوسيط (٢/٧٣٨).

(٤) راجع قصة هجرة المسلمين إلى الحبشة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (١/٢١٣-٢٢٨)، وراجع قصة هجرة المسلمين إلى يثرب في المرجع السابق (٢/٣٢٠-٣٢٨).

ب- حبس الأموال عن الدعاة.

وقد يأتي كيد معارضي الدعوة أحياناً في صورة حبس الإمدادات المالية عن الدعاة؛ لكي يتضرروا ولا يطبقوا تحمل المسؤوليات المنوطة بهم، فيعودوا عن دينهم ودعوتهم، كما هو ظاهر في مؤامرة المنافقين ضد الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في عدم الإنفاق عليهم؛ ليرجعوا عن مساندة الرسول ﷺ والدعوة إلى الإسلام. ويحكي القرآن الكريم موقفهم هذا بقول الله تعالى عنهم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [المنافقون: ٧] <sup>(١)</sup>.

ج- مقاطعة التعامل الاقتصادي عن الدعاة.

إن من آثار كيد أعداء الدعوة مقاطعة التعامل الاقتصادي عن الدعاة في جميع مستوياته في المجتمع؛ لكي يتأذى الدعاة من آثار تلك المقاطعات الفردية أو الجماعية؛ لأجل أن يرجعوا عن مبادئ دينهم ودعوتهم، كما هو ظاهر في مقاطعة كفار قريش الرسول ﷺ وأصحابه في مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مكة المكرمة بتعليق صحيفة على الكعبة المشرفة بذلك الخصوص <sup>(٢)</sup>.

إن الداعية في هذه الأحوال حتى إذا لم يستجب لمطالب الأعداء ولكنه يصاب بأضرار تلك المكائد عندئذ تتعطل الأعمال الدعوية والاقتصادية لفترة محددة قبل إزالة تلك الآثار الضارة عنه.

وأساليب الأعداء كثيرة في الإساءة إلى الحياة الاقتصادية للدعاة لأجل تعطيل الدعوة وحبسها عن هدفها <sup>(٣)</sup>.

٢- الصد عن الدعوة.

إن من آثار كيد الأعداء الصد عن الدعوة، وذلك بأساليب كثيرة ومنها ما يأتي:

(١) راجع القصة في تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٧٣، ٤٧٤).

(٢) راجع تفصيل القصة في سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (١/٢٣٤-٢٣٦) و ص/٢٥١-٢٥٣، وسبقت الإشارة إلى القصة في ص/١٧٣ من هذا البحث.

(٣) ومن أساليب أعداء الدعوة: ١- الإساءة إلى أغراض الدعاة لتفجير الناس عنهم. ٢- الإساءة إلى أتباع الدعاة بالأذى حتى ينفضوا من حولهم فلا يجدوا عوناً ومساندة من أحد.

أ- رفضهم الدعوة لكي يقتدي بهم الآخرون من أتباعهم والضعفاء من المدعويين المستجيبين، فيقل بذلك إقبال المدعويين على دعوة الداعية، وتتسع دائرة عمل الداعية في الدفاع عن دعوته.

كما هو ظاهر في مكيدة بعض اليهود في تلبس دين الرسول ﷺ على الناس بدخولهم في الدين الإسلامي وخروجهم منه، كما يحكيها القرآن الكريم عنهم: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. وذلك لكي يقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم إطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين فيرجعوا بسبب ذلك عن الدين الإسلامي وقبول الدعوة إليه<sup>(١)</sup>.

ب- الصد عن الدعوة بالتهديد والإصابة بالأذى.

إن من أساليب الأعداء في الصد عن الدعوة تهديدهم الداعية بالأذى ليتوقف عن القيام بالدعوة ومواصلتها كما هو ظاهر في موقف قوم شعيب في تهديدهم إياه بالرجم كي يمتنع عن الدعوة في قومه، كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يصاب الداعية بالأذى من ضرب وقتل وحبس وتحريق بالنار وغيره من صنوف الأذى. كما هو ظاهر في إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار من قبل قومه لأجل قتله والتخلص منه ومن دعوته كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠]<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١/٤٩٦-٤٩٧).

(٢) راجع تفصيل القصة في المرجع السابق (٢/٥٩٨-٦٠٢).

(٣) راجع القصة في المرجع السابق (٣/٢٤٤-٢٤٨).

وهذه التهديدات والإصابة بالأذى من قبل معارضي الدعوة يسبب اضطراباً وزعزعة في مسيرة الداعية قبل أن يحكم في الوضع الذي هو فيه لمواصلة الدعوة، كما هو ظاهر في خوف نبي الله موسى عليه السلام من أذى فرعون وقومه لما علم عداوتهم له وبطشهم للمؤمنين من قومه، ولكن الله سبحانه وتعالى ضمن له السلام من إصابتهم أذى فرعون وقومه فعندئذ انطلق بدعوته<sup>(١)</sup>.  
وأحياناً يسبب شدة الأذى على الدعاة وقوع بعض الدعاة في بعض المخالفات الشرعية قهراً، كما هو ظاهر في تلفظ بعض الصحابة الأولين بكلمة الكفر كرهاً من شدة أذى المشركين مع اطمئنان قلوبهم على الإيمان (رضي الله عنهم)<sup>(٢)</sup>.

جـ- الصد عن الدعوة بالمال.

إن من كيد أعداء الدعوة بذل الأموال بأساليب مختلفة للصد عن الدعوة كإغراء الدعاة بالمال ليتوقفوا عن مواصلة الدعوة، كما هو ظاهر في محاولة أشراف قريش في إقناع الرسول ﷺ بالمال والشرف والملك ليمتنع عن دعوته إلى الإسلام ولكن الرسول رفض طلباتهم<sup>(٣)</sup>.

وكذلك أسلوب تعاون أعداء الدعوة على إنفاق المال فيما بينهم للمتاجرة على محاربة الدعاة ومنع دعوتهم عن الناس كما هو ظاهر في تعاون كفار قريش في جمع الأموال لإعداد قوتهم وجمعهم لمحاربة الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة أحد.

وهذا ما جعل بعض المفسرين يذكرون هذه القصة من ضمن أسباب نزول قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ، لِيَمِيزَ اللَّهُ

(١) ومن الآيات والتي تحكي موقف نبي الله موسى عليه السلام قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِذَاءً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْفَاقُونَ﴾ [القصص: ٣٣، ٣٤-٣٥].  
راجع القصة في تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥١٦-٥١٧).

(٢) انظر- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق بتهديب ابن هشام (٢١٢/١)، وجامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (٦٥١/١٤، ٦٥٢) ولكن التلظ بكلمة الكفر كرها مع اطمئنان القلب على الإيمان من الأمور المشروعة بقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

(٣) انظر- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق بتهديب ابن هشام (١٩١/١-١٩٣).

الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[الأنفال: ٣٦-٣٧]﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا الأسلوب في إنفاق المال من قبل أعداء الدعوة له أثر فعال في تعطيل الأعمال الدعوية؛ لأنه يقوي وسائل الأعداء في تحطيم الأعمال الدعوية من جميع جوانبها، قبل أن يتداركها الدعاة بإنقاذ موقفهم منها، وقد يبذلون في ذلك مجهوداً كبيراً في التغلب على إزالة تلك الآثار الضارة والمدمرة لمصالح الدعوة.

كما هو ظاهر في صمود الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ وتضحياتهم بالنفس والمال في مواجهة كل جهود الكفار في غزواتهم، مثل غزوة بدر وأحد وخندق وغيرها من مؤامرات أهل الكتاب ضد الرسول الله ﷺ والصحابة ﷺ ودعوتهم. وأساليب أعداء الدعوة كثيرة في الصد عن الدعوة. ومظاهرها في الكتب التاريخية وكتب التفاسير والكتب المؤلفة في قصص الأنبياء ودعوة الرسل والصحابة، وفي عوائق الدعوة<sup>(٢)</sup>.

ويتضح فيما سبق بيانه أن ضغط أعداء الدعوة له أثر في إخفاق الداعية في القيام بأعماله الدعوية والاقتصادية، وهما من الأساسيات التي تنبني عليها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وأما الإعاقة منهما فهو إعاقة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وينبغي للدعاة أن يتمسكوا بالطرق الشرعية في التغلب على ضغط أعداء الدعوة وآثاره في كل زمان ومكان<sup>(٣)</sup>.

وأما العوائق الخارجية الواردة في هذا المطلب الثاني كمؤثرات الفقر في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وضغط أعداء الدعوة فيه، فإنما هي أهم العوائق ذات الصلة بكل ما يحدث من الأمور الخارجية لتعطيل أو منع عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق نحو أهدافها المنشودة.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٤٠٦، ٤٠٧).

(٢) راجع قصص كل من غزوة بدر وأحد وخندق في البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٥/٥٥-١٦٠) و (٣٣٧-٤١٤) و (٢/٨-٦٩).

(٣) ويأتي ذكر بعض الطرق المهمة في التغلب على ضغط أعداء الدعوة في المبحث الثاني من المطلب الثاني في المسألة الثانية من هذا الفصل السادس في ص/٤٣٨.

## المبحث الثاني

كيفية التغلب على العوائق الداخلية والخارجية

## المطلب الأول

كيفية التغلب على العوائق الداخلية

## المطلب الثاني

كيفية التغلب على العوائق الخارجية

## المبحث الثاني

## كيفية التغلب على العوائق الداخلية والخارجية

المراد بكيفية التغلب على العوائق.

أما المراد بكيفية التغلب على العوائق في هذا البحث فهو عبارة عن ذكر الطرق المستنبطة من هدي الكتاب والسنة المطهرة في تجنب آثار العوائق الداخلية والخارجية في تعطيل أو منع تحقيق أهداف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. إن دراسة هذه الطرق المفيدة في إزالة العوائق تقتضي تقسيمها إلى قسمين: أ- الطرق المتعلقة بإزالة العوائق الداخلية. ب- الطرق المتعلقة بإزالة العوائق الخارجية.

المطلب الأول: كيفية التغلب على العوائق الداخلية.

سبق الكلام حول العوائق الداخلية وأثرها في إعاقة الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المبحث الأول<sup>(١)</sup>. وأما تفصيل الكلام في الطرق المتعلقة بإزالة العوائق الداخلية فيأتي في المسائل التالية:

المسألة الأولى: طرق إزالة الجهل بهدي الإسلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

أما إزالة الجهل بهدي الإسلام في الأعمال الشرعية والتي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فلها طرق كثيرة، ومن أهمها ما يأتي:

١- تعلم الأحكام الشرعية في الدعوة وطلب الرزق.

إن تعلم أحكام الدين من الأمور التي حث عليها الشرع بنصوص كثيرة<sup>(٢)</sup>.

إن عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الأعمال الشرعية، التي ينبغي تعلم ما يتعلق بها من أحكام بأية وسيلة مشروعة من وسائل التعلم قبل الشروع فيها؛ لأجل أن تَسَلَّمَ العملية من الخطأ والأسباب المؤدية إليه، حتى تسير العملية في صورتها الصحيحة. لأن عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق داخلية في اختصاص الداعية فيما يجب أن يتعلمه قبل الشروع فيه.

(١) راجع العوائق الداخلية في ص/٣٩٤ من هذا البحث.

(٢) راجع بعض النصوص الواردة في الحث على تعلم أحكام الدين، والتعليق عليها في ص/٣٩٤ من هذا البحث.

وأما العلم قبل العمل فهو منهج الإسلام عند كل الأعمال الشرعية، كما أمر الله به نبيه ﷺ في مواقف عديدة، التي منها عند أول نزول الوحي بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. وقد أمر النبي ﷺ بتعلم ما يوحى إليه عند أول نزول الوحي للدلالة على أهمية العلم قبل العمل<sup>(١)</sup>.

وكذلك قوله تعالى في موقف آخر: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقد أمر الرسول ﷺ في هذه الآية بالعمل بعد العلم حيث أمر بمعرفة ربه قبل قيامه بطلب الاستغفار لنفسه وللمؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وأكد ذلك الرسول ﷺ لأمته بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(٣)</sup>. ولذا ينبغي للداعية أن يتعلم أحكام الأمور المتعلقة بدعوته من هدف ووسيلة وأسلوب وأخلاق وعبادة ومعاملة الآخرين من المدعوين وغيرهم، وكذلك يتعلم الأحكام المتعلقة بأنواع الأرزاق والأموال التي يملكها أو يريد الوصول إليها، ويتعلم أحكام طرق المكاسب والتي يسلكها لكي يفرق بين الحلال منها والحرام. ويتعلم الطرق الصحيحة لإنفاق أرزاقه على نفسه وعلى غيره وعلى دعوته وكذلك يتعلم الداعية التنظيم المشروع الذي يسير عليه في ربط دعوته بمجال طلب الرزق الذي يسعى فيه.

وأما قيام الداعية بتنفيذ هذا العمل التعليمي فيكون على هدي ونور وعلم وبصيرة في العمل الدعوي وطلب الرزق وغيره، كما أمر الله نبيه ﷺ ببيان ذلك لأمته بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٦٨٢/٤) وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من

علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (٤٦٨/٥).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٦٠/١٦).

(٣) سبق ذكر الحديث وتخرجه في ص/٣٩٥ من هذا البحث.

(٤) قوله: «على بصيرة» أي: على حجة واضحة. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام

محمد بن علي الشوكاني (٥٩/٣).



وفي الآية دليل على أن كل متبع رسول الله ﷺ حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده<sup>(١)</sup>. وإن مما شرعه لعباده هو العمل بعد العلم في الدعوة وطلب الرزق، وتنظيم العمل بينهما ونحو ذلك.

وإذا عمل الداعية بمبدأ العمل بعد العلم يكون لتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق أثر بالغ في التغلب على عائق الجهل بهدي الإسلام وتجنب آثاره من عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

## ٢- استمرار العمل الواقع بالحق المعلوم.

إن مما يعين الداعية على إزالة الجهل بهدي الإسلام في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق الحرص على العمل بالحق إثر معرفته في مجال الدعوة وطلب الرزق، وعند ربط العمل بينهما والاستمرار على ذلك العمل مع نبذ ما يخالفه من أنواع المفوات والضلالات الداخلة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وينبغي للداعية أن يكون تمسكه بالحق والعمل به مبنياً على هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح (رحمهم الله) لأن هديهم مرتبط بهدي الكتاب والسنة ومستمر في الأحقية ومبطل الضلالات ومصحح المفوات عند ظهورها، لورود النصوص الشرعية الكثيرة لإثباته، والتي منها قوله الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. أي بعد ما بين الله من الأوامر الكبار والشرائع المهمة أشار إليها أن هذه الأحكام وما أشبهها مما بينه الله في كتابه ووضحه لعباده صراط الله الموصل إليه وإلى دار كرامته المعدل السهل فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق المخالفة لهذا الطريق فَتُضِلُّكُمْ عنه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني

(٥٩/٣).

(٢) انظر بالتصرف: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

(٥٠٣، ٥٠٢/٢).

وغير هذا من النصوص الدالة على استقامة هدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح رحمهم الله في جميع الأعمال<sup>(١)</sup>.

إذن، فاستمرار العمل بالحق المقتبس من هدي الكتاب والسنة المطهرة وهدي السلف الصالح (رحمهم الله) من أفضل الطرق لإزالة الجهل بالأحكام المتعلقة بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق والسير فيها على صفتها الصحيحة، كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

### ٣- النفور من الوقوع في آثار الجهل.

إن مما يعين الداعية على إزالة الجهل بهدي الإسلام في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، الحرص على تجنب آثار الجهل والنفور منها في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها، لأن شعور الداعية بخطورة آثار الجهل يجعله في استعداد بالغ يمكنه من القضاء على أي أثر الجهل، عند ظهوره، ويعمل على خلافه بالسير في الدعوة وطلب الرزق ومتعلقاته في ضوء العلم بالأحكام الشرعية فيها.

كما هو ظاهر في إنكار نبي الله موسى عليه السلام على قومه في تصورهم بعض أعماله الدعوية بأعمال أهل الجهل، كما في قول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءاً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

لأن الهزو بمعنى اللعب والسخرية بالناس من أفعال أهل الجهل، لا يفعله العقلاء، وهو مُنتَفِي عن الأنبياء، وإن نبي الله موسى عليه السلام كان بعيداً عن هذه الأفعال الجاهلية، و متمسكاً بهدي ربه في كل الأمور الدعوية وغيرها<sup>(٢)</sup>. وكما هو

(١) راجع بعض النصوص الواردة في ضرورة التمسك بهدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيره من الأعمال في ص/٢٠٨ وص/٢٤٤ من هذا البحث. كذلك راجع الكلام عن السلف الصالح رحمهم الله في ص/١٩٧ من هذا البحث.

(٢) راجع القصة في تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٥٣-١٥٦)، وانظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٩٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٣٠٢/٢، ٣٠٣).

ظاهر في ابطال الرسول ﷺ أموال ربا الجاهلية بعد نزول حكمه عليه من ربه عز وجل، بقوله ﷺ: «ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع»<sup>(١)</sup>.

والحديث يدل على تخلي الرسول ﷺ عن العادات الجاهلية، ونفوره منها وأخذه بأحكام ربه عز وجل في الأمور المالية وغيرها بعد معرفتها. إذن، فالنفور والخوف من الوقوع في آثار الجهل عند الأعمال الدعوية والأعمال المالية من الطرق المساعدة لإزالة الجهل والأخذ بهدي الإسلام في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها من الأعمال الشرعية. فينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

#### ٤- الحرص على فضل العلم

إن للعلم الشرعي فضائل عظيمة أشارت إليها نصوص شرعية كثيرة، والتي منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. في الآية دليل على أن العالم يفوز بخشية الله إذا عمل بعلمه وهذا فضل عظيم يحصل للعالم لأجل علمه<sup>(٢)</sup>.

ب- ما جاء في رواية معاوية بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب (١٠) ومن سورة التوبة (٢٧٣/٥) رقم الحديث «٣٨٧» والحديث له شاهد يقويه عند الإمام مسلم في صحيحه. انظر- شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٤٢٠/٨-٤٣٩).

(٢) قال الإمام ابن كثير: «إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر» انظر: تفسير القرآن العظيم (٧٣٠/٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطوله كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم الحديث «٧١» «(٣٩/١)».

وفيه من الحديث أن المتفقه في الدين الإسلامي يحصل له الخير في الدنيا والآخرة لأن لفظ «خيراً» نكرة يفيد العموم. كما جاء في حديث آخر قوله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»<sup>(١)</sup>.

وهناك نصوص أخرى كثيرة تبين فضل العلم والعلماء في الدنيا والآخرة بأساليب متنوعة<sup>(٢)</sup>.

وهذه الدعوات الشرعية الترغيبية إلى تعلم أحكام الدين تجذب الداعية وغيره إلى أن يبذل جهده للحصول على تلك الفضائل العظيمة.

وإن الداعية في أثناء سعيه للفوز بفضائل العلم الشرعي في الدنيا والآخرة يطلعه العلم على حقيقة حكم الأعمال والتي يمارسها في الدعوة ومجال طلب الرزق وفي عملية الجمع بينهما وغير ذلك، عندئذ يثبت على ما يكون عليه من صواب الأعمال والأخلاق وغيرها، ويحتنب عما يكون عليه من العادات الجاهلية والمخالفات الشرعية الأخرى في أعماله الدعوية وغيرها.

فيكون للحرص على فضل العلم الشرعي أثر بالغ في إزالة الجهل والسير على هدي الإسلام في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وما ذكر في هذه المسألة من طرق إزالة الجهل بمدي الإسلام في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، إنما هي أبرزها في معالجة الجهل، وليس من باب حصرها. وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

(١) أخرجه الإمام أبو داود بطوله في كتاب العلم باب رقم (١) (٧٢/١٠-٧٤).

واختلف العلماء في صحة سند الحديث وضعفه لانقطاع بعض أسانيده، ولوجود بعض الضعفاء والرواة في بعض طرقه مثل كثير بن قيس. بينما يصحح الحديث بعض العلماء الآخرين بسند آخر متصل مثل الإمام البخاري والإمام الترمذي، والإمام ابن حبان في صحيحه والإمام البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٦٢، ٢٦٣). انظر بالتصرف: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام المنذري (٩٤/١).

(٢) ولزيد من التفصيل في ذكر فضائل العلم والعلماء. راجع كتاب جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر.

المسألة الثانية- طرق إزالة اتباع الهوى في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

إن الإسلام قد وضع طرقاً كثيرة لتجنب اتباع الهوى وأضراره في الأعمال الشرعية. ومن أبرز طرق إزالته والخلص من آثاره في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ما يأتي:

#### ١- مخالفة الهدي بهدي الإسلام

إن من أنجح الطرق لتجنب الهوى، الاستمسك بهدي الإسلام بعزيمة صادقة وإرادة قوية عند ظهور الهوى في أثناء ممارسة عمليتي الدعوة وطلب الرزق والجمع بينهما.

وبذلك يسهل إخراج الهوى من جميع جوانب عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأن المستمسك بالهدي الإلهي في الأعمال الشرعية هو على هدى ونور من ربه، وبعيد عن كل أنواع الانحرافات والضلال في الدين والدنيا.

كما نهي الله سبحانه وتعالى نبيه داود عليه السلام عن اجتناب الهوى، وأمره بأخذ الشريعة في جميع الأمور بقول الله له: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وكما أوصى به الله سبحانه وتعالى نبيه آدم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]. ويفهم من الآية الكريمة أن المتمسك بهدي الله في كل الأمور، لا يضل في الدنيا عن الصواب فيها، ولا يشقى في الآخرة<sup>(١)</sup>.

والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب، إذن فمخالفة الهوى بهدي الإسلام من سبل التغلب على متابعة الهوى في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

#### ٢- التذكر بالمقارنة بين الأحوال الحسنة والسيئة لمتابعة الهوى.

وإن مما يساعد على إزالة متابعة الهوى في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيره من أمور الدين، تذكر الداعية وتفكيره في أحوال متابعة الهوى وعدم

(١) انظر بالتصرف: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٣/٣٩١).

وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٥/٣٣٠)..

متابعته، ثم تفضيله الأحوال الحسنة على الأحوال السيئة المتعلقة بمتابعة الهوى، وبذلك يتعرف على حكم متابعة الهوى فيجتنبه لتحريمه بالكتاب والسنة<sup>(١)</sup>، ويطلع كذلك على العواقب السيئة لمتابعة الهوى؛ فيدرك مدى إضلال الهوى صاحبه عن الحق والصواب في الأعمال، وما يجلب إليه من الإهانة والعذاب ودخول النار في الآخرة.

كما جاء ذلك في صفات متابعة الهوى بالنصوص الشرعية الكثيرة والتي منها:  
أ- قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ب- ما جاء به رواية أبي برزة عن النبي ﷺ قال: «إِن مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِي فِي بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضْلَاتِ الْهَوَى»<sup>(٢)</sup>.

وهذان النصان الشرعيان من الأدلة على أن متابعة الهوى من الوسائل الموصلة إلى الضلال والميل عن الحق والصواب في الأمور الشرعية والتي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وأن مخالفة الهوى من الوسائل الموصلة إلى الحق والصواب في الأعمال الشرعية، والتي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

ج- قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]. ويفهم من الآيات الكريمة أن متابعة الهوى من الطرق الموصلة إلى دخول النار، وأن مخالفة الهوى بمتابعة الهدي الإلهي من الطرق الموصلة إلى دخول الجنة.

د- قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]. ومما يفهم من الآية الكريمة، أن حال المخالف لهواه المتابع لهدي الله في جميع الأمور أفضل منزلة ودرجة عند الله من المتابع لهواه التارك هدي الله في الأمور كلها والتي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

(١) راجع الكلام حول تحريم الهوى في ص/٣٩٨ من هذا البحث.

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بطول الحديث، رقم الحديث «١٩٧٨٨» (٤/٤٢٠). وقال الشيخ

شعيب الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الصحيح».

إذن، فالداعية بعد معرفة هذه الصفات المتعلقة بمتابعة الهوى بالمقارنة بين أحوالها الحسنة والسيئة، يكون محتسباً عن متابعة الهوى، و متمسكاً بهدي الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح في جميع أمور الدين، عندئذ يسهل عليه التخلي عن متابعة الهوى في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق كلما أبتلي بمتابعة الهوى.

٣- ترك متابعة أهل الأهواء.

إن مما يعين الداعية على عدم التأثر بالهوى والتغلب عليه الامتناع عن متابعة أهل الأهواء النابعة من أهوائهم، حتى لا يقع الداعية في شرك أهوائهم وفيما يترتب عليها من فساد عظيم في الدين والدنيا، كما جاء بيان خطورة أهواء المدعوين المشركين المعرضين عن شرع الله والقرآن للنبي ﷺ بقول الله تعالى له: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ<sup>(١)</sup> فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ومما جاء في تفسير العلماء للآية أن الحق في الآية هو القرآن، وقيل: هو الله عز وجل، والمراد لو أجاب الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها<sup>(٢)</sup>.

والقائم بمخالفة أهل الأهواء في أهوائهم في مجال الدعوة وطلب الرزق أو غيره ينبغي له أن يتصف بصدق الإيمان وتقوى الله عز وجل، وحسن العمل بشريعة الله ورسوله ﷺ والاستقامة عليها بعزيمة قوية ضد كل متابع هواه، كما جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وأما تمكن الداعية من مخالفة أهل الأهواء المضللة فيكون بعد ذلك على البينة والهدى من ربه عز وجل في أداء كل أعماله، التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، كما هو ظاهر في عمل النبي ﷺ بأمر ربه في مخالفة أهل الأهواء بقوله

(١) والمراد بذكرهم: هو القرآن الكريم الذي فيه شرفهم وفخرهم، انظر: زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٨٤/٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣/٣٣٦)، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٤٨٤/٥).

تعالى له: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبُعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وكذلك يستطيع الداعية بمخالفة أهل الهوى في أهوائهم أن ينجح في جمع صفوف المدعويين، والفوز بمحبتهم. عندئذ يعملون بتوجيهاته، ويميلون إلى معاملته والأنس به في جميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية. كما هو ظاهر في مخالفة النبي ﷺ أهواء بعض زعماء مشركي قريش عندما طلبوا منه أن يطرد ناساً من ضعفاء المؤمنين حتى لا يجمعهم مجلس واحد لاحتقارهم إياهم، ولكن الرسول ﷺ لم يقبل منهم هذا الطلب، بل كان يجمع الأغنياء والفقراء من المؤمنين في مجلس واحد، فنال بذلك محبة المؤمنين الضعفاء الذين كان يعاملهم معاملة حسنة بعد أمر ربه له بذلك في قول الله تعالى له: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقيل إن القصة السابقة سبب نزول الآية الكريمة<sup>(١)</sup>.

إذن فمخالفة أهل الأهواء وأفكارهم المنحرفة هي من أفضل طرق إزالة عائق متابعة الهوى، إذا أبتلي به الداعية في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في كل زمان ومكان<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - التنبيه إلى إضلال الشيطان بالهوى.

إن من طرق الداعية في التغلب على عائق اتباع الهوى عند الابتلاء به في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، أن ينتبه إلى أن متابعة الهوى من مداخل تضليل الشيطان وتزينه للعباد وصددهم عن الأعمال الشرعية وصرفها عن وجهها الصحيح.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري (١٩٨/٧-٢٠٤)، وتفسير البغوي للإمام البغوي (١٤٧-١٤٥/٣).

(٢) ولمعرفة المزيد من طرق التغلب على عائق اتباع الهوى، راجع كتاب ذم الهوى للإمام ابن الجوزي، وغيره من الكتب المؤلفة في إنكار الهوى.



كما وعد به الشيطان رب العالمين في إضلاله العباد بوسوسته الماكرة الكثيرة في آيات عديدة والتي منها قول الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]. وقوله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]. ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: أي وعند أن أفعل ذلك لا تجد أكثرهم شاكرين لتأثير وسوستي فيهم وإغوائي لهم، وهذا قاله على الظن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] <sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الزمخشري: «ثم لآتينهم من الجهات الأربع والتي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدرَ عليه، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾» [الإسراء: ٦٤] <sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

والآيات من الأدلة على تحريم متابعة الشيطان في كل الأمور؛ لأنه عدو الإنسان من الأنبياء وغيرهم من البشر، ومضلهم بأساليبه الماكرة بمشيئة الله عز وجل. وأما أساليب الشياطين من الإنس والجن فكثيرة وقوية في إضلال العباد عن الحق والصواب والخير، ولا سيما يكون الشيطان أحرص على الإنسان، أو عند ما يهم بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذٍ ليقطعه عنه. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تَقَلَّتْ علي البارحة ليقطع علي الصلاة، فأمكنني

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (١٩٢/٢).

(٢) انظر: الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري (٥٩/٢) ط/دار المعرفة

الله منه ...»<sup>(١)</sup>. ولهذا كله حذر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ العباد من شر الشياطين وعداوتهم لهم كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وكذلك جاء في رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام النووي: «وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان»<sup>(٣)</sup>.

وإذا أدرك الداعية خطورة متابعة الهوى لكونه من أساليب الشيطان في تضليل العباد بادر إلى الاستعاذة بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، واعتمد على الله فيه وتخلّى عن متابعة الهوى بعزيمة صادقة وإرادة قوية، وأخذ بشريعة الله في الأمر الذي هو فيه سواء ما كان متعلقاً بالدعوة أو بطلب الرزق.

كما بين الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ صفة التغلب على كيد الشيطان ووسوسته في نصوص الكتاب والسنة والتي منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَرْغَبَنَّكَ مِنْ

(١) أخرجه الإمام البخاري بطوله في صحيحه، كتاب الصلاة باب رقم (٧٥) رقم الحديث (٤٦١) (١/٦٦٠، ٦٦١). وانظر أيضاً بالتصرف: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (١/٩٣، ٩٤). وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً سجد سجدة السهو». أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق رقم (٥٩) باب (١١) رقم الحديث (٣٢٨٥) (٦/٣٨٨) والحديث يدل على استمرار الشيطان في إضلال بني آدم كلما وجد فرصة لذلك.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) رقم الباب (١٦) رقم الحديث (٢٨١٤) (١٧/١٦٣). وجاء في حديث آخر عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧/١٦٢).

(٣) صحيح مسلم للإمام النووي (١٧/١٦٤).

الشَّيْطَانِ نَزْعٌ<sup>(١)</sup> فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ<sup>(٢)</sup> مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿[الأعراف: ٢٠٠-٢٠١].

ومما جاء في تعليق العلماء على الآيتين: أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ إذا أدرك شيئاً من وسوسة الشيطان أن يستعيد بالله.

وكذلك شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما أمر الله به من الاستعاذة به و الالتجاء إليه عند أن يمسهم طائف من الشيطان وإن كان يسيراً<sup>(٣)</sup>.

وكذلك إذا أصابتهم وسوسة من الشيطان بالذنوب أو إصابة الذنب تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه ووعدته ووعدته، فتأبوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب فإذا هم قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه بسبب ذلك الانتباه<sup>(٤)</sup>، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل ٩٨-٩٩]<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية عن سليمان بن صرد قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...»<sup>(٦)</sup>.

وفي هذه النصوص الشرعية المذكورة من الآيات والأحاديث دلالة صريحة على أن وسوسة الشيطان عند الأعمال الشرعية تزال بالاستعاذة بالله مع التوكل عليه

(١) (الترغ): الوسوسة. وكذا التغر والنخس، قال الزجاج: الترغ أدى حركة تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة، وأصل الترغ الفساد، يقال: نزع بيننا: أي أفسد. وقيل الترغ: الإغواء، والمعنى مقارب. فتح القدير (٢/٢٧٩).

(٢) (الطائف): فقد وردت فيه ثلاث قراءات للعلماء: ١- طيف بغير ألف. ٢- طائف بألف ممدود مهموز ٣- طيف بتشديد الياء من غير ألف. وكذلك اختلفوا في معنى الطائف والطيف إلى قولين: أحدهما: أنهما بمعنى واحد وهما ما كان كالحيال والشيء يلم بك. والثاني: أن الطائف، ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة والخطرة. وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللمة من الشيطان والطيف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف، الفاعل من الطيف، والطيف عند أهل اللغة: اللطم من الشيطان، وقيل غير ذلك. انظر بالتصرف: زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٣/٣٠٩، ٣١٠).

(٣) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني (٢/٢٧٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/٢٧٩) وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٣٧٠).

(٥) وقوله تعالى حكاية عما يكنه الشيطان ضد بني آدم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث كتاب الأدب رقم (٧٨) باب رقم (٧٦) (١٠/٥٣٥).

والإخلاص في الامتثال بأمر الله واجتناب ما عما نهي عنه، وعدم المضي في أثر وسوسة الشيطان بعد معرفتها<sup>(١)</sup>.

إذن فانتباه الداعية إلى خطورة أساليب الشيطان في إضلال بني آدم عند الوقوع في عائق متابعة الهوى، مع الأخذ بهدي الإسلام في تجنب مكائد الشيطان، من أكبر طرق التغلب على مشكلة متابعة الهوى في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

وينبغي للدعاة أن يراعوا ذلك في أعمالهم الشرعية في كل زمان ومكان.

المسألة الثالثة - طرق إزالة الكسل في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

للإسلام طرق كثيرة في إزالة الكسل والتثاقل عن أداء الأعمال الشرعية، التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، ومن أبرز طرق تجنب الكسل وإزالته من عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ما يأتي:

١ - المسارعة إلى القيام بالدعوة وطلب الرزق

إن مسارعة الداعية إلى القيام بالدعوة بعزم وصدق الإيمان عند الشعور بالتثاقل عن أداء العمل الدعوي من أنجح الطرق لإزالة عائق الكسل أمام كل الأعمال الدعوية؛ لأن ذلك يدخل في دائرة تنفيذ واجب الدعوة بالجد والنشاط.

كما هو ظاهر في تخلص أبي خيثمة رضي الله عنه من أثر التثاقل الذي تعرض له عند خروج الرسول ﷺ بالصحابة رضي الله عنهم إلى غزوة تبوك حتى تخلف عن الخروج مع الرسول ﷺ ولكنه أحس بأثر التثاقل عن غزوة تبوك، وخطورة تخلفه عن الرسول ﷺ مما جعله يلوم نفسه ويعد عذته، ثم لحق بالرسول ﷺ والصحابة في تبوك وشاركهم في الجهاد، وقال ابن إسحاق عند إيراد القصة: «فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير»<sup>(٢)</sup>.

(١) كما قال تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» [الأنعام: ٦٨]. وقيل: إن المراد بالخطاب هو كل فرد من آحاد الأمة، أن يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير موضعها فإن جلس أحد معهم ناسياً من الشيطان فلا يقعد بعد التذكر. انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٩٥/٢).

(٢) راجع تفصيل القصة في سيرة النبي ﷺ لابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (٩٤٦/٤-٩٤٨).

إذن فالانطلاق من أثر التباطؤ والتثاقل إلى الجِد والنشاط في العمل الدعوي من الأمور التي أقرها الرسول ﷺ .

وكذلك إن المسارعة إلى طلب الرزق وإنفاقه في الوجوه المباحة بعد الإحساس بالتثاقل عنه، من أفضل السبل للتغلب على الكسل والفتور عند العمل في جميع الجوانب المتعلقة بالرزق لدخول هذا الفعل تحت عموم الأمر بالمسارعة إلى فعل الخير والطاعات بالنصوص الشرعية الكثيرة والتي منها قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ويقول الدكتور أحمد الشرباصي عند تعليقه على الآية: «والمسارعة إلى المغفرة والجنة هي المبادرة إلى أسبابها، وما يعد الإنسان لنيلهما والفوز بهما، أي سارعوا إلى ما يوجب لكم مغفرة ربكم ونعيم جنته». ثم قال بعد إيراد أقوال بعض العلماء حول ما يسارع إليه: «فكأن الأمر بالمسارعة في الآية الكريمة هو دعوة إلى التحلي بفضيلة المسارعة إلى الخير، وعلى الدوام في كل الأحوال»<sup>(١)</sup>.

إذن فعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الموضوعات والأحوال التي تستحق المسارعة فيها؛ لكونها من أنواع الطاعات لله عز وجل، ولقدرتها على إزالة الكسل وأسبابه في الدعوة وطلب الرزق ومتطلبتهما في كل زمان ومكان.

٢- العمل في حدود الطاقة مع تحويل فترة التعب إلى فترة الاستعداد لمواصلة العمل.

إن العمل في حدود الطاقة في جميع الجوانب المتعلقة بالدعوة وطلب الرزق من الوسائل التي تحمي الداعية من الوقوع في التثاقل والفتور والسآمة في تنفيذ أي عمل متعلق بعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وغيره من الأعمال الشرعية؛ لأن العمل فوق الطاقة قد ينتهي بصاحبه إلى الفتور والكسل في أدائه أو الانقطاع عنه، ولذا جاء في الهدي الإسلامي أن يكون العمل مستمراً من قبل صاحبه وفق هدي الإسلام فيه، كما جاءت الإشارة إليه بقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه وإن قل»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: موسوعة أخلاق القرآن للدكتور أحمد الشرباصي (١/٢٤٢، ٢٤٣) ط/ دار الرائد العربي.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطوله في كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم (٦) باب رقم (٣١) (٣١٨/٦).

وكذلك إن من هدي الإسلام أن العامل إذا تعب في عمله أن يرتاح منه في حدود الشرع، ثم يعود إليه بعد تجديد نشاطه وقوته لمواصلة العمل في حدود طاقته، كما يفهم من قول النبي ﷺ: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم»<sup>(١)</sup>.

وكذلك يعتبر الإسلام للإنسان فترات العمل لكسب رزقه وعيشه، وفترات الراحة بعد العمل والسعي لطلب الرزق ليحافظ على صحته ونشاطه في الإقدام للعمل اللاحق كما جاء توضيح ذلك في معرض ذكر نعم الله على العباد بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

ومما جاء في تفسير الإمام ابن كثير للآية: «أن من نعم الله على عباده أن جعل لهم النوم قاطعاً للحركة، لراحة الأبدان فإن الأعضاء والجوارح تكسل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعاش، فإذا الليل سكن سكنت الحركات فاستراحت، فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً». وكذلك جعل النهار للناس لينتشروا فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]<sup>(٢)</sup>.

والنصوص الشرعية كثيرة في ذكر هذه النعمة.

إذن فالعمل في حدود الطاقة مع تحويل فترة التعب إلى فترة الاستعداد لمواصلة العمل من أفضل الطرق لإزالة عائق الكسل وأعراضه عند الشعور به أو ظهور أعراضه في أداء الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وينبغي للدعاة أن يراعوا ذلك في حياتهم الدعوية والاقتصادية، في كل زمان ومكان.

### ٣- الحرص على فضل المبادرة إلى العمل.

إن للمبادرة إلى القيام بالعمل الشرعي فضائل كثيرة أشار إليها الإسلام بأساليب ترغيبية متعددة للفوز بتلك الفضائل العظيمة.

وأما حرص الداعية على كسب هذه الفضائل فهو من الطرق التي تعينه على تجنب الكسل في أداء الأعمال الدعوية وطلب الرزق، وغيره من الأعمال الشرعية.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطوله كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم (٦) باب رقم (٣١) (٣٢١/٦).

(٢) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤٢٧/٣).

ومن أساليب القرآن الكريم في الحث على الفوز بثواب المبادرة إلى فعل العمل الشرعي ذكر الثناء الإلهي على المسارعين إلى فعل الطاعات والخيرات: كما قال الله تعالى عن وصف بعض مؤمني أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]. أي أن من مجموع الأعمال التي كانت سبباً في وصولهم إلى مرتبة الصلاح، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارة إلى الخيرات.

ومن أساليب القرآن في الحث على المبادرة إلى فعل العمل: ذكر أهمية ما تنبغي المسارة إليه يوم القيامة من الخيرات والجنة ليفوز بها المسارع إلى العمل في الآخرة، كما في قول الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأساليب القرآن الكريم كثيرة في هذا الباب.

فالحرص على فضل المسارة إلى القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، من أحسن الطرق لتجنب الداعية من عائق الكسل والتشاقل وأسبابه في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها من الأعمال الشرعية.

٤- الخوف من الوقوع في قبح ما يؤدي إليه الكسل.

إن للكسل مقابح كثيرة<sup>(١)</sup> على من تأثر به في الأعمال الشرعية وغيرها. فخوف الداعية من الوقوع في مقابح الكسل والتشاقل في الأعمال الشرعية من أفضل الطرق للتغلب على جميع أنواع الكسل وآثاره في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأن من خاف شيئاً بحث عن وسائل الوقاية منه، وتنبه له بين حين وآخر لكي يسلم من أخطاره وأضراره وفتنه.

٥- الاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب التغلب على الكسل.

إن مما يعين الداعية في التغلب على الكسل وآثاره في الأعمال الشرعية، التي منها عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، طلب الاستعانة من الله بالدعاء منه في

(١) راجع بعض الآثار السيئة للكسل في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٤٠٣ من هذا البحث.

تجنب الكسل وآثاره مع الأخذ بالأسباب المساعدة في التغلب على الكسل وأنواعه من فتور وتناقل وغيره في الأمور الشرعية. اقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء عن الكسل وآثاره مع الأخذ بأسباب التخلص منه في أعماله، كما جاء في رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهزم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»<sup>(١)</sup>. فالحديث يدل على استعاذة الرسول ﷺ بربه عز وجل من الكسل وآثاره.

وأما من الأحاديث الدالة على أن الرسول ﷺ كان يأخذ بأسباب التخلص من الكسل وآثاره فهو ما جاء في رواية عبد الله بن أبي قيس قال: قالت لي عائشة لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل ﷺ صلى قاعداً<sup>(٢)</sup>. والحديث دليل على أن الرسول ﷺ لم يكن يترك عمله لأجل الكسل بل كان يميل ويتحول إلى ما هو أنسب لحاله في تنفيذ العمل عند إصابته بالكسل.

وأما التحول إلى ما هو أنسب لحال العامل في تنفيذ العمل عند الإصابة بالكسل فهو من طرق التغلب على الكسل وآثاره في العمل. إذن فالاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب التغلب على الكسل، من أفضل الطرق لإزالة الكسل وآثاره في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. وإضافة إلى الطرق المذكورة في الموضوع توجد طرق أخرى<sup>(٣)</sup> لإزالة الكسل وآثاره فينبغي للدعاة الاستفادة منها.

وكل ما ورد ذكره في هذا المطلب الثاني (كيفية التغلب على العوائق الداخلية) من طرق إزالة الجهل بهدي الإسلام في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وطرق إزالة اتباع الهوى فيه، وطرق إزالة الكسل فيه، إنما هو أبرز طرق التغلب على العوائق الداخلية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وليس من باب حصرها. وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير رقم (٥٦) باب رقم (٢٥)، (٤٣/٦) وقال الإمام ابن حجر عند تعليقه على الحديث: «والفرق بين العجز والكسل أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله والعجز عدم القدرة». فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٣/٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٩/٦).

(٣) انظر: الفتور آثاره وأسبابه وعلاجه لجاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ص/٣٦-٥١ ط/ دار الدعوة - الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



المطلب الثاني- كيفية التغلب على العوائق الخارجية<sup>(١)</sup>

وأما طرق التغلب على العوائق الخارجية في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق

فهي مفصلة في المسائل الآتية:

## المسألة الأولى: طرق التغلب على مؤثرات الفقر

إن الإسلام قد وضع طرقاً كثيرة للتغلب الفردي على ما يعانيه من مشكلة

الفقر وتجنب مؤثراته.

ومن أهم تلك الطرق التي يعالج بها الداعية معاناته المتصلة بالفقر ما يأتي:

## ١- الإيمان بأن الفقر من قضاء الله وقدره.

إن الإيمان واجب على العباد بأن الله صاحب الأرزاق وموزعها بين العباد ويجعل منهم بسبب ذلك الغني والفقر، كما في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

والآيات كثيرة في الدعوة إلى الإيمان بالتوزيع الإلهي للأرزاق بين العباد وهذا يقتضي للداعية أن يعتقد أن الفقر أمر طبيعي مُقدَّر من الله في الحياة البشرية يمكن إزالته باستخدام الوسائل المشروعة المؤدية إلى تحقيق ذلك بقدره الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

ومن أقوال العلماء في بيان معنى قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قول الزجاج: «حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر، ولا يلزم

(١) سبق ذكر المراد بكيفية التغلب على العوائق الداخلية والخارجية في ص/٤١٥ من هذا البحث.

أن يكون هذا حاصلاً لكل فقير إذا تزوج فإن ذلك مقيد بالمشيئة...»، وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>.

والآية من الأدلة على إمكانية إزالة الفقر بالوسائل المشروعة بمشيئة الله عز وجل. وتؤيد هذا الاعتقاد كثيرة من النصوص الشرعية التي تحت على القيام بسلوك طرق المكاسب المشروعة للحصول على الرزق وإزالة الفقر<sup>(٢)</sup>. وبناء الداعية أسس عمله على هذا الإيمان يعطيه دافعاً قوياً للبحث عن كل الأسباب المعينة على محو الفقر، وتجنب آثاره عند عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، فعندئذ يكون الإيمان بأن الفقر من قضاء الله وقدره، من الطرق المساعدة في التغلب على الفقر وآثاره في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها.

## ٢- سلوك طرق المكاسب المشروعة بعزيمة صادقة.

إن سلوك العامل طرق المكاسب المشروعة بالجد والنشاط من أسباب جلب الرزق والمال للعامل، فيؤدي ذلك إلى إزالة مشكلة الفقر عنه بمشيئة الله تعالى<sup>(٣)</sup>. كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «إن هذا العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وهو السبب الأول في جلب الثروة، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض والتي استخلف الله فيها الإنسان وأمره أن يعمرها، كما قال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني (٢٨/٤) وتفسير

القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (٢٠١/٧، ٢٠٣).

(٢) راجع بعض النصوص الشرعية الدالة على وجوب القيام بطلب الرزق في ص/٥٠ من هذا البحث.

(٣) راجع الكلام حول الضوابط الشرعية والأخلاقية للجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٢٤٨. وراجع الكلام

حول مجالات طلب الرزق وعوامل النجاح فيها بالنسبة للداعية في ص/٣٤٣ من هذا البحث.

(٤) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص/٣٩، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت -

الطبعة السابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.

وقيام الداعية بسلوك طرق المكاسب المشروعة بالعزيمة الصادقة يسهل عليه القضاء على عائق الفقر في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق؛ لأجل ما يتوفر لديه من طاقة مالية لإنجاز ما قد عجز عنه في مجالي الدعوة وطلب الرزق. فعندئذ يكون سلوك طرق المكاسب المشروعة بعزيمة صادقة من أسباب التغلب على مشكلة الفقر للداعية وغيره.

### ٣- الاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب إزالة الفقر.

إن الدعاء<sup>(١)</sup> من الأمور المشروعة بالكتاب والسنة ويجب فيه أن يكون الداعي عالماً بأن الله وحده هو القادر على إجابة دعائه كما في قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]. وإن دعاء الإنسان ربه عز وجل في حوائجه من أسباب تحقيق رغباته التي يريدتها من جلب نعمة إليه ودفع شر عنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إذن فالدعاء من مسهلات كسب الرزق من الله تعالى للداعي وفيه أيضاً إزالة الفقر عنه حيث إن الله هو الرزاق وخير الرازقين وعنده الرزق كله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

(١) والمراد بالدعاء في هذا الموضوع هو دعاء المسألة لأن الدعاء نوعان وهما دعاء العبادة ودعاء المسألة. ومعنى دعاء العبادة: هو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة لأن المتعبد لله طالب وداع بلسان مقاله ولسان حاله ربه قبول تلك العبادة، والإثابة عليها فهو العبادة بمعناه الشامل. وأما معنى دعاء المسألة فهو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وهذان النوعان من الدعاء متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسر الآية، قيل: أعطيه إذا سألني وقيل: أثني إذا عبدني. والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعاً. والدعاء في القرآن يراد بأحد هذين النوعين تارة أو يراد لمجموعهما تارة أخرى.

انظر - بدائع الفوائد للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٣/٢٠٣) و ص/ ٣٠٢ ط/ مكتبة الرياض الحديثة، والدعاء مفهومه - أحكامه - أخطاء تقع فيه، لابن إبراهيم الحمد ص/ ١٠ و ص/ ١٧.

وأما ارتباط الداعية بربه بالدعاء في مجال طلب الرزق، فله فوائد عظيمة منها أنه يشعر بعظمة الله وخشيته والخوف من الوقوع في معاصيه والالتزام بأمره والاجتناب عن نواهيه فيترتب على ذلك فتح باب رزق له من طرق كسب الرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا يخطر بباله»<sup>(١)</sup> فيؤدي ذلك إلى إزالة ما به من فقر.

ومن فوائد الدعاء الاستجابة للمدعو في جلب رزق أو دفع فقر. إذن فالاستعانة بالله بالدعاء مع السعي في إحدى طرق الكسب المحسوسة من الأمور المشروعة بالكتاب والسنة في جلب الرزق وإزالة الفقر، كما هو ظاهر في إقرار الرسول ﷺ ذلك بفعله، وفي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم»<sup>(٢)</sup>. وكذلك قيامه بكسب الرزق عن طريق التجارة والغنيمة وغيرها من الطرق المحسوسة لكسب الرزق<sup>(٣)</sup>.

إذن فالاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب إزالة الفقر من أفضل الطرق للتغلب على مشكلة الفقر لدى الداعية في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

#### ٤- العمل بمهدي الشريعة في الإنفاق الفردي

إن الإسلام ينهى عن كل أنواع الإسراف والتبذير؛ لأن فيه ضياع الأرزاق والأموال وجلب الفقر والفاقة والعوز والاستمرار فيه، لذا جاء الأمر الإلهي لنبيه ﷺ في التوسط في إنفاق الأرزاق بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٤/٤٨٧).

(٢) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتحليل والتسبيح والذكر. رقم الحديث «١٩٨٣» وقال الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه» (١/٧٢٥).

(٣) راجع المسألة الرابعة بعنوان ملكية الرزق بطرق مشروعة للرسول عليهم السلام في المطلب الأول في البحث الثاني من الفصل الثاني في صفحة (١١٤) من هذا البحث.

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «يقول الله تعالى آمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف»<sup>(١)</sup>.

وكذلك وضع الإسلام للعبد درجات إنفاق أمواله وأرزاقه من الأهم إلى المهم؛\* لكي يسد عنه أبواب الفقر ويرقى به إلى استثمار الأموال والأرزاق، لأن الإنفاق وفق هدي الإسلام يضمن النماء الحسن في كثرة الأموال وتوفيرها والنماء المعنوي من الفوز بثواب الله على حسن الإنفاق وفق الشريعة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. ويقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية: «أي مهما أنفقتُم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل وفي الآخرة بالجزاء» كما ثبت في الحديث: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم انفق انفق عليك»<sup>(٢)(٣)</sup>.

وجاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان فيقول أحدهما «اللهم أعط منفقاً خلفاً» ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً»<sup>(٤)</sup>. قال الإمام النووي: «الإنفاق الممدوح ما كان في الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات»<sup>(٥)</sup>.

وفي الحديث تصريح بدعاء الملائكة للمنفقين على الوجه المشروع، وهذا بشارة كبيرة لهم حيث إن دعاء الملائكة محاب لأهم لا يدعون لأحد إلا بإذن الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٣/٣).

\* راجع الكلام حول الضابط الرابع إنفاق الرزق في المصارف المباحة في المطلب الثاني من المبحث الأول في الفصل الثالث في ص/٢٦٢ من هذا البحث.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزكاة رقم (١٢) باب رقم (١١) رقم الحديث (٩٩٣) (٨٣/٧، ٨٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٧١٥/٣).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب رقم (٢٧) رقم الحديث (١٤٤٢) (٣٥٧/٣).

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٣٥٨/٨).

(٦) انظر - عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني (٣٠٧/٨) ط/إدارة الطباعة المنيرية - بيروت. ومفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة للدكتور فصل الهي ص/٧٣.

إذن فالإنفاق المشروع للرزق من مسهلات وصول الرزق مع سلوك طرق المكاسب المشروعة، وإنفاق الداعية أرزاقه وفق هدي الإسلام من أفضل الطرق في التغلب على الفقر وآثاره والسلامة من تكرار حال الفقر بعد زواله، لأن بهذا الإنفاق يتمكن الداعية من إنجاز الأعمال الدعوية المتعطلة والأعمال الاستثمارية المالية الناقصة بسبب النواقص والأزمات المالية يُيسر وسهولة.

عندئذ يكون العمل بهدي الشريعة في الإنفاق الفردي من الطرق المساعدة على إزالة عائق الفقر وتخفيف حدته للداعية أو غيره.

وكل ما ورد في هذه المسألة الثانية التي هي طرق التغلب على الفقر، مثل الإيمان بأن الفقر من قضاء الله وقدره، وسلوك طرق المكاسب المشروعة بعزيمة صادقة، والاستعانة بالله مع الأخذ بأسباب إزالة الفقر، والعمل بهدي الشريعة في الإنفاق الفردي، إنما هي أبرز طرق معالجة الفقر في موضوع هذا البحث.

وهناك طرق أخرى<sup>(١)</sup> مفيدة في معالجة الفقر، ينبغي للدعاة الأخذ بها إضافة إلى الطرق المذكورة عند الإصابة بعائق الفقر، في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في كل زمان ومكان.

المسألة الثانية- طرق التغلب على ضغط أعداء الدعوة<sup>(٢)</sup>.

إن الإسلام قد وضع طرقاً كثيرة للتغلب على ضغط أعداء الدعوة، ومن أهم تلك الطرق في مواجهة ضغط أعداء الدعوة في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق ما يأتي:

١- الاعتقاد بأن أذى الأعداء من قضاء الله يمكن إزالته بمشيئة الله

إن الإيمان بأن تصرفات أعداء الدعوة وأضرارهم ضد الدعوة والدعاة تحت مشيئة الله وإرادته، وأن الله قادر على إزالتها أمر مشروع ينبغي أن يعمل به الدعاة

(١) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص/٣٧-١٣٨ وعلاج المشكلة الاقتصادية في الإسلام، لظاهر عبد المحسن سليمان ص/٤٩-٢٥١ ط/مطبعة دار البيان لعابدين الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) سبق الكلام حول ضغط أعداء الدعوة، وأضرارهم في الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في ص/٤٠٩.

كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال الإمام ابن كثير عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧].

ومما جاء من كلام العلماء حول ظرفية الأرض لنفي الإعجاز فيها وذلك أن قوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ظرف لمعجزين لكن لإفادة كون الإعجاز المقصود بالنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك غني عن البيان بل لإفادة شمول عدم الإعجاز لجميع أجزائها أي: «لا تحسبنهم معجزين الله تعالى عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من أقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يجب على الداعية أن يعتقد أن إصابة الداعي بالأذى في مسيرة الدعوة أمر لا بد منه، كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب.

إذن فإيمان الداعية بأن تصرفات الأعداء تحت مشيئة الله وتديبره، وأنه هو القادر على قطع وإيقاف كل حركات الأعداء من أذى وغيره ضد الدعاة، وأن ما يتعرض له من أذى من قبل أعدائه، فهو من طبيعة عمله الدعوي. عندئذ يعطيه ذلك الإيمان قوة نفسية وروحية يتحرك بها في التمسك بالأسباب المتاحة المشروعة، ويزداد أمله في نصرة الله له، فلا يستسلم مع طول الوقت في

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢٢٥/٢).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغداد (٢٠٨/١٨). ط/ دار إحياء

التراث العربي بيروت لبنان.

مواجهة الأعداء حتى يغلب على أذاهم - بإذن الله وتوفيقه - حسياً أو معنوياً أو بهما معاً. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

قال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية: «فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مُفلحٌ في الدنيا والآخرة، ومنصور في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup> وذلك إما بالنصر أو الشهادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤] أي هو منصور بعدم الخسران في تحمله الأذى وجهاده في سبيل الله.

فعندئذ يكون إيمانُ الداعية واعتقاده بأن أذى الأعداء قضاء الله وقدره عليه، وأن إزالته ليس أمراً عسيراً على الله عز وجل، بل يزيله مع انتهاء الوقت المحدد له منه عز وجل، فهذا من أقوى وسيلة الداعية في التغلب على ضغط معارضي الدعوة للوصول إلى الأهداف المنشودة لعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

## ٢- الصبر والتوكل على الله تعالى في تحمل الأذى

إن الصبر والتجلد بعزم قوي في تحمل شدة معاناة الأعداء في مجال الدعوة وطلب الرزق وغيره من الأمور المشروعة للداعية، وغيره، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وبين الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي عند شرح الآية أن الله أمر عباده المؤمنين بالصبر ولزوم التقوى وأنهم إذا قاموا بذلك، فلن يضرهم كيد أعدائهم شيئاً، فإن الله محيط بهم وبأعمالهم ومكائدهم، التي يكيدونكم فيها<sup>(٢)</sup>.

ومما يعطي الصبر قوة في إزالة مكائد الأعداء هو التوكل والاعتماد على الله عز وجل في إزالتها مع الأخذ بالأسباب المتاحة المشروعة في رفع تلك المكائد وآثارها<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٩٩/٢، ١٠٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٤١٤/١).

(٣) راجع الكلام حول التحلي بالصبر في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صفحة (٢٨٧). وراجع الكلام حول التوكل على الله عند الدعوة وطلب الرزق في ص/٢٩٧ في الفصل الثالث من هذا البحث.



كما هو ظاهر في موقف بعض رسل الله عليهم السلام في توكلهم على الله مع صبرهم في مقاومة أضرار أعدائهم مع استمرارهم في أداء واجبهم الدعوي بقول الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

إذن فالصبر والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة من أحسن طرق الداعية في مواجهة مكائد أعداء الدعوة، والتغلب عليها في الدعوة وطلب الرزق وفي حالة تنظيم العمل بينهما.

### ٣- جعل الصبر عبادة عند تحمل أذى الأعداء

إن جعل الصبر عبادة عند تحمل أذى معارضي الدعوة أمر مشروع، كما حث الشرع على تنفيذه والفوز بثوابه بأساليب كثيرة، التي منها أسلوب ذكر أجر الصابرين والمتوكلين على الله عند الأذى، كما في قول الله تعالى عن المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوَّتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَا لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١] وكما جاء مثل ذلك في وصية لقمان لابنه بقول الله تعالى عنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. أي إن الصبر على الأذى في سبيل الدعوة والعبادة مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه<sup>(١)</sup>.

وأداء ما أمر الله به فهو عبادته وطاعته، فالصبر على الأذى عبادة؛ لأنه مما أمر الله به عز وجل.

وجاء في رواية صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر بالتصرف: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢١٤/٢١) المجلد العاشر،

وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٥٨٨/٣، ٥٨٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق رقم (٥٣) باب رقم (١٣) (٣٣٣/١٨، ٣٣٤).

والنصوص الشرعية كثيرة في الحث على احتساب الأجر على المصائب والأذى، وإن تطلع الداعية إلى الفوز بثواب الصبر على الأذى يخفف وقعة الأذى عليه، ويسهل له مواصلة المقاومة والصمود أمام ضغط الأعداء، مهما كان نوعه في مجال الدعوة وطلب الرزق.

وعندئذ يكون الحرص على ثواب الصبر على الأذى مع سلوك الأسباب المتاحة المشروعة في منع أضرار أعداء الدعوة، من أكبر طرق الداعية في التغلب على ضغط الأعداء وآثاره لتحقيق أهداف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

#### ٤- الاقتداء بالرسول والسلف الصالح في تحمل الأذى

إن الاقتداء بهدي الرسول عليهم السلام، والسلف الصالح (رحمهم الله) في أمور الدين واجب شرعي؛ لأن فيه كل أنواع الخير والصلاح، والبعد عن كل أنواع الهلاك وأسبابه<sup>(١)</sup>. وكذلك يشرع للداعية الاقتداء بالرسول عليهم السلام والسلف الصالح (رحمهم الله) في تحمل أذى معارضي الدعوة، كما هو ظاهر في تسليية الله عز وجل نبيه محمد ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه، وأمره سبحانه إياه بأن يعالج هذا الموقف بالصبر كصبر أولي العزم من الرسل عليهم السلام<sup>(٢)</sup>، وأن الظفر والنصر على الأعداء سيتحقق لذلك كما تحقق للرسول قبله عليهم السلام<sup>(٣)</sup>، وذلك بقول الله تعالى له: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٤].

فالأية من الأدلة على الاقتداء بالرسول عليهم السلام في تحمل الأذى.

(١) راجع بعض الأدلة في وجوب الاقتداء بهدي الرسول ﷺ والسلف الصالح رحمهم الله في ص/٢٠٣ وص/٢٤٩ من هذا البحث.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(٣) انظر بالتصرف: تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (١٧٦/٢، ١٧٧) وراجع الكلام حول مواجهة الرسل المكائد المتصلة بالرزق من قبل معارضي الدعوة من قبل في صفحة (١٦٩) من هذا البحث.

وكذلك ما جاء في رواية خباب بن الأرت<sup>(١)</sup> قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة - قلنا له ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»<sup>(٢)</sup>.

والحديث من الأدلة على الحث على الاقتداء بالسابقين الصالحين في تحمل أذى معارضي الدعوة.

والنصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة في هذا الباب ولاقتداء الداعية بالسابقين في تحمل الأذى، آثار حسنة للداعية، ومنها أنه يجعل الداعية يشهد ويطلع على تصور عملي مقدور عليه من بني جنسه الآدميين المختارين بالفضل والصلاح، عندئذ يهون عليه تحمل الصعاب، والمشقة ليبلغ مبلغ هؤلاء السلف في الصبر والتوكل على الله والفوز بمثل ثوابهم في ذلك العمل النبيل<sup>(٣)</sup>. إذن فالإقتداء بسيرة الرسل عليهم السلام، والسلف الصالح (رحمهم الله) في مواجهة أضرار أعداء الدعوة، من الأمور التي تعين الداعية على التغلب على معاناتهم من قبل أعداء الدعوة، وتخفيف أثارها على عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

(١) خباب بن الارت هو: الصحابي الجليل خباب بن الارت بن جندلة بن سعد أبي يحيى التميمي من نجباء السابقين الذين أظهروا الدعوة، وعذبوا في سبيل الله، وكان رضي الله عنه يشتغل بالحدادة وصنع السيوف بمكة، توفي بكوفة في خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ - وصلى عليه علي رضي الله عنهما. انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٣٢٣/٢) ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأمصار لأبي حاتم (ص: ٧٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب مناقب رقم (٦١) باب رقم (٢٥) (٧١٦/٦).

(٣) كما قال الدكتور عبد الله ناصح علوان: «فالداعية حين يقرأ أخبار الصفوة الممتازة من الأنبياء والصحابة والسلف .. وما تحملوه في سبيل الدعوة، وما كابده في سبيل إعزاز دين الله .. تصغر نفسه أمام نفوسهم الكبيرة، ويحقر عمله في سبيل الإسلام أمام أعمالهم الضخمة العملاقة، وتكون مصائبه أمام ما تحملوه من أحداث جسيمة وشدائد عظيمة بالغة .. هذا عدا عما تمتلئ نفسه من شحانات الإيمان، وما تُعبأ من الطاقات العزيمة والمصابرة، ليكون أقدر على حمل التبعة والمسؤولية، وأقوى على الاستمرارية في طريق الدعوة والجهاد، وأثبت على مواجهة المصائب والأحداث ...». عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١٨٣، ١٨٢/١) ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الغورية الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

## ٥- إرشاد المدعويين في تحمل الأذى.

إن قيام الداعية بإرشاد المدعويين في تحمل أضرار أعداء الدعوة من الأمور المشروعة والتي حث عليها الإسلام، وذلك لدخوله تحت حكم عموم التعاون على البر والتقوى<sup>(١)</sup>، وحكم عموم بذل النصيحة للغير في الدين، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر<sup>(٢)</sup>.

وكما هو ظاهر في تصبير الرسول ﷺ آل عمار في محنتهم بإخبارهم بثواب صبرهم عليها مما كان سبباً في ثباتهم في تلك المحن.

وفي رواية أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال لهم: «ابشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»<sup>(٣)</sup>.

ومواقف الرسل عليهم السلام كثيرة في توجيه مدعويهم المستجيبين في وقت محنتهم وذلك؛ لأن في قيام الداعية بإرشاد المدعويين في تحمل أذى معارضي الدعوة آثار نافعة لتحقيق الأهداف الدعوية، والتي منها أن المدعو يثبت على تطبيق متطلبات الدعوة، والتي تلقاها من الداعية فلا تضيع الجهود الدعوية التي بذلت لأجلهم.

وكذلك يزيد شعور المدعو بضرورة الوقوف مع الداعية في البحث عن وسائل النجاة من معاناة ضغط الأعداء، فيتم التكاتف بينهم في إزالة ضغط أعداء الدعوة أمام المصالح الدعوية، كما هو ظاهر في عمل الصحابة بتوجيهات الرسول ﷺ في جميع غزواته والتي منها غزوة خندق حيث شاركهم الرسول ﷺ في حفر الخندق حول المدينة للدفاع عنها بمشورة سلمان الفارسي، فتحقق لهم نصر الله على أعدائهم بتوفيق الله ثم بسبب ذلك التكاتف<sup>(٤)</sup>.

وإن قيام الداعية بإرشاد المدعويين المضطهدين من قبل أعدائهم من أفضل وسيلة في مواجهة أضرار معارضي الدعوة ضد تحقيق هدف عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

(١) كما في قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدُوِّ﴾ [المائدة: ٢].

(٢) كما في سورة العصر: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

(٣) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم: ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه. رقم الحديث «٥٦٦٦» وقال الإمام الحاکم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم».

(٤) راجع القصة في سيرة النبي ﷺ تأليف ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (٣/٦٩٩-٧١٥).

وينبغي للدعاة مراعاة ذلك في كل زمان ومكان.

#### ٦- الاستعانة بالله مع استخدام الوسيلة المشروعة في دفع الأذى

إن الاستعانة بالله والتضرع إليه مع الأخذ بالوسائل المشروعة في دفع أضرار معارضي الدعوة من الأمور المشروعة بنصوص كثيرة في الكتاب والسنة، منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

الآية من الأدلة على مشروعية اتخاذ الأسباب المتاحة مع الدعاء بالنصر والظفر على أعداء الدعوة، وأن ذلك من أسباب الفلاح والتغلب على مكائدهم وشرهم<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله «قُوَّة» نكرة تفيد عموم القوة التي منها قوة الدعاء وقوة الوسائل المشروعة الأخرى<sup>(٢)</sup>.

وما جاء في رواية عبد الله بن أبي أوفى ... «إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه والتي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس» ثم قام في الناس فقال: «لَا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»<sup>(٣)</sup>.

الحديث من الأدلة الصريحة على مشروعية الدعاء مع الأخذ بأسباب مقاومة أعداء الدعوة عند دفع أضرارهم.

وإن قيام الداعية بطلب الاستعانة من الله (عزّ وجلّ) مع استخدام الوسيلة المشروعة في دفع أضرار معارضي الدعوة، له فوائد عظيمة منها أنه يحدث لدى الداعية قوة روحية فائقة في مقاومة الأعداء بكل جد ونشاط، مهما كان نوع العدو وأذاه لما يشعر به من الاتصال الوثيق بربه عزّ وجلّ والأمل في نصره على الأعداء في

(١) وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي عند شرح الآية: «فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر» تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٧٣/٣).

(٢) انظر بالتصريف: المصدر السابق.

(٣) أخرجه الإمام البخاري بطوله في صحيحه كتاب الجهاد والسير رقم (٥٦) باب رقم (١٥٦) (١٨٠/٦، ١٨١).

نهاية الصراع<sup>(١)</sup>، فلا يبقى أمامه إلا الظفر بالتغلب على مكائد الأعداء وشدتهم في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وغيره من الأعمال الشرعية الأخرى. وعندئذ تكون الاستعانة بالله مع استخدام الوسيلة المشروعة لدفع أذى معارضي الدعوة من أقوى طرق التغلب على ضغط أعداء الدعوة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق وغيرها من الأعمال الشرعية؛ لأن الإسلام دين الوقعية والحذر والأخذ بالأسباب والاتصال بالرب، فإذا وقعت المصيبة على الإنسان فلا يسعه إلا الرضا بقضاء الله والتسليم لقدره والخضوع لجناحه مما ينوب ويروع<sup>(٢)</sup>. وكل ما ورد ذكره في هذه المسألة من طرق التغلب على عائق ضغط أعداء الدعوة والتي هي:

- ١ - الاعتقاد بأن أذى الأعداء من قضاء الله يمكن إزالته بمشيئة الله.
  - ٢ - الصبر مع التوكل على الله في تحمل الأذى.
  - ٣ - جعل الصبر عبادة عند تحمل أذى الأعداء.
  - ٤ - الاقتداء بالرسول والسلف الصالح في تحمل الأذى.
  - ٥ - إرشاد المدعوين في تحمل الأذى.
  - ٦ - الاستعانة بالله مع الوسيلة المشروعة في دفع الأذى. إنما هذه الطرق من أبرز طرق معالجة عائق ضغط أعداء الدعوة في عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وغيرها من الأعمال الشرعية.
- وينبغي للدعاة أن يتمسكوا بها إضافة إلى طرق أخرى مفيدة<sup>(٣)</sup> عند الإصابة بذلك العائق في جميع الأعمال الشرعية في كل زمان ومكان.

(١) كما وعد الله حزبه بالنصر والظفر على أعدائهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ، كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

(٢) انظر بالتصرف: عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/٢٧٧) ..

(٣) راجع بعض طرق معالجة عوائق أعداء الدعوة في كتاب: عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام لعبد الله ناصح علوان (١/١٧٥-١٩٠) ومشكلات الدعوة والداعية لفتحي يكن ص/١٧-٤٦ ط/مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

## الفصل السابع

آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية والمدعوين

### المبحث الأول

آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية

المطلب الأول - أثره في عبادة الداعية

المطلب الثاني - أثره في دعوة الداعية

المطلب الثالث - أثره في اقتصاد الداعية

### المبحث الثاني

آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في المدعوين

المطلب الأول - أثره في الحياة الدينية للمدعو المستجيب

المطلب الثاني - أثره في الحياة الاجتماعية للمدعو المستجيب

المطلب الثالث - أثره في الحياة الاقتصادية للمدعو المستجيب

المطلب الرابع - أثره في تحويل المدعو غير المستجيب إلى قبول الدعوة

## الفصل السابع

## آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية والمدعوين

المراد بآثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الداعية والمدعوين  
أما المراد بآثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الداعية والمدعوين في هذا  
الموضوع، فهي الفوائد التي تُنتجها ممارسة عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من  
قبل الداعية لصالح الدعوة والداعية، ولصالح المدعو المستجيب وغير المستجيب.  
إن دراسة هذه الآثار تتطلب تقسيمها إلى قسمين رئيسيين، هما دراسة الآثار  
في الداعية ودراسة الآثار في المدعو، وذلك في المبحثين التاليين:



## المبحث الأول

## آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في الداعية

إن لعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق فوائد عظيمة، تعود إلى مصلحة الداعية في عدة جوانب، ومن أبرزها جانب عبادته، وجانب دعوته، وجانب اقتصاده، ويأتي بيان هذه الجوانب في المطالب الآتية:

## المطلب الأول- أثره في عبادة الداعية

إن من أهم آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في عبادة الداعية أنه يمكن الداعية من أداء العبادات البدنية على الوجه الأكمل، باستكمال جوانبها المرتبطة بوجود المال والرزق، كإعداد الزاد للحج وترتيبات بعض أمور الصلاة، والصوم وغيره، وكذلك يمكن الداعية من أداء العبادات المالية من زكاة وصدقة وغيرها بكل يسر وسهولة، حيث يعتبر وجود المال مسهلاً لتنفيذ تلك الأعمال المتعلقة بالعبادات البدنية والمالية.

كما هو ظاهر في سيرة الرسل (عليهم الصلاة والسلام)، والصحابة (رضي الله عنهم) في إنفاق أموالهم لأجل أداء بعض العبادات نتيجة توفر المال لديهم بعد ملكيتهم إياه بالطرق المشروعة<sup>(١)</sup>.

إذن فالمال من الوسائل المعينة على تحقيق أداء بعض العبادات لله عز وجل، وما كان سبباً في أداء العبادات فهو أمر عظيم في حياة الداعية، عندئذ يكون الجمع بين الدعوة وطلب الرزق أمراً في غاية الأهمية في حياة الداعية إلى دين الله عز وجل في كل زمان ومكان، ويبرز بذلك أثر من الآثار الحسنة للجمع بين الدعوة وطلب الرزق لصالح الداعية.

(١) راجع بعض النماذج المتعلقة بإنفاق الرسل عليهم السلام الأموال لأجل العبادة في ص/١٩٠، وراجع بعض النماذج المتعلقة بإنفاق الصحابة ﷺ أموالهم لأجل العبادة في صفحة (٢٣٨)، وراجع الكلام حول المسألة الأولى والثانية في المطلب الأول من المبحث الأول في الفصل الرابع: دواعي الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق المتعلقة بالداعية والمدعويين في ص/٣١٠، ٣١١ من هذا البحث.

## المطلب الثاني- أثره في دعوة الداعية

إن من آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في دعوة الداعية، أنه يمكن الداعية من إعداد أجهزة الدعوة التي يعتمد بناؤها على قوة المال، كتحمل تكاليف الذات، وتكاليف الغير من الدعاة في سبيل نشر الدعوة، وإنشاء الوسائل المتنوعة للدعوة، وتمويل شؤون إدارتها وتدعيم نشاطها نحو تحقيق أهدافها المنشودة. كما هو ظاهر في هبة النبي ﷺ جزءاً من أموال بني النضير لإنفاقه في جوانب الدعوة كلها<sup>(١)</sup>.

وكذلك يمكن الداعية من تجنب مكائد معارضي الدعوة، وتعطيل وسائلهم المختلفة المعادية ضد الدعوة والدعاة، بإنفاق المال في سبيل النجاة منها، والقضاء على الأزمات المالية التي يعانيها الدعاة في تقدم الدعوة وتطورها في جوانب الدعوة ومراحلها المختلفة. فعندئذ تسير الدعوة نحو تحقيق هدفها دون عائق مالي كما هو ظاهر في إنفاق أبي بكر الصديق رضي الله عنه أمواله في حمل تكاليف هجرته مع النبي ﷺ من أذى المشركين في مكة ومنها إلى يثرب (المدينة المنورة).<sup>(٢)</sup> ومشاركة عثمان بن عفان رضي الله عنه بأمواله في تجهيز الجيش الإسلامي لغزوة تبوك<sup>(٣)</sup>.

وكذلك إن عمل الداعية في مجال طلب الرزق، يسهل له الاتصال بالمدعوين العاملين في مجالات طلب الرزق؛ لتبليغ الأحكام المتعلقة بالمال وأنواع الأرزاق وأحكام التعامل فيها، وغيرها من الأحكام الشرعية التي يقتضي بيانها للمدعوين وفق أحوالهم في ميدان الدعوة من سوق ومتاجر ومصانع ومستودعات وغيرها لما يطلع عليه من أسرار أعمال هؤلاء المدعوين، والتي لا يمكن كشفها غالباً إلا بالتعامل معهم في مجالات طلب الرزق.

كما هو ظاهر في احتساب النبي ﷺ على صاحب الطعام مع بيان حكم عمله له نتيجة ذهابه إلى السوق<sup>(٤)</sup>، وهناك مواقف كثيرة للنبي ﷺ في توجيه الناس ببيان الأحكام الشرعية في ميادين طلب الرزق<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق ذكر نص الحديث في ص/٩٠ من هذا البحث.

(٢) انظر- سيرة النبي ﷺ تأليف ابن إسحاق بتهديب ابن هشام (٢/٣٣٥-٣٣٨).

(٣) سبق ذكر الحديث في ص/٢٣٥ من هذا البحث، راجع الكلام حول المسألة الثانية: تحمل تكاليف الدعوة وصورها في المطلب الثاني من البحث الأول في الفصل الرابع في ص/٣١٧.

(٤) ذكر نص الحديث في ص/١٦٧ من هذا البحث.

(٥) راجع النماذج في توجيه النبي ﷺ الناس ببيان الأحكام الشرعية في مجال طلب الرزق، عند الكلام حول الإخبار عن الذات للهدف الدعوي في مجالات طلب الرزق في ص/٣٦٤.

إذن فالجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الأمور العظيمة، التي تعين الداعية على نشر الدعوة في مراحلها المختلفة، وحمايتها من مشكلة الأزمات المالية بالوسائل المشروعة وأساليبها المتنوعة.

### المطلب الثالث - أثره في اقتصاد الداعية<sup>(١)</sup>.

إن من آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في مصالح الداعية، أنه يوضح للداعية صفة سلوك طرق المكاسب المشروعة للرزق والمال بالممارسة الفعلية، فيشجعه ذلك على استعمال ما يطبق منها، ويتعوده محترفاً به، ويتعلم أساليب اختيار السلع والبضائع والأمتعة المباحة المرغوبة فيها في حالة البيع أو الشراء عند الاشتغال بالتجارة، ومعرفة الأراضي الصالحة للاستثمارات الزراعية والإنتاجية في حالة الاشتغال بالزراعة، ومعرفة المصنوعات النافعة والمحبوذة لدى المستهلكين والمستثمرين في الأسواق في حالة الاشتغال بالصناعة، وحسن تعامل الأجراء، وتنصيبهم في الوظائف المناسبة عند الاشتغال بمهنة الإجارة.

فيجد الداعية عندئذ ما كتب له من رزق الله وماله، ويتمكن بسبب ذلك أن يسد حوائجه الخاصة وحوائج أسرته وأهله وأقاربه، ويسد به أيضاً ما يلزمه من حقوق الآخرين كدفع الدين والدية، وضمان المتاع وإرشه ونحو ذلك من وجوه المصارف المشروعة للرزق والمال<sup>(٢)</sup>.

وبهذه الآثار النافعة للداعية ينجو من مشكلة الفقر وأسبابه وهمومه المتعلقة بنفسه وبغيره ممن تلزمه حقوقه غالباً، وعندئذ ينطلق بالدعوة في الوقت المخصص لها بكل جد ونشاط وقوة معنوية وحسية<sup>(٣)</sup>، كما هو ظاهر في إقرار الرسول ﷺ موقف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في اشتغاله باستثمار تجارته في سوق بني قينقاع بعد أن

(١) سبق ذكر المقصود بمعنى الاقتصاد في موضوع هذا البحث في ص/٤٠٩ هامش رقم (٣).

(٢) راجع الكلام حول بعض صور الإنفاق المشروع في سر الرسل عليهم السلام في المطلب الثالث من المبحث الأول

في الفصل الثاني في ص/١٧٧ .

(٣) راجع الكلام حول طرق إزالة الفقر بسلوك المكاسب المشروعة بعزيمة قوية ص/٤٣٤ من هذا البحث.

كان فقيراً بسبب هجرته من ماله وأهله من مكة إلى يثرب، وسد حوائجه من أرباح تجارته مع استمراره في أداء واجب الدعوة<sup>(١)</sup>.

إذن فعملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من أكبر الأمور في إعانة الداعية وتمكنه من تنظيم أموره الاقتصادية، والتفرغ لخدمة دعوته في الفترات المخصصة لها، وبهذا يظهر أثر من الآثار الحسنة للجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صالح الداعية. وما ذكر في هذا المبحث من آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في الداعية، مثل أثر الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في عبادة الداعية، وأثره في دعوة الداعية، وأثره في اقتصاد الداعية، إنما هي أبرز الآثار المتعلقة بالداعية في موضوع هذا البحث وليس من باب حصرها؛ لأن ممارسة الدعوة والسعي في طلب الرزق لها فوائد عظيمة، وينبغي للدعاة حسن استغلال الآثار المذكورة إضافة إلى آثار أخرى مفيدة وفق مقتضى القيام بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في كل زمان ومكان.

(١) سبق ذكر نص الحديث والتعليق عليه في ص/٩٩، وراجع بعض مواقف الرسل عليهم السلام في التفرغ للدعوة في ص/١٥٧ في المسألة الثانية من المطلب الثاني في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث.

### المبحث الثاني

آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في المدعوين

- المطلب الأول - أثره في الحياة الدينية للمدعو المستجيب
- المطلب الثاني - أثره في الحياة الاجتماعية للمدعو المستجيب
- المطلب الثالث - أثره في الحياة الاقتصادية للمدعو المستجيب
- المطلب الرابع - أثره في تحويل المدعو غير المستجيب إلى قبول الدعوة

## المبحث الثاني

## آثار الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في المدعوين

إن لقيام الداعية بعملية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق فوائد عظيمة، وآثار حسنة تعود إلى المجتمع بواسطة أفراد المدعوين المستفيدين، من جهود الداعية التي يبذلها لهم خلال عمله في مجال الدعوة وطلب الرزق. وتظهر هذه الآثار غالباً بالنسبة للمدعو المستجيب في عدة جوانب. أهمها:

أ- جانب الحياة الدينية. ب- جانب الحياة الاجتماعية. ج- جانب الحياة الاقتصادية.

أما بالنسبة للمدعو غير المستجيب فتظهر آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق غالباً في جانب أخلاق المدعو غير المستجيب. ويأتي تفصيل الكلام حول الآثار في هذه الجوانب في المطالب التالية:

## المطلب الأول- أثره في الحياة الدينية للمدعو المستجيب

إن من آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في المدعو المستجيب، أنه يتعلم جميع أمور دينه من عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق من خلال ما يصله من بيان الأحكام الشرعية، والتوجيهات والإرشادات الإسلامية المفيدة بواسطة دعوة الداعية بوسائلها المختلفة المشروعة<sup>(١)</sup> في الميادين الدعوية المتعددة والتي منها ميادين طلب الرزق، حيث يبين فيها الداعية أحكام الدين للمدعوين عند الاحتكاك بهم في تلك الميادين المتصلة بطلب الرزق وغيره، فيطبق المدعو مبادئ دينه حسب حاله وطاقته على علم وبصيرة، ويحذر الوقوع في معاصي الله عز وجل، ومخالفة شرعه في كل الشؤون الدينية والدنيوية، ويبادر إلى التوبة والاستغفار لكل ما يقع منه من زلل وذنوب.

فعندئذ يكون المدعو المستجيب سعيداً بتلك الهداية الدينية في الدنيا، وراجياً ثواب أعماله الدينية في الآخرة، لاعتقاده أن هذه الهداية التي يسير عليها مقتبسة من هدي الكتاب والسنة المطهرة، اللذين يتناول منهما الداعية موضوع دعوته إياهم،

(١) راجع الكلام حول الإنفاق في تعليم المدعو أمور دينه في ص/٣٣٠ من هذا البحث.

وهما يقودان البشرية إلى كل أنواع الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وما جاء في رواية العرياض بن سارية المرفوعة إلى الرسول ﷺ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين»<sup>(١)</sup>.

الآية والحديث من النصوص الكثيرة الواردة في بيان وجوب الأخذ بالكتاب والسنة وأهميته في هداية الناس إلى الطريق المستقيم المؤدي للفوز بسعادة الآخرة ورضا الله ودخول الجنة.

وهذه السعادة الإيمانية تُشجّع المدعو المستجيب، وتحثه على المشاركة في الدعوة إلى دين الله في داخل مجتمعه وخارجه.

إذن فقيام الداعية بدعوة الناس في أثناء طلب الرزق، من الأمور المهمة في تأثر المدعويين المتعاملين في مجال طلب الرزق، بتطبيقهم متطلبات موضوع الدعوة في حياتهم الدينية، كما هو ظاهر في تأثر الصحابة (رضي الله عنهم) بدعوة الرسول ﷺ بالوسائل الدعوية وأساليبها المختلفة في الميادين المتعددة التي منها ميادين طلب الرزق في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية، حتى استحقوا الثناء الإلهي عليهم ﷺ بقول الله تعالى عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والآيات والأحاديث كثيرة في الثناء على الصحابة ﷺ، لأجل امتثالهم لمضمون دعوة رسول الله ﷺ الذي كان سبباً في جلب الخير إليهم في دينهم ودنياهم<sup>(٢)</sup>. وبهذه التوضيحات تظهر أثر من آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صالح المدعويين المستجيبين.

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام ابن أحمد في مسنده (١٢٦/٤) رقم الحديث «١٧١٨٢» وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن».

(٢) راجع بعض النماذج الواردة في تقييد الصحابة بمهدي الكتاب والسنة في ص/٢٠٩ من هذا البحث.

المطلب الثاني- أثره في الحياة الاجتماعية للمدعو المستجيب.

إن من آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صالح المدعو المستجيب، أنه يتعلم نظام تسيير حياته الاجتماعية على هدى ونور بواسطة دعوة الداعية، في ذلك الجانب المتعلق بالحياة الاجتماعية كالأمر المتصلة بنكاح الزوجات، ومعاشرتهم وتربية الأولاد، وبناء المساكن للنفس والأهل، وحسن معاملة الخدم والأقارب ومراعاة أحوالهم من جميع الجوانب، ونبذ الأخلاق السيئة، والعادات المخالفة لهدي الإسلام، وكثيراً ما يجد المدعو المستجيب التعاون المباشر من قبل الداعية في ترتيب بعض جوانب حياته الاجتماعية الخاصة؛ لأجل وجود أواصر الأخوة الإسلامية الدعوية بينهم<sup>(١)</sup>، فتصبح حياته الاجتماعية الخاصة مليئة بالسعادة واطمئنان النفس، لبنائها على الأسس الإسلامية المتينة.

وأما الجانب المتعلق بالحياة الاجتماعية العامة، فيستفيد المدعو المستجيب من توجيهات الداعية بخصوص إصلاح المجتمع وتربية أفرادها، فيؤدي واجباته نحو خدمة المجتمع بأمانة وصدق وشفقة بأفرادها، ويحرص على بذل المزيد من الخدمات المتعلقة بالتكافل الاجتماعي، بالأساليب المشروعة المتاحة كدفع الصدقات والزكوات المفروضة والتطوعية للمستحقين بها والمحتاجين، وتبادل الهدايا والهبات وغيرها من أنواع البر والإحسان لبناء المجتمع ورفقه، نحو مستقبل إسلامي جميل، وبعده عن الأخلاق والأمور المسببة لتفكيك كيان المجتمع، مثل إزالة التباعد والتهاجر والتحاسد والغيبة والبخل والفحش والغش بين الناس ونحو ذلك في المجتمع، وكذلك

(١) كما هو ظاهر في المواقف الكثيرة للرسول ﷺ مع الصحابة في ترتيب أمورهم الاجتماعية الخاصة والعامة، ومنها على سبيل المثال تزويج النبي ﷺ رجلاً من أصحابه بما كان يحفظه من آيات القرآن الكريم. وفي رواية سهل بن سعد الساعدي قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: فهل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله ... قال: ماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا (عدها) فقال: تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بطوله كتاب النكاح رقم (١٦) باب رقم (١٣) رقم الحديث (١٤٢٥) (٩/٢٢٣-٢٢٥).



يجد المدعو المستجيب أحياناً بعض التبرعات التي يقدمها إليه الداعية؛ لأجل مشاركته في معالجة مشكلات المجتمع و الزود عنه من الفتن والأضرار بسبب ما يتوفر لديه من الإمكانيات والطاقات المالية، التي حصل عليها نتيجة عمله في مجالات طلب الرزق، فيعيش المدعون والدعاة في مجتمع تسوده المحبة والعطف والتكاتف، والتآزر المبني على الأخوة الإسلامية الداعية إلى تطبيق أحكام الله في كل صغير وكبير.

كما هو ظاهر في أثر دعوة الرسول ﷺ، في تكوين مجتمع الصحابة وبنائه على هدي كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ، مما جلب لهم فيه الخير والفلاح والصلاح والفوز برضا الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ، حتى وصف الله سبحانه وتعالى مجتمعهم بصفات حسنة في آيات عديدة التي منها قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًّا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾<sup>(١)</sup> [الفتح: ٢٩].

وقال سيد قطب<sup>(٢)</sup> في تعليقه على قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ وهم فقط أخوة دين فهي الشدة لله والرحمة لله وهي الحمية للعقيدة، والسماحة للعقيدة فليس لهم في أنفسهم شيء ولا لأنفسهم فيهم شيء، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لأخوتهم فيها قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ومن الانفعال لغير الله والوشيجة التي تربطهم بالله<sup>(٣)</sup>. وكذلك أكد الله سبحانه وتعالى صدق إيمان المهاجرين والأنصار بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا

(١) سبق التعليق على الآية في ص/ ٢٠١ من هذا البحث.

(٢) سيد قطب هو: الأديب المصري والكاتب الإسلامي والداعية الكبير سيد بن قطب بن إبراهيم ولد في قرية (موشا) في أسبوط بمصر سنة ١٩٠٦، وحصل على الإجازة العالية في كلية دار العلوم بالقاهرة وتوظف في عدة مناصب منها وزارة المعارف، وغيرها. وأوفد لدراسة (برامج التعليم في أمريكا) واهتم بالكتابات الأدبية ثم تحول إلى كاتب إسلامي بارع، ونشط في الدعوة إلى الله تعالى، واستشهد سنة ١٩٦٦م رحمه الله. وله مؤلفات كثيرة من أهمها: تفسير القرآن المسمى (في ظلال القرآن). انظر الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي (٣/ ١٣٧، ١٤٨).

(٣) ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٣٣٢) ط/ دار الشروق - بيروت، القاهرة الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ -

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: ٧٤]. وكذلك وصف الرسول ﷺ مجتمع الصحابة بالاستقامة في أحاديث كثيرة التي منها ما جاء في رواية عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام النووي عند تعليقه على الحديث: «واتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

والحديث من الأدلة على امثال الصحابة لجميع أوامر الدين في مجتمعهم بسبب تأثيرهم بدعوة النبي ﷺ بينهم بوسائله وأساليبه النبوية في الميادين المختلفة التي منها ميادين طلب الرزق، والعمل بشريعة الله وسنة رسوله ﷺ في مجتمع يورثه كل خير وفلاح وجنبه عن كل سوء وضلال.

إذن فقيام الداعية بالدعوة مع ارتباطه بطلب الرزق فهو من الأمور المهمة في جلب الخير للمدعو المستجيب في حياته الاجتماعية العامة والخاصة به؛ لأن الجمع بين الدعوة وطلب الرزق مرحلة من مراحل أداء الداعية أعماله الشرعية التي كلف بها<sup>(٣)</sup>. وينبغي للدعاة أن يهتموا بالدعوة مع طلب أرزاقهم، حتى يشاركوا في خدمة المجتمع بأموالهم وبدعوتهم، ولا يكونوا كلاً على غيرهم في المجتمع محتاجين إليهم في كل صغير وكبير بل يكونون قُدوة لهم في الأمور كلها بقدر طاقتهم. وبهذه التوضيحات السابقة المتعلقة بالحياة الاجتماعية للمدعو المستجيب، يظهر أثر من آثار عملية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صالح المدعوين المستجيبين.

### المطلب الثالث - أثره في الحياة الاقتصادية للمدعو المستجيب

إن من آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في صالح المدعو المستجيب، أنه يدرك الأحكام الشرعية المتعلقة بالأموال والأرزاق، وما يلزمها

(١) جزء من الحديث سبق ذكره كاملاً مع تخريجه في ص/٢٠٠-٢٠١ من هذا البحث.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣١٨/١٦).

(٣) راجع بعض الأدلة في مشروعية الجمع بين الدعوة إلى الله وطلب الرزق في صفحة (٧٢) من هذا البحث.

من طرق كسبها واستثمارها وتوزيعها، واستهلاكها بواسطة ما يسمعه من إرشادات الداعية وتوجيهاته باستخدام الوسائل والأساليب المتعددة، والتي منها أسلوب تعامل الداعية مع المدعويين في مجال طلب الرزق لهدف الدعوة وكسب الرزق، فعندئذ يسلم المدعوون من استعمال الأرزاق المحرمة من لحوم الخنازير والخمر، وأنواع المسكرات والمخدرات وأضرارها، ويتجهون إلى استعمال الأرزاق الطيبة، ويسلكون الطرق المشروعة في اكتسابها وتوزيعها واستهلاكها الاستثماري والإنفاقي، بنظام اقتصادي إسلامي، وبذلك يزدهر اقتصاد المجتمع وتكثر فيه الأموال والإنتاج الاقتصادي الاستثماري، وتتم فيه المحافظة على الثروات، والموارد بجميع أشكالها وأنواعها، فيتعبد المدعون المستجيبون في المجتمع عن كل ما من شأنه إعاقة ازدهار الحياة الاقتصادية السعيدة في المجتمع مثل إزالة وتجنب احتكار السلع إلى وقت الغلاء في السوق، والتعامل بالربا والغش والخداع والسرقة والغصب والنهب والرشوة، وغيرها من أنواع البيوع الغرر القديمة والحديثة، ونبذ كل جديد مستحدث من الأنظمة الاقتصادية المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي من رأسمالية وشيوعية ويهودية وصهيونية وغيرها.

وكذلك يُسرّع المدعوون المستجيبون في إخراج الحقوق المالية المفروضة عليهم من أموالهم للمستحقين بها من إخوانهم المدعويين، بسبب ما عرفوه من توجيهات الداعية. فيصبح المدعوون في رخاء ويسر ورفاهية وأمان وثقة، وقوة مالية يستطيعون بها سد الحاجات الذاتية والأسرية والاجتماعية، وتقديم الخدمات الدعوية في داخل المجتمع وخارجه؛ لأجل عملهم بالنظام الاقتصادي الإسلامي.

كما هو ظاهر في ازدهار الحياة الاقتصادية في عهد عمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> (رحمه الله) مما أدى إلى غناء الناس وكثرة أموالهم وأرزاقهم وتمكنهم من سد حاجاتهم

(١) عمر بن عبد العزيز هو: الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المدني ثم المصري. وكان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين. قال ابن سعد: ... «أمه [أي أم عمر بن عبد العزيز] هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قالوا ولد سنة ثلاث وستين، قال: وكان ثقة، مأموكاً، له فقه وعلم وورع. وروى حديثاً كثيراً، وكان إمام عدل رحمه الله ورضي عنه» وكان عهده خير عهود خلفاء بني أمية. وتوفي سنة إحدى ومائة رحمه الله تعالى. انظر - سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١١٤/٥ - ١٤٨).

بكل يسر وسهولة، وذلك على جميع مستوى طبقات الناس في عهده، نتيجة تأثرهم بدعوة عمر بن عبد العزيز بوسائله وأساليبه الدعوية المتنوعة المشروعة، المبنية على تقوى الله عز وجل والاقتداء بسنة رسوله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.<sup>(١)</sup>

ومما جاء في تصديق ذلك قول يحيى بن سعيد: «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية، فأقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذها مني، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها رقاباً فأعتقتهم وَلَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وما جاء في رده على كتاب أحد ولاته وهو عدي بن أرطاة الفزاري وإليه على العراق فقد بعث كتاباً إلى عمر يقول فيه: «إن الناس قد كثروا في الإسلام حتى خفت أن يقل الخراج» أي بسبب رفع الجزية عن أهل الكتاب بعد إسلامهم. فكتب عمر إليه يقول: «فهمت كتابك والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حارثين نأكل من كسب أيدينا»<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذه المواقف النبيلة كثيرة في سيرة عمر بن عبد العزيز في حرصه على دخول الناس في الإسلام، وجلب الخير واليسر إليهم في معيشتهم<sup>(٤)</sup>، لأن النظام الاقتصادي الإسلامي يحفظ لكل ذي حق حقه في المجتمع، ويخلو من جميع أنواع الظلم والاعتداء على أموال الناس، وأعمالهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء ويربط بينهم بالأخوة الإسلامية التي تأمر بشفقة الأغنياء بالفقراء وإحسانهم إليهم بالنصيب المفروض والمتطوع من أموالهم للفقراء والمحتاجين، ويكون ذلك أيضاً من أسباب إيجاد الخير والسعادة في المجتمع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) انظر بالتصرف: السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز لقطب إبراهيم محمد ص/ ١٦٩-٢١٦.

(٢) انظر - سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم برواية ابنه أبي عبد الله محمد نسخها وصححه وعلق عليها أحمد عبيد (ص: ٦٩) ط/ دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الخامسة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٣) انظر - سيرة عمر بن عبد العزيز للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص/ ٨١، ط/ مطبعة الإمام بالمالية بمصر.

(٤) انظر - المراجع السابقة.

[الأنبياء: ١٠٧]. أي أن كل ما جاء به الرسول ﷺ من أمور الدين رحمة ونعمة للعالمين كلهم، والتي منها النظام الاقتصادي الإسلامي فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها خسر في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>. وكذلك يستفيد المدعو المستجيب في حياته الاقتصادية من الإنتاجات الصناعية للداعية، أو من معاملته التجارية وغيرها نتيجة مشاركة الداعية في تطوير النشاط الاقتصادي في المجتمع، حيث تصلهم المصنوعات والمنتجات الصناعية، والسلع التجارية المدومة أو النادرة، بواسطة الداعية، فيكون عمل الداعية في مجال طلب الرزق سبباً في وصول هذه النعم إلى المدعويين المستجيبين في المجتمع.

كما هو ظاهر في صناعة نبي الله داود عليه السلام الدروع بصورة حسنة يعجز عنها الآخرون ويبيعها على الناس المدعويين من قومه مشاركة منه بذلك في تنمية الحياة الاقتصادية في مجتمعه<sup>(٢)</sup>.

وكما هو ظاهر في مشاركة عبد الرحمن بن عوف في إيصال البضائع المهمة إلى الأنصار والمهاجرين؛ ليسهل عليهم الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة ﷺ<sup>(٣)</sup>. وكذلك قيام بعض الصحابة ﷺ بالتجارة في غنائمهم بعد الغزوات مشاركة منهم في تنمية نشاط اقتصاد المجتمع الإسلامي، كما جاء في رواية عبيد الله بن سليمان أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ حدثه قال: «لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون ... غنائمهم فجاء رجل حين صلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد ربحت ربحاً ما ربح اليوم مثله أحد من أهل هذا الوادي قال: ويحك وما ربحت؟ قال: مازلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية، فقال رسول الله ﷺ: أنا أنبتك بخير رجل ربح. قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: ركعتين بعد الصلاة»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (٢/٢٧١).

(٢) سبق ذكر القصة في ص/١٩١ من هذا البحث وهي من رواية الإمام ابن كثير في تفسيره.

(٣) سبقت الإشارة إلى استمرار عبد الرحمن بن عوف في التجارة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في ص/٢٠٩.

في هذا البحث.

(٤) سبق ذكر نص الحديث وتخرجه في ص/٢٢٢-٢٢٣ وهو من رواية الإمام أبي داود في سننه.

وفي هذا الحديث دلالة على إقرار الرسول ﷺ الصحابة على المشاركة في تنمية النشاط الاقتصادي الإسلامي في المجتمع بشرط أن تقيد بعبادة الله عز وجل. وكذلك يستفيد المدعو المستجيب عند بعض أحواله المحتاجة من تبرعات الداعية وهداياه وصدقاته التي يخرجها لهم من أمواله الخاصة التي ملكها بالوجه الشرعي.

كما هو ظاهر في إعطاء الرسول ﷺ الهدايا والصدقات لبعض الصحابة ليسدوا بها حاجاتهم ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكذلك يستفيد المدعو المستجيب بمشاركة الداعية إياهم بوضع خطط اقتصادية بينهم؛ ليغطي بها احتياجاتهم الاقتصادية في المجتمع نتيجة معرفته بنظام الجمع بين الدعوة وطلب الرزق. كما هو ظاهر في مشاركة الرسول ﷺ بتنسيق المساقاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة؛ ليغطي به فقر المهاجرين إثر خروجهم من أموالهم وأهليهم في مكة.

وجاء في رواية أنس بن مالك ﷺ قال: «لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقامهم الأنصار على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة...»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أبي هريرة ﷺ قال: «قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخل: قال: لا. فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) ومن النماذج الدالة على ذلك إرجاع الرسول ﷺ ثمن الجمل مع الجمل إلى جابر بن عبد الله بعد شرائه منه. وجاء في رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي وأعيا، فأتى علي النبي ﷺ فقال: جابر؟ فقلت: نعم، قال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ علي جملي وأعيا فتخلفت فرل يحججه بمحنه، ثم قال اركب، فركبته ... ثم قال: أتبيع جملك؟ قلت: نعم. فاشتراه مني بأوقية. ثم قدم رسول الله ﷺ قبلي وقدمت بالغداة، فحجنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال: آلا قدمت؟ قلت: نعم. قال: فدع جملك فادخل فصل ركعتين، فدخلت فصليت. فأمر بلالاً أن يزن له أوقية فوزن لي بلال فأرجع في الميزان. فانطلقت حتى وليت. فقال: ادعوا لي جابراً. قلت: الآن يرد علي الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، قال: خذ جملك، ولك ثمنه» أخرجه الإمام البخاري بطول الحديث في صحيحه كتاب البيوع رقم (٣٤) باب رقم (٣٤) (٣٧٥/٤).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطوله كتاب الهبة باب رقم (٣٥) (٢٨٧/٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الحرث والمزراعة باب رقم (٥) (١١/٥).

وهكذا تحقق الغرض من هذا العمل التنسيقي الاقتصادي بين الأنصار والمهاجرين بسد حاجات المهاجرين وتخفيف حدة فقرهم إلى أن أغناهم الله بغنائم خيبر وغيرها. كما جاء في رواية أنس بن مالك أن النبي ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر فأنصرف إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من ثمارهم فرد النبي ﷺ إلى أمه عذاقها، فأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه»<sup>(١)</sup>.

والأحاديث من الأدلة على مشروعية اهتمام الداعية بالشئون الاقتصادية للمدعوين لرقيتها وتطويرها.

وكذلك يستفيد المدعوون المستجيبون من دعاء الداعية لرفع مستوى النشاط الاقتصادي للمدعوين في المجتمع، لمعرفة الداعية بالأحوال الاقتصادية المتدنية للمدعوين المستجيبين خلال عمله بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق، ويعود هذا الدعاء إليهم بالخير والنماء في أرزاقهم بإذن الله تعالى، كما هو ظاهر في اقتداء النبي ﷺ في دعائه لأهل المدينة المنورة بالخير وازدهار حياتهم الاقتصادية، بدعاء نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لأهل مكة المكرمة. وفي رواية عبد الله بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم<sup>(٢)</sup> عليه السلام لمكة»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم، يعني أهل المدينة»<sup>(٤)</sup>.

وهذان الحديثان من الأدلة على مشروعية الدعاء للمجتمع الإسلامي بزيادة الرزق والمال لكي يؤدي أفراد عباد الله على الوجه الأكمل، والامتثال للأوامر الشرعية والاجتناب عن نواهيها في جميع أمورهم الدينية والدنيوية.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بطول الحديث كتاب الهبة رقم (٥١) باب رقم (٣٥) (٢٨٧/٥).

(٢) ومن أدعية إبراهيم عليه السلام لأهل مكة قول الله تعالى حكاية عنه : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيح كتاب البيوع باب رقم (٥٣) (٤٠٦/٤).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر (٤٠٧/٤).

إذن فقيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الأمور المهمة، والمؤثرة في ازدهار الحياة الاقتصادية للمدعوين المستجيبين.

وينبغي للدعاة أن يهتموا بأداء هذه العملية الدعوية والاقتصادية لأجل فوائدها العظيمة في الدين والدنيا.

وبهذه التوضيحات السابقة المتعلقة بدور الجمع بين الدعوة وطلب الرزق من قبل الداعية، تظهر آثار من آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق في صالح المدعوين المستجيبين.

**المطلب الرابع - أثره في تحويل المدعو غير المستجيب<sup>(١)</sup> إلى قبول الحق.**

إن من آثار قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في أخلاق المدعو غير المستجيب، أن يطلع المدعو على حسن أخلاق الداعية، وصدقه وأمانته وحرصه على إيصال الخير والفلاح إلى الناس، وبعده عن الفساد والمنكر والأخلاق الرذيلة وسفاسفها، والمعاملات المالية المحرمة المسيية لهلاك الأموال وضياعها، وخسران أصحابها فيها، ويطلع أيضاً على مدى محافظة الداعية على التمسك بمبادئ دينه وشريعته في الأمور، وذلك عند تعامله المدعوين غير المستجيبين في ميادين طلب الرزق، وهذا يعطي للمدعو غير المستجيب شعوراً حسناً في ناحية الداعية، فيصوره شخصياً أميناً متعاوناً صالحاً للاستفادة منه في مجال الفكر والرأي والاجتماع والمعاملات الاقتصادية الفاضلة. ويتمنى الاقتداء به في سير أعماله وأخلاقه القيمة التي يتميز بها عن غيره؛ فيسبب هذا الشعور تهيئة نفسية للمدعو غير المستجيب للاستماع إلى قبول ما يملئ عليه الداعية من طلب دخوله في الإسلام والأخذ بمتطلبات الدعوة وموضوعاتها. وقد دخل كثير من المدعوين غير المستجيبين في الإسلام بسبب قيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في تاريخ الدعوات. وهذا مما يدل على أثر هذا العمل النبيل في صالح المدعو غير المستجيب.

(١) سبق ذكر المراد بالمدعو غير المستجيب في صفحة (٣٢٧) من هذا البحث.



ومن النماذج الدالة على دخول المدعويين غير المستجيبين في الإسلام لأجل تأثرهم بحسن معاملة الداعية ما يأتي:

أولاً- نموذج في العصر القديم:

ما كان من إخراج الملك نبي الله يوسف عليه السلام من السجن واختياره إياه والياً على تدبير الشؤون المالية في بلاده بعد أن عرف خلقه الحسن وأمانته وصدقه وإعراضه عن الفساد والفحش.

ومن الآيات الدالة على هذه القصة: قوله الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٥] وقد أعجب الملك خلق يوسف عليه السلام مما جعله يقبل منه طلب الولاية على الشؤون المالية في دولته. وفي رواية عن ابن إسحاق قال: «لما قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. قال الملك: قد فعلت! فولاه...»<sup>(١)</sup> وقد أدت هذه المعاملة الحسنة من قبل يوسف عليه السلام للناس عند تدبير شئون الأعمال المالية التي أسندت إليه مع قيامه بالدعوة، إلى دخول الملك في الإسلام. كما جاء في رواية مجاهد أنه قال: «أسلم الملك على يد يوسف»<sup>(٢)</sup>. هذا بسبب التهيئة السابقة لنفسه المعجبة بأخلاق يوسف عليه السلام، واعتصامه بمبادئ شريعته عند كل الأحوال.

وكذلك آمن به أهل مصر لحسن معاملته إياهم عند تدبيره الشؤون المالية في الدولة واستمراره في الدعوة، وجاء في رواية الضحاك عن ابن عباس قال: «لما فوض الملك إلى يوسف أمر مصر، تلطف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام،

(١) رواه الإمام ابن جرير الطبري بطوله في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤٢/١٢) المجلد السابع. وكذلك يفهم دخول جماعة من أتباع الملك في الإسلام بدعوة يوسف عليه السلام مع استمراره في إدارة الشئون الاقتصادية في الدولة. وذلك من قول الملك ليوسف عليه السلام: «إنما نحن لك تبع» وذلك في قصة يقال: إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحلبهم، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم برفاقهم، ثم قال للملك: كيف ترى صنع ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أي قد اعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم». انظر المصدر السابق (٢٤٦/٤).

(٢) انظر- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٢٤٤/٤).

فأمنوا به وأحبوه...»<sup>(١)</sup> وهذه القصة من الشواهد العصر القديم على استفادة المدعويين غير المستجيبين من دعوة الداعية عند قيامه بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق.

ثانياً- نموذج في العصر الحديث.

دخول أناس من الوثنيين في الإسلام في منطقة أفريقية، نتيجة استحسانهم لأخلاق التجار المسلمين الدعاة الذين تميزوا عنهم في معاملتهم إياهم بالأساليب الحسنة في المجالات التجارية.

ومما جاء في بيان ذلك ما أخبر به المؤرخون عن انتشار الدعوة في غربي أفريقيا أنه «كانت الطرق التجارية الموصلة ما بين المراكز الإسلامية في شمال القارة والبلاد الواقعة فيما وراء الصحراء المسالك الحقيقية التي تسرب الإسلام عبرها إلى قلب أفريقيا، وقد كان انتشار الإسلام دائماً على طول هذه الطرق التجارية، ونجد أن هذه الطرق قامت بدور جليل في نقل العقيدة الإسلامية في السنغال وأعلى النيجر ومنطقة بحيرة تشاد، حيث كان هؤلاء التجار يتزلون الأسواق الكبرى أو المراكز التجارية، ثم يحتكون بالزنوج عن طريق التجارة، ويؤثرون فيهم بأمانتهم ونظافتهم وسلوكهم الشخصي، وغالباً ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول كثيرين منهم في الإسلام. ولذلك كان الإسلام يتركز في المراكز التجارية الهامة وفي المدن الكبرى ... ونتيجة لهذا الاحتكاك والاختلاط والمصاهرة، انتشر الإسلام وتأثر بهم السودانيون، وأخذوا عنهم أسلوب الحياة وتأثروا بثقافتهم الإسلامية»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الوقائع في النموذج في العصر الحديث من الشواهد الدالة على أهمية الجمع بين الدعوة وطلب الرزق، وأثره الفعال في تحويل المدعو غير المستجيب إلى دخوله في الإسلام عن طريق حسن المعاملة عند الاختلاط به في مجالات طلب الرزق.

(١) انظر - زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي (٢٤٦/٤).

(٢) انظر - دور التجار في نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا. إعداد: أحمد محمد الحميد العقيلي ص/١٠٢-١٠٣.

رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب - المعهد العالي الإسلامية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وانظر أيضاً: الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية لسير توماس. وأرنولد بترجة

الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرون ص/٣٩١، ٣٩٢، ط/مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

وكذلك يستفيد المدعو غير المستجيب بالخيرات، والهدايا المالية التي يقدمها إليه الداعية وسيلة لإدخاله في الإسلام.

وغالباً ما يكون أثرُ فعّالٍ لهذه الهدايا والخيرات والإحسان في تحويل المدعو غير المستجيب إلى قبول الدعوة والدخول في الإسلام. كما هو ظاهر في أسلوب النبي ﷺ في تأليف قلب صفوان بن أمية لدخوله في الإسلام بإعطائه أموالاً كثيراً من الغنائم، وتحقق له ذلك<sup>(١)</sup>.

عندئذٍ يظهر أثر جهود الداعية عند جمعه بين الدعوة وطلب الرزق في المدعو غير المستجيب من جانبين:

أ- جانب تمليك الخيرات التي غيرت شعوره وأخلاقه إلى محبة الداعية والإصغاء إليه والاستعداد لتنفيذ ما يطلبه منه.

ب- جانب الفوز بنعمة الدخول في الإسلام، وهي أكبر نعمة يكسبها المدعوون غير المستجيبين في الدين والدنيا.

إذن فقيام الداعية بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق من الأمور المهمة ذات أثر في إفادة المدعو غير المستجيب دينياً واقتصادياً إسلامياً، وهو من أهداف الداعية في هذه العملية النبيلة؛ لأن المقصود بالدعوة: هو وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم وحده لا شريك له<sup>(٢)</sup>. والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة<sup>(٣)</sup>.

وكل ما ورد ذكره في هذا المبحث من آثار الجمع بين الدعوة وطلب الرزق للمدعوين، والتي هي آثار قيام الداعية بهذه العملية في الحياة الدينية والاقتصادية للمدعوين المستجيبين وغير المستجيبين لتحويلهم إلى قبول الدعوة، إنما هي أبرز الآثار الواردة في موضوع هذا البحث.

(١) سبق ذكر نص الحديث في ص/٣٣٨ وكذلك سبق بيان أقوال بعض العلماء حول مسألة إعطاء المولقة قلوبهم في هامش رقم (١) في ص/٣٣٧.

(٢) انظر - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بجمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وساعده ابنه محمد (٦/٢).

(٣) انظر - العبودية في الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/٤.

وينبغي للدعاة والمدعوين المستجيبين الحرص على تحقيق هذه الآثار وحسن استغلالها؛ لماله من الفوائد الدنيوية الكثيرة، وثوابه العظيم في الآخرة عند الله عز وجل؛ لأنه عمل بدني ومالي في سبيل الله والدعوة إليه، كما قال تعالى في المؤمنين المهاجرين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

والله أسأل أن يسهل العمل للدعاة بالجمع بين الدعوة وطلب الرزق في العصر الحديث وفي العصور اللاحقة ليفوزوا بفوائده الدنيوية وثوابه الأخروي.